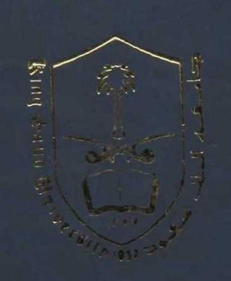
المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كليـــة التربيـــة
قسم الثقافة الإسلامية



أسئلة الرسول ﷺ في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية

«دراسة حديثية موضوعية»

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب

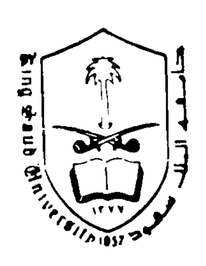
تخصص تفسير وحديث

تقديم الطالبة: نعمات محمد الجعفري
الرقم الجامعي: ٤٢٢٦٣٠٠٠٠

إشراف فضيلة الدكتور / خالد بن منصور الدريس
أستاذ الحديث وعلومه المشارك

العام الدراسي ١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كليـــة التربيـــة
قسم الثقافة الإسلامية



أسئلة الرسول ﷺ في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية

«دراسة حديثية موضوعية»

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب
تخصص تفسير وحديث

تقديم الطالبة : نعمات محمد الجعفري
الرقم الجامعي : ٤٢٢٦٣٠٠٠٠

إشراف فضيلة الدكتور / خالد بن منصور الدريس
أستاذ الحديث وعلومه المشارك

العام الدراسي ١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية

شعبة (تفسير وحديث)

(إجـــــــــــــــازة)

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في (تخصص تفسير وحديث)

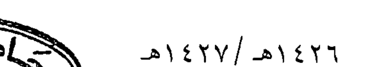
بعنوان : (أسئلة الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية – دراسة حديثه موضوعية) .

إعداد الطالبة / نعمات بنت محمد الجعفري

نوقشت هذه الرسالة في ٢٦ / ١١ / ١٤٢٦هـ

وتم إجازتها

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
١- د / خالد بن منصور الدريس	مشرفاً ومقرراً	
٢- د / خليل حسن حمادة	عضواً	
٣- د / محمد بن عبدالرحمن العمير	عضواً	



للعام الجامعي ١٤٢٦هـ / ١٤٢٧هـ



إهــــداء

إلى من رسم البسمة على شفتي . . طفلة صغيرة .

إلى من سعى في خدمتي . . . حتى غدوت أماً كبيرة .

إلى من ظلت يده ممتدة لي بالعطاء . . حتى فارق الحياة .

إلى من غرس حب العلم في قلبي .

إلى من دفعني للتفوق والنجاح .

إلى أغلى حب حملته بين أضلعي .

إلى والدي رحمة الله عليه .

إلى القلب الطيب الطاهر .

إلى من مسحت دمعتي . . وطيبت خاطري .

إلى من صوبت رأيي بحكمة قولها .

إلى نبع الحنان . . إلى حضن الأمان .

إلى من لا عمل يوفي حقها .

إلى من قلبي ينبض بحبها .

إلى والدتي الحبيبة . . أطال الله لي في عمرها .

ابنتكما : نعمات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ..... وبعد.

لقد بعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ، فكان ذلك إيذاناً ببزوغ شمس رسالة الإسلام الخالدة التي قدمت للإنسانية أفضل المعطيات الخيّرة .

فأثبت القرآن أن رسول الله ﷺ بُعث رسولاً معلّماً، كما بُعث هادياً للناس بشيراً ونذيراً، فكان التعليم من وظائف رسالته السامية، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢] .

ولقد كانت هذه المهمة العظيمة والوظيفة الأساسية، حاضرة في ذهن نبينا المصطفى، مستقرة في وجدانه، فانبرى صلوات ربي وسلامه عليه، متمثلاً بهذه المهمة، مؤدياً لها، ومحققاً جميع آفاقها التربوية والنفسية والاجتماعية، قال ﷺ: (إِنَّ اللهَ لم يَبْعَثْني مُعَنِّتاً، ولا مُتَعَنِّتاً[١]، ولكن بَعَثَني مُعَلِّماً مُيَسِّراً)[٢] .

وقد اشتد ساعد الإسلام، وترعرع عوده، على يد الرعيل الأول الذين تعلموا وتربوا في مدرسته ﷺ، فكانوا هم القادة المتقدمين في صفوف المعارك، والمتحملين مسؤولية القضاء والولاية، وقد أدرك ذلك الجيل مهمة الرسول ﷺ التعليمية، وشهد أنه المعلم القائد ، والمربي الفاضل ، فعن معاوية بن الحكم السُّلَميّ ﷺ أنه قال:(... فبِأَبي هُوَ وأُمي، مَا رَأَيتُ مُعَلِماً قَبْلَهُ ولا بعدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً منه...). [٣]

---

(١) معنتاً ولا متعنتاً: أي أضيق على الناس وأدخل عليهم المشقة وتكراره بين اللفظين، والله أعلم. أي لم يأمرني بذلك ولا أتكلفه من قبل نفسي. مشارق الأنوار، (٢/٩٢)

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالبينة ، (٢/ ١١٠٤ ، ح ١٤٧٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، (١/ ٣٨١ ، ح ٥٣٧) .

فرسول الله ﷺ هو المعلم المربي الذي تتصاغر أمامه أسماء كل الكبار الذين عُرفوا وذُكروا في عالم التربية والتعليم .

ومن هنا كان لزاماً علينا تناول أقواله وأفعاله ﷺ بالدراسة والبحث، والوقوف على طريقة معالجته القضايا وحله المشكلات، وتأمل نصوصه، وجواهر علومه، واستنباط ما تحويه من كنوز في جميع المجالات، ومنها مجال التربية والتعليم، وذلك بغية تطبيق ما جاء به لفظاً ومعنىً.

ومن الطرق التي تُبرز معالجة الرسول ﷺ قضايا مُختلفة في جميع نواحي الحياة بكيفية خاصة، وبأسلوب معين هي طريقة الحديث الموضوعي، وهو لون من الدراسة الحديثية، المرادة في هذا البحث .

إن من الثروات التي حملتها السنّة الشريفة؛ ثروة ضخمة من الأحاديث المتعلقة بالحوار المتبادل بين المعلم والمتعلمين، والسؤال والحوار يعدُّ لغة تعامل مع النفس البشرية وطريقة من طرق تربيتها النفسية والفكرية، والناس في أمسّ الحاجة إلى من يعينهم من العلماء والباحثين على تلمس السبل لمعرفة فنون التعامل مع النفس البشرية على ضوء الكتاب والسنة .

ولمّا كان الرسول ﷺ هو المعلم وهو المربي الذي لا ينطق عن الهوى، فالسؤال المطروح من قِبله، سؤالٌ يقصد منه غاية، ويرجو منه نتيجة لا تقتصر على التعليم والتعلم، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات عالية من التربية الفكرية، والنفسية، والاجتماعية .

فثمة معانٍ كبيرة: الثقة بالنفس، أدب الحوار، سعة الأفق، إعمال الفكر، هذه المعاني تُعدّ مواصفات أساسية في الشخصية السويّة، فضلاً عن شخصية المسلم، كان ﷺ يُعنى بترسيخها وإكسابها أصحابه، وهي لا يمكن أن تكتسب من خلال الطرح المعرفي المجرد، بل لابد من تربية عملية واقعية، كان أحد أساليبها طرح الأسئلة على المتعلمين لتنمية مهاراتهم الفكرية والذهنية، والتعرف على واقعهم النفسي من اهتمامات وميول، ورغبات وقدرات، والاهتمام بتلمس هذه النواحي والسؤال عنها، فيشعر الفرد بالمشاركة الوجدانية التي تبعث السرور والسعادة في نفسه، وهذا هو أساس الصحة النفسية، ولا يقف رسولنا الكريم ﷺ عند هذا الحد، بل يرتقي ويعلو بالفرد حتى يصل به إلى أعلى القمم ، من خلال طرح الأسئلة التي تحقق أموراً منها:

- الرضا الذاتي ، والاطمئنان النفسي للواقع الذي يعيشه الفرد ، وتسليط الضوء على النواحي الإيجابية من المواقف والمشكلات ، وهذه ناحية نفسية هامة ، فإن من جملة الأمور التي تسبب الأمراض النفسية ما هو ناشئ عن النظرة السلبية للمواقف.

- بناء الثقة وتقدير الذات، عن طريق طلب المشورة وإبداء الرأي، والاستئذان حتى من الأطفال، مما يغذي شعور الفرد بقيمته الذاتية، واعتزازه بشخصه " يشعر الإنسان بتحقيق ذاته إذا نجح في الوصول إلى هدفه الأساسي في الحياة، ويرتبط تحقيق الذات بمشاعر النجاح والرضا في إشباع الحاجات العضوية وغير العضوية، ومن العوامل التي تساعد الإنسان على تحقيق ذاته، نجاحه في الحصول على عمل يرضيه، ومركز اجتماعي يناسبه، وسكن يلائمه ، وزوجة يطمئن إليها ، ويؤدي تحقيق الذات إلى الصحة النفسية فتسمو غايات الإنسان في الحياة ، وتدفع صاحبها للقيام بأعمال شريفة [١]. "

- وحض النفس على ما هو أفضل، للرقي بها إلى معالي الأمور .

لذا توجهت همتي للبحث في هذا الموضوع الحديثي، بعد جمع ما فيه من مادة علمية ، وجعلت عنوان البحث " أسئلة الرسول ﷺ في الصحيحين وتطبيقاتها التربوية ، دراسة حديثية موضوعية " .

---

(١) الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، محمد عودة وكمال إبراهيم ، (١٠٦) .

مشكلة البحث

إن استخدام الأسئلة في التربية والتعليم منهج أصيل في الحوار التعليمي، ولقد كان من أبـــرز أساليبه ﷺ في التعليم، الحوار والأسئلة، لإثارة انتباه السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، ليكون جواب النبي ﷺ أقرب إلى الفهـــم وأوقـــع في النفس، ففي السنة الشريفة ثروة كبيرة من النصوص الشرعية في الأسئلة والحوار، وللرسول ﷺ مقاصد من طرحها يمكن استثمارها في تأصيل المهارات التعليمية والتدريسية، فالحاجـــة ملحّة إلى توظيفها في واقع تربيتنا الحديثة.

فصيغ الأسئلة وأساليب طرح السؤال؛ موضوع لم يُتناول في مجال السنَّة، ويحتاج الأمـــر إلى طرق هذا الموضوع لاكتشاف فوائده من الناحيتين التعليمية والتربوية .

حدود البحث

- الاعتماد على الأسئلة التي وردت في الصحيحين ، والاقتصـــار عليهـــا دون المصـــادر الأخرى، لأنهما أهم مصدرين شرعيين بعد القرآن الكريم ، ولوجود مادة علميـــة كافيـــة للبحث فيهما.

- انتقاء ما رأيته يخدم العملية التعليمية ، ويثري جوانبها ، من الأحاديث المتضمنة للأسئلة، وقد بلغ عدد الأحاديث التي انتقيتها بعد المسح الأول ما يقارب ا لسبعين والمئة حديث.

مصطلحات البحث

١- أسئلة تحديد المشكلة وتقويمها :

هي الأسئلة التي من خلالها يتم التعرف على طبيعة المشكلة، وجمع المعلومات التي تحتاجهـــا لحلها، واستخدام أساليب للحصول على البيانات اللازمة، والحلول المفترضـــة، فتحديـــد المشكلة يُعدُّ الخطوة الضرورية الأولى قبل السعي لحلها [١] .

٢- الأسئلة الذهنية والفكرية :

هي الأسئلة العميقة التي توسع خيال المتعلمين، وتنمي مهارات التفكير العليا، وتضـــعهم في مواقف تعليمية تستدعي منهم استخدام جميع طاقاتهم في حـــل المشـــكلات، وتســـهم في مقدرتهم على إنتاج المعرفة أكثر من استرجاعها وتذكرها ، وتطبيـــق المعرفـــة الســـابقة في المواقف الجديدة [٢]،وتدفعهم إلى التفكير التولدي بقدر أكبر حول المســـائل المطروحـــة، وتطبيق التفكير المنطقي الذي يستند على البيانات والحقائق فتتيح لهم اســـتخدام معـــارفهم لاستيعاب المفاهيم العامة وتكون مأخوذة من العمليات العقلية الأعلى مرتبة، وهذه الأسئلة تشمل المقارنة ، والملاحظة ، والتصنيف .

فهي أسئلة تحرك الذهن وتجعله يعمل وينشط، وهي ذات ثقل، وتـــثير الرغبـــة في تقليـــب الأفكار الجديرة بالمعرفة ، والتفكير حولها [٣] .

الأسئلة النفسية والوجدانية :

هي الأسئلة التي تكنّ الاحترام لمشاعر وآراء المتعلمين، وتخلق جواً من الثقة يشـــعرون فيـــه بالأمان والطمأنينة عند تقديم أفكارهم الخاصة [٤] .

---

(١) انظر ، العادات العقلية ، د. إبراهيم الحارثي ، (٦١) .

(٢) انظر، المصدر السابق ، (١٦ – ٦٥ - ٨٣) .

(٣) انظر ، فن طرح السؤال ، (٤٠ – ٤٤ – ٥٢) .

(٤) انظر ، المصدر السابق ، (٥١) .

وهي كما يبدو لي أسئلة ذات أهمية كبيرة، وذلك لأن التربية النفسية والعاطفية مهمة جداً، حيث إن إشباع الحاجات النفسية والعاطفية تؤثر على سلامة السلوك وصحة التصرفات، سلباً أو إيجاباً، ونظراً لأثر التربية النفسية الخاطئ أو الصحيح على الفرد، نشأت علوم حديثة، منها : علم نفس الطفل، وتربية المراهق النفسية .

ومن خلال الأسئلة التي طرحها الرسول ﷺ يتضح لنا أنه كان يرسي القواعد للمحافظة على استقامة الصحة النفسية، والبناء العاطفي .

الأسئلة الإنكارية:

وهي الأسئلة التي طرحها الرسول ﷺ لتوجيه الصحابة، والأمة من بعدهم إلى "تجنب بعض الأعمال المكروهة التي تؤدي إلى إيذاء المجتمع ، أو إلى فساد العبادة" [١] ، واستخدم فيها أساليب الإنكار المتنوعة من تعريض ، وتوبيخ ، وتقبيح ، ونفي .

أسلوب الإنكار وتنويعه له وقع كبير في النفس، ودور فاعل في التقويم والتصحيح، وتأثير سريع في الإقلاع عن العمل المُنكر، مما يجعل العملية التعليمية تخطو خطوات واسعة إلى الأمام .

(١) التربية بالحوار ، عبد الرحمن النحلاوي ، (١٢٦) .

أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره

تكمن أهمية هذا الموضوع في الآتي :

١- أن تأصيل أساليب التربية والتعليم بالكتاب والسنة، ودراسة ما أُثر عن الـنبي ﷺ مـن أقوال وأفعال وتقريرات، والسير على نهجها من أهم المهمات، وأعظم القربات، فالكتـاب والسنة هما المنبعان الصافيان، من أخذ بهما فاز وأفلح، ومن أعرض عنهما خاب وخسر .

٢- أن السؤال من أهم وسائل البحث عن المعرفة، وأبرز أدوات التقويم، و من الأسـاليب التي حرص الدين الإسلامي عليها، وهو منهج جليٌّ في القرآن الكريم، ويؤكد ذلك قولـه تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّة قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة: من الآية١٨٩] .
وقوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ ﴾ [البقرة: من الآية٢١٥].
وقوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: من الآية٢١٧] .
وقوله: ﴿ فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: من الآية٤٣].
ولما كان القرآن الكريم خلق الرسول ﷺ ومنهجه، كان من الطبيعي أن تنعكس خصائصـه على رؤيته التربوية ونظامه التعليمي، وقد جعل أسلوب السؤال والجواب بُعداً مـن أبعـاد العملية التربوية، وطريقة لتقويم السلوكيات، وتوجيه القدرات والطاقات، وإثارة الأذهـان، واكتشاف الميول والرغبات .
وقد اهتم سلفنا الصالح بهذا الجانب، وعدّوا الأسئلة من أهم أبواب العلم ، فمما رُوي عـن ابن شهاب الزهري قوله " إن هذا العلم خزائن تفتحها المسألة "[١] .
وروي عن وهب بن منبه، وسليمان بن يسار أنهما قالا:"حسن المسألة نصف العلم"[٢].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١/ ٩٠) .
(٢) المصدر السابق .

والمتأمل في منهج الرسول ﷺ في طرح الأسئلة يدرك مدى أثر هذا المنهج في إعمال فكر الرعيل الأول، وتنمية قدراتهم على البحث والمناقشة، والاستنتاج، وإبداء الرأي، فنشأ نشأة سليمة من جميع النواحي الفكرية، والجسمية، والعقلية، والنفسية [١] .

٣- أن فن طرح السؤال أصبح قضية عصرية شغلت كل من انخرط في مجال التربية والتعليم، فألّفت الكتب، وعقدت الدورات لإكساب المعلمين والمربين مهارة طرح السؤال الجيد، وتكليفهم باعتماد طرح الأسئلة الاستنتاجية التي تحمل أهدافاً متنوعة كطريقة رئيسة من طرق تدريس المادة، وتفضيلها على الطريقة الإلقائية إذلم تعد هي الأسلوب الأمثل في التعليم في نظر بعض التربويين .

" كما أن طرح الأسئلة الجيدة يمكن تعلمه بالمثابرة والصبر والتدريب الذاتي المستمر من قبل المعلم، والجهد الذي يتطلبه بالرغم من ضخامته له ما يبرره، فالمعلم سوف يسهم في بناء عقول مفكرة تستطيع أن تتعامل مع متغيرات العصر الحديث بفاعلية وإنتاجية، وستكون عملية التدريس أيضاً ممتعة للمعلم حينما يرى تفاعل الطلاب، واستمتاعهم بالدرس، وتغير أنماط التفكير لديهم" . [٢]

قال ابن حجر: " إن العلم سؤال وجواب "[٣] .

ومما قاله أحد كبار المربين – غير المسلمين – في هذا الشأن: " إن نجاح التعليم يتوقف على المهارة التي نستخدمها في وضع الأسئلة أكثر من أي عمل آخر " . [٤]

٤- اهتمام الرسول ﷺ في أسئلته المطروحة بجعل العمليات العقلية، والمهارات الفكرية، نواتج للعملية التعلمية التعليمية، وهذا ما يسعى لتحقيقه المربون المعاصرون.

---

(١) انظر ، التدريس في مدرسة النبوة ، د. سراج محمد وزان ، (٢٧٣) .

(٢) فن طرح السؤال الصحيح جوهر العملية التعليمية ، د.سلمى وارمان (٥) .

(٣) فتح الباري ، (٧ / ٢٧٩) .

(٤) فن توجيه الأسئلة للتلاميذ ، فرانسس أوستن ، (٥٥) .

٥- أن فن طرح السؤال هو روح العملية التعليمية، فالأسئلة التي يطرحها المعلم أثناء تعليمه، قد تأخذ الطلاب إلى عالم رحب من التفكير المتعمق فيما يطرح عليهم من معلومات، وقد تكون حاجزاً منيعاً يحول بين الطالب وبين التفكير والإبداع .

وإن مما أثار همتي للبحث في هذا الموضوع، صلته الوطيدة بمجال عملي التعليمي والتربوي مما يجعل للموضوع أهمية أكبر بالنسبة لي، ولأنني وجدت أن في أسئلة الرسول ﷺ إثراء للعملية التعليمية، وتجسيداً كاملاً لجميع الأساليب التربوية والمهارات التدريسية التي ينادي بها المربون من جميع أصقاع العالم، بل إن رسولنا الحبيب ﷺ فاق في تربيته وتعليمه كل القواعد التي نصوا عليها وشرحوها، ومثّلوا لها .

فمثلاً ما أورده مؤلفو كتاب مهارات التدريس في تنويع المثيرات وأغراضها، ومنها: الصمت، والتنويع في استخدام الحواس، والتنويع الحركي[١] وغيرها، سبقهم إليها الرسول ﷺ .

الدراسات السابقة

بعد البحث وسؤال عدد من الأساتذة والباحثين، والاتصال بعدد من مراكز البحوث، لم أعثر على رسالة علمية أكاديمية مسجّلة في هذا الموضوع .

وقد اطلعت **على كتاب " الرسول يسأل والصحابي يجيب " لسليمان دحدوح**، يقع في ١٢٢ صفحة، ومنهجيته تختلف تماما عن موضوع البحث الذي أنا بصدده، من حيث إنه: جمع لبعض الأحاديث المشتملة على سؤاله ﷺ للصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، واستنباط الفائدة الفقهية منها، وقصده من هذا الجمع التسهيل والترتيب .[٢]

منهجيته في البحث :

١- تناول أحاديث من أبواب متفرقة من الكتب الستة، فلم يشمل جميع الأحاديث فيها

---

(١) انظر ، مهارات التدريس ، سليمان آل الشيخ ، د. جابر عبد الحميد ، سليمان فوزي زاهر ، (١٤٠) .

(٢) انظر ، الرسول يسأل والصحابي يجيب ، سليمان دحدوح ، (٧) .

٢- عرض الموضوع بطريقة مبسطة للحديث التحليلي ، يفسر بعض الكلمات الغامضة ، ويستنبط الفوائد الفقهية المستفادة من نص الأحاديث .

٣- لم يدرس منهج الرسول ﷺ في الأسئلة من الناحية التعليمية .

كما اطلعت على بعض الكتب التي تعرضت لأسلوب الاستفهام كطريقة من طرق التعلـيم النبوي ، وهي :

١- " التدريس في مدرسة النبوة " د. محمد سراج وزّان .

تحدث فيه عن أهمية السؤال وفائدته، ثم عرض فيه بعض الأحاديث التي تبين أن الرسول ﷺ استخدم هذه الطريقة في التعليم، ولا يتجاوز هذا الموضوع من الكتاب أكثر من صفحتين.

٢- " التشويق في الحديث النبوي ، طرقه وأغراضه " د. بسيوني عبد الفتاح فيود .

اقتصر فيه على غرض واحد من أغراض الاستفهام وهو التشويق، وإثارة الانتبـاه، وأورد عدداً من الأحاديث تحت هذا الغرض التعليمي ، تناول الموضوع في تسع صفحات تقريباً .

لم يُحدد كتاباً حديثياً معيناً لاستقراء أحاديثه الواردة بصيغة الاستفهام ودراستها، بل هـي بعض الأحاديث المنتقاة التي تخدم الغرض التشويقي فقط دون بقية الأغراض .

٣-" النبي الكريم ﷺ معلماً " ، د . فضل إلهي.

أورد بعض الأحاديث التي تخدم غرض جذب العناية واستحضار الفهم من طرح السـؤال ، و لم يتعرض للأغراض النفسية والتعليمية الأخرى ، تناول هذا الموضوع في حـدود سـبع صفحات .

٤- " طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم " ، د. أحمد محمد العليمي .

عرض بعض الأحاديث التي تدل على استخدام النبي ﷺ الأسئلة بوصفها منهجاً تعليمياً دون استنباط للدلالات التربوية من الأحاديث ، تناولها في حدود خمس صفحات .

٥-" الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس " ، د. محمد بن صالح المنجد .

يقع الكتاب في سبع وثمانين صفحة، فيه محاولة لاستقراء الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس على اختلاف مشاربهم ومراتبهم ، وتتنوع هذه الأساليب مابين الاستفهام الإنكاري وغيرها من طرق أخرى تُعالج بها الأخطاء ، فهو يقتصر على غر ض واحد من أغراض الاستفهام وهو الإنكار .

٦- " التربية بالحوار " ، عبد الرحمن النحلاوي .

يهدف هذا الكتاب إلى بيان الحوار القرآني ، وقوة تأثيره ، وعمق آثاره النفسية والتربوية ، وقد تطرق إلى ثلاث من صيغ الحوار النبوي (الحوار التعليمي ، الحوار التنبيهي ، الحوار التعريضي) ، مع إيراد مثال على كل صيغة حوارية ، وهذا الموضوع في الكتاب لا يتجاوز خمس صفحات .

فجميع هذه الكتب لم تستوف الموضوع حقه، و لم تؤصل ما استجد على الساحة التربوية من أفكار ونظريات أثبتت نجاحها بما هو موجود من كنوز في السنَّة النبوية الشريفة .

أهداف البحث

١- تقديم دراسة تأصيلية للأسئلة التي طرحها الرسول ﷺ على صحابته .

٢- استنباط الفوائد التربوية من بين ثنايا حديث رسول الله ﷺ.

٣- استخلاص أهم أغراض الرسول ﷺ من طرح السؤال .

٤- توضيح منهجية الرسول ﷺ في طرح السؤال وعلاقة ذلك بالواقع التربوي، رجاء انتشار تلك المنهجية .

٥- إجراء موازنة بين الهدي النبوي في طرح الأسئلة والنظريات التربوية المعاصرة من حيث نطاق الأسئلة ، وحدودها ، وأدواتها ، ووظائفها ، ومستوياتها .

أسئلة البحث

س١ : ما الأساليب المتبعة في صياغة الرسول ﷺ أسئلته ؟

س٢ : هل أكثر الرسول ﷺمن استخدام صيغ معينة في السؤال ، وترك أخرى ؟

س٣ : ما الثمرات التربوية التي يريدها الرسول ﷺ من طرحه الأسئلة ؟

س٤: ما أثر السؤال في دعم العملية التربوية والتعليمية ؟

س٥: هل ثمة ناظم مشترك بين نظرية فن طرح السؤال المعاصرة وبين أسئلة الرسول ﷺ ؟

إجراءات البحث ومنهجيته

١- جمع المادة العلمية بالاستقراء من الصحيحين .

٢- إيراد مقدمة موجزة، تبين مقصود الفصل وأهميته .

٣- إيراد الحديث كاملاً مع الراوي الأعلى، أو الاقتصار على موضع الشاهد إذا كان الحديث طويلاً، مع ضبط الحديث بالشكل.

٤- اختيار اللفظ الأتم من الصحيحين بما يتناسب مع موضوع البحث.

٥- بيان معنى الحديث الإجمالي، وأحيانا بالتفصيل حسب حاجة الحـــديث إلى الإيضاح، ثم بيان موضع الشاهد ودلالته على المبحث.

٦- إيراد الدلالات التي لها علاقة بالناحية التربوية .

٧- ترتيب الأحاديث حسب قوة ارتباطها بالمبحث أو المطلب ودلالتها عليه .

٨- تخريج الأحاديث من الصحيحين في أول موضع لورود الحديث، والإحالـــة على الصفحة إذا تكرر في موضع آخر.

٩- الاستشهاد بالأحاديث من خارج الصحيحين إذا دعت الحاجة، مع تخـــريج الحديث وحكم العلماء عليه .

١٠- عزو الآيات القرآنية التي في متن البحث إلى مواضعها في السور، مع بيان رقم الآية .

١١- الاستشهاد بالحديث الواحد في أكثر من جانب تعليمي وأسلوب إرشـــادي تربوي، حسب الأسئلة المشتمل عليها، فأستشهد به في فصول مختلفة، وأشير في أول موضع للاستشهاد به إلى السؤال الذي سيتم تناوله في فصل آخـــر، وأحيل على هذا الموضع عند تكرار ذكر الحديث، أما إذا كانـــت أســـئلة الحديث الواحد تخدم أكثر من مبحث أو مطلب في نفس الفصل فإني أتناولها في المبحث الأقوى والأكثر ارتباطاً بالسؤال.

١٢- ختم الفصل والمبحث بما يبين أسبقية المنهج النبوي الشريف لكل ما توصلت إليه المناهج التربوية الحديثة .

١٣- التعريف بالأعلام جميعاً، خلا المشاهير من الصحابة وأصـــحاب المـــذاهب الأربعة وأمثالهم .

خطـــــة البحـــــث

يشتمل هذا البحث بعد المقدمة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة :

تمهـــيد : يشتمل على تعريف السؤال وبيان أهميته التاريخية وأنواعه .

الفصل الأول : أسئلة الرسول ﷺ في مجال تحديد المشكلة ، وتقويمها من قبل المسؤول قبل إصدار حكمه عليها، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : السؤال للتعرف على ماهية المشكلة ، والوقوف على سببها وتحديد دوافعها

المبحث الثاني : السؤال للتثبت من صدق الخبر .

المبحث الثالث : السؤال لتعيين وتحديد مراد المتكلم من عباراته .

المبحث الرابع : السؤال لتقرير المخاطب .

الفصل الثاني : أسئلة الرسول ﷺ الذهنية والفكرية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : أسئلة الإثارة والتشويق. وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أسئلة لإثارة الانتباه وجذب التركيز الذهني .

المطلب الثاني : أسئلة لإثارة الدافع والرغبة في العمل .

المطلب الثالث : مخاطبة الحواس .

المبحث الثاني : الأسئلة التمثيلية . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أسئلة الإقناع الفكري .

المطلب الثاني : أسئلة الترغيب والتنفير .

المبحث الثالث : الأسئلة الاستنتاجيه .وفيه مطلبان :

المطلب الأول : إقامة الدليل القاطع ، والبرهان الواضح على الإجابة وإتاحة الفرصة للعقل للاستدلال.

المطلب الثاني : لفت النظر ، وتحويل الفكر لما هو أهم من الإجابة المتوقعة للسؤال المطروح .

المبحث الرابع : أسئلة تنمية الذكاء وإعمال الطاقة العقلية، وفيه مطالب :

المطلب الأول : تنمية القدرة على التخيل والتصور .

المطلب الثاني : تنمية الإدراك وقوة الملاحظة .

المطلب الثالث : تنمية القدرة على التخطيط والتوقع .

المطلب الرابع : تنمية القدرة على إعمال الفكر وشحذ الذهن .

المطلب الخامس : تنمية القدرة على المقارنة والتمييز .

الفصل الثالث : أسئلة الرسول ﷺ النفسية ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسئلة لتقييم الواقع النفسي، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : السؤال عن الرغبات والميول والاهتمامات .

المطلب الثاني : السؤال عن القدرات الذاتية .

المبحث الثاني : أسئلة لتحقيق الأمن النفسي، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأسئلة التي تحقق القناعة بما لدى الفرد من إمكانيات .

المطلب الثاني : الأسئلة التي تصف المشاعر .

المطلب الثالث : الأسئلة التي تعزز الذات ، وترفع مستوى الثقة بالنفس .

الفصل الرابع : أسئلة الرسول ﷺ الإنكارية التقويمية، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إنكار التعريض

المبحث الثاني : إنكار التوبيخ .

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج العامة والتوصيات الهامة التي أوصي بها في ضوء هذا البحث.

وضعت فهارس للبحث مرتبة أبجدياً، تضمنت ما يلي :

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية ، وقد رتبتها على أول لفظة من قوله ﷺ .

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام .

٥- فهرس القبائل.

٦- فهرس المواضع والبلدان .

٧- فهرس الموضوعات .

٨- فهرس المصادر والمراجع .

وفي ختام هذه المقدمة فإني أحمد الله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، على تيسيره وتسهيله، وأسأله المزيد من عونه وتوفيقه، وأتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى للمشرف على هذه الرسالة، فضيلة أستاذ الحديث وعلومه المشارك بكلية التربية في جامعة الملك سعود بالرياض، الدكتور الشيخ / خالد بن منصور الدريس، صاحب فكرة هذا الموضوع، على ما منحني من جهده ووقته وعلمه، وما بذله لي من نصح وتوجيه، وإرشاد ومتابعة دقيقة، فجزاه الله عني أحسن الجزاء ووفقه لصالح العمل، وشرفه بخدمة سنة المصطفى ﷺ، وبارك في حياته، وأمده بالصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر لجامعة الملك سعود والقائمين عليها لما يقدمونه من خدمة العلم وطلابه.

وأخص بالشكر فضيلة المناقشين اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإضفاء بصماتهما عليها .

فضيلة الدكتور : خليل حمادة ، وفضيلة الدكتور : محمد بن عبد الرحمن العمير.

فجزاهما الله كل خير، وجعلهما عوناً لطلاب العلم على إتمام المسيرة العلمية .

كما أتقدم بالشكر الجزيل مع الدعاء بالتوفيق لكل من ساهم في دفع عجلة هذا البحث للوصول به إلى النور، وللرقي به في سلم البحوث والرسائل العلمية، أو بالكلمة السديدة، والمشورة الناصحة لسد خلله، وتقويم اعوجاجه .

ويقف قلمي حائراً عند تسطير شكري وجلّ تقديري لزوجي العزيز أ / عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن النعيم، الذي لم يتوان في بذل التضحيات المتتالية، والمساعدات المتوالية لدعم مسيرتي العلمية منذ الدراسة الثانوية وحتى إكمال الدراسات العليا، فأسأل الله أن يحفظه، وأن يديمه سنداً وعزاً لي، ويجزيه عني خير الجزاء، ويعينني للقيام بحقه .

وباقة ورد معطرة تعبق بالرائحة الزكية أتوج بها صغاري وفلذات كبدي ؛ لما عانوه في مسيرتي العلمية ، من انشغالي عنهم ، وتضحيتهم بجلّ وقتهم من أجل إخراج هذه الرسالة على وجه النور، فأسأل الله تبارك وتعالى أن ينبتهم نباتاً حسناً، وأن يقر عينيّ بهم .

وأرجو الله أن يتقبل عملي هذا ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ولا أدّعي أني استكملت

جوانب الموضوع فإن الكمال لله عز وجل ، والنقص من طبيعة البشر، ولكنني بذلت وسعي، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله عز وجل ، وما كان غير ذلك، فأستغفر الله منه، هو حسبي ونعم الوكيل .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، محمد إمام المتقين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

تمهيد

المبحث الأول : تعريف الاستفهام (السؤال) .

المطلب الأول : التعريف في اللغة وفي الاصطلاح التربوي

المطلب الثاني : الألفاظ الموضوعة للاستفهام .

المبحث الثاني : النشأة التاريخية لطريقة الأسئلة .

المطلب الأول : في عصور ما قبل الإسلام .

المطلب الثاني : في عصر الإسلام .

المطلب الثالث : في عصر التربية الحديثة .

المبحث الثالث : أركان عملية السؤال التعليمي .

المطلب الأول : أغراض السؤال التعليمية والتربوية .

المطلب الثاني : خصائص السائل.

الفرع الأول : الكفايات العلمية .

الفرع الثاني : الكفايات العملية .

المطلب الثالث : صياغة السؤال .

المبحث الرابع : تصنيف الأسئلة .

المطلب الأول : تصنيف الأسئلة حسب قدرات التفكير في الإجابة عليها .

المطلب الثاني : تصنيف الأسئلة من حيث تقويمها للجوانب المعرفية لدى التلاميذ .

المبحث الخامس : أحكام السؤال في المنهج القرآني والنبوي .

المبحث الأول : تعريف الاستفهام (السؤال)

المطلب الأول : تعريف الاستفهام في اللغة وفي الاصطلاح التربوي :

لغة : "السين والهمزة واللام كلمة واحدة : يُقال سأل سؤالاً مسألةً ورجل سُـــؤَلَةٌ ،كـــثير السؤال" [1]، "وهو من الإنشاء الطلبي ، ومعناه : طلب الفهم، أي طلب حصول صـــورة الشيء المستفهَم في ذهن المستفهِم ." [2]

في الاصطلاح التربوي عرف الاستفهام (السؤال) بعدة تعريفات، منها :

١- " كل عبارة تنطوي على مطالبة الطلبة بإجابة ترتبط بهدف تعليمي مقرر ". [3]

٢- " مثير معين يتطلب استجابة معينه باللغة أو بالحركة أو بهما معاً، واللغة إما أن تكـــون منطوقة فتسمى شفوية، أو مكتوبة وتسمى تحريرية . " [4]

والذي يبدو لي أن التعريف الثاني أدق وأشمل، أشمل من حيث تضمنه الســـؤال الشـــفوي والتحريري، وأدق من حيث التعبير عن السؤال بلفظ " مثير " فالسؤال يعد مثيراً بدرجات مختلفة، وكلما كان أكثر إثارةً حقق أهدافاً أعلى .

المطلب الثاني : الألفاظ الموضوعة للاستفهام هي :

الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنّى ، ومتى ، وأيّان .

فأنواع البحث والسؤال تسعة أنواع :

"أولها: البحث عن الوجود بـــ (هل) تقول : هل كان كذا وكذا ؟ فيقال:" نعم"،أو"لا ".

والثاني: البحث عن أنواع الموجودات بـــ (ما) ، تقول: ما الإنسان ؟ فيقال: الحي الناطق، وما رأيك ؟ فيقال رأيي ..

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، مادة : سأل ، (٤٧٩) ، لسان العرب ، مادة : سأل ، (٦ / ١٣٤) .

(٢) معجم البلاغة العربية ، د . بدوي طبانة ، (٥١٢) .

(٣) إعداد الأسئلة في الورقة الامتحانية ، رشدي أحمد طعيمة ، (٢) .

(٤) الأسئلة التقويمية في علوم الشريعة ، مبارك بن مسلم الصلصي ، من كتاب المرجع في تدريس علوم الشريعة ؛ تحرير : عبد الله صالح عبد الله ، (٥٢) .

الثالث : البحث عن الفصل بين الموجودات بـــ (أي) تقول: أي الأشكال المربع ؟ فيقال: هو الذي تحيط به أربعة خطوط .

الرابع : البحث عن أحوال الموجودات بـــ (كيف) تقول: كيف الإنســـان ؟ فيقـــال: منتصب القامة .

الخامس : البحث عن زمن الموجودات بـــ (متى) .

السادس : البحث عن عدد الموجودات بـــ (كم).

السابع : البحث عن مكان الموجودات بـــ (أين) .

الثامن : البحث عن أشخاص الموجودات بـــ (مَنْ) ولا تستعمل إلا عمن يميز ويعقل .

التاسع : البحث عن علل الموجودات بـــ (لِمَ) . " [١].

غايات ومعاني السؤال :

"ومن الاستفهام ما يكون سؤالاً عما لا تعْلَمه لتعْلَمه، فيخص باسم (الاستفهام)، ومنه ما يكون سؤالاً عما تعلمه ليُقر لك به، فيسمى تقريراً، ومنه ما يكون ظاهره الاستفهام ومعناه (التوبيخ)، كقوله تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالأنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ [الأنعام:١٣٠] .

ومن السؤال ما هو (محظور) ومنه ما هو (مفوّض) :

فالمحظور: ما حظرت فيه على المجيب أن يجيب إلا ببعض السؤال ، كقولك لحماً أكلـــت أم خبزاً ؟ فقد حظرت عليه أن يجيبك إلا بأحدهما .

والمفوّض: كقولك : ما أكلت ؟ فله أن يقول ما شاء من المأكولات، لأنك فوضت الجواب إليه ." [٢]

وهو ما يسمى في العلم التربوي الحديث بالأسئلة المغلقة والأسئلة المفتوحة . [٣]

---

(١) معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، (٥١٣) .

(٢) المصدر السابق ، (٤٥) .

(٣) سيأتي بيانها في المبحث الرابع : تصنيف الأسئلة ، (٢٦).

المبحث الثاني : النشأة التاريخية لطريقة الأسئلة

إن طريقة الأسئلة والحوار بمختلف أنواعهما وصيغهما؛ تمثلان العنصر الأهم في التربية والتعليم منذ بداية التاريخ الإنساني، فأسلوب إلقاء الأسئلة أسلوب قديم جداً قدم التربية ذاتها، بل قدم الإنسان نفسه منذ بدء الخليقة .

وتعتبر الأسئلة من أهم وسائل بناء الجانب التعليمي لدى المتعلم على مر العصور، حيث حظي السؤال بعناية واهتمام في عصور ما قبل الإسلام، واستمرت عناية المعلمين والمربين به على امتداد التاريخ الإسلامي، وتأكيدهم على أهميته ودوره الأساسي في التعليم .

وفي عصر التربية الحديثة والمتطورة كان للسؤال والحوار دور كبير وفاعل في التربية والتعليم فبهما يُبنى الوعي، ويُثار الإدراك لإنتاج المطلوب من فكر وقيم وسلوك، وعليه فإننا نرى أن كلاً من الحوار والأسئلة مؤشرات حضارية لأي مجتمع، فأينما يسودان يسود معهما الفكر العامل النشط الذي ينفتق كل لحظة عن مفهوم أو خبرة أو ممارسة جديدة .

المطلب الأول : في عصور ما قبل الإسلام :

١- على لسان الأنبياء مع أقوامهم:

لقد استخدم أنبياء الله السؤال أساساً في حواراتهم مع مخالفيهم، وكان وسيلة لتصحيح تصوراتهم الفاسدة، ودحض حججهم الباطلة، فسياق القرآن الكريم يعرض لنا موكب الإيمان الجليل يقوده الرهط الكريم من الرسل من نوح إلى إبراهيم إلى خاتم الأنبياء عليهم السلام وهم يطرحون السؤال تلو الآخر على أقوامهم، ليصلوا بها إلى التفكير السليم، فيرتقوا بهم من وحل الشرك إلى واحات الإيمان الخالص .

فمن الأسئلة التي طرحها نوح عليه السلام على قومه : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ﴾ [نوح:١٥] .

ومن الأسئلة التي حاجّ بها إبراهيم عليه السلام قومه وأبيه، قوله تعالى : ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات:٩٥] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً ﴾

[مريم:٤٢] ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:٨٠] .

ومن محاجّة هود عليه السلام لقومه ، قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود:٢٨]

ومن محاجّة شعيب عليه السلام : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود:٩٢]

ومن الأسئلة التي حاجّ بها يوسف عليه السلام إخوته : ﴿ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [يوسف:٥٩] ، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩] .

ومن الأسئلة التي حاجّ بها موسى عليه السلام قومه، حين أضلّهم السامري فعبدوا العجل: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه:٨٦] .

بل إن السؤال برز عند الأنبياء بشكل يحث على التعلم، ويتضح ذلك جلياً من خلال الأحداث التي حفلت بها قصة موسى عليه السلام والخضر، قال تعالى : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ [الكهف:٦٦] .

٢- في الحضارات القديمة :

لقد كانت طريقة الأسئلة إحدى طرق التدريس المهمة والمتبعة منذ قديم الزمان، وقد تميزت الحضارة اليونانية من بين الحضارات المختلفة الأخرى على اعتماد هذه الطريقة اعتماداً كبيراً وما حققته هذه الحضارة من إنجازات ليست سوى نتاج مباشر للحوار والأسئلة، وما مارساه من دور في توجيه وتوليد الفكر اليوناني .[١]

---

(١) انظر ، التعلم والتعليم ، مدخل في التربية وعلم النفس ، د. آرثر جورج هيوز ، (٣٦٧) .

المطلب الثاني : في عصر الإسلام

الفرع الأول : في عصر الوحي

لقد تصدر السؤال موقعاً هاماً في عملية التربية والتعليم منذ فجر الدعوة، فحين أُمر الرسول ﷺ بالقراءة ، قال : " ما أنا بقارئ " وهي مقولة يمكن حملها على أنها استفهامية : أي كيف أقرأ ؟ أو ماذا أقرأ ؟ " [1] كما فسرها بعض أهل الحديث .

واحتل السؤال مكانة بارزة في القرآن الكريم، حيث أمر الله ﷻ نبيه المصطفى محمد ﷺ بالسؤال في مواجهته للمشركين، و لم يترك لهم أن يجيبوا على السؤال إنما أمر رسوله ﷺ بأن يحسم القول معهم في هذا الشأن، ولا يجعله مجالاً للجدل، لأنه لا جواب غيره في حقيقة الأمر والواقع، فمنه قوله تعالى : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَراً رَسُولاً ﴾ [الإسراء: من الآية٩٣]﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: من الآية١٩] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤] .

ومما يلاحظ أن منهج السؤال والجواب في كتاب الله قد عُني بأهم قضايا الإنسان، وشمل منهج حياته الخاصة، فكانت الآيات تتزل جواباً عن أسئلتهم : ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة:٢١٥] .

﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ [المائدة:٤] .

بل شمل القرآن تساؤلاتهم عن البعث والجزاء وعن الساعة ﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ [النازعات:٤٢] .

بل وسؤالهم عن الله : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

و لم ينته أمد السؤال بانتهاء هذه الحياة، بل يسأل الله عباده في عرصات الآخرة: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف:٦] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]

---

(١) فتح الباري ، (١ / ٢٨٨) .

أو تسألهم الملائكة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: من الآية٧١]، أو يتساءل السائل مع نفسه :﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢].

أو يسأل بعضهم بعضاً ما قص الله من محادثة أهل الجنة وأهل النار :﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤٤]، إلا أنها في ذلك اليوم كلها أسئلة تقرير وتقريع ، لأن الحقائق قد عُلمت والمغيبات قد كُشفت .

وأشد ما يكون السؤال تقريعاً هذا السؤال الذي يسجل أبشع جريمة إنسانية ارتكبتها الجاهلية : ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير:٩] .

فالقرآن استخدم أسلوب الأسئلة سواء للطلب أو للاستنكار أو للإلزام أو لغير ذلك، ولكنه رسّخ هذا الأسلوب كمنطلق بديع لتحصيل العلم والمعرفة، ولتمحيص الأفكار والآراء عبر اختبارها بالأسئلة، فقد استخدم أسلوب السؤال الإنكاري والإلزامي في مجادلته لحجج المشركين، وأفكارهم وأقوالهم، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] إلى آخر الآيات التي تسترسل مطلقة عنان الأسئلة الملزمة للخصوم بما أنكروه، المبيّنة خطأ أفكارهم وأقوالهم، فجعل في هذا السؤال أمر وجودهم من العدم دائراً بين أن يكون من غير موجد، أو أن يكونوا أوجدوا أنفسهم، أم أن لهم موجداً وهو الله، فيُلزمهم منطقياً بضرورة الإيمان بالله، فلا يكون الجحود بعد إلا مكابرة .

إن طرح الأسئلة في القرآن كان منهجاً لتقويم الأوضاع والأحوال، وإرشاد العقل إلى التدبر والتفكير السديد، قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الواقعة:٥٩] ، ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُم تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [الواقعة:٦٤].

وتتنوع أغراض الأسئلة في القرآن الكريم، ففي سؤال الملائكة لله تعالى عن خلقه لآدم؛ سؤال استعلام واستطلاع، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠].

وسؤال الله تعالى للملائكة في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٣١] سؤال تحد[١] وإثبات عجزهم أمام علم الله الشامل .

أما سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

فهو الاستجواب الذي يُقصد به إلى غير المسئول؛ استجواباً يُوجّه إلى عيسى عليه السلام في مواجهة الذين عبدوه ليسمعوه وهو يتبرأ إلى ربه في دهش وفزع من هذه الكبيرة التي افتروها عليه وهو منها بريء .[٢]

وهكذا نجد شمول وعمق الأسئلة وتنوع أغراضها في كتاب الله، وما ذلك إلا لتأكيد أن أسلوب التساؤل وصناعة الأسئلة؛ هو أسلوب علمي وقوي في سبيل دفع العقل البشري نحو الترقي والبحث عن الحقيقة.

وتعلو منزلة السؤال حين نجد جبريل عليه السلام يسلك هذا المنهج في صورة هي أعلى مراتب التعليم، وبين يدي رسول الله ﷺ وبمحضر من أصحابه، فأصبح حديث جبريل هذا هو النموذج المثالي والأساس لتعليم الدين لحسن السؤال ووضوح الجواب، جبريل يسأل والرسول يجيب .[٣]

---

(١) انظر ، تفسير ابن عثيمين (١ / ١١٨) .

(٢) انظر ، في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٢ / ١٠٠٠) .

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ : الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلامُ ؟ قَالَ : الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ : الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ... الحديث) ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، (١/٢٧ ، ٥٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، (١/٣٦ ، ح ٨) .

وفي الحديث النبوي والسيرة كان أسلوب الأسئلة متبعاً في التربية، وتوجيه الوعي عند الصحابة، فكان يكثر ﷺ من سؤال أصحابه عن أشياء من الدين بغرض تعليمهم، وتحريك فطنتهم، وليثبت أن السؤال من الدين، وأن براعم الأسئلة المتولدة في قلوب المتعلمين يجب ألا تقمع، بل يجب استقبالها والبحث عن إجاباتها، ومن هذه النصوص النبوية التي يشجّع فيها ﷺ على طرح السؤال لتحصيل العلم والمعرفة، واكتمال الفهم والاستيعاب ما يلي :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ – وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ – فَنَهَسَ[1] نَهْسَةً ، فَقَالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى، فَقَالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لا يَسْأَلُونَهُ، قَالَ: أَلا تَقُولُونَ كَيْفَهْ ؟ قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ) .[2]
إن في سؤاله ﷺ للصحابة، بعد أن ذكر لهم سيادته على الناس يوم القيامة : ألا تقولون كيفه؟ حث منه ﷺ على طرح السؤال والاستفسار حول ما يقدم لهم من معلومات و معارف للاستزادة من العلم، والوصول إلى الفهم الصحيح كما يبدو لي .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصَةً مِنْ قلبِهِ أو نَفْسِهِ).[3]
إن في مقابلة الرسول ﷺ لسؤال أبي هريرة ﷺ له بالإشادة به من خلال بيان أن سؤاله هذا يؤكد صدق فراسته ﷺ فيه، ويدل على حرصه على الحديث وحسن البحث والسؤال عن الغوامض ودقيق المعاني، فيه تعزيز قوي وتشجيع على السؤال ورفع لمنزلته،"ومدح للسائل

(١) النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان . (النهاية ، ٥/ ١٣٥) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، (١/١٨٦، ح ١٩٤) .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، (١/ ٤٩ ، ح٩٩) .

وتعظيم له لأنه أصاب بسؤاله كنـــزاً عظيما"[1]، وبالتالي فهو باعـــث قـــوي لاســـتمرار اجتهاده ﷺ في السؤال عن العلم والحرص عليه .

٣- عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ [2] ﷺ قال : (هكَذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَة فَأَخَذَ منْهَا غُصْنًا يَابسًا فَهزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ ، فَقَالَ : يَا سَلْمَانُ أَلا تَسْأَلُني لمَ أَفْعَلُ هَذَا ؟ فَقُلْتُ: وَلمَ تَفْعَلُهُ، قَالَ : إِنَّ الْمُسْلمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْـــسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ ، وَقَالَ : وَأَقِمْ الصَّلاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا منْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلكَ ذكْرَى للذَّاكرِينَ) . [3]

إن عدوله ﷺ عن بيان موطن الشبه بين ما قام به من هز الغصن اليابس حتى سقطت أوراقه وبين أثر الوضوء على المسلم إلا بعد طلبه ﷺ من سلمان ﷺ السؤال حول ما قام به بقوله ﷺ : يا سلمان ألا تسألني لم أفعل ذلك ؟ مع أنه قد لا يكون فعله ﷺ هذا موطنـــاً مـــثيراً للسؤال أو الاستفسار عنه؛ تشجيع وتنبيه قوي على أهمية الســـؤال، واستحضـــار الفطنـــة والانتباه حول ما يستجد من أمور حولنا .

بل إن التربية النبوية في لفتها الأنظار إلى مكانة السؤال تجعل ضرورته للمـــتعلم كالـــدواء للمريض، فعن عَبْدَ اللَّه بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: (أَصَابَ رَجُلاً جُرْحٌ في عَهْد رَسُول اللَّـــه ﷺ ثُـــمَّ احْتَلَمَ فَأُمرَ بالاغْتسَال فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ ، فَبَلَغَ ذَلكَ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَقَالَ : قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللَّهُ ، أَلَمْ يَكُنْ شفَاءُ الْعيِّ السُّؤَالَ ؟) . [4]

---

(١) بهجة النفوس ، (١ / ١٨٧) .

(٢) سلمَانُ الخَير الفارسي ، أبو عبد الله ابن الإسلام ، أصله من أصبهان ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وأول مشاهده الخندق ، عاش ٢٥٠ سنة وأكثر ، مات سنة ٣٧ هـــ في خلافة عثمان ﷺ . (التهذيب ، ٣ / ٤٢٥) ، (الإصابة ، ٢ / ٦٢) .

(٣) مسند أحمد ، (٥/ ٤٣٧ ، ح ٢٣٧٥٨) ، الطبراني في الكبير ، (٦ / ٢٤٣٧ ، ح ٢٣٧٥٨) ، والطيالسي ، (١ / ٩٠ ، ٦٥٢) قال الهيثمي : وفي إسناد أحمد علي بن زيد ، وهو مختلف في الاحتجاج به ، وبقية رجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد ، (١ / ٢٩٧) ، قال الألباني : حسن لغيره ، (صحيح الترغيب والترهيب ، كتاب الصلاة ، باب الترغيب في الصلوات الخمس ، ١ / ح ٣٦٣) .

(٤) المستدرك على الصحيحين ، (١ / ٢٨٥ ، ح ٦٣٠) ، سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في المجـــروح يتيمم ، (١/ ٩٣ ، ح ٣٣٧) ، سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة ، باب في المجروح تصيبه الجنابة (١ / ١٨٩ ، =

الفرع الثاني : عصر ما قبل التأليف الإسلامي المتخصص :

١- في عصر الصحابة :

إن طرق التعليم في عهد الصحابة تتمثل في السماع والعرض والمذاكرة والسؤال . [١]

وقد تعددت أقوال الصحابة في الرفع من مترلة السؤال وقيمته في العملية التعليمية :

فعن عبد الله ابن مسعود قال: " زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلّم ما جهلت، واعمل بما علمت " [٢] .

وكان ابن عباس ﷺ يشجع تلاميذه على الأسئلة ويرى أنها تساعد علـــى تمييـــز التلاميـــذ ومستوياتهم العلمية والفكرية لارتباطها بالفهم والتأويل والابتكار. [٣] فقد قال :" ما سألني رجل مسألة إلا عرفت فقيه هو أو غير فقيه " [٤].

قال علي بن أبي طالب ﷺ : إن السؤال يؤجر فيه أربعة: " السائل والمعلم والمستمع والمحب لهم " " ألا رجل يسأل ، فينتفع وينفع جلساءه " [٥].

ح ٥٧٢) ، مسند أحمد ، (١/٣٣٠ ، ح ٣٠٧٥) ، سنن الدارمي ، (١/ ٢١٠ ، ح ٧٥٢) ، البيهقي ، (١ / ٢٢٧ ، ح ١٠١٥) ، مصنف عبد الرزاق (١/٢٢٣، ح ٨٦٧) ، الدارقطني ، (١ / ١٩٠) وقال : لم يروه عن عطاء عن جابر غير الزُبير بن خُرَيقٍ وليس بالقوي ، وخالفه الأوزاعي فرواه عن عطاء عن ابن عباس، واختلف علـــى الأوزاعي فقيل عنه : عن عطاء وقيل عنه بلغني عن عَطَاء وأرسل الأوزاعي آخره عن عطاء عـــن الـــنبي ﷺ وهـــو الصواب، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة عنه فقالا: رواه بن أبي العشْرين عن الأوزاعي عن إسماعيـــل بـــن مُسْلِم عن عطاء عن بن عباس وأسند الحديث .

ورواه ابن ماجة بدون واسطة بين الأوزاعي وعطاء ، وحكى ابن أبي حاتم اثبات اسماعيل بن مسلم بينـــهما وأثبـــت الواسطة أيضاً مع إبهامها محمد بن شعيب، قال : أخبرني الأوزاعي أنه بلغه عن عطاء، ورواه أبو داود عنه بلفـــظ : (أصاب رجلاً جرح في عهد رسول الله ﷺ ثم احتلم فأمر بالاغتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء العي السؤال ؟) . (كشف الخفاء ، ١/٢٤٧) .

(١) انظر ، التعليم في عصر السيرة والراشدين ، أكرم العمري ، (١ / ٧٤) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٢٣) .

(٣) تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد الكيلاني ، (٨٠-١٠٠).

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٢٣) .

(٥) المصدر السابق ، (١٥٧) .

٢- في عصر التابعين وأتباعهم :

إن حرص الصحابة على الحديث وسؤال بعضهم بعضاً عنه؛ سرى إلى التابعين ومن بعدهم، فقد كان التابعون لا يكتفون بما سمعوا من الصحابة في بلادهم، بل كـــانوا يرحلـــون إلى عاصمة العلم المدينة يسائلون أصحاب النبي ﷺ .

ولقد تعددت أقوال التابعين ومن بعدهم في بيان دور السؤال، و أهميته في العملية التعليمية :

عن زَاذَان (١) قال : " سألت ابن مسعود عن أشياء ، ما أحد يسألني عنها " (٢).

عن ابن شِهَاب الزهري (٣): " العلم خزائن ومفاتيحها السؤال " . (٤).

عن مُعَاوية بن أبي سفيان (٥): " أنه دعا دَغْفَلا (٦)النسابة، فسأله عن العربية وســأله عــن أنساب الناس، وسأله عن النجوم، فإذا رجل عالم قال : يا دعبل من أين حفظت هذا ؟ قال حفظت هذا بقلب عقول، ولسان سؤول "(٧).

وفي بداية القرن الهجري الأول، نال السؤال درجة كبيرة من التقدير، حتى وصفوا الســؤال بأنه نصف العلم:

---

(١) زَاذَان أبو عبد الله ، ويقال أبو عمر الكندي مولاهم الكوفي الضرير البزار ، يقال أنه شهد خطبة عمر بالجابية ، مات سنة ٨٢ هـــ مات بعد الجماجم ، كان ثقة كثير الحديث . (تهذيب التهذيب ، ٣/٢٦١) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٥٨) .

(٣) محمد بن مُسلِم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الفقيه ، أبو بكر الحافظ المدني ، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام ، له نحو ألفي حديث ، وكان يقول : ما استودعت قلبي شيئا قط فنسيته ، ولد سنة ٥٠ هـــ ، وتوفي سنة ١٢٣ هـــ ، وهو ابن ٧٢ سنة . (التهذيب ، ٧ / ٤٢١) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٥٨) .

(٥) مُعَاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب بن أمية ، أبو عبد الرحمن الأموي ، أسلم يوم الفتح ، روى عن النبي ﷺ ، ولاه عمر بن الخطاب الشام بعد أخيه يزيد ، وكان أميراً عشرين سنة ، وخليفة عشرين سنة ، توفي سنة ١٦٠ هـــ ، وهو ابن ٧٨ سنة . (التهذيب ، ٨ / ٢٤٢) .

(٦) أبو علي دَعْبَل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور أصله من الكوفة ويقال من قرقيسا وأقام ببغداد، وقيل: دعبل لقب ،واسمه الحسن أو عبد الرحمن أو محمد ، روى عن مالك بن أنس وغيره ، وله كتاب في الشعراء ، وكان شاعراً مجيدا إلا أنه كان بذي اللسان ، مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس وهجا الخلفاء فمن دونهم منـــهم المـــأمون . (الإكمال ، ابن ماكولا ، ٤/٨٠) ، (أبجد العلوم ٣/٨٣) .

(٧) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٥٨) .

فعن وَهْب بن مُنَبّه [١] وسليمان بن يَسَار [٢] أنهما قالا : " حسن المسألة نصف العلم " [٣].
وعن الخَليل بن أحمد [٤] قال : " إن لم تُعلم الناس ثواباً ، فعلمهم لتدرس بتعليمهم علمك ، ولا تجزع بتفريع السؤال ، فإنه ينبهك على علم ما لم تعلم ". [٥]
وشاع استعماله في القرن الثاني، وتواصى العلماء باستعمالها حتى أن" الأصمعي" [٦] علل بلوغه المرتبة التي وصل إليها لجرأته على السؤال واستعماله في تعلّمه ودراسته، وكان ينشد:

شفاء العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

وسئل: " بم نلت ما نلت ؟ قال : بكثرة سؤال وتلقف الحكمة الشرود ". [٧]
وقد استخدم البخاري السؤال كثيراً في ترجمة أبواب صحيحه : باب هل يشتري صدقته ؟ باب هل يشير الإمام بالصلح ؟ باب لمن يقسم بالفيء ؟ .

---

(١) وَهْب بن مُنَبّه بن كامل بن سِيح بن ذي كناز اليماني الصنعاني الذماري ، أبو عبد الله الأبناوي ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس ، وأخيه همام بن منبه ، وقال أبو زرعة و النسائي: ثقة ، قال أحمد: وكان يتهم بشيء من القدر ثم رجع ، وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان سمعت وهب بن منبه يقول :كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء في كلها من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فتركت قولي ، ولد سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان ، مات سنة ١١٦ هـ ، روى له البخاري حديثاً واحداً . (تهذيب التهذيب ، ١٨٣/٩) .

(٢) سُليمان بن يَسار الهلالي أبو أيوب ، مولى ميمونة ، ويقال: كان مكاتباً لأم سلمة ، روى عن ميمونة وأم سلمة وعائشة وغيرهم ، وهو أحد الفقهاء السبعة ، كان ثقة عالماً رفيعاً فقيهاً كثير الحديث مات سنة ١٠٧ هـ ، وهو ابن ٧٣ سنة . (تهذيب التهذيب ، ٥١٢/٣)

(٣) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٥٨) .

(٤) الإمام صاحب العربية ومنشيء علم العروض ، أبو عبد الرحمن الخَليل بن أحمد الفَراَهيدي البصري أحد الأعلام، حدث عن أيوب السختياني وعاصم الأحول ، أخذ عنه سيبويه النحو والنضر بن شُميل والأصمعي وآخرون ، وكان رأساً في لسان العرب ديناً ورعاً قانعاً متواضعاً كبير الشأن يقال إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يسبق إليه ففتح له بالعروض وله كتاب العين في اللغة ، وثّقه ابن حبان، وقيل :كان متقشفاً متعبداً ، وكان رحمه الله مفرط الذكاء ولد سنة مئة ومات سنة بضع وستين ومئة ، (سير أعلام النبلاء ، ٤٣٠/٧) .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٥٨) .

(٦) عبد الملك بن قَرِيب بن على بن أَصمع الباهلى الأصمعي ، كنيته أبو سعيد من أهل البصرة ، يروى عن بن عون ، روى عنه الناس ، مات سنة خمس عشرة ومائتين ، ليس فيما يروى من الحديث عن الثقات تخليط إذا كان دونه ثقة ، وإن كان ممن أكثر الحكايات عن الأعراب ،(الثقات ، ابن حبان ، ٣٨٩/٨) ، (تهذيب الكمال ، ٣٩٣/١٨)

(٧) جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر ، (١٢٥) .

يظهر لي أن استخدام الرسول ﷺ السؤال في حديثه، وتنويعه بطرحه في بداية الحديث وأثنائه أو ختمه به كان من عوامل قوة حفظ الصحابة ومن بعدهم للحـــديث ينضـــم للعوامـــل الأخرى ليدعمها ويؤازرها في تحقيق تحمُّل الصحابة ومن بعدهم للحديث النبـــوي تحمـــلاً حافظاً أميناً كفيلاً بأن يؤدوه بعد ذلك كما سمعوه من رسول الله ﷺ ، لأن :

١- انقطاع سرد الحديث بالسؤال يمكّنه في الذهن ويجعله أكثر رسوخاً .

٢- لفت الانتباه بطرح السؤال يستقطب الاهتمام و تعظم العناية بالمســألة، فــإذا عرف حلها ثبتت في الحافظة فلا تنسى .

الفرع الثالث : عصر التأليف العلمي المتخصص:

لقد نضج دور السؤال في هذا العصر – العصر الذهبي للتصنيف المتخصص- وأصبح أساساً في المناقشات العلمية والمناظرات بين العلماء، فكثيراً ما كانت تعقد مجالس المذاكرة، وتقـــام المناظرات بين أصحاب الحديث في عصر التابعين وأتباعهم؛ لتُعرف طرقه، ويكشف عـــن القوي والضعيف فيها، وقد شاع هذا الأسلوب الذي يعتمد على تبادل الأســئلة شـــيوعاً كبيراً؛ فلا تكاد تخلو مدينة كبيرة من عقد مجالس المناظرة والمناقشة بين كبيرين من علمائها ولا سيما في العراق وخراسان، وكانت تعقد أمام الوزراء والكبراء، ويحضرها أهل العلـــم ، وكان الغرض منها الوصول إلى استنباط حكم صحيح . (١).

فكان الإمام الشافعي رحمه الله مع جلالته في العلم مناظراً، حسن المناظرة أميناً فيها طالبـــاً للحق منها، وقد بلغ من ذلك أن أثرت عنه هذه الكلمة : " ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، وتكون عليه رعاية من الله وحفظه، و ما ناظرت أحداً إلا و لم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه." (٢)

ويظهر لي أن استخدام العلماء للسؤال في هذا العصر كان سبب ظهور علمين هما من أجلّ العلوم وأنفعها :

---

(١) انظر ، تاريخ التشريع الإسلامي ، الخضري ، (٢٢٧) .

(٢) مناقب الإمام الشافعي ، للرازي ، (١٣٠) .

١- علم الجرح والتعديل :

فلقد كان الراوي لا يروي إلا عن من يقف على سيرته ويسأل عنه سؤالاً يتثبت به من أمره كله، وكثيراً ما كانوا يتشـــددون في السؤال عن الراوي حتى يقـــال لهـــم: أتريـــدون أن تزوجوه ؟[١].

وما هذه المنهجية إلا قبس من منهج الرسول ﷺ في السؤال عن الأمر وأسبابه ودوافعه قبـــل الحكم عليه .

وكان دور السؤال كبيراً في انتقال علم الحديث وانتشاره، وقد أُفـــرد الســـؤال الحـــديثي بالتصنيف مثل :

سؤالات ابن أبي حاتم لأبي حاتم، سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المـــديني ، سؤالات مسعود علي السجزي للحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، من ســـؤالات أبي بكر الأثرم أبا عبد الله أحمد بن حنبل، جواب الحافظ أبي محمد عبد العظيم المنذري المصري عن أسئلة الجرح والتعديل، سؤالات السهمي للدارقطني .

٢- علم أصول الفقه:

لقد جاء الشافعي فوجد الثروة الفقهية التي أُثرت عن الصحابة والتابعين وأئمة الفقه الـــذين سبقوه، ووجد الجدل بين أصحاب الاتجاهات المختلفة، فكانت المناظرات قائمة بـــين فقـــه المدينة وفقه العراق، فخاض غمارها بعقله الأريب فكانت تلك المناقشات مع علمه بفقـــه المدينة ومكة والعراق هادية له إلى التفكير في وضع موازين يتبين بها الخطأ مـــن الصـــواب، فكانت تلك الموازين هي أصول الفقه ،[٢] وقد كان كتاب " الرسالة " للشـــافعي النـــواة الأولى لعلم أصول الفقة إبداعاً في تقديم هذا العلم عن طريق استخدام السؤال .

" إن هذه الطريقة من الأساليب التربوية التي مارسها العلماء المسلمون مع أبنائهم التلاميذ، حيث تعتمد على اختلاف الآراء، واختيار الصحيح منها، كما تعتمد على المقارنة والموازنة وقرع الحجة، وتفنيد الآراء بالعقل والأدلة المقنعة، كما تساعد على سرعة التعبير وإتقانـــه والقدرة على الارتجال؛ لهذا اعتبرها المسلمون من أهم طرق الـــتعلم، وكـــانوا يشـــجعون

---

(١) انظر ، أصول الحديث ، محمد عجاج الخطيب ، (١٤٢) .

(٢) انظر ، أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، (١٤) .

تلاميذهم على المناظرة والمناقشة ويوجبون التدريب عليها حتى لو خالف التلميذ أستاذه في الرأي ولكن بأدب واحترام . "(١)

وقد أكّد على أهمية الأسئلة في تحصيل العلم عددٌ من العلماء، قال الإمام النووي : " وينبغي للمعلم أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل، ويختبر بذلك أفهامهم، ويظهـــر فضل الفاضل، ويثني عليه بذلك ترغيباً له وللباقين في الاشتغال والفكر في العلم، وليتـــدربوا بذلك ويعتادوه، ولا يعنِّف من غلط منهم في ذلك إلا أن يرى في تعنيفه مصلحة له ." (٢)

وقال الإمام ابن القيم :" أن من أهم مراتب العلم حسن السؤال، ويرى رحمه الله أن مـــن الناس من يحرم العلم لعدم حسن سؤاله، إما لأنه لا يسأل بحال، أو يسأل عن شيء وغـــيره أهم إليه فيه، كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها ويدع مالا غنى له عن معرفتـــه، وهذه حال كثير من الجهال المتعلمين." (٣)

قال ابن حجر : " إن العلم سؤال وجواب " (٤) .

وقال بدر الدين ابن جماعة : " إذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس أن يطرح مســـائل على الطلبة يمتحن بها فهمهم، وضبطهم لما شرح، فمن ظهر استحكام فهمه لـــه بتكـــرار الإصابة في جوابه شكره ، ومن لم يفهم تلطف في إعادته له ". (٥).

كما أن كثيراً من كتب الحديث؛ مضمونها إجابة سؤال من عالم إلى عالم آخر، مثل كتاب : (علل ابن أبي حاتم ، علل الدارقطني ، علل الإمام أحمد).

كما أن كتاب : (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم) كان جواباً عـــن سؤال وُجِّه له حول الذنوب والمعاصي .

والفتوى الحموية ، والواسطية جواب لسؤال في العقيدة (الأسماء والصفات) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

---

(١) منهج التربية الإسلامية، علي مدكور ، (٣٤-٣٤١) .

(٢) المجموع ، النووي ، (١ / ٣٢) .

(٣) مفتاح دار السعادة ، ابن قيم الجوزية ، (١٩٦) .

(٤) فتح الباري ، (٧ / ٢٧٩) .

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ، (٥٤) .

الفرع الرابع : في عصر التربية الحديثة

استمرت عملية الاهتمام بالسؤال كعنصر مهم في العملية التعليمية، حيث احتـــل الســـؤال مركز الصدارة في مناهج التربية والتعليم الحديثة لشدة تأثيره، وقـــوة وضـــوحه، وتحديـــد مدلوله، فألفت الكتب، وأقيمت الدورات، وأصبح السؤال وصياغته وحسن استخدامه هو أهم ما يشتغل به التربويون، وهو البحث السائد في الساحة التربوية .

فمن الحقائق الهامة عند التربويين الدور الهام الذي تؤديه الأسئلة في عملية التدريس، فيصف أحدهم المعلم بأنه :" صانع السؤال المحترف" ويرى أن إلقاء الأسئلة هو واحد مـــن أهـــم الوسائل التي يستخدمها المعلم لإثارة تفكير المتعلمين وتعلمهم، ومهما اختلـــف الأســـلوب الذي يتخذه المعلم في العملية التعليمية، فإن الأسئلة بصورة أو بأخرى تقع في قلب العمليـــة التعليمية، أو هي جزء لا يتجزأ منها .[١]

فالأسئلة وسيلة بها يتم اتصال المعلم بعقول تلاميذه فيثير شوقهم، ويوقظ انتباههم، والمعلـــم القدير هو الذي يعرف كيف يسأل ؟ ومتى يسأل ؟.فقدرة المعلم على السؤال من أهم مـــا يتصف به، ومما يتوقف عليها نجاحه، فهي وسيلة ناجحة من وسائل التربية الحقه والتعلـــيم الصحيح .

إن العناية بالأسئلة والاعتراف بقيمتها العظيمة في التدريس اتجاه من اتجاهات التربية الحديثة التي ترجع في نهضتها إلى القرن العشرين[٢]، فالأسئلة تؤثر بشكل مباشر في تنمية مهـــارات التفكير، وهي وسيلة فعَّالة لتنمية الاتجاهات المرغوبة، وتكوين الميول .[٣]

إن فن طرح السؤال هو روح العملية التدريسية، فالأسئلة وسيلة لبنـــاء عقـــول مفكِّـــرة ، تستطيع أن تتعامل مع متغيرات العصر الحديث بفعالية وانتاجية .[٤]

ومن خلال ما ذكرناه نصل إلى أن السؤال هو العنصر التعليمي الذي استمر الاهتمام به على مر العصور .

---

(١) انظر ، مهارات وأساليب إلقاء الأسئلة ، فاطمة إبراهيم حميدة ، (٣) .

(٢) انظر ، التربية وطرق التدريس ،أ. صالح عبد العزيز ، د.عبد العزيز عبد المجيد ، (٣٠٠) .

(٣) انظر ، مهارات التدريس ، د. جابر عبد الحميد وآخرون ، (١٥٦) .

(٤) انظر ، فن طرح السؤال الصحيح ، سلمى واسرمان ، (٥) .

المبحث الثالث : أركان عملية السؤال التعليمي

إن عملية طرح السؤال التعليمي تقوم أساساً على إدراك أغراضه التربوية والتعليمية؛ حتى يتمكن السائل من استثمارها حسب ما ترمي إليه من أهداف، وما تحققه من غايات، كما أن الإعداد الجيد للسائل علمياً وعملياً، وتدريبه على إتباع القواعد الصحيحة لصياغة السؤال التعليمي صياغة جيدة وفاعلة، وتبصيره بعيوب الأسئلة، أركانٌ أساسية لنجاح تحقيق السؤال لدوره التعليمي والتربوي .

المطلب الأول : أغراض السؤال التعليمية والتربوية

إن فن طرح السؤال هو روح العملية التعليمية، وهي من الأساليب الفعالة للتدريس غير المباشر، فيعد توجيه الأسئلة في العصر الحاضر من النشاطات الصفية المهمة التي تسهم إلى حد كبير في تحقيق أهداف الدرس؛ ذلك لأنه من أوجه التفاعل اللفظي بين المعلم والتلاميذ؛ والذي يعتبر من أكثر الأوجه شيوعاً وحساسية، فالأسئلة قد تأخذ المتعلمين إلى عالم رحب من التفكير المتعمق فيما يُطرح عليهم من معلومات، وتزودهم بتوجيهات بنّاءة ضرورية ومحفزات مباشرة لتعلمهم، ونجمل هذه الفوائد والأغراض في :

١- زيادة النمو الفكري والمعرفي، وذلك عن طريق :

١- إثارة الروح العلمية بين الطلبة وتدربهم على أساليب النقاش، ونمو قدرة النقد، ورقي التفكير ونمو العقل واتساع أفقه، ومساعدتهم على فصاحة اللسان وشحذ الذهن، وتقوية الحجة والبيان والتفوق على الأقران والثقة بالنفس .

٢- إسهام المتعلم في عملية التعلم بكل طاقاته وقدراته، والحث على زيادة الاطلاع والقراءة والتدبر في العلوم وبخاصة المستجدين لنموهم الفكري وتأهيلهم .

٣- استعادة المعلومات السابقة ومراجعة الحقائق التي سبق دراستها، وحمل التلاميذ على تكرارها لتثبيت المعلومة وضبطهم لما قدم لهم،" يطالب المعلم الطلبة في بعض الأوقات بإعادة

المحفوظات، ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة، والمسائل الغريبـــة، ويختـــبرهم بمسائل " [١].

٤- مساعدة التلاميذ في التعرف على الحقائق الهامة،والأكثر أهمية في كل علم والتمييز بينها، إن المدرس الماهر هو الذي يستطيع بأسئلته حمل طلابه على التمييز بين الحقائق وتقديرها.

٥- إن الأسئلة تعد وسيلة هامة لتهيئة مرحلة التعليم وبدئها .

٦- إن الأسئلة لها أثر كبير في فهم الموضوع والاقتناع به، وفي تذكّره كـــذلك، فـــبعض الدراسات تشير إلى أن الإنسان يتذكر بعد شهر ١٣ % من المعلومات التي تلقاها عن طريق السماع، و٧٥% من المعلومات التي تلقاها عن طريق السماع والرؤيـــة ، و ٩٥ % مـــن المعلومات التي تلقاها عن طريق الحوار وطرح الأسئلة . [٢]

٢- تحقيق أغراض التعلم، فالأسئلة تعيننا على فحص نتائج التعلم من خلال :

١- معرفة المعلم مقدار الحقائق والمعلومات والمعارف التي استوعبها التلاميذ ومدى فهمهم إياها، وفيما إذا كان من الأصوب مواصلة سير الدروس أو الانتقال لخطوة ثانيـــة، فيقـــوّم طلبته، ويعرف مدى تحقيق أهداف المنهاج، " إذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به، على الطلبة يمتحن بها فهمهم، وضبطهم لما شُرح لهم، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإجابة في جوابه شكره، ومن لم يفهمه تلطف في إعادته له" [٣].

٢- توجيه الطلاب لما يناسب قدراتهم واستعداداتهم النظرية،"لأن السؤال يجـــرب الـــذهن، ويكشف حالة التلميذ في العلم الصالح له،والانتقال للفن القادر عليه مما يرجى فيه فلاحه"[٤]

إن الأسلوب التلقيني الذي تتربى عليه الأجيال اليوم، ولا سيما في المدارس والجامعات، أضرّ بها أيما إضرار؛ لذا فإن العديد من المؤسسات التعليمية الحديثة بدأت تنتبه لذلك، فلجأت إلى استخدام الأساليب والوسائل التدريبية المختلفة، ورغم أهمية أسلوب المحاضرة إلا أن الاكتفاء

---

(١) تذكرة السامع ، (٥٤) .

(٢) انظر ، ٣٣٣ تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر ، د. علي الحمادي ، (٢٥) .

(٣) تذكرة السامع ، ابن جماعة ، (٥١) .

(٤) فن التعليم عند بدر الدين بن جماعه ، د. حسن عبد العال ، (٢٢٨ - ٢٣٠) .

به يعدّ خللاً تربوياً وتعليمياً غير مقبول، ولاسيما في ظل التقدم التقني الحديث، لذا كان من الضرورة بمكان استخدام طريقة الأسئلة والحوار في العملية التعليمية .[1]

(١) انظر ، ٣٣٣ تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر ، (١٠) .

المطلب الثاني : خصائص السائل

يجب أن يتمتع السائل بكفايات علمية وعملية، وقبلها يجب أن يكون على مستوى عالٍ من رحابة الصدر وقوة الاحتمال، وذلك من خلال الصبر المتناهي والطاقة العقلية المثابرة العاملة، والقدرة على جذب الانتباه طيلة وقت الحوار لتقييم تقدم المتعلمين الفكري، والتعرف على ردودهم النفسية وميولهم نحو مادة الحوار وأسلوبه، للعمل على تعديل أو تغيير مـــا يلـــزم تلقائياً.

الفرع الأول: الكفايات العلمية : وتتمثل فيما يلي:

أ- سعة الأفق، وعمق المعلم في مادة تخصصه أو القضية التي يدور حولها الحوار : فيحســـن بالمعلم أن يكون ذا أفق واسع لأنواع الأسئلة، مؤدياً لمهمته كما ينبغي، والتمـــرس علـــى صياغتها واستعمالها، فذلك من أسباب سعادته، وأداء لمهمته كما ينبغي .

ب- معرفة المعلم بعلم النفس: إن امتلاك المعلم لخلفية كافية في علم النفس قد تساعده في تقدير تقدم تلاميذه الفكري ، وإدراكه للأسباب الكامنة وراء سلوك أو حالة نفسية يبديها التلاميذ، كما تمكنه من قيادة عملية الحوار والتحكم في مسارها بتوجيه الأســـئلة المناســـبة وإعطاء المعلومات التي يتطلبها الموقف التعليمي كماً وكيفاً .

ج- التحضير المسبق لقضية الحوار أو معلوماته : إن التدريس عملية مركبة متداخلـــة تبـــدأ بالتحضير وتنتهي بالتقييم ، فالتحضير الدقيق الذي يضع في اعتباراته وتصـــوراته مختلـــف العوامل والمتطلبات التي يمكن أن تحتاجها أو تشملها عملية التعليم القادر مبدئياً على ضمان قسط كافٍ من النجاح لهذه العملية عند حدوثها، وبما أن الحوار يمثل عملية تعليمية مباشرة ومستمرة ولا تحتمل التوقف لتذكر نوع المعلومات والأسئلة المناسبة، فإن التحضير المســـبق لقضية الحوار يصبح ضرورة حاسمة لتزويد هذه العملية بالتلقائية والعفوية التي تحتاجها.

الفرع الثاني: الكفايات العملية : وتتمثل فيما يلي:

أ- التدريب على تحمل الطلاب في المناقشة : وذلك بأن يتلقى المعلـم مناقشـتهم بصـدر رحب، ولا يقتل آراءهم بالكلمات الجارحة، أو يتعسف في ردها، بل يحسن به أن يرجع إلى فهم رأي الطالب إذا كان أقرب للصواب، فذلك من أدل الأدلة على فضيلة المعلم وعلـو مرتبته، وحسن خلقه وإخلاصه لله .

ب- مهارة المعلم في صياغة الأسئلة وتوجيهها والتوقيت المناسب لها :
تعد صياغة الأسئلة من أهم الأمور التي يجب مراعاها، فالسؤال الجيد في أي مسـتوى مـن مستويات التفكير يمكن أن تفسده الصياغة غير المناسبة، فبقدر ما تكون الأسئلة واضـحة ومناسبة في صياغتها، توفر للمعلم وطلبته تربية غنية نشطة لا تقتصر نتائجها على إنتاج تعلم كمّي مرتفع، بل تؤدي إلى تعلم ممتع، قائم على تنمية الميول والمشاعر المرغوب فيها .
فمسؤولية المعلم هي توجيه الأسئلة بأسلوب يدعو التلاميذ لاستخدام العمليات العقلية .[١]

---

(١) انظر ، " أداء المعلم الذي يمكن من التفكير "، آرثر كوستا ، (١٥ – ١٧) .

المطلب الثالث :صياغة السؤال

تتضمن الصياغة الجيدة للأسئلة عدة خصائص من أهمها :

١- وضوح الهدف من السؤال: فهناك صلة وثيقة بين السؤال الذي يطرحـه المعلـم، والهدف الذي يصبو إليه، ومن المعروف أن للتربية أهدافاً متعددة، فيجب وضـع السؤال الملائم لكل هدف منها .

٢- وضوح لفظ السؤال، واختصار عباراته، فالسؤال إذا طال شتت انتبـاه الطـلاب، وعجزوا عن إدراك ما يرمي إليه، أي أن تكون الأسئلة قليلة، قصـيرة، واضـحة، معبرة، محددة، جامعة، بعيدة عن الغموض، وصيغة التعميم، ويمكن للمعلم مراعـاة هذا الشرط في الأسئلة بمهارته الفائقة في صياغتها، وكيفية توجيهها ثم توقيت هذا التوجيه بما يتلاءم مع حالات التلاميذ ومتطلبات قضية الحوار.

٣- مناسبة السؤال لقدرات التلاميذ وأعمارهم وخبراتهم، وارتباطه بموضوع الدرس .

٤- صياغة الأسئلة بحيث تتطلب إجابات كاملة، والابتعاد عن أسئلة التخمين، والـتي تكون إجابتها " نعم أو لا " .

٥- الابتعاد عن التساؤلات المزدوجة، والتي يطلب فيها من التلميذ الإجابة عن سؤالين أو أكثر .

٦- تنوع الأسئلة؛ بحيث تختبر لدى التلاميذ: التذكر، التفسير، المقارنة،حل المشكلات، ضرب الأمثلة ..إلى غير ذلك، وأن تراعي الفروق الفردية بينهم . (١)

٧- التوقيت المناسب لطرح السؤال حسب ما يقتضيه الموقف التعليمي .

٨- وجود فاصل زمني بين طرح السؤال وبين تحديد من يجيب، والهدف من ذلك حث كل طالب على التفكير في السؤال .

٩- طرح الأسئلة التي تقود إلى مزيد من التحري والاستقصاء(٢)، أي أن تكون الأسئلة استكشافية .

---

(١) انظر ، مهارات التدريس ، د . إمام مختار ، وآخرون ، (٢١٩) .

(٢) انظر ، فن صياغة الأسئلة ، د. زيد آل حسين وآخرون ، (١١ – ١٤) .

لقد وجَّه المربون اهتماماً كبيراً منذ مطلع القرن الحالي للتعرف على أسئلة المعلم وخصائصها وأنواعها واستعمالاتها حيث توصلوا إلى نتيجة لدراساتهم بأن أسئلة المعلم الصفية تتميز في الغالب بالخصائص التالية :

١. أن معظم أسئلة المعلم موجهة عادة لحفظ النظام في غرفة الدراسة، فالمعلم بدلاً من أن يوفر جواً طبيعياً يشجع التلاميذ على الفهم والاستيعاب والمشاركة الصفية، يضفي عليه جواً مشدوداً يكون التلاميذ خلاله متوتري الأعصاب غير آمنين .
٢. الأسئلة المجردة من أي محاولة للتفكير والدراسة العميقة؛ إن عدداً كبيراً من أسئلة المعلم موجهة عادة لأغراض التذكر اللفظي، والحكم السريع غير الناضج من قبل التلاميذ، كرأي أو حقيقة معينة، ودون أن تتوفر لهم فرص غنية للتعلم الذاتي والتفكير المستقل.
٣. أن عدداً كبيراً من أسئلة المعلم لا تنمي في التلاميذ حسن التعبير ولا تهتم بصقله، وتتجاهل التلميذ كإنسان مفكر له اعتباره واستقلاله وحقه في أن يبادر ويسأل ويستفسر، خصوصاً عندما يقوم المعلم بتوجيه عدد كبير من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة سريعة منهم في وقت محدد وقصير .
٤. استخدام الصياغة المركبة في السؤال، وغموض الأسئلة بسبب سوء اختيار الكلمات المستخدمة في وضعها، فعندما تكون لغة السؤال غير واضحة، أو عندما يستعصي استيعاب المقصود من السؤال، قد تخرج إجابات الطلاب ضعيفة بقدر ملحوظ .
٥. الأسئلة العقيمة التي يقع مضمونها خارج نطاق قدرة الطالب على الإجابة الذهنية القصيرة، فتلك الأسئلة " الكبيرة جداً " تميل لأن تستدعي تقليب مسائل شديدة الدقة والتعقيد، ولكنها تهزم التفكير الذكي .
٦. الأسئلة الخادعة التي توضع بغرض تعجيز التلاميذ، وذلك لإبراز ما يتمتع به المعلم من ذكاء .

تنتج في الغالب هذه الصفات من سببين هامين :

١- عدم الكفاية التدريبية للمعلم في كيفية صياغة الأسئلة، وتوجيهها وملاءمة أنواعها المختلفة لحاجات التلاميذ التعليمية والنفسية .

٢- الكثرة العددية للأسئلة دون مراعاة لنوعها .[١]

ومما قاله أحد المختصين بأبحاث التربية في هذا الشأن : " إن نجاح التعليم يتوقف على المهارة التي نستخدمها في وضع الأسئلة أكثر من أي عمل آخر " .[٢]

والذي يبدو جلياً بعد البحث في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، أن أسئلته ﷺ مشتملة على جميع الخصائص التربوية التي ينادي بها التربويون وبما هو أميز منها مما لم يصل إليه التربويون حتى الآن :

١- الصبر المتناهي قبل طرح السؤال وأثنائه وبعده، من منطلق العلم بنفسيات البشر ، واستيعاب لحظات ضعفهم، وتقدير التفاوت العقلي والاجتماعي أثناء التعامل معهم، فإنه ينتقل بهم من حالة الرفض إلى حالة الرضا والقناعة، من خلال قدرة عجيبة على طرح أسئلة في أصعب المواقف وأقساها، ذات هدف محدد تسيطر على كيان المشكلة، وتسبر أغوارها ، وتحلها جذرياً ، مثل سؤاله ﷺ : (ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برحالكم إلى رسول الله ؟)[٣]، وسؤاله : (هل لك من أبل ؟ فما ألوانها ؟)[٤].

٢- الصياغة الجيدة للسؤال، فأسئلته ﷺ مختصرة اللفظ، بليغة المعنى، غاية في كشف الحقيقة وتحقيق الهدف، تعقبها غالباً فترة صمت تقود الذهن إلى مزيد من التحري والاستقصاء .

---

(١) انظر ، طرق سائلة ، (٨٨) ، وفن طرح السؤال ، د. سلمى واسرمان ، (١٥ — ٣٢) .

(٢) فن توجيه الأسئلة للتلاميذ ، فرانسس أوستن ، (٥٥) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ، (١٥٧٤/٤، ح ٤٠٧٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ، (٧٣٨/٢ ، ح ١٠٦١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب إذا عرض بنفي الولد ، (٥ / ٢٠٢٣ ، ح ٤٩٩٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب اللعان ، (٢/ ١١٢٧ ، ح ١٥٠٠).

المبحث الرابع : تصنيف الأسئلة

إن الأسئلة تتنوع بحسب الهدف الذي ترمي إليه، فهناك سؤال للتعرف، وسؤال للتحقـــق، وسؤال عن الحال، وسؤال للكشف عن الحقيقة، وسؤال للإنكار، وحيث إن البيئة التي طرح فيها الرسول ﷺ أسئلته هي بيئة تعليمية أشبه ما تكون بالبيئة الصفية، تناولت هذا النـــوع بالتصنيف .

فيمكن تصنيف الأسئلة الصفية بحسب عدة معايير، أهمها :

المطلب الأول: تصنيف الأسئلة بحسب قدرات التفكير في الإجابة عنها :

١- الأسئلة موحدة الاتجاه (المغلقة) :

وتعني الأسئلة التي تحتمل إجابة صحيحة واحدة متفق عليها، وقد يُصاغ الجواب بعدة طرق تعتمد على قدرة المتعلم اللغوية وخبرته في موضوع السؤال، لكن مضمون الجواب الصحيح يبقى واحداً ومحدداً، مثل : مم تتكون الأسرة ؟ ماهي عاصمة مصر ؟ ويرتبط هذا النوع من الأسئلة بأسلوب التفكير التقاربي، وهي الأسئلة التي تتطلب استدعاء المعلومات التي ســبق للتلميذ تعلمها واختزنها في ذاكرته، وهي لا تتطلب استخدام التلميذ لقدرات التفكير العليا عند الإجابة عنها، فلكل سؤال منها جواب صحيح محدد واحد فقط .

٢-الأسئلة المتشعبة (المفتوحة) :

وهي الأسئلة التي لها أكثر من إجابة صحيحة واحدة، فلكل منها إجابات متعددة محتملـــة ومقبولة، وهي جميعاً تدعو إلى إعمال العقل في السؤال وإعطاء إجابة من نوع ما، ويفيد هذا النوع من الأسئلة كثيراً في استدعاء معلومات أوسع وأعمق، وهي تتيح الفرصة للمتعلم كي يطور قدراته في الاستعمال المبدع للمعلومات من خلال التفكير في بدائل متعددة، وطـــرق متنوعة في استعمال المعلومات للتوصل إلى الإجابات المحتملة للسؤال المطروح، أيضاً تفيد في العصف الذهني للمتعلمين والذي يُفضي إلى أفكار قيّمة ومعقولة، ولـــذلك فـــإن الـــبعض يسميها بأسئلة التفكير المُتمايز، كما يسميها البعض بأسئلة التفكير العليا، ويرتبط هذا النوع

من الأسئلة بأسلوب التفكير التباعدي، وهي تلك الأسئلة التي تتطلب الإجابة عنها استخدام قدرات تفكير متعددة، كالتفسير والتطبيق، والتحليل، والتركيب، والتقويم، والاســتقراء ، والاستنباط، والاستدلال، والابتكار، ويمكن أن يكون للسؤال الواحــد عــدة إجابــات صحيحة، مثل : ما هو أهم حدث سياسي في القرن العشرين من وجهة نظرك ؟ مــا هــي أنسب الوسائل لقضاء وقت فراغك ؟ .[1]

المطلب الثاني: تصنيف الأسئلة من حيث تقويمها للجوانب المعرفية لدى التلاميذ :

يتم تصنيف الأسئلة من حيث تقويمها للجوانب المعرفية لدى التلاميذ في ضوء تصنيف بلوم للمجال المعرفي، حيث ميّز بين مستويات ستة في هذا المجال :

١- التذكر أو المعرفة: ويقتضي أن يسترجع التلميذ المعلومات أو المعارف الــتي اكتسبها، أو يتعرف عليها .

٢- الفهم : ويعتبر أول مستويات التفكير التباعدي؛ حيث يتطلب من المــتعلم تفسير كل المعلومات التي يحصل عليها، أو إعادة صياغتها وتقديم وصفٍ لها باستخدام ألفاظ من عنده .

٣- التطبيق : ويتطلب من التلميذ تطبيق مبدأ أو قاعدة في حل مشكلة ما .

٤- التحليل : ويتطلب تحديد أسباب واقعة معينة، أو الوصول إلى الشواهد التي تدعم استنتاجاً معيناً في موقف من المواقف .

٥- التركيب : يقتضي تفكيراً عالياً من الابتكار يتمثل في عمل التنبــؤات، أو حل المشكلات .

٦- التقويم : وهو أعلى مستوى، ويتطلب إصدار الأحكام على الأداء والأفكار والأشياء،[2]، وعليه فإنه يجب على المعلم التنويع في مستويات الأسئلة التي يوجهها لطلابه، إذ إن الطلبة يشعرون بثقة أكبر في أنفسهم كلما أُعــدّوا

(١) انظر، تكنولوجيا التعليم ، د. زاهر أحمد ، (٢٠٦) ، مدى استخدام معلمات اللغة العربية أســلوبي الســبر والتقسيم ، شيخة السنبل ، (٢١) .

(٢) انظر ، مهارات التدريس ، د. إمام مختار ، وآخرون ، من (٢٠٩ – ٢١٤) ، فن صياغة الأسئلة ، د. زيد آل حسين وآخرون ، (١٩) .

جيداً عن طريق تدريبهم على أنواع الأسئلة، والمحتوى الذي يجب أن يستخدم للإجابة عنها، وهذا من شأنه مساعدتهم على توقع نوع المعلومات التي يستخدمونها في الإجابة عن الأسئلة، وقد وُجد في إحدى الدراسات ارتباط قوي بين مستويات التفكير التي تظهر في إجابات الطلبة على أسئلة المعلم، وأنواع الأسئلة التي يوجهها المعلم، وتَبيَّن كذلك وجود تأثير قوي لأسئلة المعلم في الأساليب الأخرى لدى الطلبة، وإذا كان المعلمون يركزون في أسئلتهم على تذكر الحقائق فإنه من غير المتوقع أن يفكر الطلبة تفكيراً ابتكارياً. (١)

وتبعاً لهذه المستويات المعرفية يمكن تصنيف الأسئلة إلى أربعة أصناف :

١- **أسئلة الذاكرة المعرفية**: ويطلب هذا النوع من المتعلم تذكراً آلياً من الحقائق، مثل : متى برزت مشكلة كشمير ؟.

٢- الأسئلة التجميعية (تفكير متجمع): ويتطلب هذا النوع من المتعلم فهماً وتحليلاً للمشكلات ، مثل : ما العوامل التي أدت إلى ظهور مشكلة كشمير في باكستان ؟ .

٣- **الأسئلة التفريقية (تفكير متمايز)**: ويطلب هذا النوع من المتعلم خيالاً وتصوراً وإبداعاً ، مثل: كيف تتوقع أحوال كل من الهند وباكستان لو لم تكن مشكلة كشمير ؟ .

٤- أسئلة الأحكام التقويمية: ويطلب هذا النوع من التلميذ أموراً تتعلق بالأحكام والقيم ، مثل : ما أهم حل تراه لمشكلة كشمير ؟.

وفيما يتعلق باستراتيجية السؤال، والمقصود به: الخطة أو الطريقة التي يطلب من المتعلم الإجابة عنها، وترتبط أساساً بالعمليات العقلية التي تعالجها الأسئلة، فهناك استراتيجيتان للسؤال :

---

(١) انظر ، نادية أحمد بكار ، تصنيف لأسئلة الأنماط التنظيمية المعرفية وكيفية تدريب التلاميذ على اتخاذ قرار إزاء حل الأسئلة ، (٢٠٩) .

١- **رأسية** : وهي التي تسير فيها الأسئلة في خط رأسي؛ أي تتجه فيها الأسئلة من عملية إلى عملية عقلية أخرى، عادة أعلى منها، فتتدرج الأسئلة لتعالج جميع المستويات العقلية بتسلسل متصاعد، فالمجموعة تبدأ بسؤال يقيس التذكر، ثم تنتقل إلى سؤال يقيس الفهم، أو التطبيق، أو التحليل (الأسئلة التجميعية)، وبعدها تنتقل إلى سؤال يقيس التركيب، وأخيراً تنتقل إلى سؤال يقيس التقويم، وهذا الانتقال من عملية عقلية إلى عملية عقلية أخرى تطبيق للاستراتيجية الرأسية للسؤال .

٢- **أفقية** : وهي التي تسير فيها الأسئلة في خط أفقي، أي تتجه فيها الأسئلة إلى العملية العقلية نفسها التي تتناولها هذه الأسئلة .

وإذا كانت الاستراتيجية الأولى (الرأسية) فعّالة، فإن الاستراتيجية الثانية (الأفقية) غير فعّالة، والتدريس الفعال باستخدام الأسئلة هو ذلك التدريس الذي يستخدم الاستراتيجية الرأسية في تناوله لأسئلته .[١]

والذي يظهر لي من خلال دراسة أسئلة الرسول ﷺ في أحاديث الصحيحين ، أنه ﷺ قد سبق التربويين في نظرياتهم حول صياغة السؤال الجيد ، فمن حيث :
١- مستويات التفكير والجوانب المعرفية للسؤال؛ فقد طرح ﷺ أسئلة في جميع المستويات العقلية من أدناها إلى أعلاها:
- الأسئلة التجميعية : التي تتطلب فهماً وتحليلاً واستنتاجاً ، مثل سؤاله ﷺ : (فمن أعدى الأول ؟)[٢].

---

(١) انظر ، تكنولوجيا التعليم ، د. زاهر أحمد ، (٢٠٦) ، استراتيجية السؤال وعلاقتها بالتدريس الفعال ، د. ناصر الموسوي ، (٢١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن ، (٥ / ٢١٦١ ، ح ٥٣٨٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الرقى والطب ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ، (٤ / ١٧٤٢ ، ح ٢٢٢٠) .

- والأسئلة التفريقية : التي تتطلب توقعاً وتصوراً، مثل سؤاله ﷺ : (كيف أنت إذا بقيـــت في قوم يؤخرون الصلاة ؟) [١] .

وأسئلة الأحكام التقويمية التي تتعلق بالأحكام والقيم، مثل سؤالـــه ﷺ : (ما تقولـــون في هذا ؟) [٢] ، وكانت أكثر أسئلته ﷺ في المستويات العليا من التفكير .

٢- تنوع الأسئلة بين :

- الأسئلة المفتوحة : التي تسمح للمسؤول بالتعبير عن رأيه وإبداء دوافعه ، مثل سؤاله ﷺ: (ما منعك أن تعطيه سلبه ؟) [٣]، وسؤاله: (يا حاطب ، ما حملك على ما صنعت ؟) [٤].

- وبين الأسئلة المغلقة : التي لا يراد من إجابتها غير القبول أو الرفض ، لتكوّن قاعدة مـــا سيأتي بعدها من معلومات، مثل سؤاله ﷺ : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟) [٥] وســـؤالـــه: (أيكم يحب أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته ؟). [٦]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار وما يفعله المأموم إذا أخرها الإمام ، (٤٤٨/١ ، ح٩٤٨).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، (٥ / ١٩٥٨ ، ٤٨٠٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ، (١٣٧٣/٣، ح ١٧٥٣) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدراً ، (١٤٦٣/٤، ح ٣٧٦٢) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب عتل بعد ذلك زنيم ، (٤/ ١٨٧٠ ، ح ٤٦٣٤) ، صحيح مسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، (٢١٩٠/٤ ، ح ٢٨٥٣) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب اللقطة ، باب لا تحتلب ماشية أحـــد بغـــير إذنـــه ، (٢ / ٨٥٨ ، ح ٢٣٠٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب اللقطة ، باب تحريم حلب الماشية بغير إذن مالكها ، (٣ / ١٣٥٢ ، ح ١٧٢٦) .

المبحث الخامس : أحكام السؤال في المنهج القرآني والنبوي .

من خلال البحث في تاريخ نشأة السؤال، تبينت لنا أهميته، والحث على استخدامه في القرآن الكريم والهدي النبوي، ولكن تقابلنا نصوص قرآنية ونبوية ورد فيها النهي عن الأسئلة،منها:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة:١٠١] .

٢-عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) . [١]

٣- عن أَنَسُ بْنُ مَالِك ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتْ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ، فَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا، فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ وَأَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ : سَلُونِي، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ [٢] فَقَالَ : مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : أَبُوكَ حُذَافَةُ ، ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ : سَلُونِي، فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ : رَضِينَا بِاللَّهِ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف ، (١٨٣٠/٤، ح ١٣٣٧) .

(٢) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي ، أبو حذافة ، من السابقين الأولين، يقال شهد بدراً ، توفي بمصر في خلافة عثمان، ومن مناقب عبد الله بن حذافة أن عمر حين وجّه جيشاً إلى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة فأسروه، فقال له ملك الروم : تنصر أشركك في ملكي، فأبى فأمر به فصلب، وأمر برميه بالسهام ، فلم يجزع ،فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلى عليه ، وأمر بإلقاء أسير فيها فإذا عظامه تلوح ، فأمر بإلقائه إن لم يتنصر ،فلما ذهبوا به بكى قال : ردوه ، فقال : لم بكيت قال تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله ، فعجب ، فقال : قبل رأسي وأنا اخلي عنك ، فقال: وعن جميع أسارى المسلمين ، قال: نعم فقبل رأسه فخلى بينهم فقدم بهم على عمر ، فقام عمر فقبل رأسه . (الإصابة في تمييز الصحابة ٥٧/٤) .

رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَسَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ) . (١)

وظاهر الحديث أن قوله ﷺ : " سلوني ؟ " إنما كان غضبًا، - كما في الرواية الأخرى " سئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرهها فلما أكثروا عليه المسألة غضب، وقال : سلوني؟ "(٢)

" وكان اختياره ﷺ ترك تلك المسائل لكن وافقهم في جوابها؛ لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها والله أعلم، وأما بروك عمر ﷺ فإنما فعله أدباً وإكراماً لرسول الله ﷺ وشفقة على المسلمين؛ لئلا يؤذوا النبي ﷺ فيهلكوا، فقد فهم عمر ﷺ أن تلك الأسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشي أن تنزل العقوبة بسبب ذلك، فقال: رضينا فرضي النبي ﷺ بذلك، وسكت ". (٣)

وبوب عليه ابن حبان " ذكر الخبر الدال على إباحة إلقاء العالم على تلاميذه المسائل التي يريد أن يعلمهم إياها ابتداء، وحثه إياهم على مثلها ". (٤)

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : (نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: صَدَقَ ، قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ .. الحديث). (٥)

يشير أنس ﷺ عن وقوف الصحابة على النهي الوارد عن السؤال، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١] .

ولذا كانوا يتمنون مجيء الأعرابي لسؤال رسول الله ﷺ، فهم يعذرون بالجهل، وتمنوه عاقلاً

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب وقت الظهر عند الزوال ، (١/٢٠٠ ، ح ٥١٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك الإكثار من سؤاله، (١٨٣٢/٤ ، ح ٢٣٥٩) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ، (٦ / ٢٦٥٨ ، ح ٦٨٦١) .

(٣) فتح الباري ، (١ / ٢٩٩) ، وشرح النووي على صحيح مسلم ، (١١٣/١٥) .

(٤) صحيح ابن حبان (٣٠٩/١) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب السؤال عن أركان الإيمان ، (١ / ٤١ ، ح ١٢) .

ليكون عارفاً بما يسأل عنه، وظهر عقل الأعرابي ضِمَّام بن ثعلبة بتقديمه الاعتذار بين يدي مسألته لظنه أنه لا يصل إلى مقصوده إلا بتلك المخاطبة؛ في قوله:يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ فهذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته وترتيبـــه، والظاهر أن هذا الرجل لم يأت إلا بعد إسلامه وإنما جاء متثبتاً ومشافهاً للنبي ﷺ[1].

وبعد البحث في سبب هذا النهي خصوصاً مع استحضار ما تقدم من منهجية القرآن الـــتي تعتمدها بشكل واضح، وأن الأسئلة طريق لازم للرقي العلمي والمعرفي والعملي، بـــدا لي أن النهي عن الأسئلة نوعان :

١- نهي خاص بأمور التشريع فقط، وخاص بها في حياة الرسول ﷺ حين كان الشرع يترل، والتكاليف تحدد، فالنهي جاء عن الإكثار من الأسئلة مقروناً بالاختلاف على الأنبياء، وجاء لإبقاء مساحة الإباحة أوسع من مساحة التكليف، وقد بُيِّن هذا بقوله ﷺ في الحديث فيما رواه سَعْد بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ) .[2]

ذلك أن الأسئلة في الزمن النبوي حين كان الوحي يتترل تنقل المسألة موضع السؤال مـــن مساحة الإباحة إلى مساحة التكليف حيث الأمر والنهي والثواب والعقاب .

٢- نهي عام عن الأسئلة في جميع المجالات الدينية والدنيوية إذا كانت لا تجني فائـــدة، و لا تحقق هدفاً، وكان الهدف منها التعنت أو التعجيز أو الفضول أو كشف ســـتر، أو ضـــياع وقت، أوكون السؤال واهياً لا يستحق جواباً، أو ما يدل على السفه والجهل، كمن يسأل: هل خلق الله الجبال أولاً أم الجمال؟ والله أعلم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِـــنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ)، وفي رواية: (يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ).[3]

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١٥١/١) ، شرح النووي على صحيح مسلم،(١٧٠/١).

(٢) صحيح مسلم ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك ، (١٨٣٠/٤، ح ٢٣٥٨) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، (١١٩/١ ، ح ١٩٠) .

في هذا الحديث الإشارة إلى ذم كثرة السؤال لأنها تفضي إلى المحذور كالسؤال المذكور فإنه لا ينشأ إلا عن جهل مفرط .

وعليه فهناك حكمان للسؤال مبنيان على الهدف الذي يرمي إليه :

أولاً : السؤال المذموم :

لقد ذكر العلماء عديداً من صور السؤال المجانبة لحسنه :

١- السؤال عما لا فائدة فيه ، أومصلحة حقيقية ترجى من ورائه:

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة:١٠١] .

"هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم أن يسألوا عن أشياء لا فائـــدة لهـــم في السؤال والتنقيب عنها" [١] ، أي المسائل الدقيقة التي لا يحتاج إليها. [٢]

٢- السؤال عما يسوء وتشق إجابته (عما لم يقع) :

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَسْأَلوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُـــمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة:١٠١] " أي لا تسألوا عن أشياء تستأنفون الســـؤال عنها، فلعله يترل من سؤالكم تشديد أو تضييق "[٣] .

" فالنوع الآخر من السؤال في كتاب الله : ما كان على طريق التكلف والتعنـــت، فهـــو مكروه ومنهي عنه، فكل ما كان من هذا الوجه ووقع السكوت عن جوابه ، فإنما هو ردع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه ، فهو عقوبة وتغليط " [٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ، (٢ / ١٠٨).

(٢) انظر، عون المعبود ، (٢٣٦/١٢)

(٣) تفسير ابن كثير ، (٢ / ١٠٨).

(٤) عون المعبود ، (٢٣٦/١٢)

" إن السؤال عن الشيء بحيث يصير سبباً لتحريم شيء مباح هو أعظم الجرم لأنه صار سبباً لتضييق الأمر على جميع المكلفين، وأكثر العلماء على أن المراد كثرة السؤال عـــن النـــوازل والأغلوطات والتوليدات " (١) .

" ومثال التنطع في السؤال؛ حتى يفضي بالمسئول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتي بالإذن : أن يسأل عن السلع التي توجد في الأسواق هل يكره شراؤها ممن هي في يده ؟ مـــن قبـــل البحث عن مصيرها إليه أو لا، فيجيبه بالجواز، فإن عاد فقال: أخشى أن يكون من نهب أو غصب ويكون ذلك الوقت قد وقع شيء من ذلك في الجملة؛ فيحتاج أن يجيبه بالمنع ويقيد ذلك إن ثبت شيء من ذلك حُرم، وإن تردد كُره أو كان خلاف الأولى، ولـــو ســـكت السائل عن هذا التنطع لم يزد المفتي على جوابه بالجواز، وإذا تقرر ذلك فمن يســـد بـــاب المسائل حتى فاته معرفة كثير من الأحكام التي يكثر وقوعها فإنه يقل فهمه وعلمـــه، ومـــن توسع في تفريع المسائل وتوليدها ولا سيما فيما يقل وقوعه أو يندر ، ولا سيما إن كـــان الحامل على ذلك المباهاة والمغالبة فإنه يذم فعله ، وهو عين الذي كرهه السلف " (٢).

فمقصود أحاديث النهي أنه ﷺ نهاهم عن إكثار السؤال، والابتداء بالسؤال عما لا يقـــع ، وعما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، وكره ذلك لمعان منها: أنه ربما كان سبباً لتحريم شيء على المسلمين فيلحقهم به المشقة، ومنها: أنه ربما كـــان في الجواب ما يكرهه السائل ويسوؤه، ولهذا أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّـــذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُـــمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة:١٠١] .

لقد جاء القرآن لا ليقرر عقيدة فحسب، ولا ليشير إلى شريعة فحسب، ولكن كذلك ليربي أمة، وينشئ مجتمعاً وهو هنا يعلمهم آداب السؤال، وحدود البحث ومنهج المعرفة، وما دام الله سبحانه هو الذي يترل هذه الشريعة، ويخبر بالغيب، فمن الأدب أن يترك العبيدُ لحكمته

(١) فتح الباري ، (١٣/٢٦٨) .

(٢) فتح الباري ، (١٣/٢٦٨) .

تفصيل تلك الشريعة، أو إجماله؛ لا ليشددوا على أنفسهم بتنصيص النصوص، والجري وراء الاحتمالات والفروض،[1]" فأدبهم الله تعالى بترك السؤال عما ليس بمهم، وخصوصاً أحوال الجاهلية التي قد عفا الله عنها وغفرها، ولما سمعت الصحابة هذا كله، انتهت عـــن ســؤال رسول الله ﷺ إلا في أمر لا يجدون منه بدّاً . " [2]

"كما صرح به في الحديث في سبب نزولها، ومنها : أنهم ربما أحفوه ﷺ بالمسألة؛ والحفوة المشقة والأذى، فيكون ذلك سبباً لهلاكهم . " [3]

وكره جماعة من السلف السؤال عما لا يقع، لما يتضمن من التكلف في الـــدين والتنطـــع، والرجم بالظن من غير ضرورة : فعن الزهري قال : " بلغنا أن زيد بن ثابت الأنصاري كان يقول إذا سئل عن الأمر: كان هذا ؟ فإن قالوا : نعم قد كان، حدّث فيه بالذي يعلم والذي يرى، وإن قالوا : لم يكن ، قال : فذروه حتى يكون ".

وعن عبادة بن الكندي[4] قال حين سئل عن المرأة ماتت ليس لها ولي ، فقال : أدركـــت أقواماً لا يشددون تشديدكم ولا يسألون مسائلكم "[5].

وفي البعد عن هذا النوع من الأسئلة يقول الإمام ابن القيم : " إذا جلست إلى عالم فاســـأل تفقهاً لا تعنتاً " . [6]

٣- السؤال على سبيل الاستهزاء والعناد :

قال تعالى في هذا الخصوص:

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ [المائدة:١٠٢] " أي سأل هذه المســـائل المنهي عنها قوماً من قبلكم، فأجيبوا عنها، ثم لم يؤمنوا بها، أصبحوا بها كافرين، أي بسببها

---

(١) انظر ، في ظلال القرآن ، (٢ / ٩٨٦) .

(٢) المفهم ، (٦ / ١٦٦) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٥ /١١٠- ١١٣) .

(٤) عبادة بن نسي الكندي أبو عمرو الشامي الأردني قاضي طبرية ، يروى عن جماعة من التابعين أصحاب معـــاذ وأبي الدرداء، روى عنه أهل الشام، مات سنة ثمان عشرة ومائة وهو شاب. الثقات، لابن حبان، (١٦٢/٧)، تهذيب التهذيب، (٩٩/٥).

(٥) سنن الدارمي ، المقدمة ، (٥٠) .

(٦) العلم فضله وشرفه ، ابن قيم الجوزية ، (٢٢٩) .

أن بيّنت لهم، فلم ينتفعوا بها، لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد، بل على وجه الاستهزاء والعناد . " (١)

٤- الأسئلة التعجيزية :

وهي الأسئلة " التي يُراد منها إظهار عدم قدرة المعلم على الإحاطة والإلمام بضروب المعرفة، وقد سأل اليهود النبي ﷺ عن أصحاب الكهف للحكم على صدق نبوته في ضوء إجابتـه ولكن الله أنزل وحيه على نبيه مجيباً إياهم عن أسئلتهم التي سألوها، ومع ذلك فقـد ذكـر بعض المفسرين أن النبي ﷺ لا يلزمه أن يكون عالماً بجميع القصص والأخبار" (٢)، "كما أن ذهاب نبي الله موسى عليه السلام إلى الخضر ليتعلم منه يدل على المعنى ذاته " (٣)، " ويحتمـل أن غضبه بسبب أنه تحقق أنه كان هنالك من يسأل تعنيتاً وتبكيتاً ، قصداً للتعجيز والتنقيص ، كما كان يفعل المنافقون واليهود . " (٤)

٥- الإكثار من المسائل :

" يحتمل أن يكون غضب النبي ﷺ من إكثارهم عليه من المسائل، فإن ذلك : يقلل حرمـة العالم، ويجرئ على الإقدام عليه، فتذهب أبهة العالم ووقاره، فإنه إذا كثرت المسائل : كثرت الأجوبة، فحصل جميع ما ذكرناه من المفاسد . " (٥)

ثانياً: السؤال المحمود :

وهو الذي وردت النصوص القرآنية والنبوية بالحث على طرح السؤال، " فالسؤال في كتاب الله والحديث نوعان : أحدهما ما كان على وجه التبييـن والتعلم مما تمس الحاجـة إليـه

(١) تفسير ابن كثير ، (١/ ١٠٨) .

(٢) فتح القدير ، (٣ / ٢٩٧) .

(٣) تفسير الرازي ، (١١ / ١٤٤) .

(٤) المفهم ، (٦ / ١٥٩) .

(٥) المفهم ، (٦ / ١٥٩) .

من أمر الدين، وذلك جائز كسؤال عمر ﷺ وغيره من الصحابة في أمر الخمر حتى حرمت بعد ما كانت حلالاً؛ لأن الحاجة دعت إليه فهو مباح أو مندوب أو مأمور به ."[1]

لذا وجب على المرء المسلم أن لا يتورع عن السؤال الذي يؤدي إلى معرفة ما يجب عليه من أمور عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، مع المحافظة على لزوم الحدود الشرعية، والآداب العلمية عند السؤال، وليعلم أن العلم سؤال وجـــواب، وأن حُسْن السؤال نصف العلم .

وخلاصة الكلام أن النبي ﷺ كان يتعامل مع كل سؤال بأسلوب ملائم معه، فكان يثني على السؤال الجيد، ويجيب بأكثر مما يسأل إذا كان المقام يقتضي ذلك ، ويغضب على التعنت في السؤال ... فصلوات ربي وسلامه عليه .

(١) عون المعبود ، (١٢/ ٢٣٦) .

الفصل الأول

أسئلة الرسول ﷺ في مجال تحديد المشكلة وتقويمها من قبل المسئول قبل إصدار حكمه عليها .

المبحث الأول : السؤال للتعرف على ماهية المشكلة ، وتحديد دوافعها .

المبحث الثاني : السؤال للتثبت من صدق الخبر.

المبحث الثالث : السؤال لتعيين وتحديد مراد المتكلم من عباراته .

المبحث الرابع : السؤال لتقرير المخاطب .

الفصل الأول
أسئلة الرسول ﷺ في مجال تحديد المشكلة
وتقويمها من قبل المسئول قبل إصدار حكمه عليها

الإسلام منهج حياة؛ نظّم حياة الإنسان مع ربه، وحياته مع نفسه، وحياته مع الآخرين، ومن ثمَّ أمره بالتثبت في أموره وأخباره، فلا يقوم شيء فيها على الوهم أو الشبهة، قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦] ، إن هذه الآية تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، فالتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق، ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج، لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم الشرع ، ولم يبق مجال للشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل.

والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن عن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسئولاً عن سمعه وبصره وفؤاده؛ إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب، أمانة يُسأل عنها صاحبها، يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها، كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة . (١)

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦] .

" إن هذه الآية عامة، وقاعدة أساسية هامة، فعلى الفرد والجماعة والدولة ألا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم، ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت والتبين الصحيح؛ كراهية أن يصيبوا فرداً أو جماعة بسوء دون موجب لذلك، ولا مقتضٍ، فالأخذ بمبدأ التثبت والتبين عند سماع خبر من شخص لم يعرف بالتقوى والاستقامة والعدالة التامة واجب ؛ صوناً لكرامة الأفراد وحماية أرواحهم وأموالهم ، " (٢).

(١) انظر ، التثبت والتبين في المنهج الإسلامي ، د . أحمد العليمي ، (٣١) .

(٢) أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري ، (٤ / ٢٩٠) .

إن الاعتماد على مجرد نقل الأخبار غثّها أو سمينها، وعدم عرضها على أصولها، ولا قياسها بأشباهها ولا تحكيم النظر بمعيار الحكمة والبصيرة فيها؛ سبب الضلال عن الحق، والتيه في بيداء الوهم والغلط .[1]

من أجل هذا كان لزاماً علينا أن ندرس الأخبار، وطرق تمييزها، وكيفية نقلها حتى تستقيم أحوالنا على المنهج الشرعي الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين خاصةً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وانتشر فيه التنازع .[2]

ومن خلال دراسة أسئلة رسول الله ﷺ في أحاديث الصحيحين؛ زاد يقيني أنه قد تمت ممارسة التثبت في حياة النبي ﷺ وفي سيرته العطرة على أكمل وجه وأتم حال، لتقييم المشكلة قبل إصدار حكمه عليها، وفرض الحلول لمعالجتها، من خلال طرح أسئلة لـ:

١- التعرف على ماهية المشكلة، والوقوف على سببها، وتحديد دوافعها ، وإيجاد الحلول المناسبة لها .

٢- التثبت من صدق الخبر .

٣- تعيين مراد المتكلم .

٤- تقرير المخاطب .

---

(١) انظر ، مقدمة ابن خلدون ، (١٦) .

(٢) انظر ، نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار وروايتها ، أحمد الصويان ، (٨٨) .

المبحث الأول

السؤال للتعرف على ماهية المشكلة ، والوقوف على سببها ، وتحديد دوافعها

إن منهجية الرسول ﷺ في حال حدوث مشكلة تحتاج إلى حل وعلاج؛ طرح السؤال الذي يتعرف به على سببها وحقيقة أمرها، قبل إصدار أي حكم أو توجيه حولها، ويبلغ منهج التحقق والتثبت عنده ﷺ القمة حين يطلب الاستماع للدوافع الذاتية التي دعت صاحب المشكلة الوقوع فيها دون إبداء أي نوع من التوبيخ أو اللوم حتى مع عظم الذنب وخطورته، وبناء على هذا الدافع يتم تقييم العمل والحكم عليه ومن ثم معالجته، فنجده ﷺ يصوِّب العمل ويؤيد رأي صاحبه، وأحياناً يقبل عذره بناء على اقتناعه بهذا الدافع، وأحياناً يحكم بالخطأ مهما كان الدافع له، فالدافع له أكبر الأثر في تقييم المشكلة والحكم عليها .

وبعد دراسة أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين وجدت أربعة عشر سؤالاً جسدت منهجيته ﷺ في التثبت والتحقق من الأمور قبل الحكم عليها:

١- عنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ ، قَالَ : مَا لَكَ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : لا، قَالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : لا ، فَقَالَ : فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ : لا، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ - قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ :أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا [١]- يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ

---

(١) اللابة : هي الحرة وهو اسم جنس لتكوين طبيعي متميز ، ولا يتحدد موقعها إلا بإضافتها إلى علم يميزها عن غيرها من الحرات ، والمقصود حرتا المدينة الشرقية والغربية ، وهي الأرض التي ألبستها الحجارة السوداء ، والحرة الشرقية أوسع من الغربية وأصلح للسكنى ، وهي معمورة بالسكان قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وتمتد من شرقي البقيع بمائتي متر حتى قرب مهد الذهب بمسافة مائة وعشرين ميلاً . (معجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ، سعد جنيدل ، (١٨٦) .

- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ) . (١)، وفي رواية عائشة بلفظ : (احترقت ، قال ﷺ : ما شأنه ؟) (٢) .

معنى الحديث :

أن رجلاً " قيل اسمه سلمة أو سليمان بن صخر البياضي"، أقبل على النبي ﷺ وهو يدعو على نفسه بالهلاك، فلما عرف النبي ﷺ سبب ذلك وهو اقترافه ذنب مجامعة امرأته في نهار رمضان ، وعلم عدم استطاعته إخراج الكفارة، أعطاه زبيلاً كبيراً، قيل إنه يسع خمسة عشر صاعاً،كأن فيه كتلاً من التمر؛ أي قطعاً مجتمعة ليتصدق به . (٣) .

أما إعطاؤه ﷺ التمر فإنه لا على جهة الكفارة بل على جهة التصدق عليه وعلى أهله لما ظهر من حاجتهم، وأما الكفارة فلم تسقط بذلك ولكن ليس استقرارها في ذمته مأخوذاً من هذا الحديث، ولم يرد في الحديث ما يدل على الإسقاط، لأنه لما أخبره بعجزه ثم أمره بإخراج العرق دل على أن لا سقوط عن العاجز، ولعله أخَّر البيان إلى وقت الحاجة وهو القدرة .

وأنه لما قال له ﷺ : "خذ هذا فتصدق به " لم يقبضه بل اعتذر بأنه أحوج إليه من غيره فأذن له حينئذ في أكله، فلو كان قبضه لَمَلَكَه ملكاً مشروطاً بصفة؛ وهي إخراجه عنه في كفارته،لكنه لما لم يقبضه لم يملكه، فلما أذن له ﷺ في إطعامه لأهله وأكله منه؛كان تمليكاً مطلقاً بالنسبة إليه وإلى أهله وأخذهم إياه بصفة الفقر، وهو من مال الصدقة وتصرف النبي ﷺ فيه تصرف الإمام في إخراج مال الصدقة، فلا يكون فيه إسقاط ولا أكل المرء من كفارة نفسه، ولا إنفاقه على من تلزمه نفقتهم من كفارة نفسه (٤).

موضع الشاهد ودلالته :

إن في هذا الحديث صورة رائعة لمعالجة المشكلات، وتقويم الأخطاء ، تتجلى في :

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصيام ، باب إذا جامع في رمضان و لم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر ، (٢/٦٨٤ ، ح ١٨٣٤) ، صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى ، (٢/٧٨١ ، ح ١١١١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصيام ، باب إذا جامع في رمضان و لم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر (٦/٢٥٠١ ، ح ٦٤٣٦) .

(٣) هذا معنى كلمة " المكتل" كما ورد في : النهاية في غريب الأثر ، (٤/ ١٥٠) .

(٤) انظر ، عمدة القاري ، (١١ / ٢٥) ، فتح الباري ، (١ / ١٠٣٢) .

١ – سؤاله ﷺ لصاحب المشكلة والتي دعته لهذا القول" هلكت أو احترقت"، بقوله: ما لك؟ استفهام عن حاله، وفي رواية: ويحك ما شأنك؟ ورواية: وما الذي أهلكك؟ ورواية: ما ذاك؟ وفي رواية: ويحك ما صنعت؟ يستمع من خلاله إلى السبب الذي أوقعه في هذه المشكلة، فيتعرف عليها.

٢– اكتفاؤه ﷺ بإجابة الرجل مع بعض القرائن من حاله وقوله في فهم سبب المشكلة وحدودها، فترك استفصاله، ولم يطرح سؤالاً آخراً لهذا الشأن، وهذا جانب مهم جداً، أن العبرة في التحقق ليست بكثرة الأسئلة المطروحة، بل يُكتفى بالسؤال الذي يُحقق الغرض، إلى جانب استنباط بعض الحقائق من القرائن المحيطة دون سؤال :

أ– فعلم ﷺ أنه كان عامداً، من شدة ندمه وحسرته حتى ورد : (أنه جاء وهو ينتف شعره) [١]، "ويحثي على رأسه التراب، واستدل بهذا على جواز هذا الفعل والقول ممن وقعت له معصية ويفرق بذلك بين مصيبة الدين والدنيا، فيجوز في مصيبة الدين لما يشعر به الحال من شدة الندم وصحة الإقلاع، ويحتمل أن تكون هذه الواقعة قبل النهى عن لطم الخدود وحلق الشعر عند المصيبة" [٢]، فلم يسأله ﷺ إن كان ناسياً أم لا.

ب– علم ﷺ أنه صوم فرض من قوله حيث ورد في رواية : (أن الرجل قال: أفطرت في رمضان) [٣] ، فلم يسأله ﷺ عن نوع الصيام الذي وقع فيه الجماع .

٣– عرض البدائل الممكنة لمعالجة المشكلة في صورة أسئلة عن مدى قدرة الرجل واستطاعته للقيام بأحد الاختيارات المطروحة؛ أسئلة مرتبة يطرح ﷺ واحداً تلو سماع الإجابة على الذي قبله : هل تجد رقبة ؟ هل تستطيع صيام..؟ هل تستطيع إطعام..؟ فلم يفرض عليه حلاً أو علاجاً قد لا يناسبه، بل استعرض عليه جميع الكفّارات بالترتيب الشرعي لها حتى وصل معه إلى الكفّارة المناسبة والمتوافقة مع قدراته .

---

(١) مسند الشافعي ، (١ / ١٠٥)، مسند أحمد ،(٢ / ٢٠ ، ح ٦٩٤٤)، سنن البيهقي ، (٤ / ٢٢٥ ، ح ٧٨٤٠) .

(٢) فتح الباري ، (١/ ١٠٣٢).

(٣) صحيح مسلم ، مسلم ، كتاب الصيام ، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى، (٢/٧٨١ ، ح ١١١١) .

الدلالات التربوية :

١- لطف تعامله ﷺ ورفقه برجل كبير السن جاء طالباً النجدة، شاكياً ثقل المعصية ، معبراً عن ذلك بألفاظ تدل على غاية الندم والتوبة، والبعد عن معاقبته، أو حتى توبيخه ولومه مع عظم ذنبه، "والتعزير[١]. إنما جعل للاستصلاح ، ولا استصلاح مع الصلاح ، وأيضا لو عوقب المستفتي لكان سبباً لترك الاستفتاء وهي مفسدة " [٢].

٢- بلوغ منهجه ﷺ ذروته في معالجة المشكلات والقضايا وحلها، فنراه سامقاً بعطفه، متألقاً برحمته حين مد يد العون لما تبين له عدم استطاعة الرجل على الصيام لشدة شبقه وعدم صبره عن الوقاع، وعلى عتق الرقبة أو على الإطعام لشدة إعساره، فأعطاه بيده الشريفة ما يكفر به ذنبه ويصحح خطأه .

وتعبيره ﷺ عنه بقوله : أين السائل ؟ مع أنه لم يكن لذلك الرجل سؤال، بل كان مجرد إخبار، ذلك لأن كلامه متضمن للسؤال، فإن مراده : هلكت ، فما ينجيني ؟ وما يخلصني ؟ وماذا يترتب عليه . [٣].

٣- ختمه ﷺ هذا الموقف بضحكة مشرقة من محياه الباسم تكاد تملأ الأجواء نوراً وسروراً، من تباين حال الرجل حيث جاء خائفاً على نفسه، راغباً في فداها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع أن يأكل ما أعطيه في الكفارة، ومن حاله في مقاطع كلامه وحسن تأتيه وتلطفه في الخطاب وحسن توسله في توصله إلى مقصوده، فتحيل الحزن والألم من نفس الرجل إلى شعور بالراحة والرضا [٤].

وبهذه المنهجية يعلمنا رسول الله درساً في عودة النفوس صافية راضية مسرورة بعد حل المشكلات والقضايا، وبهذا يظهر لنا خطأ بعض المربين الذين يستبد بهم الغضب أو التجشم من صاحب السلوك الخاطيء حتى بعد معالجة المشكلة، أو حتى بعد معاقبة المخطئ .

---

(١) التعزير: هو تأديب دون الحد، وأصله من العزر وهو المنع . التعريفات، الجرجاني، (٨٥/١).

(٢) فتح الباري ، (١ / ١٠٣٢) .

(٣) انظر، فتح الباري ، (١ / ١٠٣٢) .

(٤) انظر، عمدة القاري، (٣٣/١١).

٢- عن علي ﷺ قال : (بَعَثَني رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ [١]، وَأَبَا مَرْثَد [٢]وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ حَاجٍ[٣] فَإِنَّ فِيهَا امْرَأَةً مَعَهَا صَحِيفَةٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ [٤]إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَأْتُونِي بِهَا، فَانْطَلَقْنَا عَلَى أَفْرَاسِنَا حَتَّى أَدْرَكْنَاهَا حَيْثُ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ: تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، وَقَدْ كَانَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّه ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقُلْنَا: أَيْنَ الْكِتَابُ الَّذِي مَعَكِ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَأَنَخْنَا بِهَا بَعِيرَهَا فَابْتَغَيْنَا فِي رَحْلِهَا فَمَا وَجَدْنَا شَيْئًا ، فَقَالَ صَاحِبَايَ: مَا نَرَى مَعَهَا كِتَابًا، قَالَ : فَقُلْتُ : لَقَدْ عَلِمْنَا مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ حَلَفَ عَلِيٌّ وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لأُجَرِّدَنَّكِ، فَأَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا؛ وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْ الصَّحِيفَةَ، فَأَتَوْا بِهَا رَسُولَ اللَّه ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّه، قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، دَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا لِي أَنْ لا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّه وَرَسُولِه، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يُدْفَعُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ إِلا لَهُ هُنَالِكَ مِنْ قَوْمِه مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِه عَنْ أَهْلِه وَمَالِه، قَالَ: صَدَقَ، لا تَقُولُوا لَهُ إِلا خَيْرًا، قَالَ: فَعَادَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، دَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: أَوَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ الْجَنَّةَ؟ فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ). [٥]

---

(١) الزُّبير بن بَكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي المدني ، أبو عبد الله ، حواري رسول الله ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، مات سنة ٢٥٦ هـ ، وبلغ ٨٤ سنة ، ودفن بمكة . (الإصابة ، ١ / ٥٤٥) ، (التهذيب ، ٣ / ١٣٨) .

(٢) أبو مَرْثَد الغَنَوي ، كناز بن الحصين ، سكن الشام ، روى عن النبي ﷺ ، شهد بدراً . (الإصابة ، ٤ / ١٧٧) .

(٣) روضة خاخ : روضة على الطريق بين مكة والمدينة قريبة من المدينة ، بقرب حمراء الأسد ، تقع في أسفل النقيع بينه وبين المدينة مسافة أقل من يوم من المدينة بسير الماشي ، ومن قالها "حاج" بمهملة ثم جيم فقد صحف، وهو من تصحيف هشيم من المدينة ، (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل ، (٢٦٣) ، (معجم البلدان ، ٣٣٥/٢) ، (تصحيفات المحدثين ، الحسن العسكري ، (١ / ٧٢) .

(٤) حاطب بن أبي بلتعة ابن عمرو اللخمي ، حليف بني أسد بن عبد العزى ، كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها ، مات سنة ٣٠ هـ في خلافة عثمان ، وله ٦٥ سنة . (الإصابة ، ١ / ٣٠٠) .

(٥) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٣٠).

إن الوقوف مع هذه الحادثة يبين لنا كيف كانت تربية رسول الله ﷺ من خلال حواره في الأحداث والمواقف، إنه ﷺ – المربي العظيم – الذي تعامل مع هذه القضية الخطيرة والخيانة العظمى الصادرة من حاطب رضي الله عنه المسلم المهاجر الذي أفشى أسراراً عسكرية لدولة النبي ﷺ، من خلال إدراكه الواسع للنفس البشرية على حقيقتها، دون النظرة إلى العثرة ذاتها التي نظر إليها عمر رضي الله عنه فثار لها حسه، **ومجمل القصة :**

أن النبي ﷺ لما أراد أن يغزو مكة أسرّ إلى ناس من أصحابه ذلك، وأفشى في الناس أنه يريد غير مكة فسمعه حاطب بن أبي بلتعة، وكان حاطب من أهل اليمن حليفاً للزبير، فذهب إلى امرأة "اسمها سارة، قيل أنها من مزينة، وقيل أنها من أهل العرَج يعنى قرية بين مكة والمدينة، وقيل أنها مولاة لعمرو بن هاشم القرشي ،كانت على دين قومها، فقد عُدّت فيمن أهدر النبي ﷺ دمهم يوم الفتح لأنها كانت تغني بهجائه وهجاء أصحابه، وذلك حين قدمت المدينة، فأعطاها عشرة دنانير وكساها برداً، وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة ،قيل : أن المكتوب إليهم صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل" (١)؛ أن رسول الله ﷺ يريد أن يغزو فخذوا حذركم ، فأوحى الله إلى نبيه بذلك، فأرسل وراءها علي والزبير رضي الله عنهما، فأدركاها في حليفة بني أحمد، فهدداها بالقتل أولاً، فلما أصرت على الإنكار و لم يكن معهما إذن بقتلها ، هدداها بتجريد ثيابها ، وهنا نجد أدب علي والزبير رضي الله عنهما معها في تحذيرهما لها من أن تضطرهما لكشفها، رغم أنها تقوم بدور جاسوسة فحرمتها تسقط لعصيانها، فلما تحققت ذلك خشيت أن يقتلاها حقيقة، مالت إلى معقد إزارها، وهي محتجزة بكساء من احتجز بإزاره شده على وسطه، فأخرجت ذلك الكتاب، وقد روي أنها أخرجته من عقاصها أي من شعورها، فلعلها أخرجته من الحجزة أولاً وأخفته في الشعر، ثم اضطرت إلى الإخراج منه أو بالعكس إلى رسول الله (٢) .

موضع الشاهد ودلالته :

من هذه الحادثة نستطيع أن نحدد ثلاث مراحل للمعالجة العادلة للخطأ ، مهما كانت ضخامته :

---

(١) مقدمة فتح الباري ، (١ / ٢٩١) ، وقيل : مولاة لعمران بن حنفي القرشي .تهذيب الأسماء ، النووي، (٢ / ٦٣٤)، غوامض الأسماء المبهمة ، خلف بشكوال ، (١ / ٢٥٢) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢٤ / ٩٢) .

المرحلة الأولى : مرحلة التثبت من وقوع الخطأ ، وفي هذه الحادثة قد تم التثبت عن طريق أوثق المصادر، ألا وهو الوحي، حيث أوحى الله إلى الرسول ﷺ بخبر الكتاب الذي أرسله حاطب مع المرأة، ومن ثم إرسال الرسول ﷺ من يأتي بالكتاب قبل كل شيء حتى يصبح دليل الخيانة بيده .

المرحلة الثانية : مرحلة التثبت وتبين الأسباب التي أدت إلى ارتكاب الخطأ، وهذا الأمر متمثل في سؤاله ﷺ لحاطب : " ما حملك على ما صنعت ؟ " بعد استدعائه، وهذه المرحلة مهمة؛ وهي مرحلة تحديد الدوافع التي دفعته لمثل هذا التصرف، في نفس الوقت الذي كان عمر ﷺ يتهمه بالخيانة، وينتظر أمراً من رسول الله بضرب عنقه، لأنه قد يتبين بعد طرح السؤال أن هناك عذراً شرعياً في ارتكاب الخطأ، وتنتهي القضية عند هذا الحد، فإذا لم تنته عند هذا الحد مثل ما ظهر في قضية حاطب، وأن العذر الذي أبداه لرسول الله ﷺ لم يكن مقنعاً، ولكنه طمأن رسول الله ﷺ على صدق حاطب وأنه لا زال مسلماً، نقول : إذا لم يكن العذر مقنعاً من الناحية الشرعية فإنه يصار إلى :

المرحلة الثالثة : وفيها يتم جمع الحسنات والأعمال الخيرة لمرتكب الخطأ، وحشدها إلى جانب خطئه، فقد ينغمر هذا الخطأ أو هذه السيئة في بحر حسناته، وهذا هو الذي سلكه الرسول ﷺ مع حاطب ﷺ قال ﷺ لعمر عندما استأذن في قتل حاطب : " أليس من أهل بدر ؟ وهو استفهام تقرير وجزم ،فقال : لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة _ أو غفرت لكم _ " (١)، وفي هذه المرحلة يتجلى استيعاب النبي ﷺ لحظات الضعف البشري ، فحاطب مؤمن وقد شهد بدراً وجاهد فيها ..لكنه مشغول البال بأهله في مكة، ويخشى عليهم من إيذاء قريش وفتنتها، فيرسل هذا الكتاب ليكفّ الأذى عن أهله .. وهو في قرارته موقن بأن الله سيحمي رسوله وسينصره .

ولما اتضح عذره وصدّقه النبي ﷺ فيه، ونهى أن يقولوا له إلا خيراً، فإن في إعادة عمر ﷺ ذلك الكلام إشكال، وأجيب عنه: بأنه ظن أن صدقه في عذره لا يدفع ما وجب عليه من القتل، فظن

(١) انظر ، مذكرة في مادة مناهج المحدثين ، د إبراهيم الريس .

أنه نافق نفاق كفر، ولذلك أطلق أنه كفر، فلما بين له النبي ﷺ عذر حاطب رجع، وبكى حينئذ لما لحقه من الخشوع والندم على ما قاله في حق حاطب .

فالمؤمن ولو بلغ بالصلاح أن يُقطع له بالجنة لا يُعصم من الوقوع في الذنب؛ لأن حاطباً دخل فيمن أوجب الله لهم الجنة ووقع منه ما وقع، كما أن هذه الحادثة ترد على من كفّر المسلم بارتكاب الذنب، وعلى من جزم بتخليده في النار، وعلى من قطع بأنه لا بد وأن يعذب، ولا ينبغي لمن وقع منه الخطأ أن يجحده بل يعترف ويعتذر لئلا يجمع بين ذنبين .

كما أن قوله ﷺ :" اعملوا ما شئتم " ظاهره مشكل لأنه للإباحة وهو خلاف عقد الشرع، وأجيب : بأنه إخبار عن الماضي؛ أي كل عمل كان لكم فهو مغفور، ويؤيده أنه لو كان لما يستقبل من العمل لم يقع بلفظ الماضي ولقال فسأغفر لكم، ورد بأنه لو كان للماضي لما حسن الاستدلال به في قصة حاطب لأنه ﷺ خاطب به عمر منكراً عليه ما قال في أمر حاطب، وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين ، فدل على أن المراد ما سيأتي وإنما أورده بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه .

وقال العلماء معناه: الغفران لهم في الآخرة، وإلا فلو توجّه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا، فضرب النبي ﷺ مسطحاً الحد وكان بدرياً . (١)

وهكذا يلتحم هذا الموقف له ﷺ في هذا الحديث مع الذي قبله فتزداد منهجيته ﷺ في التعرف على المشكلة والسؤال عن دوافعها قبل الحكم عليها سمواً وشموخاً .

٣- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ- فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال: أبو هريرة؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي،

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢٤ / ٩٢) .

فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ : اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ،فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! فَقُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَخَرَرْتُ لاسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قُلْتُ : لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: يَا عُمَرُ! مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ: فلا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَخَلِّهِمْ) .(١)

في هذا الحديث تتجلى حكمة رسول الله ﷺ وحلمه وأناته، وحسن تثبته وتحققه من الأمور.

ومجمل هذه القصة:

أن رسول الله ﷺ قام عن صحابته بعد أن كان جالساً معهم، فلما تأخر عليهم خافوا أن يصاب بمكروه من عدو إما بأسر وإما بغيره، فدب فيهم الروع والذعر لاحتباس النبي ﷺ، فكان أبو هريرة أول من هبّ لاستكشاف الأمر،حتى أتى حائطاً للأنصار أي بستاناً، وسمي بذلك لأنه حائط لا سقف له، فإذا نهر صغير يدخل في جوف حائط من بئر خارجة – صفة للبئر –، فتضامم ليسعه المدخل، ويدل عليه تشبيهه بفعل الثعلب وهو تضامه في المضايق،فلما رآه رسول الله ﷺ ناداه باسمه ثم أعطاه نعليه، لتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ،وقال له : " فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله إلا الله مستيقناً بها قلبه"؛ أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة و إلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم، وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق، ولا النطق دون الاعتقاد، بل لا بد من الجمع بينهما ، فلما علم عمر ﷺ بأمره حين لقيه ضربه بين ثدييه فخر لاسته، وهو اسم من أسماء الدبر، والمستحب في مثل هذا الكناية عن قبيح الأسماء

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد ، (١/٥٩ ، ح ٣١).

واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض ولا يكون في صورها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه وبهذا الأدب جاء القرآن.

وأما دفع عمر ﷺ له فلم يقصد به سقوطه وإيذاءه، لكن إنما كان ليوقفه ويمنعه من النهوض بالبشرى حتى يراجع النبي ﷺ، و لم يكن ذلك من عمر اعتراضاً على رسول الله ﷺ، ولا راداً لأمره، وإنما كان ذلك سعياً وراء استكشاف مصلحة ظهرت له لم يعارض بها حكماً ولا شرعاً، إذ ليس فيما أمره به إلا تطييب قلوب أصحابه أو أمته بتلك البشرى، فرأى عمر ﷺ أن السكوت عن تلك البشرى أصلح لهم لئلا يتكلوا على ذلك، فتقل أعمالهم وأجورهم، ففزع أبو هريرة إلى الرسول ﷺ وهو متغير الوجه متهيئ للبكاء، فتبعه عمر ﷺ ومشى خلفه في الحال بلا مهلة، وحين شكا أبو هريرة الأمر لرسول الله، التفت ﷺ إلىعمر ﷺ يسأله عن سبب فعله هذا [1].

موضع الشاهد ودلالته :

أحسب أن هذا الحديث لأعظم دليل على منهج النبي ﷺ في التعرف على ماهية المشكلة وسببها

١- بسؤاله : ما لك يا أبا هريرة ؟ لما رأى من علامات التهيؤ للبكاء، وتغير الوجه، فيحدد المشكلة وسببها، فلما علم السبب كاملاً، انتقل إلى التحقق من الطرف الآخر .

٢- وبسؤاله : يا عمر ما حملك على ما صنعت ؟ للتثبت والاستماع الواعي لدوافع المشكلة من مصدرها، والتي في ظاهرها تستدعي الغضب، فرسول الله ﷺ أمام قضيتين خطيرتين :

أولها : ضرب عمر ﷺ لأبي هريرة وهو يؤدي مهمة وكّله بها رسول الله .

ثانيها: اعتراض عمرﷺ وإيقافه لأمر رسول الله ﷺ .

ومع ذلك ﷺ يسأل عمر ﷺ بكل هدوء فيستمع لدوافعه الشخصية في القيام بهذا التصرف، بل ويرجع عن رأيه فيها، ويصوب رأي عمرﷺ .

٤- عن كَعْبَ بْنَ مَالِك [2]ﷺ : (لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ[1]، فَلَمَّا جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ – وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً

---

(١) انظر ، المفهم ، (١ / ٢٠٧)

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، شهد العقبة ، وبايع بها ، وتخلف عن بدر ، وشهد أحدا وما بعدها ، وتخلف في تبوك ، مات أيام قتل علي بن أبي طالب . (الإصابة ، ٣ / ٣٠٢) .

– فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لا وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ .... الحديث) . (٢)

إن قصة المخلفين عن غزوة تبوك والتي خرج لها رسول الله في رجب من السنة التاسعة للهجرة، تمثل مرحلة معينة لا يمكن تصنيفها مع النفاق، وإنما هي تقصير واسترخاء نعاني منه كثيراً في حياتنا المعاصرة، لكن رسول الله ﷺ بمنهجيته التربوية الحكيمة، تمكّن من علاج حالتهم، ودفعهم إلى الأعلى ، **ومجمل القصة :**

أن كعباً ﷺ كان يؤجل التجهيز للخروج حتى فاته، وتلك عاقبة التأجيل، وقد خلت المدينة تقريباً من الرجال، حتى صار كعب لا يرى في طرقها إلا المنافقين وأصحاب الأعذار، وكانت سياسة النبي ﷺ خاصة مع المنافقين، فكان يقبل علانيتهم ويترك سرائرهم لله ﷻ فقد أصدر قراره بأن يترك أمر توبة هؤلاء المتخلفين إلى الله، وهذا درس للمسلمين بألا يأخذوا بالظنون، وأكثر من ذلك فقد قبل اعتذارهم واستغفر الله لهم وذلك من رحمته بالناس، فهو يريد لهم عافية القلوب والأرواح ويتمنى لهم الهداية، ثم كانت تلك المحاورة التي يتحقق بها ﷺ من عذر المذنب ويشعره بعظيم ذنبه، فلما تبين ﷺ أن لا عذر لهؤلاء المتخلفين كانت العقوبة من النبي ﷺ سابقة تاريخية لم يحدث مثلها قبل ذلك، عقوبة من جنس العمل فطالما حذفتم أنفسكم من الجهاد مع المسلمين، فهم يحذفونكم من التعامل والتواصل الاجتماعي، فأمر ﷺ ألا يكلم أحد هؤلاء الثلاثة، وهي عقوبة

---

(١) تبوك : مدينة معروفة تقع في الشمال الغربي للمملكة ، واسمها معروف قبل غزوة النبي ﷺ ، وكانت آهلة بالسكان ، وهي بين الحجر وأول الشام ، ويقال أن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيباً كانوا بها ، وغزوة تبوك كانت آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ ، وأشق غزوة . (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل ، (١٠٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب حديث كعب بن مالك ، (١٦٠٣/٤، ٤١٥٦) ، صحيح مسلم ، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، (٢١٢٠/٤، ح٢٧٦٩) .

نفسية لا تُطال الجسد والمال، وإنما تؤلم النفس وتجلو عنها وهم الفردية والأنانية، حتى تستيقن أن لا غنى لها عن إخوانها في الدين، وأن عليها أن تلتحم معهم وتشاركهم همهم وجهادهم .

لقد عاش هؤلاء الثلاثة أياماً عصيبة وكأنهم في سجن متنقل، يتجرعون كؤوس مرارة الذنب في كل لحظة، وخاصة عندما يصدّ عنهم من يعرفونه ويُعرض عن السلام عليهم، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت كما وصف حالهم القرآن الذي يغني عن أي وصف آخر لوضعهم النفسي في ذلك الوقت .

ويتابع الله امتحان كعب ﷺ، فتأتي رسالة ملك غسان يدعوه للإقامة عنده معززاً مكرماً بدلاً مما هو عليه من الهوان، فينجح في الامتحان ويرمي بالكتاب في النار، فهو مقر بذنبه، مؤمن بتقبل العقاب، راغب في عفو الله.

وتأتي لحظة الفرج بعد أن وصلت المعاناة النفسية إلى القمة، ونجد فرحة المسلمين بتوبة الله على أخيهم لا تقل عن فرحته، فأحدهم يركض بفرسه ليبشره .. وآخر يقف على تل وينادي بأعلى صوته .. وكعب يخلع ثوبيه ويهديه لمن بشره .. والناس في الطريق كلهم يسلمون ويهنئون ... ورسول الله يبرق وجهه من السرور، فهاهي العافية تعود إلى ثلاثة من أصحابه بعد أن زلّت أقدامهم، وكادوا ينحدرون إلى النفاق . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

حين امتثل كعب بن مالك ﷺ أمام رسول الله ﷺ ليستمع إلى عذره، قابله ﷺ بسؤالين يُعدان من أقوى الشواهد على منهجه ﷺ في التثبت والتحقق من المشكلة، وعدم إصدار حكم أو توجيه ما لم يُبنى على معلومات وحقائق يستجوبها ﷺ من صاحب القضية:

١- سؤاله :" ما خلفك ؟ " إنه سؤال منه ﷺ للمذنب، ومنحه الفرصة الكاملة لإبداء عذره ودوافعه، فأجاب بالصدق، حيث كان قادراً على الجهاد ولا عذر يثنيه عن ذلك، وقد حاولت عشيرته الضغط عليه كي يكذب على رسول الله وينتحل أي عذر، لكنه كان على يقين أنه لن ينجو بالكذب .

(١) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٦٠٢) .

٢- سؤاله :" ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ " أي ألم تكن قد اشتريت راحلتك، إنه يتبع السؤال السابق عن الدافع بهذا السؤال ليقرره فيه عن توفر الإمكانات عنده للخروج في سبيل الله ؛ مما يشعره بعظم ذنبه، فلما استمع لدوافعه الشخصية التي لم يكن له عذراً فيها على التخلف، علم ندمه وتوبته، وحكم بصدقه، وكان ممن صدق في عذره مع كعب بن مالك، مرارة بن الربيع[١]، وهلال بن أمية[٢].

الدلالة التربوية :

هناك أمر تربوي هام نلحظه جلياً واضحاً في تصرف رسول الله ﷺ مع كعب حيث قال : (فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني) إنه الإشعار بالحب حتى في حال إيقاع العقوبة، إن إشعار المخطئ أثناء عقوبته بأنك تحبه وتريد له الخير والارتقاء كفيل بأن يعيد التائه إلى جادة الصواب، ويحمي النفس الإنسانية من الخراب واستثارة العناد والمكابرة عند إشعاره بالكره وإرادة الانتقام .[٣]

٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ قَالَ : (كَانَ رَجُلٌ مِنْ الأنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ لَهُمْ فِي الصَّلاةِ فَقَرَأَ بِهَا افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَى مَعَهَا ، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَة، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تفتتح بِهَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ لا تَرَى أَنَّهَا تُجزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ : مَا أَنَا بِتَارِكِهَا ،إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ : يَا فُلانُ مَا يَمْنَعُكَ أن تفعل ما يَأْمُرُك به أَصْحَابُكَ ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلى لزوم هَذه السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَة ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ) .[٤]

---

(١) مُرَارَة بن الرَّبيع الأنصاري الأوسي ، من بني عمرو بن عوف ، صحابي مشهور ، شهد بدرا على الصحيح ، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك ، فتاب الله عليهم . (الإصابة ، ٣ / ٣٩٦) .

(٢) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري الواقفي ، شهد بدراً وما بعدها ، عاش إلى خلافة معاوية .(الإصابة ، ٣ / ٦٠٧) .

(٣) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٦٠٢) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب صفة الصلاة ، باب الجمع بين السورتين في الركعة، والقراءة بالخواتيم وبسورة قبل سورة (٢٦٨/١ ، ٧٤١) .

معنى الحديث :

إن كلثوم بن الهِدْم من بني عمرو بن عوف من سكان قباء، عليه نزل النبي ﷺ لما قدم في الهجـــرة إليها، وهو إمام الأنصار فيها، شكاه الصحابة عند رسول الله ﷺ لالتزامه بافتتاح الصلاة بســـورة الإخلاص في كل ركعة حيث أنه خلاف ما ألفوه من النبي ﷺ، ولرفضه القراءة بغيرها حين طلبوا منه ذلك، وكرهوا أن يؤمهم غيره، إما لأنه أفضلهم وإما لأن النبي ﷺ قرره لهم؛ و لم يذكر الراوي الفاتحة اعتناء بالعلم، لأنه لا بد منها، فيكون معناه افتتح بسورة بعد الفاتحة .

موضع الشاهد ودلالته :

إن الرسول ﷺ أمام هذه المشكلة التي يتلقى فيها شكوى من الصحابة وخلاف بينهم وبين إمامهم على صفة أمر هو من أهم الأمور في حياة المسلم، إنها شكوى قوية من جماعة ضد واحد، مع هذا نرى ثبات رسول الله ﷺ في الالتزام بمنهج السؤال والاستفسار من صاحب الشأن نفسه، والوقوف على الأسباب والدوافع الشخصية ومدى صحتها وأثرها على تقييم العمل، فســـأل ﷺ الإمـــام سؤالين كفيلين بالكشف عن حقيقة الأمر، وهما :

١-" ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟" أي ما المانع الذي منعه من الاستجابة لطلـــب أصحابه من تغيير السورة، وعدم الالتزام بها في كل ركعة، والمقصود :"ما يقول لك أصحابك" أي على سبيل الالتماس، لأن الأمر هو قول القائل لغيره: افعل على سبيل الاستعلاء ،وأما صورة الأمر الذي لا استعلاء فيه لا يسمى أمراً وإنما يسمى التماساً .

٢-" وما يحملك على لزوم هذه السورة ؟ " أي ما الباعث له في التزام ما لا يلزم من قراءة سورة " قل هو الله أحد " في كل ركعة فأجابه بقوله : إني أحبها .

فإن قلت: السؤال شيئان والجواب عن أيهما ؟ نقول إنه جواب عن الثاني مستلزم للأول بانضمام شيء آخر وهو إقامة السنة المعهودة في الصلاة ، فالمانع مركب من المحبة والأمر المعهود، والحامل على الفعل المحبة وحدها، ودلّ تبشيره له بالجنة على الرضا بفعله، ففي الحديث أن المقاصد تغـــير أحكام الفعل، لأن الرجل لو قال إن الحامل له على إعادها أنه لا يحفظ غيرها لأمكن أن يـــأمره بحفظ غيرها ، لكنه اعتلّ بحبها فظهرت صحة قصده، فرضي بفعله وصوّبه . (١)

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١ / ١٠٦ – ١ / ٥٧٤) .

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِـيُّ ﷺ : اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ، فَجُمِعُوا لَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَـلْ أَنْـتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ أَبُوكُمْ ؟ قَالُوا: فُلانٌ فَقَالَ : كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلانٌ، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اخْسَئُوا فِيهَا وَاللَّهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ : هَـلْ أَنْـتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ : هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّـاةِ سُمًّا ؟ قَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ) (١) .

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ أهديت له شاة مشوية مسمومة بعد انتهاء غزوة خيبر سنة ٧هـ، وكان الـذي أتى بها امرأة يهودية ؛ اسمها زينب بنت الحارث – زوجة سلام بن مشكم أحد زعماء خيـبر – أخت مرحب اليهودي الذي قتل في تلك الغزوة فأرادت الانتقام، وأكثرت السـم في الكتـف والذراع لأنه بلغها أن ذلك كان أحب أعضاء الشاة إليه، ثم سمّت سائر الشاة، فتناول رسول الله ﷺ الكتف فنهش منها، فلما لاك منها مضغة لم يسغها، وكان معه بشر بن المعرور(٢) فأكل منها وأساغها، أما رسول الله ﷺ فلفظها وقال: إن الشاة تخبرني، يعني أنها مسمومة، وفي ذلك معجزة ظاهرة في تكليم الجماد له ﷺ ، وعدم تأثير السم فيه بينما مات الذي أكل معه، ولكن بقي أثـر هذه الأكلة يسبب له المرض من حين لآخر، فكان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : يـا

---

(١) صحيح البخاري ، أبواب الجزية والموادعة ، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنـهم ؟ ، (١١٥٦/٣، ح ٢٩٩٨) .

(٢) بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور الأنصاري الخزرجي من بني سلمة، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق ، ومات بخيبر فمن حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة من أكلة أكلها مع رسول الله من الشاة التي سم فيها قيل إنه لم يبرح من مكانه حين أكل منها حتى مات، وقيل بل لزمه وجعه ذلك سنة ثم مات منه وكان من الرماة المذكورين من الصحابة وكان رسول الله قد آخى بينه وبين واقد ابن عبدالله التميمي حليف بني عدي . الاستيعاب ، (١٦٧/١).

عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم – الأبهري عرق في الظهر – .[١]

موضع الشاهد ودلالته :

يبدو لي في هذا الحديث أنه ﷺ قد استخدم أسلوب التدرج في الكشف عن الحقيقة والتوصل إليها، من خلال طرح عدة أسئلة يعلم حتماً أنهم سيكذبون فيها، فيكشف كذبهم، وكان أسلوبه كالآتي في التوصل للحقيقة :

١- جمع كل من له علاقة بالقضية، وإجراء المحاورة جماعية، حيث لم تثبت التهمة و لم تتعين بعد على واحد منهم، وهذا جانب مهم في منهجه ﷺ وهو البعد عن إجراء تحقيق فردي في مثل هذه الحالة، فلقد كان بإمكانه ﷺ استجواب زعماء اليهود أولاً، أو من يُتوقع منهم مثل هذا العمل، أومن يدلّه على المذنب، ولكنه ﷺ عدل إلى الاستجواب العام الشامل لجميع اليهود، يبدو لي أن ذلك أسرع في التوصل للحقيقة، وأبعد عن توجيه التهمة لواحد بعينه عند التحقيق معه .

٢- بدء عملية المحاورة المتدرجة : وأول هذه الأسئلة التي طرحها : السؤال التقريري بصدقهم في حال سؤالهم: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي ؟ وتكراره قبل كل سؤال غايته منه فضح كذبهم ومواجهتهم بحقيقتهم .

٣- طرح الأسئلة التي يعلم رسول الله ﷺ أنهم سيستخدمون الكذب وتضليل الحقائق عند الإجابة عنها، وهما سؤالان : من أبوكم ؟ من أهل النار ؟ وفي كل إجابة لهم كانوا مستمرين في الكذب، فإذا كشف كذبهم صدقوه، وجميع هذه الأسئلة لا علاقة لها مباشرة بالتثبت والتعرف على المشكلة، ولكنها كانت وسيلة ذكية للوصول إلى القضية التي يريد أن يتحقق من وقوعها، وهي وضع السم في الشاة .

٤- سؤاله التحققي الذي يكشف به القضية التي يريدها : هل جعلتم في الشاة سماً ؟ وحينها لم يكن لديهم مجالاً في الاستمرار بالكذب حيث فضحهم في كل سؤال سألهم إياه، وكشف لهم كذبهم فيه، فكانت تلك الأسئلة بمثابة الخناق الذي طوّق به رقابهم، والحصار الذي حاصرهم به، حتى وصل للسؤال حول هذه القضية الخطيرة، فلا مناص من الاعتراف .

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١٠ / ٢٤٥) .

٥- ثم يبلغ منهج التثبت والتحقق حول المشكلة القمة، حين لا يكتفي ﷺ بإقرارهم واعترافهم بألسنتهم بالقيام بهذه الجريمة البشعة في حق أفضل الخلق، بل لا يعلّق بعد هذا الاعتراف المشين بتوبيخ أو تهديد، ولا يصدر حكمه فيهم تجاه هذه الجريمة، إنما بنبرة يكتنفها ظل الهدوء، وتحيطها حكمة الحلم والتروي يسأل سؤاله المعتاد تجاه أخطر القضايا والمشكلات: ما حملكم على ذلك ؟ إنه ﷺ يحاور المذنبين ليستمع إلى دوافعهم، فقد يجد فيها ثغرة تحسّن من موقفهم وتخفف حدته، أو لا يجد فيكون الحكم الصادر مستوفياً جمع جميع الحقائق والأدلة .

" واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا :

١- قيل: إنهم قالوا: ألا نقتلها، قال: لا ، وقيل: لما أسلمت تركها .

٢- قيل إنه ﷺ أمر بها فقتلت .

٣- وقيل: إنه ﷺ دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور،وكان أكل منها فمات بها فقتلوها.

وجه الجمع بين الروايات والأقاويل: أنه لم يقتلها إلا حين اطلع على سحرها، وقيل له: اقتلها، فقال: لا ،فلما مات بشر بن البراء من ذلك سلمها لأوليائه، فقتلوها قصاصاً، فصح قولهم لم يقتلها أي في الحال، ويصح قولهم: قتلها أي بعد ذلك ، والله أعلم" . (١)

فلنتأمل في قدرته الهائلة على العفو والتجاوز في هذا الحديث وفي الأحاديث السابقة، إن سماحته وعفوه قد فتحا القلوب وحولاّ العدو إلى ولي حميم، وجعلا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، إن التفوق الأخلاقي الذي اتصف به رسول ﷺ خلّف انتصاراً نفسياً محا به الأضغان، وأشاع به الحب في ذلك الزمن، بل إنه يشع عبر التاريخ ليطهر أعماقنا ويمسح قلوبنا .

٧- عَنْ أَنَسٍ ﷺ : (أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ(٢) اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا فَكَانَ مَعَهَا فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ(١) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا هَذَا الْخِنْجَرُ ؟

---

(١) عمدة القاري ، (١٥/ ٩٢)

(٢) أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن النجار ، اختلف في اسمها فقيل: سهلة وقيل: رميلة ، ويقال: الغميصاء أو الرميصاء ، كانت تحت مالك بن النضر أبي أنس بن مالك في الجاهلية ، فولدت له أنس بن مالك فلما جاء الله بالإسلام أسلمت مع قومها وعرضت الإسلام على زوجها فغضب عليها وخرج إلى الشام فهلك هناك ، ثم خلف عليها بعده أبو طلحة الأنصاري خطبها مشركاً ، فلما علم أنه لا سبيل له إليها إلا بالإسلام أسلم وتزوجها وحسن إسلامه، فولد له منها غلام كان قد أعجب به، فمات صغيرا فأسف عليه ويقال أنه أبو عمير صاحب النغير ثم ولدت له عبد الله بن أبي طلحة فبورك

قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنْ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ) . (٢)

إن دروساً عظيمة تتجلى في هذا الموقف بين أم سليم رضي الله عنها ورسول الله ﷺ :

شجاعة المرأة في عهدها المدني الذي قد تفوق به الرجال، حين أقبل رسول الله وجيشه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل، فشدت عليهم، وانكفأ الناس منهزمين، لا يقبل أحد على أحد، فلما انهزم الناس تكلم ضعاف الإيمان بكلام فضح دخائلهم، وثبت مع رسول الله في هذا الموقف نفر من أهل بيته، وكان رسول الله يعرف مفاتيح قلوبهم، وكيف يحول خوفهم إلى إقدام ، فأصبح يناديهم بأصحاب البيعة، حتى انعطفوا إليه هاتفين: ياالبيكاه، وهرعوا إلى رسول الله ﷺ، وفي وسط هذا الهول العظيم، والمحنة القاسية، التي يعيشها رسول الله وصحبه الذين ثبتوا معه في غزوة حنين، نرى أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها حازمة وسطها ومعها جمل أبي طلحة، وهي حبلى بعبد الله بن أبي طلحة، تحمل الخنجر؛ لتدافع عن رسول الله ﷺ، وتقتل كل من خذله، إنها بصمة مشرقة مضيئة تبصمها المرأة في تاريخ حياتها، وإن ما نعيشه اليوم من خذلان، وذلة وصغار ليس إلا بسبب مرض ذلك الشريان النابض بالحياة الذي يغذي أبناء هذه الأمة، المرأة التي تناست أنها حفيدة فاطمة وعائشة وأم سليم ، وغابت عن ذاكرتها سيرهن العطرة، وأصبحت لاهثة وراء سراب زائف .

فرسول الله لم يمنع المرأة من الخروج إلى المعارك بعد نزول آية الخمار، المهم في الأمر أن ندرك الأولويات في خدمة الإسلام، وأن نرى كيف أن لباس المرأة الإسلامي ، وبعدها عن الاختلاط بالرجال لم يحجبها عن المشاركة الفعلية في بناء المجتمع، وصيانته والدفاع عنه . (٣)

فيه ، وهو والد إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة الفقيه وإخوته وكانوا عشرة كلهم حمل عنه العلم وروت أم سليم عن النبي ﷺ أحاديث وكانت من عقلاء النساء . (الاستيعاب ، ٤/١٩٤٠) .

(١) أبو طلحة الأنصاري اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي ، شهد العقبة ، ثم شهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، وقيل إنه قتل يوم حنين عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم ، كانت تحته أم سليم بنت ملحان وعقبه منها ،واختلف في وقت وفاته ، فقيل : توفي سنة إحدى وثلاثين، وقيل توفي سنة أربع وثلاثين ، وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان بن عفان . (الاستيعاب ، ٤/١٦٩٧) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة النساء مع الرجال ، (٣/١٤٤٢، ح ١٨٠٩) .

(٣) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٢٥٥) .

موضع الشاهد ودلالته :

إن ثباته ﷺ ومنهجيته في الوقوف على سبب المشكلة تتضح بارزة في هذا الحديث، ففي هذا الوقت العصيب الذي يعيشه ﷺ يسأل أم سليم فور تنبيه أبو طلحة له بحيازة زوجته أم سليم للخنجر – "وهي سِكِّين كَبِيرَة ذَات حَدَّيْن"[1] – عن سبب اتخاذها له، بقوله : ما هذا الخنجر ؟ ، فلما أخبرته بأنها أرادت به شق بطون الطلقاء وهم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح، سُمُّوا بذلك لأن النبي ﷺ منّ عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعف، فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون، وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم، فبيّن لها ﷺ أن الله قد كفاهم ذلك، فهم أُخذوا قهراً وأَسلموا أنفسهم عجزاً . (٢)

وكم يشتد إعجابي به ﷺ وبأسلوبه التربوي الذي تتقاصر أمامه جميع أساليب التربية الحديثة ونظرياتها :

١ – فإن سؤاله : ماهذا الخنجر ؟ سؤال يقصد به معرفة سبب حمل هذا الخنجر ؟ وقد فهمت أم سليم رضي الله عنها المقصود وأجابت عليه، ومع هذا اختار صيغة سؤال هي ألطف بكثير من صيغة السؤال بلماذا ؟ التي قد تحمل نوعاً من اللوم والتوبيخ .

٢– كما أنه ﷺ لم يغضب ولم ينهر ولم يوبخ تصرفها المبني على اعتقاد خاطئ، بل كان في ضحكه ﷺ قبل تصحيح اعتقادها قمة الروعة في معالجة المشكلات وسط جو يكتنفه الود وسعة الصدر .

٨– عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ [3] ﷺ قَالَ : (قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلاً مِنْ الْعَدُوِّ فَأَرَادَ سَلَبَهُ فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ – وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ – فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ ؟ قَالَ : اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : ادْفَعْهُ إِلَيْهِ ، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ : لا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي ؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ

---

(١) مختار الصحاح ، أبو بكر الرازي ، (١ / ٨٠) .

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢ /١٨٧) .

(٣) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني ، أبو عبد الرحمن ، شهد فتح مكة ، شهد خيبر ونزل حمص ، وبقي إلى خلافة عبد الملك ، مات سنة ٧٣ هـ . (الإصابة ، ٣ / ١٨٢) ، (التهذيب ، ٦ / ٢٨١) .

وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إبلاً أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ فَصَفْوُهُ لَكُمْ وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ) . (١)

هذه القصة جرت في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة، يحكيها لنا عوف بن مالك ﷺ ؛ وإن كانت تدينه في موقف مع خالد ﷺ قائد الخلاص في مؤتة، وهنا تتجلى الموضوعية والصدق والأمانة في نقل الصحابة للأخبار والوقائع .

قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة(٢) فرافقني مددي من أهل اليمن- يعني رجل من المدد الذين جاؤا يمدون جيش مؤتة ويساعدوهم- ليس معه إلا سيفه، فنحر رجل من الجيش جزوراً له، فسأله المددي من جلده فأعطاه إياه، فبسطه في الشمس على أطرافه فلما جفّ اتخذه كهيئة الدرقة – شيء كالترس (٣)-، ومضينا حتى لقينا الروم فقاتلونا قتالاً شديداً، ومعهم رومي على فرس له أشقر، عليه سيف مُذهّب وسلاحه مذهب فيه الجوهر وسرجه مذهّب، فجعل يغري بالناس، فتلطف المددي فجلس له جانب صخرة ،فلما مرَّ به ضرب عرقوبي فرسه فقعد على رجليه وخر عنه الرومي، وعلاه المددي بالسيف حتى قتله وأخذ سلبه، فأتى به خالد ابن الوليد، فلما فتح الله علينا؛ أعطاه خالد بن الوليد السلب وأمسك منه، فقلت: يا خالد أما علمت أن النبي ﷺ قضى بالسلب للقاتل، قال : بلى، فقلت :فلم لم تعطه السلب كله ؟ قال : استكثرته، قلت: لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ فأبى أن يرد عليه، قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد (٤) .

موضع الشاهد ودلالته :

إن موقف الرسول ﷺ في هذه القصية يزيد منهجيته في التحقق والتثبت والوقوف على سبب المشكلة ودوافعها سمواً ونوراً ، وذلك من خلال :

---

(١) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٣٠).

(٢) مؤته :قرية معروفة من قرى البلقاء في حدود الشام عند الكرك، وهي من البلاد الأردنية اليوم، بها قبر جعفر بن أبي طالب، بعث النبي ﷺ إليها جيشاً في سنة ثمان. معجم البلدان، (٥/٢٢٠)،شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢/٦٦).

(٣) هذا معنى الدرقة ، كما ورد في النهاية ، (١/ ٣٠٨) .

(٤) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢/٦٦) ، تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، (٤٧ / ٣٨).

١- التزامه ﷺ بكامل الهدوء والثبات أمام قضية خطيرة جداً، وتصرف مخالف لحكم الشريعة، وممن صدر؟ صدر من والي وقائد ولاّه رسول الله وأتمنه على شؤونهم، وعدم التعبير عن رفض الموقف أو حتى استغرابه لا تلميحاً ولا تصريحاً .

٢- سؤال صاحب القضية شخصياً عن دوافعه لهذا العمل، دون أن يحمل السؤال أي نوع من التوبيخ، ومن هنا يبدو لي أن السؤال عن الدافع جانب مهم وأساسي في منهجيته ﷺ للتحقق والتثبت وتقييم المشكلة قبل إصدار الحكم، فالرسول ﷺ يسأل خالداً هذا السؤال، مع أن عوفاً أخبره بالقصة كاملة بما فيها الدافع لهذا العمل وهو استكثاره ذلك السلب على الرجل، ومع ذلك يسأل ﷺ ليستقي الحقائق من صاحب القضية دون غيره، ويمنحه فرصة المدافعة عن نفسه، ولعلّه يجد دوافع أخرى يكون لها أثر في تغيير مجرى الحدث .

٣- علاج المشكلة عنده ﷺ يتسم بغاية الأدب، وحفظ مكانة المخطئ وهيبته، وتقدير وضعه الاجتماعي، فلا يتعدى علاجه كونه ﷺ يأمره بتصحيح العمل، دون أن يبين أنه أساء التصرف أو أخطأ ، أو اقترف ذنباً ..، فكانت هذه الجملة الراقية :" ادفعه له ياخالد " كفيلة بأن تُفهم خالداً جميع هذه المعاني دون أن تمس شخصه، وتجرح شعوره .
إن القلم ليقف حائراً ليسجل بعض الكلمات يصف بها روعة هذا الموقف، فلا يجد ما يوفي بحقه ، فماذا لو استنار كل مربي ومعلم وموجه في تعامله مع جميع مستويات الأفراد بقبس من هذه المنهجية العظيمة، وهذا الخلق الرفيع، إننا والله سننتج أجيالاً في قمة الرقي والعزة .

٤- موازنته ﷺ للأمور، وقياسها بعين الحكمة، والرجوع عن رأيه وحكمه في حال درء مفسدة أو جلب مصلحة، فهاهو ذا يرجع عن رأيه فينهاه عن إمضاء أمره من دفع السلب لصاحبه، بقوله: لا تعطه يا خالد، بل وغضب ﷺ بينما لم يظهر منه غضب تجاه تصرف خالد، حين استشف من أسلوب عوف ﷺ نغمة التشفي والانتصار في عبارته لخالد – إن صح التعبير – " وتوقع ﷺ أن

يُجسر على أمرائه فيما بعد، فرأى ﷺ أنه من المصلحة إمضاء ما فعلوه أولاً؛ ليكون ذلك أبلغ في نفوذ أوامرهم وأمنع من الجرأة عليهم ". (١)

٥- توضيح الموقف وبيانه ، فلا يرجع ﷺ عن حكمه وقراره إلا بعد أن بيّن لهم السبب في ذلك "وهو أن الرعية يأخذون صفو الأمور فتصلهم أعطياهم بغير نكد، وتبتلي الولاة بمقاساة الأمور وجمع الأموال على وجوهها وصرفها في وجوهها، وحفظ الرعية والشفقة عليهم والذب عنهم وإنصاف بعضهم من بعض ثم متى ما وقع عتب في بعض ذلك توجه على الأمراء دون الناس". (٢)

إنه جانب مهم يجب أن يؤخذ بعين اعتبار كل مربي ومعلم؛ حفظ مكانة المخطئ والدفاع عنها ، وعدم السماح للمشتكي وغيره من النيل منها ، حتى لو استدعى الأمر إمضاء سلوكه الخاطئ .

وهذا الحديث قد يستشكل من حيث أن القاتل قد استحق السلب فكيف منعه إياه؟ ويجاب عنه بوجهين :

أحدهما : لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل، وإنما أخّره تعزيراً له ولعوف بن مالك ؛ لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد ﷺ وانتهكا حرمة الوالي ومن ولاّه .

الوجه الثاني:" لعله استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد ﷺ للمصلحة في إكرام الأمراء " (٣).

٩- عن سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ: (أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْزِلُ عَنْ امْرَأَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أُشْفِقُ عَلَى وَلَدِهَا أَوْ عَلَى أَوْلادِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ كَانَ ذَلِكَ ضَارًّا ضَرَّ فَارِساً وَالرُّومَ) . (٤)

---

(١) الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٦ / ٦٩) .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢/٦٤) .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢/٦٤) .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل (٢/١٠٦٧ ، ح ١٤٤٣) .

معنى الحديث :

بيانه ﷺ لجواز وطء الحامل والمرضع؛ لانتفاء سبب الامتناع عن ذلك، وهو خوف الضرر على الولد، قياساً على عدم وقوع الضرر عند فارس والروم، فالرسول ﷺ استفاد من تجارب غير المسلمين في باب المصالح والمفاسد، ويؤيد ذلك حديث جُدَامَة بنت وهب أخت عكاشة(١) عن رسول الله ﷺ : (لقد هممت أن أنهى عن الغيلة (٢) فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً) .(٣)

موضع الشاهد ودلالته :

يتثبت الرسول ﷺ ويتحقق في هذا الحديث من السبب حين سأله الرجل عن قضية هامة – وهي الامتناع عن الإنزال أثناء الجماع – فلم يجبه ، و لم يعطه حكماً؛ حتى سأله عن الدافع الذي يدفعه لذلك، بقوله : " لم تفعل ذلك ؟ " ، فلما ذكر الدافع من إرادته العزل، بأنه الخوف على ولدها ، حيث كان سائداً أنه إذا حملت المرأة وهي ترضع فإن اللبن يضر رضيعها؛ وهذا أحد الأمور التي تحمل على العزل، ومنها الفرار من كثرة العيال، والفرار من حصولهم من الأصل، ومنها خشية علوق الزوجة الأمة لئلا يصير الولد رقيقاً، وكل ذلك لا يغني شيئاً لاحتمال أن يقع الحمل بغير الاختيار، (٤) فلما استمع لدافعه بنى حكمه ﷺ اجتهاداً، ووجه الاجتهاد أنه لما علم برأي أو استفاضة أنه لا يضر فارس والروم قاس العرب عليهم للاشتراك في الحقيقة . (٥)

١٠- عن ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لامْرَأَةٍ مِنْ الأنْصَارِ: مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا ؟ قَالَتْ : لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلا نَاضِحَانِ، فَحَجَّ أَبُو وَلَدِهَا وَابْنُهَا عَلَى نَاضِحٍ، وَتَرَكَ لَنَا نَاضِحًا نَنْضِحُ عَلَيْهِ، قَالَ : فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً) .(٦)

---

(١) جدامة بنت وهب، ويقال: جذامة بالذال المعجمة، بنت جندب الأسدية، أخت عكاشة بن محصن لأمه ، روت عن النبي ﷺ في النهي عن الغيلة روت عنها عائشة، وكان إسلامها قديماً ،وهاجرت مع قومها إلى المدينة ، الإصابة، (٥/ ٥٥٢) ،

(٢) الغيلة : وطء المرضع ، (شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٠ / ١٥) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل ، (٢/١٠٦٦، ح ١٤٤٢) .

(٤) انظر ، نيل الأوطار ، (٦/٣٥٠) .

(٥) انظر ، شرح الزرقاني ، (٣/٣٢٠) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب أبواب العمرة، باب عمرة في رمضان ، (٢/٦٣١، ح ١٦٩٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل العمرة في رمضان ، (٢/٩١٧، ١٢٥٦) .

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ بعد رجوعه من حجته – حجة الوداع – تفقد من لم يؤد الحج معه، وحين علم أن هذه المرأة تخلفت عن الحج، حيث كان قد أذَّن في الناس بالحج أذاناً يعم الرجال والنساء، أعلمها أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض. (١)

موضع الشاهد ودلالته :

يأتي هذا الحديث لينضم للأحاديث السابقة التي تتضمن اللمسات التربوية في منهجه ﷺ أثناء التحقق والتثبت من الأمور:

١- سؤاله ﷺ هذه المرأة – قيل إنها أم سنان الأنصارية - التي تخلفت عن الحج عن سبب تخلفها عن الحج، بقوله : ما منعك أن تحجي معنا ؟ دون لوم أو توبيخ، واستمع للسبب الذي اقتضى تعذر ذلك، وهو عدم توفر الإمكانات التي تستطيع معها الحج، فلم تجد ما تُحمل عليه، حيث كان مع زوجها بعيران، أحدهما :حج عليه زوجها وابنها ، وكان الآخر: يسقي نخلاً لهم.

٢- تطييب خاطر هذه المرأة ، وإرشادها لعمل يعوض لها ما فاتها ويماثله ، ويكون في حيز استطاعتها ومقدورها ، وذلك حين تحقق عذرها ، وعلم أنها متحسرة لما فاتها من ثواب الحج معه، حضّها على العمرة في رمضان، وأخبرها أنها تعدل لها حجة معه، ووجه ذلك : أنها لما صحت نيتها في الحج معه، جعل ثواب ذلك في العمرة في رمضان جبراً لها، ومجازاة بنيتها . (٢)

إن مواقفه ﷺ بعد الاستماع للدوافع والأسباب حول المشكلة، مواقف رائدة تفوق ما سطّر من نظريات، وما نودي به من أساليب في عالم التربية .

---

(١) انظر ، المفهم (٣ / ٣٦٩) .

(٢) انظر ، المفهم (٣ / ٣٦٩) .

١١- عن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ الْخُزَاعِيُّ [١] ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ رَأَى رَجُلاً مُعْتَزِلاً لَمْ يُصَلِّ فِي الْقَوْمِ فَقَالَ : يَا فُلانُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الْقَوْمِ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ، وَلا مَاءَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ) .[٢]

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ وهو راجع من سفر مع أصحابه – قيل: أنه بعد رجوعه من خيبر ، وقيل: بعد رجوعه من الحديبية – يرى ﷺ موقفاً مثيراً للاستغراب، بل قد يستدعي الغضب، فحين تتراص الصفوف مكبرة الله لإقامة الصلاة؛ إذا بخلاد بن رافع بن مالك الأنصاري، [٣] يبتعد عن المصلين ويجلس في ناحية من المسجد تاركاً الصلاة معهم .

موضع الشاهد ودلالته :

يتضح جلياً منهج التثبت والتحقق من المشكلة والوقوف على سببها في تعامله ﷺ مع هذا الموقف من خلال :

١- انتظاره ﷺ حتى خرج الرجل من المسجد كما ورد في بعض الروايات "فلما انصرف" حتى يتأكد من سبب تصرفه، فلم يسأله في حضور الجماعة منعاً من إحراجه، وحفظاً لمكانته .

٢- سؤاله ﷺ عن المانع الذي منعه من الصلاة، بقوله : ما منعك أن تصلي في القوم ؟ دون أن يحمل السؤال نبرة لوم أو توبيخ، إنما هي صيغة تحمل كمال اللطف في الإنكار، فتؤكد أن هناك مانعاً قويا دعاه لذلك، وليس تفريطاً أو تهاوناً .

٣- بعد السؤال والاستفسار، وسماع الدوافع والأسباب، حيث أجاب : أصابتني جنابة ولا ماء ؛ أي معي أو موجود ،وهو أبلغ في إقامة عذره، تأتي أحكامه ﷺ الربانية بلسماً شافياً، وسماحة تيّسر كل الصعاب، واكتفائه ﷺ في البيان بما يحصل به المقصود من الإفهام، لأنه أحاله على الكيفية

---

(١) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نجيد، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر ، مات بالبصرة سنة ٥٢ هـ ، وكان الحسن البصري يحلف بالله ما قدمها راكب خير من عمران بن حصين . (التهذيب ، ٦ / ٢٣٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة، باب التيمم ضربة ، (١/١٣٤، ح ٣٤١).

(٣) خلاد بن رافع بن مالك الخزرجي أخو رفاعة، يكنى أبا يحيى ، من البدريين، وقيل : إنه المسيء في صلاته . (الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢/٣٣٨)

المعلومة من الآية و لم يصرح له بها، ودل قوله : " يكفيك " على أن المتيمم في مثل هذه الحالة لا يلزمه القضاء، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: " يكفيك "أي للأداء فلا يدل على ترك القضاء . (١)

دلالات أخرى من الحديث :

ويدل الحديث على جواز الاجتهاد بحضرة النبي ﷺ لأن سياق القصة يدل على أن التيمم كان معلوماً عندهم لكنه صريح في الآية عن الحدث الأصغر بناء على أن المراد بالملامسة ما دون الجماع، وأما الحدث الأكبر فليست صريحة فيه فكأنه كان يعتقد أن الجنب لا يتيمم فعمل بذلك مع قدرته على أن يسأل النبي ﷺ عن هذا الحكم، ويحتمل أنه كان لا يعلم مشروعية التيمم أصلاً فكان حكمه حكم فاقد الطهورين. (٢)

١٢- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ (٣) ﷺ قَالَ: (دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّه ﷺ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النَّاسِ ، قَالَ: فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِسَ ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه!رَأَيْتُكَ جَالِسًا وَالنَّاسُ جُلُوسٌ ، قَالَ : فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلا يَجْلِسْ حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ) . (٤)

معنى الحديث :

تقديم تحية المسجد على تحية أهله، وقد جاء صريحاً من قوله وفعله، فكان يصليها ثم يسلم على القوم ،إذ القصد تعظيم المسجد، ولذلك كره تركها بلا عذر، ثم هذا عام خص منه داخل المسجد الحرام، ومن اشتغل إمامه بفرض، ومن دخل حال الإقامة وغير ذلك من الصور التي لا تشرع فيها التحية . (٥)

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٤٥١/١) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٤٥١/١) .

(٣) أبو قتادة : اسمه الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري السلمي ، فارس رسول الله ، شهد أحدا وما بعدها ، توفي بالكوفة ٥٤ هـ وهو ابن ٧٠ سنة . (التهذيب ، ١٠ / ٢٢٩) ، (الإصابة ، ٤ / ١٥٨) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات ، (٤٩٥/١ ، ح ٧١٤) .

(٥) انظر ، فيض القدير ، (٣٣٧/١) ، شرح الزرقاني ، (٤٦٥/١) .

موضع الشاهد ودلالته :

أن رسول الله ﷺ يستفهم من ذلك الصحابي الذي دخل المسجد دون أن يصلي تحية المسجد، بقوله : " ما منعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس ؟ " فلما أجابه بأن السبب رؤيته الجميع جلوساً فاقتدى بهم، أمره النبي ﷺ بأداء ركعتين تحيةً للمسجد قبل الجلوس، وإنما عاب عليه تقصيره عن حفظ نفسه في استعمال السنة مع قدرته عليها، لا أن ذلك كان واجباً عنده، والصارف عن الوجوب خبر :" هل علي غيرها ؟، قال: لا إلا أن تطوع "[(١)].

١٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً عَلَى خَيْبَرَ فَجَاءَهُ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ [(٢)]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَكُلُّ تَمْرِ خَيْبَرَ هَكَذَا ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَأْخُذُ الصَّاعَ مِنْ هَذَا بِالصَّاعَيْنِ وَالصَّاعَيْنِ بِالثَّلاثَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لا تَفْعَلْ، بِعْ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا) . [(٣)]

معنى الحديث :

النهي عن التفاضل بين النوعين من التمر، وبيان الطريقة الصحيحة المشروعة في بيع التمر الرديء ، وشراء التمر الجيد .

موضع الشاهد ودلالته :

يتجلى لنا في هذا الحديث فطنة الرسول ﷺ وانتباهه لكل أمر يخالف المعهود، والبحث فيما وراءه ليستوثق من حقيقة الأمر، فهاهو ﷺ يتحقق من عامله الذي جاء له من خيبر بتمر جيد على خلاف ما يعلمه ﷺ عنه، فهو يعلم أن تمر خيبر ليس على صفة واحدة، فلم يقتنع بعلمه في تمر خيبر، حتى سأل عامله : أكل تمر خيبر هكذا ؟ سؤال غاية في كشف حقيقة الأمر، فيتحقق من موجب التغيير ومن الطريقة التي جعلت عامله يجلب تمراً جيداً كهذا، فسؤاله حقق أمرين مهمين:

١- التحقق من وجود احتمالات قد تغير مجرى الحكم، فلعل العامل باع ذلك على وجه يجوز ، واشترى هذا، أو غير ذلك من الاحتمالات .

---

(١) انظر ، فيض القدير ، (٣٣٧/١) ، شرح الزرقاني ، (٤٦٥/١) .

(٢) جنيب : نوع جيد معروف من أنواع التمر . (النهاية ، ١ / ٣٠٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه ، (٧٦٧/٢ ، ح ٢٠٨٩) ، صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب بيع الطعام مثلا بمثل (١٢١٥/٣، ح ١٥٩٣) .

٢- الاستيثاق من عدم مشروعية الطريقة التي تم الحصول بها على هذا التمر، فلو ما سأل ﷺ حين أتوه بالتمر الطيب، ما كان يعلم بهذا الفساد الذي وقع فيه، بعد تحقيقه ﷺ موجب الحكم بالسؤال والاستفسار. [١]

١٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : (..فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ [٢]: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : بَخٍ بَخٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِه[٣]، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ : فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ) ."[٤]

معنى الحديث :

إن هذا الصحابي الجليل يعيش الإيمان مشاعر نابضة، ويصبح عالم الغيب عنده من الجنة كأنما هو عالم شهادة، يشهده بيقين قلبه، فما بين عالم الغيب وعالم الشهادة إلا لحظات من خلال الشهادة، وهذا ما حدا بعمير ﷺ وهو يسمع النداء النبوي الخالد من رسول الله ﷺ يوم بدر أن يقول: بخ بخ، فعمير المؤمن الحق، كان في عالم الرجاء، واستحال يقينه إلى عالم الواقع حين قال ﷺ :إنك من أهلها ، و لم يتمالك أن يتم التمرات التي في يديه وألقى بهن، ومضى يقاتل حتى قتل . [٥]

---

(١) انظر ، بهجة النفوس ، (٢ / ١١٥٨) .

(٢) عُمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ،شهد بدراً .(الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤/ ٧١٥) .

(٣) من قرنه : أي من جعبة النشاب . (النهاية في غريب الأثر ، ٤/ ٥٥) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، (٣/١٥٠٩ ، ح ١٩٠١) .

(٥) انظر ، المنهج التربوي للسيرة النبوية " التربية الجهادية " ، منير الغضبان ، (١/ ٥٨) .

موضع الشاهد ودلالته :

إن منهج الرسول ﷺ في التثبت والتحقق من كل قول أو فعل مثير للاهتمام؛ يظهر واضحاً في هذا الحديث، فرسول الله ﷺ تستوقفه كلمة انطلقت من رجل من أصحابه؛ في وقت عصيب من أوقات المعركة حيث دنا المشركون منهم، فها هو ﷺ يسأل عن الدافع الذي دفع عميراً ؓ لقول بخ بخ ،بسؤاله له : ما حملك على قولك بخ بخ ؟ حيث أنها كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير، فقد يكون مستعظماً مواجهة المشركين، أومستشعراً خطورة الأمر، أو غير ذلك من الأسباب، ولذا كانت إجابة عمير نافية لكل احتمال قد يرد في ذهنه ﷺ بقوله : " لا والله"، غير تمنيه الفوز بالجنة .

وقد جاء حكمه ﷺ بأن عميراً من أهل الجنة، بعد معرفته الحامل والدافع لهذه المقولة، وبعد أن استوثق من صدقه مع الله؛ كالشعلة التي أوقدت نار الحماسة فجعلت عميراً يرمي تمراته، وينطلق منغمراً في صفوف الكفار حتى قتل، فقاتل في بدر حتى استشهد. (١)

الدلالات التربوية:

١- شجاعته ﷺ والتي تظهر في تقدمه صف الجيش، والتأكيد عليهم بعدم التقدم عليه .

٢- علمه ﷺ بما يزيد من همّة النفس المؤمنة الصادقة، ويشعل حماستها، فينادي بالتسابق إلى الجنة، مذكراً لهم أن هذا هو جزاء الجهاد وثوابه .

ففي كل هذه الأحاديث يطرح الرسول ﷺ سؤالاً يستفهم به عن الدافع والسبب الذي حمل الصحابي على القيام بذلك السلوك، قبل إصدار الحكم؛ فقد يكون هناك من الدوافع والأسباب المشروعة ما يبرره، ويحوّله من سلوك غير مقبول إلى نقيضه .

إن التعرف على سبب المشكلة، وتحديد دوافعها، جانب من جوانب العدل نحتاج إليه في كل حال من أحوالنا الفردية والجماعية، وذلك في حل مشاكلنا ومعالجة أخطائنا معالجة شرعية تسيطر

(١) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣/٤٥) .

عليها روح المحبة والإخلاص، وبهذه الأحاديث يتضح لنا القسطاس المستقيم الذي انتهجه الرسول ﷺ في معالجة هذه الأخطاء رغم شناعة بعضها وخطورته .

" إن هذه الطريقة العلمية التي تعد من أسمى ما وصلت إليه الإنسانية في سبيل تحرير الفكر والضمير هي طريقة الإسلام، وهي منهج القرآن والسنة في الحوار، فالقرآن والسنة يعتمدان اعتماداً كبيراً على أسلوب الحوار في توضيح المواقف، وجلاء الحقائق، وهداية العقل، وتحريك الوجدان، واستجاشة الضمير، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة، والتدرج بالحجة؛ احتراماً لكرامة الإنسان، وإعلاءً لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور" . (١)

ومما يثير عندي الدهشة، ويسترعي الانتباه أنه ﷺ لم يستخدم صيغة السؤال : لماذا فعلت كذا ؟ أثناء معالجته للمشكلة، وإنما كان استفهامه عن المانع عن العمل، أو الدافع للعمل، بصيغة : ما منعك من كذا ؟ ما حملك على كذا ؟ ويؤيد ذلك ما رواه أَنسٌ ﷺ قال : (كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَة، فَقُلْتُ : وَاللَّه! لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّه ﷺ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّه ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قال: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْت حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّه! قَالَ أَنَسٌ : وَاللَّه لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ هَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا) .(٢)

وأحسب أن السؤال بهذه الصيغة من الأسئلة المفتوحة أو المفوّضة، التي تمنح الفرصة للمسئول بالتعبير، وإبداء رأيه ودوافعه، وتفتح قناة اتصال بينه وبين السائل، على عكس السؤال بصيغة: لماذا؟ أحسب أنه يحمل الكثير من التوبيخ، ولا يُشعر المسئول باستعداد السائل للاستماع .

إن طرح السؤال على المتعلم حول الأسباب والدوافع التي أدت للوقوع في الخطأ، يشعره بثقة المعلم فيه، وأن صدور السلوك الخاطئ منه ليس عن تهاون واستهتار، بل لا بد أن هناك دافعاً قوياً حدا به لهذا السلوك، وهكذا يشعر المتعلم بنظرة المعلم الإيجابية نحو تصرفاته وسلوكياته .

---

(١) الحوار بين أهل الحق والباطل ، (٢٧) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب النبوات ، باب كان الرسول ﷺ أحسن الناس خلقا ، (١٨٠٥/٤ ، ح ٢٣١٠) .

وقد توصَّلَت إلى هذه النتيجة بعض كتب التربية الحديثة؛ مستدركة على نتائج الدراسات التي تؤيد استخدام السؤال بصيغة لماذا ؟ ؛ حيث تقول :

" عندما يسعى المعلمون جادين في استعمال الأسئلة الأكثر إنتاجية، يكون الميل للأسئلة من فئة " لماذا ؟ " كبيراً ، فالصيغتان " لماذا ؟ " و " لماذا تعتقد ذلك ؟ " أسهل ما يطرق اللسان، ويبدو أنه من السطحية القول بأن هاتين الصيغتين تدعوان الطلاب للتفكير .

في بعض الحالات تكون أسئلة " لماذا ؟ " منتجة، ولكن في الأغلب الأعم هي مجردة من تلك الصفة، ومهما كان مستوى الحرص في إخراج نبرة " لماذا ؟ " يبدو صدى " لماذا ؟ " وكأنه جلسة تحقيق، ويشعر الطلاب أنهم قد حوصروا .

أما صيغة " لماذا تعتقد ذلك ؟ " فتدفع الطلاب لاتخاذ مواقف دفاعية، والإحساس بضرورة الدفاع، شعور لا يوصل إلى التفكير المنتج، وفرص الإنتاجية تكون أكبر في حالة تعديل بؤرة تركيزه، أو طلب المزيد من المعلومات . " (١)

إن طرح الأسئلة التي لا تحمل معنى الجزم بوقوع الخطأ من المخطئ، حتى في التحقيقات الجنائية الخطيرة، تشهد أن رسول الله ﷺ كان حريصاً كل الحرص على النفس الإنسانية ذاتها وحفظ عزتها وأنفتها، وعدم النيل منها بأساليب التوبيخ والتقريع والتشهير، فهي القضية الأهم قبل تصحيح السلوك .

فصلوات ربي وسلامه على الحبيب المصطفى أعظم مربٍّ على الإطلاق، أصَّل لنا بقوله علماً ، وبسلوكه رسم لنا منهجاً قويماً، إني لأتوقع أثراً تربوياً عظيماً في استخدام هذا الأسلوب حال وقوع خطأ أو مشكلة من المتربين على جميع المستويات والأعمار المختلفة .

إن الابتعاد عن صيغة لماذا ؟ واستبدالها بالسؤال عن المانع من العمل الجيد ؟ أو الدافع والحامل للعمل غير المقبول ؟ سيجعل مسار الحوار في أعلى وأرقى مستوياته ، وستتولد منه استجابات

(١) فن طرح السؤال الصحيح ، د. سلمى واسرمان ، (٥٤) .

أفضل، وامتثال أقوى، إضافة لما تمنحه صيغة هذا السؤال من كفايات نفسية وفكرية تتجلى في حفظ مكانة المسئول واعتزازه بنفسه، وتنمية قدرته على التعبير وإبداء الرأي، وتحليل الموقف وعرض أسبابه .

وفي ختام هذا المبحث لا بد من التنبيه إلى أنه كانت هناك نصوصٌ تحتمل أن ندخلها ولكننا آثرنا عدم إدخالها حيث رأينا أنها أسئلة طبيعية، فهي غير مناسبة للمبحث من حيث الارتباط، وآثرنا أن نشير لعدم ذكرنا لها فربما يجد غيرنا فيها ما يفيد، وإن شاء أن يخالفنا الرأي في موقفنا من عدم إدراج تلك الأحاديث، وهي أحد عشر نصاً :

١- حديث عَدِيّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ (١) ﷺ قَالَ :(سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ...) .(٢)

٢- حديث سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ (٣) (لَمَّا أَمْسَوْا يَوْمَ فَتَحُوا خَيْبَرَ أَوْقَدُوا النِّيرَانَ) (٤)

٣- حديث أَنَس ﷺ : (كَانَ النَّبِيّ ﷺ يَدْخُل بَيْت أُمّ سُلَيْمٍ فَيَنَام عَلَى فِرَاشهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ ، فَجَاءَ ذَات يَوْم فَقِيلَ لَهَا فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرَق فَاسْتَنْقَعَ عَرَقه عَلَى قِطْعَة أَدِيم(٥) على الفراش ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا (٦) ..) . (٧)

---

(١) عدي بن عميرة : بفتح أوله ، بن فروة بن زرارة بن الأرقم ، بن النعمان بن عمرو بن وهب ، الكندي صحابي معروف يكنى أبا زرارة ، له أحاديث في صحيح مسلم وغيره ، روى عنه أخوه العرس ، مات بالكوفة سنة أربعين . (الإصابة ، ٤/٤٧٦) ، (التهذيب ، ٥ / ٥٣٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، (٣/ ١٤٦٥ / ح ١٨٣٣).

(٣) سلمة بن الأكوع : هو سلمة بن عمرو بن الأكوع ، والأكوع هو سنان بن عبد الله بن قشير ابن خزيمة بن مالك بن سلامان الأسلم ، يكنى أبا مسلم ، وقيل يكنى أبا إياس ، وقال بعضهم يكنى أبا عامر ، والأكثر أبو إياس بابنه إياس ، كان ممن بايع تحت الشجرة ، سكن بالربذة ، وتوفي بالمدينة سنة أربع وسبعين ، وهو ابن ثمانين سنة ، وهو معدود في أهلها ، وكان شجاعاً رامياً سخياً خيراً فاضلاً. الاستيعاب ، (٢/٦٣٩) ، (الإصابة ، ٢ / ٦٧) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب آنية المجوس والميتة ، (٥/٢٠٩٤ ، ح ٥١٧٨) .

(٥) الأديم : الجلد أو أحمرة أو مدبوغة . (عون المعبود ٨/١٥٦) .

(٦) عتيدتها : هي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها . النهاية ، (٣/١٧٧) .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به ، (٤/١٨١٥) .

٤- حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى رَجُلاً قَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ..) . (١)

٥- حديث أَنَس ﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ (٢)،قَالَ: مَا بَالُ هَذَا ؟.).(٣)

٦- حديث أَنَس ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ...) .(٤)

٧- حديث سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ ﷺ (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ (٥)..).(٦) .

٨- حديث أَبِي سَعِيد بْنِ الْمُعَلَّى (٧) ﷺ:(مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ.) .(٨)

٩- حديث ابْنِ عَبَّاس ﷺ (مَاتَ إِنْسَان كَانَ رَسُول اللَّه ﷺ يَعُودهُ فَمَاتَ بِاللَّيْلِ.) (٩)

١٠- حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ (١٠)ﷺ : (.. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلاةِ فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لا يَلْتَفِتُ فِي صَلاتِهِ ..) .(١)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ، (٧٨٦/٢ ، ح ١١١٥)

(٢) يهادي بين ابنيه : المعنى أنه كان يعتمد عليهما من ضعفه وتمايله . (غريب الحديث لابن الجوزي ،٢ /٤٩٤) .

(٣) صحيح البخاري كتاب النذور ، باب من نذر المشي إلى الكعبة (٦٥٩/٢، ح ١٧٦٦)، صحيح مسلم (١٢٦٣/٣ ، ح ١٦٤٢).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ، (٤/ ٢٠٦٨ ، ح ٢٦٨٨) .

(٥) ينتضلون : أي يرتمون بالسهام . (النهاية ، ٧١/٥) .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب التحريض على الرمي ، (١٠٦٢/٣ ، ح ٢٧٤٣) .

(٧) أبو سعيد بن المعلي الأنصاري ، يقال اسمه رافع بن أوس بن المعلي ، وقيل الحارث ، روى عن النبي ﷺ ، توفي سنة ٧٣ هـ ، وهو ابن ٦٤ سنة . (الإصابة ، ٤ / ٨٨) ، (التهذيب ، ١٠ / ١٢٢) .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر:٨٧) ، (١٧٣٨/٤ ، ٤٤٢٦) .

(٩) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الإذن بالجنازة ، (٤٢١/١ ، ح١١٩٠) .

(١٠) سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري ، أبو العباس ، له ولأبيه صحبة ، مات سنة ٨٨ هـ ، وهو ابن ٩٦ هـ ، وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله ﷺ سهلا ، مات النبي ﷺ وعمره ١٥ سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة مات بالمدينة . (الإصابة ٢ / ٨٨) ، (التهذيب ، ٣ / ٥٣٩) .

١١- حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَاماً يَوْمَ عَاشُورَاءَ..) . (١)

هذا ما اجتهدت فيه ، فما كان منه صواباً فبتوفيق من الله، وما كان فيه غير ذلك، فبتقصير من نفسي ومن الشيطان .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء ، (٧٩٦/٢ ، ح ١١٣٠) .

المبحث الثاني : التثبت من صحة الخبر

ترد الأخبار إليه ﷺ من مصادر شتى، فلا يعدل ﷺ عن منهجه الحكيم وأسلوبه القويم في التثبت والتحقق قبل إبداء الحكم، فمهما عظمت أمانة الناقل؛ فإنه ﷺ يستنطق صاحب الشأن أومن هم أقرب الناس إليه، وأكثرهم دراية بخصائصه، بسؤال يؤكّد له صدق الخبر وحقيقة وجوده، حتى يبني حكمه عليه ، وبعد البحث في أسئلته ﷺ الواردة في الصحيحين وجدت ثمانية أحاديث طرح فيها ﷺ أسئلة ليتحقق ويتثبت بها من صدق الخبر المنقول إليه، قبل حكمه عليه:

١- عن عَبْدَ اللَّه بْنَ عَمْرٍو ﷺ : (قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ؟ قُلْتُ: إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ (١)، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا وَلأَهْلِكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ) .(٢)

معنى الحديث: يبين الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو أن الاجتهاد في العبادة وتكليف النفس بما لا تطيقه سبب للضعف والإعياء والكلل. (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤال الرسول ﷺ لابن عمرو ﷺ حين بلغه خبر صيامه النهار، وقيامه الليل، فسأله مقرراً ومتثبتاً من صدق الخبر، بقوله : " ألم أخبر.. ؟ " : الهمزة للاستفهام ولكنه خرج من الاستفهام الحقيقي، فمعناه هنا : حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنده ثبوته ، وقد سأل ﷺ هذا السؤال لتحقيق غرضين مهمين :

١- ليقعد قاعدة شرعية في ذلك وهي: أن الحكم لا يكون إلا على أكمل وجوه التحقق والتثبت، لأنه استفهمه عما قيل له، وإن كان يعلم أن الذي أخبره صادق؛ لأن الصحابة كلهم مقامهم مقام الصدق والدين، لكن لما بقي وجه من تحقيق الأمر، وهو سؤال الشخص

---

(١) هذا معنى كلمة نفهت نفسك، غريب الحديث،لابن سلام ،(١ / ٢٢) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه ، (١/٣٨٧ ، ١١٠٢)، صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب ما يكره من صيام الدهر ، (٢/٨١٣، ح ١١٥٩) .

(٣) سيأتي معنى الحديث ، وبيان رواياته في الفصل الثالث: الأسئلة النفسية، مبحث تقييم الواقع النفسي، لوجود أسئلة مرتبطة بذلك المبحث ، (٣٠٠).

نفسه، فلم يكتف بما نقل له عن عبد الله حتى لقيه واستثبته؛ لاحتمال أن يكون قال ذلك بغير عزم بشرط لم يطلع عليه الناقل ونحو ذلك، فلم يتركه ﷺ ، وتيقن من ذلك مشافهة .

٢- لأجل أن يعلم أيضاً: هل كان ذلك الوقت له نية ما، نواها و لم يتلفظ بها حتى تنقل عنه، أو ليس ؟ ولأجل أنه قد يكون أيضاً معلقاً بشرط ما، وذلك الشرط قد لا يعرفه القائل أو يعرفه، أو قاله بغير عزيمة على فعله، إلى غير ذلك من الاحتمالات، فمن أجل هذا المعنى كان السؤال، والله أعلم، فلا يجوز الحكم إلا على الأمر الذي لا يحتمل التأويل، يؤخذ ذلك من أنه لما أُخبر ﷺ بما قاله عبد الله؛ أنه يصوم النهار ويقوم الليل ما عاش، لم يخبره ﷺ بعدم طاقته على ذلك ، ولا بما هو الأفضل في الصوم؛ حتى استفسره عن ذلك، فلما اعترف له عبد الله بذلك، حينئذ أخبره بما هو الأفضل .(١)

الدلالة التربوية: شدةحرصه ﷺ على تفقد أمور صحابته كلياتها وجزئياتها وتعليمهم مايصلحهم.

٢-عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف ﷺ قَالَ : (بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلامَيْنِ مِنْ الأنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا ، فَقَالَ : يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي ؟ قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ : أَلا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ : أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ قَالَ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ : هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ قَالا: لا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ :كِلاكُمَا قَتَلَهُ ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ) .(٢)

---

(١) انظر، بهجة النفوس، (١/ ٤٥٣- ٢/ ١١٠٦) .

(٢) صحيح البخاري ، أبواب الخمس ، باب من لم يخمس الأسلاب ومن قتل قتيلا فله سلبه من غير أن يخمس وحكم الإمام فيه ، (١١٤٤/٣، ح ٢٩٧٢) ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ، (١٣٧٢/٣، ١٧٥٢) .

إن في هذه القصة صورة مشرقة للتربية النبوية التي أثمرت فتياناً وشباباً صدقوا الله ورسوله، وأحبوا رسول الله ﷺ محبة خالصة، حتى كانوا يفدونه بأرواحهم، فهاهما الغلامان معاذ بن عمرو بن الجموح[١]، ومعاذ بن عفراء[٢] يتسابقان في قتل أبي جهل، صنديد من صناديد قريش الذين آذوا رسول الله ﷺ ، ويترصدان له حتى ضرباه بسيفهما، ثم يذهبان للاحتكام عند رسول الله ليحكم بينهما فيمن قتله.

موضع الشاهد ودلالته :

اتباع الرسول ﷺ لمنهجه الحكيم تجاه هذا الخبر المشكل: حيث أن كلاً منهما يرى أنه هو القاتل، فلمن يكون السلب ؟ وكيف يكون الحكم ؟ .

ولذا لم يحكم ﷺ بناء على قولهما حين نقلا له خبر قتلهما لأبي جهل، بل طرح سؤالاً يتأكد من صحة ما قالاه، بقوله : أيكما قتله ؟ فلما أكدًا ذلك، انتقل ﷺ لسؤال ثانٍ يكون قرينة يستطيع بها الحكم، ووسيلة يتثبت بها من صدق الخبر، بقوله : هل مسحتما سيفيكما؟ لأنهما لو مسحاهما؛ لما بان المراد من ذلك، فنظر في سيفي الغلامين؛ ليستدل بهما على حقيقة كيفية قتلهما،وليرى ما بلغ الدم من سيفيهما، ومقدار عمق دخولهما في جسم المقتول؛ ليحكم بالسيف لمن كان في ذلك أبلغ، فعلم أن الجموح هو المثخن، فقال: كلاكما قتله،وإنما قال ذلك وإن كان أحدهما هو الذي أثخنه؛ تطييباً لقلب الآخر من حيث إن له مشاركة في القتل.[٣]

الدلالات التربوية:

١- أن المرء قد يصل بإيمانه وإخلاصه، ما لا يصل إليه من هو أقدر منه، وأرفع منه مكانة، فهاهما معاذ بن عمرو، ومعاذ بن عفراء اللذان استضعفهما عبد الرحمن بن عوف لصغر سنهما، بل وتمنّى أن يكون بين من هو أشد وأقوى منهما، وتعجّب من طلبهما، يحققان ما لم يحققه من هو أقدر منهما .

---

(١) معاذ بن عمرو بن الجموح بن يزيد بن حرام بن كعب بن غنم السلمي الخزرجى الأنصاري شهد العقبة وبدرا هو وأبوه عمرو بن الجموح ، وهو الذي قطع رجل أبي جهل بن هشام وصرعه يوم أحد ، مات معاذ بن الجموح في خلافة عثمان (الاستيعاب ،٣/١٤١٠).

(٢) معاذ بن عفراء ونسب إلى أمه عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد ، شهد بدرا هو وأخوه عوف ومعوذ بنو عفراء وهم بنو الحارث بن رفاعة ، وقتل عوف ومعوذ ببدر شهيدين ،وشهد معاذ بعد بدر أحداً والخندق ، مات معاذ ابن عفراء في خلافة على بن أبي طالب .
(الاستيعاب ، ٣/١٤٠٨).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (١٥/٦٦) .

٢- أن تحديد الهدف، والتخطيط له، وبذل الأسباب لتحصيله أكبر سبب للإنجاز، فهاهما الغلامان يضعان لهما هدفاً في هذه المعركة، وهو قتل أبي جهل وإن كانا لم يرياه من قبل، ويخططان لذلك، ويبذلان الأسباب بالسؤال عن من يعرِّفهما عليه، ومن ثم يشتركان في تحقيق الإنجاز .

٣- صحة العقل الوافر التي تميز بها الفتيان، والنظر في العواقب، تظهر في مقولة أحدهما : وهو يبحث عن هدفه :" لا يفارق سوادي سواده "، يعني لا يفارق شخصي شخصه، وأصله أن الشخص يرى على البعد أسود؛ حتى يموت الأقرب أجلاً، وهو كلام مستعمل يفهم منه أن يلازمه ولا يتركه إلى وقوع الموت بأحدهما، وصدور هذا الكلام في حال الغضب والانزعاج يدل على غاية في حسن التفكير وصواب العبارة، فإن مقتضى الغضب أن يقول حتى أقتله، لكن العاقبة مجهولة [١].

٤- الشجاعة والإقدام، والسرعة وعدم التواني في تحقيق الهدف، وذلك بإسراعهما في قتل أبي جهل، حال دلالة عبد الرحمن بن عوف لهما عليه، حيث لم يلبث أن رآه مضطرباً في المواضع، لا يستقر على حال .

٥- السعادة والفرحة التي تتبع تحقيق الهدف وإنجازه، فهاهما يزفان البشرى له ﷺ بخبر قتلهما لأبي جهل .

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ؟ فَقَالَ النَّاسُ:نَعَمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ، فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ) . [٢]

إن قصة هذا الحديث كما يحكيها أبو هريرة ﷺ هي: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي، وأظن أنها الظهر ركعتين، ثم قام إلى خشبة في قبلة المسجد فوضع يديه عليها، إحداهما على الأخرى، وخرج سرعان الناس، وقالوا: قصرت الصلاة، وفي القوم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل إما قصير اليدين وإما طويلهما يقال له: ذو

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (١٥/٦٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس ، (١/٢٥٢، ح ٦٨٢)، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب سجود السهو ، (١/٤٠٤ ، ح ٥٧٣) .

اليدين[١]، قال لرسول الله : أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وهناك أخبار ثلاثة قد تـوهم غـير المتبحر في صناعة العلم أنها متضادة لأن في خبر أبي هريرة أن ذا اليدين هو الذي أعلم النبي ﷺ ذلك، وفي خبر لعمران بن حصين أن الخرباق قال للنبي ﷺ ذلك، وفي خبر ثالث أن طلحة بن عبيد الله قال له ذلك، وليس بين هذه الأحاديث تضاد، وذلك أن خبر ذي اليدين "سلم النبي ﷺ من الركعتين من صلاة الظهر أو العصر" ، وخبر عمران بن حصين "أنه سلم من الركعة الثالثة من صلاة الظهر أو العصر" أحوال متباينة في صلوات لا في صلاة واحدة .[٢]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: أصدق ذو اليدين؟ للعمرين— أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - في تصديق ماقاله ذو اليدين، فلم يعمل النبي ﷺ بخبر ذي اليدين حين نبّه رسول الله ﷺ على أنه صلى ركعتين بدلاً من أربع إلا بعد أن سأل ﷺ صحابته عن صدق قوله هذا، بقوله ﷺ:"أصدق ذواليدين؟" و لم يكن سؤاله إلا لأجل استثبات خبره؛ لكونه انفرد دون من صلى معه، لاحتمال خطئه في ذلك،فلما شك بإخبار ذي اليدين سألهم إرادة تيقن أحد الأمرين، فلما صدّقوا ذا اليدين علم صحة قوله[٣]، وعليه فإن منهج النبي ﷺ في التثبت والتحقق من صدق الخبر واضحاً في هذا الحديث؛ بطلبه ﷺ البينة فيما لا يعرف، وإن كان القائل صادقاً .

الدلالات التربوية:

١-الأهمية العظيمة التي تنتج من السؤال والتحقق، فكان سؤال هذا الرجل سبباً في إكمال ركعات صلاة المسلمين وجبرها بسجود السهو، فحقق بسؤاله ما لم يحققه كبار الصحابة الذين تركوا السؤال، بوضعهم احتمال حدوث نسخ، أو قصر الصلاة، واستبعاد حدوث نسيان.

٢- إن هيبة المربي والمعلم لا تمنع من سؤاله ومراجعته، بل من الواجب تنبيهه عند ملاحظة أمر على غير المعهود، فهو بشر يرد عليه الخطأ والنسيان .

(١) ذو اليدين رجل من بني سليم، يقال له الخرباق حجازي، شهد النبي ﷺ وقد رآه، وهم في صلاته فخاطبه ، وليس هو ذا الشمالين، ذو الشمالين رجل من خزاعة حليف لبني زهرة، قتل يوم بدر ، وذو اليدين عاش حتى روى عنه المتأخرون من التابعين. (الاستيعاب ٢ / ٤٧٥)

(٢) انظر، عمدة القاري ، (٤/٢٦٥).

(٣) انظر، المصدر السابق، (٢٥/١٥).

٣- ورع الصحابة، وحسن الأدب مع رسول الله ﷺ إذ لم يجزم ذو اليدين بوقوع شيء بغير علم، وإنما استفهم الرسول ﷺ ، بقوله: أقصرت أم نسيت يا رسول الله ؟.[١].

٤- عن أَنَسُ بْنُ مَالِك ﷺ : (أَنَّ أُنَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ قَالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ : مَا أَفَاءَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنْ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِك : فَحُدِّثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ: أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ قَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَفَلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ؟ فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، فَقَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا، قَالَ : فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، قَالُوا : سَنَصْبِرُ) .[٢]

إن هذا الحديث يعد من أروع الأمثلة في علاج المشكلة واجتثاث أصلها، فرسول الله ﷺ أمام قضية خطيرة جداً، تمس شخصه الكريم، حين أعطى بعض الزعماء من قريش عطايا سخية يتألف بها قلوبهم ، ولم يكن للأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، فوجد هذا الحي من الأنصار وجداً عظيماً ، وتأثرت نفسياتهم ، وشعروا بالغبن ؛ وانتقدوا هذا التصرف من رسول

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢٦٥/٤)، شرح معاني الآثار ، (٤٤٩/١) ، صحيح ابن حبان ، (٣٩٦/٦) ، بهجة النفوس (١ / ٢٧٦)

(٢) صحيح البخاري ، الزكاة ، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (١١٤٧/٣، ح ٢٩٧٨) .

الله ﷺ، حتى قال بعضهم : لقي والله رسول الله قومه، وبعضهم تجرأ على مقامه ﷺ وطالبه بالعدل، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ : وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ) (١) .

إنه ﷺ يعقد محاورة عظيمة، كانت بلسماً للقلوب، وشفاء للجروح، فكل سؤال من هذه المحاورة عالج به ﷺ جانباً اجتماعياً أو نفسياً أو تربوياً، والذي يعنينا في هذا المبحث سؤاله الأول، أما الأسئلة الأخيرة فسأتناولها في مبحث آخر .

موضع الشاهد ودلالته :

١- سؤاله ﷺ للأنصار : ما كان حديث بلغني عنكم ؟ للاستيثاق من صدق الخبر المنقول إليه، سؤال في غاية اللطف وحسن الخطاب، يحمل بين ثناياه نبرة عتاب لا لوم ولا توبيخ ، فأجابه فقهاؤهم؛ أصحاب الفهم والعلم بأن أصحاب رأينا الذين ترجع إليهم الأمور، لم يقولوا شيئاً من ذلك، وأن الذين قالوه هم الشبان الجهال الذين ما تمكنوا من القول بالصواب.

٢- العلاج الحكيم الذي حوَّل الفكر والقلب من حال إلى حال، حيث بين لهم ﷺ هدفه من إعطاء قريش، وذلك ليتألف قلوبهم، ثم بيّن لهم ضآلة الرضا والفرحة بالمال مقابل صحبة الرسول ﷺ، وذلك من خلال طرح أسئلة سيتم تناولها في مبحث الأمن النفسي، ثم أمرهم بالصبر لما سيجدونه من استبداد بالأموال؛أي استقلال الأمراء بالأموال وحرمانهم منها.(٢)

الدلالات التربوية:

١- ثباته ﷺ وحلمه حتى في أشد المواقف وأصعبها، فقد تلقى ﷺ هذا الخبر الشديد على النفس من سعد بن عباده ﷺ ، فاستمع إليه دون تعليق عليه ، أو استنكار له، بل طرح على ناقل الخبر سؤالاً يتحقق به من أمره في خضم هذه الرؤية القاصرة من الأنصار تجاه سيد المرسلين، بسؤاله :" فيم أنت منهم يا سعد ؟ "فأجاب سعد : " ما أنا إلا أمرؤ من قومي " ، فسعد يصارح رسول الله ﷺ بما يدور من كلام، بل ويعترف بمشاركته لقومه في شعورهم

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، (٣/ ١٣٢١، ح ٣٤١٤)، سيأتي بيانه في الفصل الرابع : الأسئلة الإنكارية، إنكار التوبيخ، (٤٣١) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (١٥/٧٢) .

واعتراضهم، وهذا أمر مثير للانتباه وهو القدرة على المعارضة التي كان يتمتع بها أصحاب النبي ﷺ، فهم أناس يتصفون بالحرية في التفكير والتعبير، وهذا نتاج التربية النبوية التي عززت عندهم هذا الجانب من خلال منح الفرص الكاملة لإبداء الرأي واحترامه بل والأخذ به، وكان موقفه ﷺ قمة السياسة الحكيمة في معالجة المشكلات، حيث لم ينكر عليه رأيه، لأن مشكلة النظرة القاصرة، والفهم الخاطئ متعدية إلى غيره من الأنصار، وليست مقتصرة عليه.

٢- حفظه ﷺ لمكانة المخطئ الاجتماعية، ومراعاة حالته النفسية، يتجلى ذلك في أمره ﷺ بجمع الأنصار وحدهم، حتى لا يأخذ الأمر طابع التشهير، واللوم على الملأ .

٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِك : أَحَقٌّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ ؟ قَالَ : وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي ؟ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بِجَارِيَةِ آلِ فُلانٍ، قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ) .[١]
هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور في باقي الروايات" أنه أتى النبي ﷺ فقال: طهرني" قال العلماء لا تناقض بين الروايات، فيكون قد جيء به إلى النبي ﷺ من غير استدعاء من النبي ﷺ، وفي رواية: أن قومه أرسلوه إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ للذي أرسله لو سترته بثوبك يا هزال لكان خيراً لك، وكان ماعز عند هزال، فقال النبي ﷺ لماعز بعد أن ذكر له الذين حضروا معه ما جرى له : أحق ما بلغني عنك ؟.[٢]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : " أحق ما بلغني عنك ؟ " فالنبي ﷺ تحقق وتثبت من ماعز نفسه واستنطقه عن صدق الخبر الذي بلغه عنه؛ حتى لو كان هو المقر على نفسه من أنه زنى بالجارية، فلما أقر واعترف وشهد أربع شهادات على وقوع الزنا منه، أقام عليه الحد .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا ، (٣/١٣٢٠، ح ١٦٩٣) .

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١/١٩٦)، وسيأتي بيان معنى هذا الحديث ، في المبحث الرابع من هذا الفصل ، تقرير المخاطب، (١٢٠).

٦- عن عَائِشَةُ رضي الله عنها في حديث الإفك الطويل قالت : (دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِب وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِـرَاقِ أَهْلِـهِ قَالَتْ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُـمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ : أَهْلَكَ وَلا نَعْلَمُ إلا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَـيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ : أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَـا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا؛ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ ، قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَـى أَهْلِي إلا خَيْرًا، وقد سَأَلَ رسول الله ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ لِزَيْنَـبَ : مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ ؟ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إلا خَيْرًا). (١)

معنى الحديث :

أن رسول ﷺ في هذا الحديث، إزاء محنة هي والله من أشد المحن على نفسه، فزوجته الحبيبة الطاهرة عائشة رضي الله عنها ترمى بالسوء إفكاً وبهتاناً، والناس تخوض في عرضه، وتطعن في أهل بيته، ولا يترل الوحي لإنقاذه وإسكاقم، فما أشد حزنه وتأثره بما يلغط الناس بـه حتى أنه يبدو ساكناً واجماً، مغتماً مهتماً، ومع ذلك يبقى ساكتاً لا يفاتح عائشة رضي الله عنها بالموضوع شهراً، إشفاقاً عليها من هوله .. فما أعظم صبرك وثباتك يارسول الله !

ومع علمه ﷺ بطهر عائشة، واستبعاد هذا الأمر منها، حيث كان بإمكانه ﷺ إلجام ألسـنة المنافقين وزجر الناس ومعاقبتهم، مع هذا نجده يسأل ويتحقق ليعطينا درساً عظيماً في التثبت من صدق الأخبار والتأكد من حقيقتها، وجمع كل القرائن التي تسهم في بيان صدق الخـبر من عدمه، حتى لو كان الخبر يمس حقوقنا الشخصية .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حديث الإفك ، (١٥٢١/٤) .

موضع الشاهد ودلالته :

١- السؤال وطلب المشورة من أقرب الناس إليه في الأمر : أما أسامة ﷺ أشار له ببراءة أهله، وأما علي ﷺ فقال: لم يضيق الله عليك، وقوله هذا لم يكن عداوة ولا بغضاً ، ولكن لما رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه به؛ أراد إراحة خاطره وتسهيل الأمر عليه .

٢- سؤاله لزينب رضي الله عنها: ماذا علمت أو رأيت ؟ سؤالاً يطلب به علماً عن عائشة رضي الله عنها يصدق أو يكذب الفرية التي تناقلها الناس في عرضها، فشهدت بأنها لا تعلم عن عائشة رضي الله عنها إلا الخير.

٣- سؤاله بريرة [١] عن ذلك، فلم يكتف بالسؤال من مصدر واحد زيادة في الاستيثاق والتثبت، بقوله: هل رأيت من شئ يريبك ؟ فقالت: والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أعيبه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن – الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى فتأكله–ومعنى هذا الكلام أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلاً ، ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين

٤- حسم الموقف وعلاجه ، بخطبة منه ﷺ على المنبر استعذر فيها من عبد الله بن أُبي فقال : من يعذرني فيمن آذاني في أهلي؛ أي من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله، ولا يلومني، وقيل معناه : من ينصرني؟ ، فكأنه ينذر من يروج هذه الإشاعة بالعقاب .[٢]

٧- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أَبْصَرَ يَعْنِي أُحُدًا، قَالَ : مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلاث إلا دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمْ الأَقَلُّونَ، إلا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا –وَأَشَارَ أَبُو شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ – وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَقَالَ : مَكَانَكَ وَتَقَدَّمَ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ مَكَانَكَ حَتَّى آتِيَكَ، فَلَمَّا جَاءَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي سَمِعْتُ ؟

---

(١) بريرة مولاة عائشة، قيل كانت مولاة لقوم من الأنصار اشترتها عائشة فأعتقتها، وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها وقصتها في ذلك في الصحيحين . الإصابة في تمييز الصحابة، (٥٣٥/٧).

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢٠٩/١٧) .

أَوْ قَالَ الصَّوْتُ الَّذِي سَمِعْتُ ؟ قَالَ : وَهَلْ سَمِعْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: وَإِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ : نَعَمْ) . (١)

معنى الحديث :

إنه ﷺ يحدث أبا ذر رضي الله عنه : أن لو عنده قدر جبل أحد ذهباً ماتمنى أن يبقى عنده فوق ثلاث ليال، إلا ديناراً يعدُّه لدين، وأن الأكثرين مالاً هم الأقلون ثواباً، إلا من صرف المال على الناس يميناً وشمالاً وأماماً، ثم أمره بلزوم مكانه حتى يأتيه .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ الذي يتأكد به من صدق مقالة أبي ذر ، بقوله : " هل سمعت ؟ " وهو استفهام على سبيل الاستخبار حين سأله أبو ذر عن الصوت الذي سمعه ؟، فلما تحقق من سمعه أخبره أن جبريل أتاه وقال له: بأن من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ، وإن زنى وسرق.(٢)

في الحديث : " دليل على أن الأحكام لا تذكر إلا بعد التثبت فيما يحتاج إليه، وإن كان معلوماً، يؤخذ من قول سيدنا ﷺ بعدما أخبره أنه سمع " وهل سمعت ؟ قلت : نعم " وحينئذ أخبر بأنه كان جبريل عليه السلام ، وأنه أخبره بما ذكرناه أولاً، لأن ما ذكر له هو حكم من أحكام الله عز وجل، فإعادة السؤال ثانية بعدما علم بالسمع؛ إرشاد إلى الاهتمام بأمر الأحكام والتثبت عند إلقائها على بساط ظاهر " . (٣)

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : (جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ : إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ : وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ) . (٤)

(١) صحيح البخاري ، كتاب المساقاة ، باب أداء الديون ، (٢/٨٤١ ، ح ٢٢٥٨)، مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة ، (٢/٦٨٧ ، ح ٩٤) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (١٢/ ٢٢٩) .

(٣) بهجة النفوس (١ / ٦٧٥) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ، (١/١١٩ ، ح ١٣٢)

معنى الحديث:

سأل الصحابة رسول الله ﷺ هذا السؤال: أنا نجد في أنفسنا الشيء أي القبيح؛ يعظم أن نتكلم به أي للعلم بأنه لا يليق أن نعتقده، فبيَّن لهم ﷺ : أن ذلك صريح الإيمان، أي أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم، والتصديق به حتى يصير ذلك وسوسة، لا يتمكن من قلوبكم ولا تطمئن إليه نفوسكم، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان ،"(١) " أو أن استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان ، فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلاً عن اعتقاده ؛ إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محققاً ، وانتفت عنه الريبة والشكوك " (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : " أو قد وجدتموه؟ " الهمزة : للاستفهام التقريري، والواو المقرونة بها للعطف على مقدر؛ أي أحصل ذلك ؟ فرسول الله ﷺ يتثبت ويتحقق من وجود ما ذكروه من الخواطر التي ترد عليهم حين سألوه عن ذلك.

وفي ختام هذه الأحاديث نجد منهجيته ﷺ في التحقق من المشكلة قبل الحكم عليها تزداد وضوحاً وبروزاً، فمن سبر أغوار المشكلة، والسؤال عن أسبابها ودوافعها في المبحث الأول، إلى التأكد من صدق الأخبار المنقولة، والتحقق من ثبوتها، ونسبتها إلى صاحبها، حتى ولو كان الناقل بلغ من الأمانة والثقة ما بلغ، بل وحتى لو كان الناقل هو صاحب الخبر نفسه معترفاً به، فرسول الله تحقق من صدق الخبر عن طريق :

١- سؤال صاحب القضية بنفسه، واستنطاقه بصحة ما نسب إليه، أو ما نسبه هو إلى نفسه .

٢- سؤال أقرب الناس من صاحب القضية، وأكثرهم دراية عنه .

إنها الأمانة والدقة، والتقوى والمخافة، التي جعلت الرسول ﷺ ينتهج هذا المنهج، لا يحيد عنه.

---

(١) عون المعبود (١١/١٤) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٥٤/٢) .

فيا ليت شعري .. لو اتخذنا هذا المنهج نبراساً ، لما عانت مجتمعاتنا مما تعانيه اليوم من كثرة توارد الأخبار والشائعات التي لا يُعلم لها أصلاً ، ونتناقلها على أنها حقائق ثابتة ، فتضيع في إثرها أعراض ..

فرسول الله ﷺ قد أحسن وأبدع، وكفّى ووفى، ولم أجد في هذا المبحث من نظريات التربويين وآرائهم ما يُشفي الغليل، ويثري الموضوع .

فصلوات ربي وسلامه عليك يا رسول الله .

المبحث الثالث

السؤال لتعيين وتحديد مراد المتكلم من عباراته

كثيراً ما ترد العبارات من المتحدث، فتحمل بين طياتها أكثر من معنى، وقد يكون السبب في ذلك كون اللفظ محتملاً لمعانٍ كثيرة، أو لعدم إحسان المتكلم إيصال ما يريده وما يقصده لمن يحدثه أو يسأله، وهنا تكمن أهمية السؤال ودوره الكبير في تحديد مقصود المتكلم، وتعيين مراده، لتسديد الإجابة وتصويبها وتحقيق أهدافها، فتكون نتاجاً للفهم والإدراك الصحيح .

وبعد البحث في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين وجدت سبعة أحاديث طرح رسول الله ﷺ السؤال فيها ليعيّن ﷺ قصد المتكلم ومراده من كلامه قبل الإجابة عليه :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (قِيلَ يا رسول الله! مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَتْقَاهُمْ ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ. إِذَا فَقِهُوا).[١]

معنى الحديث :

أنه لما سُئل ﷺ عن أكرم الناس قدراً ؟ وفهم منهم العموم التفت إلى الكرم الصحيح الصادق ورفعة القدر بالتقوى فأخبر بأكمل الكرم وأعمّه، وهو أشدهم تقوى لله .

ثم لما راجعوه، فهم التعيين، فقال لهم:" فيوسف نبي الله، أي فيوسف أكرمهم أصلاً، فإنه جمع شرف النبوة وشرف النسب، وكونه ابن ثلاثة أنبياء متناسقة؛ أحدهم خليل الله فهو رابع نبي في نسق واحد، ولم يقع ذلك لغيره، وضمَّ له شرف علم الرؤيا ورئاسة الدنيا وحياطة الرعية وشفقته عليهم وإنقاذه إياهم من تلك السنين. والله أعلم، وقد يوجد في المفضول مزايا لا توجد في الفاضل فلا ينافي كون غيره أكرم على ربه منه، فلما علم بمقصود

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، ٤٤ باب من فضائل يوسف ﷺ ، (١٨٤٦/٤، ح ٢٣٧٨) .

سؤالهم أنه عن أكرم أصول العرب وأنسابهم بيّن لهم: أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا، وصاروا فقهاء عالمين بالأحكام الشرعية، فهم خيار الناس، وإنما قيد بقوله : إذا فقهوا والحال أن كل من أسلم وكان شريفاً في الجاهلية فهو خير من الذي لم يكن له الشرف فيها لأن المعنى ليس على ذلك؛ فإن الوضيع العالم خير من الشريف الجاهل، والعلم يَرفع كل من لم يُرفع.[١]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لهم: فعن معادن العرب تسألوني؟ أي عن أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها وذلك حين بيّنوا له أن ما أجابهم به ﷺ ليس مرادهم، وفهم منهم السؤال عن قبائل العرب؛ فسألهم هذا السؤال ليتحقق به من صحة فهمه بتعيين مرادهم ومقصود سؤالهم، وإنما شبههم بالمعادن لأنهم أوعية للعلوم، كما أن المعادن أوعية للجواهر النفيسة، ثم أجابهم في ضوء هذا المقصود بمراعاة الأصول والأحساب.[٢]

٢- عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها [٣] قَالَتْ: (قُلْتُ: يَارَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ قَالَ: فَأَفْعَلُ مَاذَا؟ قُلْتُ:تَنْكِحها، قَالَ:أَتُحِبِّينَ؟ قُلْتُ: لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ[٤] وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِيكَ أُخْتِي، قَالَ: إِنَّهَا لا تَحِلُّ لِي،قُلْتُ:بَلَغَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ،قَالَ: ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ[٥]؟

---

(١) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٧ / ٣٦٣)، فتح الباري، (٢ / ٣٠٨)، فيض القدير ، (٢/٩٠)، عمدة القاري ، (١٥/ ٢٤٥)، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٥/١٣٥) .

(٢) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم، (٧ / ٣٦٣) ، فتح الباري ، (٢ / ٣٠٨) ، فيض القدير ، (٢/٩٠) ، عمدة القاري ، (١٥/ ٢٤٥)، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٥/١٣٥) .

(٣) رَمْلَة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموية، زوج النبي ﷺ تكنى أم حبيبة وهي بها أشهر من اسمها ، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً، تزوجها حليفهم عبيد الله بن جحش الأسدي فأسلما ، ثم هاجرا إلى الحبشة فولدت له حبيبة فبها كانت تكنى ، ولما تنصر زوجها عبيد الله بن جحش وارتد عن الإسلام فارقها ، فتزوجها رسول الله ، وماتت بالمدينة سنة ٤٤ هـ . الإصابة في تمييز الصحابة ، (٦٥١/٧) .

(٤) لست لك بمخلية : أي لم أجدك خالياً من الزوجات غيري . (النهاية ، ٧٤/٢) .

(٥) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ربيبة رسول الله ﷺ، وأمها أم سلمة زوج النبي ﷺ ، وكان اسم زينب برة فسماها النبي ﷺ زينب، ولدتها أمها بأرض الحبشة وقدمت بها وحفظت عن النبي ﷺ، وكانت زينب عند عبد الله بن زمعة بن الأسود، فولدت له . الإصابة، (٦٧٥/٧) ، الاستيعاب، (١٨٥٤/٤).

قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي مَا حَلَّتْ لِي؛ أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ) . [1]

معنى الحديث :

الحديث يحكي محاورة قصيرة جرت بين رسول الله ﷺ وبين زوجته أم حبيبة رضي الله عنها تعرض فيه الزواج على رسول الله ﷺ من أختها درة، وقيل عزة، وقيل حمنة، والمحفوظ درة بنت أبي سفيان حين سمعت أنه يريد أن يخطب بنت أم سلمة رضي الله عنها. [2]

موضع الشاهد ودلالته:

يظهر لنا في هذه المحاورة منهج النبي ﷺ في التحقق والتثبت من مراد من يحاوره قبل الإجابة عليه ، وذلك من خلال :

١- سؤاله ﷺ عن مرادها ومقصودها من سؤالها له:" هل لك في بنت أبي سفيان ؟" بقوله: "فافعل ماذا ؟" أي ماذا تعنين بذلك، وماذا تقصدين؟ فلما أوضحت له أنها تعني زواجه من أختها، أجابها بأنها لا تحل له، لأنه جمع بين الأختين، وأراد أن درة لا تحل له من جهتين كونها ربيبته، وكونها بنت أخيه، وهذا كان قبل علم أم حبيبة بالحرمة، أو ظنت أن جوازه من خصائص النبي ﷺ لأن أكثر حكم نكاحه يخالف أحكام أنكحة الأمّة.

٢- سؤاله ﷺ الذي يتأكد ويستوثق به من فهمه عمن تقصده وتريده بقولها: بلغني أنك تخطب، بقوله: ابنة أم سلمة ؟ وهذا سؤال استثبات، ونفي احتمال إرادة غيرها .

٣- بعد أن تحقق من مقصودها ، بيّن لها عدم جواز ذلك وحرمتها عليه بسببين وهما : كونها ربيبته ﷺ أي بنت زوجته أم سلمة، وكونها بنت أخيه من الرضاع ، حيث أن ثويبة جارية أبي لهب عم رسول الله ﷺ- وقد أعتقها حين بشرته بالنبي ﷺ - أرضعت النبي ﷺ مع أبي سلمة . [3]

أما سؤاله ﷺ : أتحبين ذلك ؟ وجوابها عليه فسيتم تناوله في مبحث تقييم الواقع النفسي [4].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ﴾ (النساء: من الآية٢٣)، (١٩٦٤/٥، ٤٨١٧) ، صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة ، (١٠٧٢/٢، ح ١٤٤٩).

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢٥/١٠) .

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢٥/١٠) .

(٤) انظر، (٢٩٤).

٤- التوجيه وإصدار الحكم في نهاية المحاورة على ضوء أسئلة طرحها ﷺ؛ حدد فيها مقصود أم حبيبة ومرادها، فوجّه خطاباً يشمل أم حبيبة وجماعة النساء، فيه نهياً عن عرض بناتهن أو أخواتهن عليه للزواج .

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود ﷺ قَالَ : (صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ: أَزِيدَ فِي الصَّلاةِ ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ) .[١]

معنى الحديث :

هذا الحديث فيه بيان بأن من زاد في صلاته ركعة ناسياً لم تبطل صلاته، بل إن علم بعد السلام فقد مضت صلاته صحيحة، ويسجد للسهو إن ذكر بعد السلام بقريب، وإن طال فالأصح أنه لا يسجد، وإن ذكر قبل السلام عاد إلى القوم سواء كان في قيام أو ركوع أو سجود أو غيرها ويتشهد ويسجد للسهو ويسلم، وهو دليل لمذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور من السلف والخلف.[٢]

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ حين سُئل" أزيد في الصلاة ؟"والهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار، قابلهم بسؤاله ﷺ :"وما ذاك ؟ " ليعيَّن به مرادهم وقصدهم من هذا السؤال؛ أي وما سؤالكم عن الزيادة في الصلاة ؟"[٣] ، "سؤال من لم يشعر بما وقع منه."[٤]

الدلالة التربوية :

أحسب أن سؤال النبي ﷺ عن مراد صحابته من هذه الملاحظة عليه في الصلاة، واهتمامه بهذه الملاحظة وقبولها، وتأكيده لجواز الخطأ والنسيان عليه، وتصحيحه للخطأ بناء عليها؛ حيث رُوِيَ أنه ﷺ قال بعد ذلك التنبيه:(وما ذاك؟ قالوا: صليت كذا وكذا، قال: فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد بهم سجدتين ثم سلم، فلما انفتل أقبل علينا بوجهه فقال: أنه لو

---

(١) صحيح البخاري، أبواب القبلة ، باب السهو في الصلاة ،(١٥٧/١، ٣٩٦) ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب السهو في الصلاة ، (٤٠٢/١ ، ح ٥٧٢) .

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٥/ ٦٤).

(٣) عمدة القاري (٣٠٦/٧) .

(٤) إرشاد الساري (٢ / ٦٣) .

أحدث في الصلاة شيء أنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب، فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم ليسجد سجدتين.) (١) إنه أسلوب يجب اتباعه من قِبل كل معلم وكل مربي يسعى لتعزيز ثقة طلابه بأنفسهم، وإزالة حواجز الخوف والرهبة بينهم، وتحميلهم مسؤولية ملاحظة الخطأ والتنبيه عليه .

٤- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَصَابَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: وَمَا ذَاكِ ؟ قَالَتْ: قُلْتُ : لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ : أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ، فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا) . (٢)

معنى الحديث :

إن هذا الحديث، وما ورد فيه من روايات مبيِّن ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم، وأنه إنما يكون دعاؤه على أحدهم رحمة وكفارة وزكاة له، إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلماً، وإلا فقد دعا ﷺ على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة، فإن قيل: كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك، فالجواب ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان:

أحدهما : أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

والثاني: أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية؛كقوله :(تربت يمينك)، وفي هذا الحديث :(لا كبرت سنك) ، (ولا

(١) صحيح البخاري ، أبواب القبلة ، باب فضل استقبال القبلة ، (١/١٥٣ ، ح ٣٩٢) .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة ،باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة ، (٤/٢٠٠٧ ، ح ٢٦٠٠) .

أشبع الله بطنه) ونحو ذلك، لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء ، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان ولم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه، وقد قيل له ﷺ :(ادع على دوس فقال: اللهم اهد دوساً) ، وقال:(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) . والله أعلم .[١]

موضع الشاهد ودلالته:

يظهر في هذا الحديث كيف عالج الإشكال الذي علق في ذهن عائشة رضي الله عنها حين سمعت رسول الله ﷺ يسب الرجلين ، فظنت أنهما نالا خيراً لم ينله أحد ، وذلك بسؤالين :

١- سؤاله ﷺ : "وما ذاك ؟" يستفهم به من عائشة رضي الله عنها عن مرادها ومقصودها من المقالة التي قالتها له:" بأن لا أحد نال الخير مثل هذين الرجلين" فأوضحت له مرادها .

٢- سألها سؤالاً تقريرياً عن علمها ومعرفتها بما شارط عليه ربه تعالى ، بقوله : " أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ " أي أنه سأل ربه ﷻ ورغب إليه في أن يجعل ذلك الدعاء عليهما رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً، حين خاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة .

٥- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلا فَاذَّةً إلا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٦ / ١٥٠) .

الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .[1]

معنى الحديث :

أنه لما رجع رسول الله ﷺ بعد انتهاء القتال في غزوة خيبر،كان في أصحاب رسول الله ﷺ رجل يقال إن اسمه قُزْمان الظَفَري، نسبة إلى بني ظفر بطن من الأنصار، وكان يكنى أبا الغَيْداق، استمر في قتال العدو بينما رجع رسول الله والصحابة إلى معسكراهم، بل واستبسل في القتال حتى كان لا يسلم منه أحد إلا قتله[2]، إنه موقف مثير للغاية، ويستحق التقدير والإعجاب، وهذا ما حدث بالفعل حيث أثار الرجل بشجاعته إعجاب الصحابة حتى حكموا له بقيامه بواجب الجهاد أكثر من أي مجاهد آخر في هذا اليوم، ولكن رسول الله ﷺ كانت رؤيته مخالفة تماماً لرؤيتهم، فقد حكم عليه أنه من أهل النار، فتبعه أكثم بن أبي الجون متابعة الظل لصاحبه؛ أينما ذهب الرجل في المعركة يذهب وراءه ليرقب عمله، فرأى بأم عينه صدق ما أخبر به ﷺ ؛ حيث رآه يضع طرف سيفه في صدره[3]، فيقتل نفسه في المعركة حين جرح جرحاً شديداً لم يصبر على ألمه [4].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : وما ذاك ؟ حين نطق أكثم بالشهادة أمام رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك لرسول الله، وذلك ليحدد به مراده من هذه الشهادة في ذلك الوقت، فلما أخبره بما رأى، بيّن لهم ﷺ خطأ هذا الحكم منهم؛ حيث لا يحكم على الأمور من ظواهرها، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد في الجنة قطعاً، لاحتمال أن يكون مثل هذا الذي حكم عليه

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب لا يقال فلان شهيد ، (١٠٦١/٣، ح ٢٧٤٢) ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، (١٠٦/١، ح ١١٢) .

(٢) هذا معنى :" لا يدع شاذة ولا فاذة "، وهي كلمة تقال للشجاع . (مشارق الأنوار ، ٢٤٦/٢) .

(٣) هذا معنى ذبابة سيفه ، (مشارق الأنوار ، ٢٦٨/١) .

(٤) انظر ، عمدة القاري ، (١٤/ ١٨٠).

ﷺ أنه من أهل النار، وإن كان يعطى له حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، وأن الاعتبار بالخواتيم وبالنيات .[1]

الدلالة التربوية :

إن هذا التصرف من أكثم في اتباعه الرجل الذي قال عنه ﷺ أنه من أهل النار، ليس إلا نتاجاً للتربية النبوية الحكيمة التي زرعت في نفوس الصحابة حب البحث واكتشاف الحقيقة، فتكون أوقع في نفوسهم وأثبت في أذهانهم.

٦- عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : (دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ادَّخِرُوا ثَلاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ وَيَجْمُلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاثٍ، قَالَ: إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا) .[2]

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ أمر الناس بأكل لحوم الأضحى والتصدق منها، ونهاهم عن إمساك اللحوم إلى أكثر من ثلاثة أيام، وذلك من أجل الدافة ؛ وهم قوم يسيرون جميعاً سيراً خفيفاً، والمراد من ورد من ضعفاء الأعراب للمواساة، فلما كان بعد ذلك في العام المقبل،كأنهم فهموا أن النهي ذلك العام كان على سبب خاص، فإذا ورد العام على سبب خاص حاك في النفس من عمومه وخصوصه إشكال، فلما كان مظنة الاختصاص؛ عاودوا السؤال، فبيَّن لهم أنه خاص بذلك السبب، فقالوا لرسول الله ﷺ: لقد كان الناس ينتفعون بضحاياهم في الادخار والتزود ويذيبون منها الشحم [3]،ويتخذون منها الأسقية .[4]

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (١٤/ ١٨٠).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب لا يقال فلان شهيد ، (٣ / ١٠٦١ ، ح ٢٧٤٢) ، صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، (١ / ١٠٦ ، ح ١١٢) .

(٣) هذا هو المراد من كلمة : يجملون الودك . (النهاية ، ١٦٨/٥) .

(٤) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣١/١٣) ، شرح الزرقاني ، (١٠٠/٣) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ: وما ذاك ؟ أي ماذا تقصدون ؟ سؤالاً يستفهم به عن مرادهم بهذا الكلام ومقصودهم منه قبل أن يجيبهم، وهنا يظهر هديه ﷺ في التحقق والتثبت قبل إبداء حكم أو توجيه، فأجابوا: بأن قصدهم أنهم ممتنعون عن الانتفاع بسبب نهيه ﷺ عن لحوم الضحايا بعد ثلاث، فأزال رسول الله ﷺ الإشكال بتوضيح الحكم وتبيينه بقوله: "إنما نهيتكم من أجل الدافَّة التي قدمت عليكم، فكلوا وتصدقوا وادخروا"، وهذا تصريح بزوال النهى عن ادخارها فوق ثلاث، وفيه الأمر بالصدقة منها والأمر بالأكل .[1]

٧- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: (ذُكِرَ الْعَزْلُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: وَمَا ذَاكُمْ ؟ قَالُوا: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الْمَرْأَةُ تُرْضِعُ فَيُصِيبُ مِنْهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ مِنْهُ، وَالرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ فَيُصِيبُ مِنْهَا وَيَكْرَهُ أَنْ تَحْمِلَ مِنْهُ، قَالَ: فَلا عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَفْعَلُوا ذَاكُمْ، فَإِنَّمَا هُوَ الْقَدَرُ.)[2]

معنى الحديث :

في الحديث بيان منه ﷺ لحكم العزل حين سئل عنه، وهنا اختلف العلماء في حكم العزل حسب فهمهم لمعنى قوله ﷺ :" فلا عليكم ألا تفعلوا " إلى قولين :

١- النهي عن العزل، فكأن هؤلاء فهموا من: "لا" : النهي عما سألوه عنه ، فكأن عندهم بعد "لا" حذفاً تقديره: لا تعزلوا، وعليكم أن لا تفعلوا ، ويكون قوله :" وعليكم" تأكيداً للنهي، أي ليس عليكم أن تتركوا، أو لا حرج عليكم أن لا تفعلوا، ففيه نفي الحرج عن عدم الفعل، فأُفهم ثبوت الحرج في فعل العزل، ولو كان المراد نفي الحرج عن الفعل لقال: لا عليكم أن تفعلوا .

٢- جواز العزل ، واستشهدوا برواية عند مسلم : (ذكر العزل عند رسول الله ﷺ فقال: ولِمَ يفعل ذلك أحدكم ؟)[3] ولم يقل: لا يفعل ذلك، فأشار إلى أنه لم يصرح لهم بالنهي وإنما أشار أن الأَوْلى ترك ذلك؛ لأن العزل إنما كان خشية حصول الولد، فلا فائدة في ذلك

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣١/١٣) ، شرح الزرقاني ، (١٠٠/٣) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر:٢٤) ، (٢٦٩٥/٦، ح ٦٩٧٤) ، صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب حكم العزل ، (١٠٦٣/٢، ح ١٤٣٨) .

(٣) تقدم تخريجه في مبحث التعرف على المشكلة ، (٦٣) .

لأن الله إن كان قدر خلق الولد؛ لم يمنع العزل ذلك، فقد يسبق الماء، ولا يشعر العازل فيحصل العلوق، ويلحقه الولد ولا راد لما قضى الله .

ولا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها، لأن الجماع من حقها ولها المطالبة به، وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل .[1]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ :" وما ذاكم ؟"؛ أي ماذا تقصدون به ؟ وماذا تعنون به ؟ وما الدافع له ؟ ليتثبت رسول الله ﷺ ويتحقق من مقصود الصحابة، ويحدد مرادهم من العزل الذي ذكروه أو سألوه عنه؟ فأجابه الصحابة أن سبب العزل شيئان؛ أحدهما: كراهة مجيء الولد من الأمة وهو إما أنفة من ذلك، وإما لئلا يتعذر بيع الأمة إذا صارت أم ولد، وإما لغير ذلك، والثاني: كراهة أن تحمل الموطوءة وهي ترضع ؛ فيضر ذلك بالولد المرضَع .

وقوله : وما ذاكم ؟ وفي رواية : ؟ أو إنكم لتفعلون ؟ هذا الاستفهام يشعر بأنه ﷺ ما كان اطلع على فعلهم ذلك، و إنهم فعلوا العزل و لم يعلم به حتى سألوه عنه .

فلما فهم ﷺ مرادهم من ذلك؛ أجابهم بالحكم عن ذلك بقوله:" لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك ".

وفي ختام هذه الأحاديث يظهر لي :

١- أن السؤال عن مراد المتكلم ومقصوده من عباراته قبس من هديه ﷺ الأكمل في التثبت من المشكلة والسؤال عن دوافعها وأسبابها، حيث إن إطلاق الإجابات حول الأسئلة والعبارات دون التأكد من مقصودها، مشكلة عظيمة، وقضية خطيرة، فكم من حقيقة ضاعت، ومفهوم اختلف، بسبب الابتعاد عن هذا المنهج العظيم والتسرع في الإجابة عن سؤال أو التعليق على عبارة لم يتحقق صاحبها من مراد قائلها ويحدد المقصود منها .

٢- سؤاله ﷺ بصيغة : ما ذاك ؟ أو ما ذاكم ؟ وتكرار ذلك في خمسة أحاديث، لتحديد مراد المتكلم وتعيين مقصوده من عباراته، هو سؤال مختصر اللفظ، غاية في بلاغة المعنى ، يبدو لي أنه سؤال مفتوح فمعناه يتعدى السؤال عن المقصود والمراد إلى الأسباب والدوافع،

(١) انظر ، فتح الباري، (١ / ١١٣٨) .

كما يتضح هذا من خلال فهم الصحابة من السؤال، فيجيبون عن هذا السؤال ببيان كل هذه الأمور فتكون الإجابة أعم وأشمل من السؤال .

وقد دعت التربية الحديثة إلى التأكد من مراد المتكلم أو السائل قبل الإجابة عليه :

" ماذا لو لم أسمع السؤال، أطلب من السائل إعادته، والأفضل أن تطلب منه صياغته بشكل آخر، وإن كنت في شك فأعد السؤال للتأكيد، الأفضل أن تعيد صياغته بطريقة مختلفة ، أريد التأكد من أنني فهمت سؤالك ؟ يبدو أنك تسأل عن ..؟ " [(١)]

قد تبدو ضرورة فهم المشكلة قبل القيام بالحل، أمراً واضحاً للغاية، غير أن الصعوبات الأساسية التي تواجه المتعلم، تنجم عموماً عن عدم فهمه المشكلة التي يواجهها، وعدم قدرته على تحليل هذه المشكلة، والوقوف على مكوناتها الأساسية؛ الأمر الذي لا يمكّنه من تكوين تصور واضح عنها، وربما يعرف المعلمون والمربون أكثر من غيرهم؛ أن ضعف الأداء يعود في كثير من الحالات إلى التسرع في الإجابة، والناجم عن فشل في تحليل السؤال وفهمه قبل اتخاذ قرار الإجابة؛ لذا يجب التدريب على عدم الإجابة قبل فهم المشكلة، وتحليلها إلى مكوناتها الأساسية، وفهم الهدف الذي ترمي إليه، كما يجب تدريبهم على استخدام بعض القرائن والمحكّات أو الاستراتيجيات التي تمكنهم من تقويم مدى فهمهم للمشكلة؛ لمعرفة ما إذا كان فهمهم صحيحاً أم لا . [(٢)]

---

(١) الإلقاء الناجح ، جونز أرنبوج ، (١٢٧) .

(٢) انظر ، علم النفس التربوي ، د. عبد المجيد نشواتي ، (٤٦٠) .

المبحث الرابع : تقرير المخاطب

التقرير :

"من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الأصلي، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، وإلجاؤه إلى الاعتراف به؛ بأن تجعل الذي أردت أن تحمل المخاطب على الإقرار به والياً الهمزة – أي بعد همزة الاستفهام – وقد يطلق التقرير بمعنى التثبت والتحقق ." (١)

إن تقرير المخاطب بأسئلة تدفعه إلى الإقرار بالشيء الذي ينكره والتسليم به وبذلك تلزمه الحجة فيعجز عن الإنكار ويسلّم بالحقيقة التي يراد تعليمها له، أو تقريره بأصول وقواعد ثم البناء عليها بعد إقراره؛ أسلوبٌ سلكه الرسول ﷺ للوصول إلى المراد بالتي هي أحسن، من خلال الأسئلة التي يطرحها على المخاطب ليقرره بعدة أمور :

١- تقرير المخاطب بوجود العلم والمعرفة :

وفيه حديثان :

١- عن ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ : (إِنَّ رَجُلاً أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاوِيَةَ خَمْرٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟ قَالَ: لا، فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِمَ سَارَرْتَهُ؟ فَقَالَ: أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا، قَالَ: فَفَتَحَ الْمَزَادَةَ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهَا) . (٢)

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ أهدى له رجل من دوس راوية من خمر، وسميت راوية لأنها تروى صاحبها ومن معه، وتسمى أيضاً مزادة لأنه يتزود فيها الماء؛ فبيَّن للرجل حرمتها (٣) ، وأمره بكب ما في المزادة من خمر، ونهاه عن بيعها ؛ لينتفع بحقها، فالذي حرم شربها حرم بيعها، ، ولأن

(١) معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، (٥٤٣) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب تحريم الخمر ، (١٢٠٦/٣ ، ح ١٥٧٩) .

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ،(٤/١١).

بيعها يؤدي إلى شربها، فالأمر الذي يؤدي إلى محرم فهو محرم، ولم يأمره بكسرها، وهذا دليل لمذهب الشافعي والجمهور أن أواني الخمر لا تكسر ولا تشق بل يراق ما فيها.(١)

موضع الشاهد ودلالته:

لا يعدل رسول الله ﷺ عن هديه في التحقق والتثبت قبل إصدار الحكم، مع أنه أمر قد نزلت حرمته في ذلك الوقت، فيسأل الرجل السؤال التقريري بالعلم والمعرفة، بقوله : " هل علمت أن الله قد حرمها ؟ " " فلعل السؤال كان ليعرف حاله؛ فإن كان عالماً بتحريمها أنكر عليه هديتها وإمساكها وحملها، وعزّره على ذلك، فلما أخبره أنه كان جاهلاً بذلك عذره، والظاهر أن هذه القضية كانت على قرب تحريم الخمر قبل اشتهار ذلك، وفي هذا أن من ارتكب معصية جاهلاً تحريمها لا إثم عليه ولا تعزير . (٢)

ثم متابعته ﷺ ملابسات المشكلة المراد علاجها، وكل ما له علاقة وارتباط بها، فلا يكتفي ﷺ بسؤاله التقريري الذي يستوثق به علم الرجل من الحكم من ناحية، ويشعره بحرمة صنيعه من ناحية أخرى، بل يظل متابعاً للموقف، ملاحظاً لتصرف الرجل بعد ذلك، فلما انتبه ﷺ لتلك المسارّة من صاحب المشكلة مع من بجانبه؛ طرح سؤالاً ليس تقريرياً وإنما ليستكشف به حقيقتها، بقوله: بم ساررته ؟ أي : بأي شيء كلمته خفية؟ وذلك لأن المسارَّة وقعت في أثر السؤال التقريري، فمن الضرورة التعرف عليها لعلاقتها الحتمية بالمشكلة نفسها، فيبين الأمر على وجهه الصحيح، وهذا جانب تربوي مهم يتعين علينا الاهتمام به، فليست مهمتنا كمربين التنبيه على السلوك الخاطئ، بل المتابعة والتأكد من تصحيحه.

وهنا نلحظ كيف عالج ﷺ المشكلة بحوار تقريري هادئ، جعل الرجل يفرغ الخمر الذي في المزادة ويكبه بنفسه .

(١) انظر ، شرح الزرقاني، (٤/٢١٢).

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم،(١١/٤).

٢-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (حَشَوْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وِسَادَةً فِيهَا تَمَاثِيلُ كَأَنَّهَا نُمْرُقَةٌ، فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا بَالُ هَـــذِهِ الْوِسَادَةِ ؟ قَالَتْ: وِسَادَةٌ جَعَلْتُهَا لَكَ لِتَضْطَجِعَ عَلَيْهَا، قَالَ: أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَأَنَّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ ؟).[١]

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ غضب حين دخل حجرة عائشة رضي الله عنها فرأى نمرقة وهي وســـادة عليها تصاوير حيوانات، وبيّن وعيد صناعها، لأن الوعيد إذا حصل لصانعها فهو حاصـــل لمستعملها لأنها لا تصنع إلا لتستعمل، فالصانع متسبب والمســـتعمل مباشـــر فيكـــون أولى بالوعيد، فلا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، ولا بين أن تكـــون مدهونة أو منقوشة أو منقورة أو منسوجة خلافاً لمن استثنى النسج وادعى أنه ليس بتصوير، وظاهر حديثي عائشة رضي الله عنها هذا والذي قبله التعارض، حيث قالت : (قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقِرام لي على سَهْوة لي - القرام هو ستر فيه رقـــم ونقـــوش ، والسهوة: الحائط الصغير الذي يبنى من حائط البيت، ويجعل السقف على الجميع فما كـــان وسط البيت فهو السهوة وما كان داخله فهومخدع[٢]- فيها تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، قالت: فجعلناه وسادة أو وسادتين) [٣] ، وفي رواية:(فاتخذت منه نمرقتين -النمرقة الوسادة التي يتكئ عليها-) ،فهو يدل على أنه ﷺ استعمل الستر الذي فيه الصورة بعد أن قطع وعملت منه الوسادة، وهـــذا الحديث يدل على أنه لم يستعمله أصلاً، والجمع بينهما أنه لا يلزم من جواز اتخاذ ما يوطـــأ من الصور جواز القعود على الصورة، فيجوز أن يكون استعمل من الوسادة ما لا صورة فيه

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ، (١١٧٨/٣ ح ٣٠٥٢) ، صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصـــوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة ، (١٦٦٤/٣، ح ٢١٠٤) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢٢ / ٧٢) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس ، باب ما وطيء من التصاوير، (٢٢٢١/٥، ح ٥٦١٠).

ويحتمل أيضا أن يجمع بين الحديثين بأنها لما قطعت الستر وقع القطع في وسط الصورة مثلاً، فخرجت عن هيئتها فلهذا صار يرتفق بها .[1]

موضع الشاهد ودلالته :

بدء المحاورة بعد التهيئة الكاملة لعائشة رضي الله عنها، بأن هناك أمراً مخالفاً للشرع، وتصرفاً غير مقبول على الإطلاق، فرسول الله ﷺ لا يتغير وجهه إلا إذا انتهكت محارم الله :

أ- فكان السؤال الأول: ما بال هذه النمرقة؟ أي: ما شأنها فيها تماثيل؟ سؤالاً يتحقق من غايتها في وضع هذه الوسادة، ويستمع لسبب ذلك، فهو يمنحها فرصة لإبداء دافعها من شراء هذه الوسادة، فلما أجابت بالسبب .

ب- طرح ﷺ السؤال التقريري عن علمها ومعرفتها بأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صوره ، بقوله : أما علمت ..؟ " وأن أصحاب هذه الصورة الحيوانية الذين يصنعونها يضاهئون بها خلق الله؛ يُعذَّبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم؛ أي: ما صورتم كصورة الحيوان، والأمر للاستهزاء والتعجيز لأنهم لا يقدرون على نفخ الروح في الصورة التي صوَّروها فيدوم تعذيبهم"[2]، إنه سؤال كفيل بأن يعالج المشكلة، ويشعرها بخطورة الأمر وفداحته .

الدلالات التربوية :

إن رسول الله ﷺ يعالج هذه المشكلة التي استثارت غضبه حتى تلون وجهه؛ بنفس هديه المعهود من التثبت والتحقق عن طريق المحاورة التي يصل بها إلى تقرير المخاطب بسوء سلوكه، وخطورة تصرفه، وذلك من خلال :

١- إشعار المخطئ بخطئه دون التوبيخ والتأنيب وإظهار اللوم، فلم يتكلم ﷺ حين رأى الوسادة الصغيرة التي فيها تصاوير حيوان عند عائشة رضي الله عنها، بل عرفت عائشة الإنكار من أمرين :

أ- من علامات وجهه الوجيه، حيث تغير لونه فعرفت الكراهية .

ب- من وقوفه عند الباب ورفضه الدخول، وهذا جانب تربوي مهم في طريقة حل المشكلات، فقد يكون الإنكار الفعلي أبلغ من القولي .

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١٠ / ٣٨٩) .

(٢) شرح الزرقاني ، (٤/٤٧٠) .

٢- حسن أدب عائشة رضي الله عنها حيث قدمت التوبة على اطلاعها على الذنب، حيث روي أنها قالت: (ماذا أذنبت؟ أي: ما اطلعت على الذنب)، وقالت: - في رواية -:(يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله) [١]، وفي هذا "جواز التوبة من الذنوب كلها إجمالاً، وإن لم يستحضر التائب خصوص الذنب الذي حصلت به مؤاخذته ". [٢]

٢- تقرير المخاطب بوجود الفئة المخاطبة دون غيرها :

وفيه حديث واحد :

١- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: (جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الأَنْصَارَ فَقَالَ: أَفِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟ فَقَالُوا: لا إِلا ابْنُ أُخْتٍ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ) . [٣]

معنى الحديث :

أنه ﷺ جمع الأنصار، وذلك لكي يزيل الإشكال الذي ورد في أذهانهم؛ من أن رسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويفضلهم عليهم . [٤]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لهم قبل التحقيق في المشكلة ومناقشتها والوصول إلى حلها وعلاجها، بصيغة تقريرية عن وجود غيرهم معهم، بقوله : أفيكم أحد من غيركم ؟ فلما استوثق من عدم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس ، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء ، (٧٤٢/٢، ح ١٩٩٩).

(٢) فتح الباري ، (٣٨٩/١٠).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ، (٧٣٥/٢ ، ح١٠٥٩) .

(٤) تقدم بيان المعنى في المبحث الثاني التحقق من صدق الخبر، (٨١) ، برواية أخرى ، وسيتم تناول باقي الأسئلة في مبحث الأمن النفسي، (٣١٠) ، وذلك لأن الحديث برواياته احتوى على أكثر من سؤال، كل سؤال منها يحقق غرضاً مرتبطاً بمبحث من المباحث الذي أدرجته تحتها .

وجود غير الفئة التي يريد أن يخاطبها ويناقش خطأ تفكيرها، بيّن لهم أنه إنما أعطى أولئك من أجل تأليف قلوبهم .

إن جمع المعنيين لتصحيح التصور الخاطئ لديهم، وتقريرهم عن عدم وجود غيرهم عند معاتبتهم، يراعي فيها ﷺ ناحية نفسية وتربوية عند معالجة المشكلة، حيث تصل رسالة للمخطئ أن المقصود هو التصحيح وليس التشهير والتجريح، ففي مراعاة هذا الجانب المهم من حفظ للكرامة، وحماية للثقة والاعتزاز بالنفس، وصيانة لوضع المخطئ الاجتماعي أثناء تعامله مع الناس الشيء العظيم .

وبهذا يبدو لي أن السؤال الواحد منه ﷺ يحمل أغراضاً متنوعة، يحقق به ﷺ جوانبَ تربوية وتعليمية ونفسية لها أكبر الأثر في تنشئة الفرد تنشئة سليمة .

٣- تقرير المخاطب بسلوكه الخاطئ وكيفيته :

وفيه أربعة أحاديث :

١- عَنْ الْمَعْرُور ابْنُ سُوَيْد [١] عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: (رَأَيْتُ عَلَيْهِ بُرْدًا وَعَلَى غُلامِه بُرْدًا فَقُلْتُ : لَوْ أَخَذْتَ هَذَا فَلَبِسْتَهُ كَانَتْ حُلَّةً وَأَعْطَيْتَهُ ثَوْبًا آخرَ، فَقَالَ: كَانَ بَيْني وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً [٢] فَنِلْتُ مِنْهَا، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: أَسَابَبْتَ فلانًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهِلِيَّةٌ، قُلْتُ: عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ، قَالَ: نَعَمْ هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِه فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ) . [٣]

معنى الحديث :

شاهد المعرور رضي الله عنه منظراً عجيباً على خلاف المعهود في لبس الخادم؛ رأى أبا ذر رضي الله عنه وعليه برداً جيداً تحته ثوب خلق من جنسه، وعلى مولاه أبي مراوح كذلك، فقال له: لو أخذت البرد الجيد فأضفته إلى البرد الجيد الذي عليك، وأعطيت الغلام البرد الخلق بدله لكانت حلة

---

(١) المعرور ابن سويد الأسدي ، أبو أمية الكوفي ، تابعي ثقة . (التهذيب ، ٨ / ٣٦٨) .

(٢) الأعجمي : من لا يفصح باللسان العربي سواء كان عربيا أو عجميا . (فتح الباري ، ١ / ٢٥٦) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن السباب واللعن ، (٢٢٤٨/٥ ، ح ٦٠٥٠) .

جيده، وسأله عن السبب في إلباسه غلامه نظير لبسه لأنه على خلاف المـألوف، فأجابه بحكاية القصة التي كانت سبباً لذلك، وهي أنه تخاصم مع رجل وهو بلال المؤذن، والظاهر أنه وقع بينهما سباب وزاد عليه التعيير فقال له: يا ابن السوداء[١]، واسم أمه حمامة [٢]، فاشتكى بلال إلى النبي ﷺ .

موضع الشاهد ودلالته:

في هذا الموقف تظهر منهجيته ﷺ التربوية في علاج المشكلة، بطرح سؤالين على المخطئ، يقرره بسلوكه الخاطئ، فيتحقق من صدق وقوعه، ويشعره بخطورة ما فعله، فيعالج بهما المشكلة :

١- بسؤاله التقريري عن السلوك الأعم، وهو السب، بقوله : أسابيت فلاناً ؟ فلم تشغل الرسول ﷺ خطأ سب الأم وشتمها عن خطأ السب أصلاً، فعالج بسؤاله هذا القضية العامة أولاً وهي :"السب "، وأشعر صاحبها بخطأ ذلك وحرمته، وفي هذا السؤال علاج لأصل المشكلة واجتثاث لجذرها.

٢- ثم طرح السؤال التقريري الأخص بقوله ﷺ :" أفنلت من أمه ؟ "؛ أي أتكلمت في عرضها؛ فعالج القضية الخاصة: وهي:"سب الأم والنيل منها"، وفي هذا إشعار للمخطئ بوقوع الخطأ منه من جهتين، وتعظيم حجم المشكلة في نفسه، وأن القضية الخاصة أكثر شناعة.

الدلالات التربوية :

١- قوة تعليمه ﷺ التي تقع في النفس موقعاً بليغاً، يبقى محفوراً في الوجدان لا تبليه الأيام والليالي، فقد بيّنَ ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه سوء هذا الخلق، فالتعيير بالأم أمر عظيم عندهم، لأنهم كانوا يتفاخرون بالأنساب، ولهذا أنكر النبي ﷺ بلفظ يدل على أشد الإنكار، "إنك امرؤ فيك جاهلية" أي جهلت وعصيت الله تعالى في ذلك، وذلك بعد طرح الأسئلة التي أحدثت التهيئة والقبول النفسي للتوجيه أو التوبيخ؛ فكان أدعى لإدراك المخطئ حجم خطئه، وللتأثر

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، (١٠/٤٦٤).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١/٨٦) .

والامتثال، أي أنك في تعيير أمه على ما يشبه أخلاق أهل الجاهلية، ويحتمل أن يُراد بالجاهلية؛ الجهل أي إن فيك جهلاً.

إنها كلمة شديدة وقعت موقعاً عظيماً في نفس أبي ذر؛ حتى تعجب ﷺ من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، وقد أكرمه الله بالإسلام فكان من أوائل المسلمين، ومع ذلك تبقى فيه بقايا الجاهلية، ونرى هنا أن الامتثال بلغ غايته عند أبي ذرحتى أنه ساوى بين نفسه وبين غلامه في كل شيء، فكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذاً بالأحوط، وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواه .[(١)]

٢- قدم ﷺ الإخوان في قوله :" إخوانكم خولكم" "لأجل الاهتمام ببيان الأخوة وتأكيداً لها، ويجوز أن يكون من باب القلب المورث لملاحة الكلام".[(٢)]

٣- أن رسول الله ﷺ في الغالب لا يكرر السؤال بألفاظه بل كل لفظ يعالج به قضية ويحقق به هدفاً .

٤-وجوب الابتعاد عن نبز الناس بألوانهم،وقبائلهم ولا نتفاضل عليهم بذلك ولانفضلهم به.

٢-عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْد رضي الله عنهما قال: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى الْحُرَقَة فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ منْ الأَنْصَارِ رَجُلاً منْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ؛ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ؟ قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلكَ الْيَوْمِ) .

وفي رواية : (أَقَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا منْ السِّلاحِ، قَالَ: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِه حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئذ) .

وفي رواية: (فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لمَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَوْجَعَ فِي الْمُسْلمينَ وَقَتَلَ فُلانًا وَفُلانًا وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْه فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، قَالَ

(١) انظر ، فتح الباري (١ / ٢٥٦) ، عمدة القاري، (١٢٦/٢٢) .

(٢) عمدة القاري، (٢٠٨/١) .

رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَقَتَلْتَهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بلا إِلَهَ إلا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَكَيْفَ تَصْنَعُ بلا إِلَهَ إلا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَـــة ؟ قَالَ: فَجَعَلَ لا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إلا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟).[1]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ أرسل سرية فيها أسامة بن زيد إلى الحرقة [2] وهم بطن من جهينة، وراء بطـــن نخل سمُّوا بذلك لوقعة كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، فـــأحرقوهم بالسهام لكثرة من قتلوا منهم، وهذه السرية يقال لها: سرية غالب بـــن عبيـــد الله الليثـــي وكانت في رمضان سنة سبع – و ليس في هذا ما يدل على أن أسامة كان أمير الجيش كما ذكر أهل المغازي – فهجموا على القوم صباحاً قبل أن يشعروا بهم، فلحق أسامة ورجل من الأنصار رجلاً منهم قيل: اسمه مرداس بن عمرو الفدكي، ويقال: مرداس بن نهيك ، فلمـــا رفع أسامة عليه السيف، قال: لا اله إلا الله ، فلما لم يتمكن من ضـــربه بالســـيف طعنـــه بالرمح، فلما قدموا المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ ، وفي رواية أن أسامة هو الذي بلغ النبي ﷺ ، ولا منافاة في ذلك لأنه يحمل على أن ذلك بلغ النبي ﷺ من أسامة لا من غـــيره، فتقـــديره الأول بلغ ذلك النبي ﷺ مني .

وعُذْرُ أسامة في قتله: أن الرجل لم يكن بقوله قاصداً للإيمان، بل كان غرضه التعوذ من القتل أوقالها خوفاً من السلاح، ويشبه أن أسامة قد أوّل قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر:٨٥]، وأقـــل أحوال أسامة في ذلك أن يكون قد أخطأ في فعله لأنه إنما قصد إلى قتل كافر عنده و لم يكن عرف بحكمه ﷺ فيمن أظهر الشهادة، ولذلك عذره النبي ﷺ فلم يلزمه ديـــة ولا غيرهـــا، فكأنه حمل نفي النفع على عمومه دنيا وأخرى وليس ذلك المراد، والفرق بين المقامين أنه في مثل تلك الحالة ينفعه نفعاً مقيداً بأن يجب الكف عنه حتى يختبر أمره، هل قال ذلك خالصاً

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ، (١٥٥٥/٤، ح ٤٠٢١) ، صـــحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، (١ / ٩٥ ، ح ٩٦) .

(٢) الحرقة ناحية بعمان ينسب إليها أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدي الأزدي الحرقي، أحد أئمـــة الســـنة مـــن أصحاب عبد الله بن عباس أصله من الحرقة. معجم البلدان ، (٢٤٣/٢).

من قلبه، أو خشية من القتل؟ وهذا بخلاف ما لو هجم عليه الموت ووصل خروج الروح إلى الغرغرة وانكشف الغطاء، فإنه إذا قالها لم تنفعه بالنسبة لحكم الآخرة وهو المراد من الآية .
وأما كونه لم يلزمه دية ولا كفارة: لعله سكت عنه لعلم السامع، أو كان ذلك قبل نزول آية الدية والكفارة، ويحتمل أنه لم يجب عليه شيء لأنه كان مأذوناً له في أصل القتل فلا يضمن ما أتلف من نفس ولا مال كالخاتن والطبيب، أو لأن المقتول كان من العدو و لم يكن له ولي من المسلمين يستحق ديته. (١)

موضع الشاهد ودلالته:

الأسئلة التقريرية التي طرحها ﷺ على أسامة :

١-" أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ أقالها وقتلته؟ .

٢- "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ الفاعل في قوله: أقالها؟ هو القلب ومعناه: أنك إنما كلفت بالعمل بالظاهر وما ينطق به اللسان، وأما القلب فليس لك طريق إلى ما فيه، فأنكر عليه ترك العمل بما ظهر من اللسان .

وفي رواية:(أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل كانت فيه حين قالها واعتقدها أو لا؟) والمعنى: أنك إذا كنت لست قادراً على ذلك فاكتف منه باللسان .

٣- ثم يطرح الرسول ﷺ هذا السؤال" كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟" أي: بماذا تحتج إذا قيل لك: كيف قتلت من قال لا إله إلا الله، وقد حصلت لديه حرمة الإسلام ؟ .

إن في هذا اللوم بصيغة التقرير؛ تعليماً وإبلاغاً في الموعظة، وبياناً لعظم جرم قتل النفس المؤمنة، حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وفي تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر؛ زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك . (٢)

٤- تكرار الأسئلة التقريرية بعملة، وإعادة السؤال نفسه بعد كل عذر كان يقدمه أسامة، فقد ساق أسامة لرسول الله ﷺ عذره كاملاً لكنه لم يجد له فيه مخرجاً، فيبلغ بذلك قمة الإنكار، وتعظيم الخطأ، وتحقيق الإدراك الكامل عند أسامة بخطورة ما ارتكبه وجناه .

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم، (٢/١٠١)، عمدة القاري ، (٢٤ / ٣٦) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٥٨٨) .

الدلالة التربوية :

يبدو لي أن هذا جانب مهم في معالجة الأخطاء الفادحة، فإن التزام المربي بتكرار نفس السؤال التقريري بالخطأ في حال سرد المخطئ لعذره أبلغ وأوقع في نفس المخطئ من مناقشة العذر، أو الانتقال إلى أسلوب آخر يوضح له به حجم المشكلة .

إن طريقته ﷺ في طرح هذه الأسئلة تجاه قضية ومشكلة ضخمة كانت أبلغ وأجدى من أي قول في تحقيق هدف الرسول ﷺ من إيقاف المخطئ على خطئه، وتقريره بشناعة جريمته، فلا يعود إليها أبداً، وقد تحقق فعلاً ذلك عند أسامه حتى تمنى أسامة أن يتأخر إسلامه إلى يوم المعاتبة ليسلم من الجناية السابقة، أي تمنى إسلاماً لا ذنب فيه، وحاصل معنى قوله: أني تمنيت أن يكون إسلامي الذي كان قبل ذلك اليوم بلا ذنب، لأن الإسلام يجب ما قبله فتمنيت أن يكون ذلك الوقت أول دخولي في الإسلام؛ لآمن من جريرة تلك الفعلة، و لم يَرِد أنه تمنى أن لا يكون مسلماً قبل ذلك، وفيه إشعار بأنه كان استصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابل هذه الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد، وإنما أورد ذلك على سبيل المبالغة ، ولقد كانت هذه القصة سبب تخلف أسامة أن لا يقاتل مسلماً بعد ذلك، ومن ثمة تخلف عن علي ﷺ في الجمل وصفين.

وهذا الخبر يملأ النفس بالتحرج والتقوى .. فحذار من التسرع في القتل .. وحذار من التسرع في التفكير، وحتى أثناء المعركة إن من يستسلم لا يجوز قتله ..إن كلمة التوحيد ثقيلة في ميزان الله .. ولا يعلم القلوب إلا الله .. فلا يحل لأحد أن يكفر من قال: لا إله إلا الله، فنحن لا نتعامل إلا مع ظاهر الإنسان ونترك باطنه لربه[١] .

٣- عن وائل بن سعد [٢]ﷺ قَالَ: (إِنِّي لَقَاعِدٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَقُودُ آخَرَ بِنِسْعَةٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا قَتَلَ أَخِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقَتَلْتَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ

---

(١) انظر ، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي ، حنان اللحام ، (٤٣٤) .

(٢) وائل بن حجر بن سعد بن مسروق ، أبو هنيدة الكندي ، روى عن النبي ﷺ ، فقدم على النبي ﷺ فأنزله ، وأصعده على المنبر ، وكتب له عهداً ، سكن الكوفة ومات في ولاية أبي سفيان . (التهذيب ، ٩ / ١٢٣) ، (الإصابة ، ٣ / ٦٢٨) .

أَقَمْتُ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ، قَالَ: نَعَمْ قَتَلْتَهُ، قَالَ: كَيْفَ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَهُوَ نَخْتَبِطُ مِنْ شَجَرَةٍ فَسَبَّنِي فَأَغْضَبَنِي فَضَرَبْتُهُ بِالْفَأْسِ عَلَى قَرْنِهِ فَقَتَلْتُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ تُؤَدِّيهِ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: مَا لِي مَالٌ إلا كِسَائِي وَفَأْسِي، قَالَ: فَتَرَى قَوْمَكَ يَشْتَرُونَكَ؟ قَالَ: أَنَا أَهْوَنُ عَلَى قَوْمِي مِنْ ذاكَ، فَرَمَى إِلَيْهِ بِنِسْعَتِهِ، وَقَالَ: دُونَكَ صَاحِبَكَ، فَانْطَلَقَ بِهِ الرَّجُلُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ قَتَلَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ ،فَرَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ إِنْ قَتَلَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ، وَأَخَذْتُهُ بِأَمْرِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا تُرِيدُ أَنْ يَبُوءَ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِ صَاحِبِكَ ؟ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَعَلَّهُ قَالَ بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ ذَاكَ كَذَاكَ ،قَالَ: فَرَمَى بِنِسْعَتِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ) .[١]

معنى الحديث :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أمام قضية جنائية خطيرة؛ رجل من المسلمين يجر آخر بنسعه؛ وهوحبل من جلود مضفورة يُجعل زماماً للبعير وغيره[٢]، ويتهمه بقتل أخيه، فلما سأل ﷺ المتهم عن حقيقة وقوع القتل وكيفيته أخبره أنهما كانا يختبطان أي يجمعان الخبط وهو ورق الثمر بأن يضرب الشجر بالعصا فيسقط ورقه[٣]، فغضب من شتمه له فضربه بالسيف على مقتل، وفي هذا الحديث أن قتل القصاص لا يكفر ذنب القاتل بالكلية، وإن كفرها بينه وبين الله تعالى؛ فهو كفارة له ويبقى حق المقتول والله أعلم.

موضع الشاهد ودلالته:

يتعامل رسول الله ﷺ مع هذه القضية بنفس المنهجية الحكيمة في التثبت والتحقق قبل علاج المشكلة أو الحكم عليها، وذلك من خلال :

١- السؤال التقريري الذي يقرر به ﷺ القاتل بجريمته، بقوله : أقتلته ؟ " وهو سؤال المدّعَى عليه عن جواب الدعوى، فلعله يقر فيستغني المدعي والقاضي عن التعب في إحضار الشهود وتعديلهم، ولأن الحكم بالإقرار حكم بيقين وبالبينة حكم بالظن ."[٤]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب القسامة، باب صحة الإقرار بالقتل وتمكين ولي القتيل من القصاص واستحباب طلب العفو منه ، (١٣٠٧/٣، ح ١٦٨٠) .

(٢) هذا معنى كلمة النسعة كما ورد في : (النهاية ، ٤٧/٥).

(٣) هذا معنى كلمة الخبط ، كما وردت في : (النهاية ، ٧/٢) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ،(١١/ ١٧٥) .

٢- السؤال التحققي عن كيفية وقوع الجريمة وسببها "كيف قتلته ؟ "وهو سؤال استكشاف عن حال القتل لإمكان أن يكون خطأ أو عمداً .

٣- عرض الحلول والبدائل لمعالجة القضية بعد أن ألزمه حكم إقراره :

أ- سؤاله عن قدرته المالية على افتداء نفسه، بقوله: هل لك من شيء تؤديه عن نفسك ؟ فلما تحقق من عدم استطاعته :

ب- عرض البديل الثاني بسؤال: عن إمكانية افتداء قومه له، بقوله: هل ترى قومك يشترونك؟ فلما تبين له هوانه على قومه واستحالة هذا البديل، دفع القاتل للولي ليقتص منه، وقال:"دونك صاحبك " وإنما حكم به النبي ﷺ لما تحقق من سبب القتل وكيفيته وثبتت التهمة، وتعذر عليه افتداء الرجل أو قومه لنفسه .

ج- التعريض بالكلام الذي قد يكون سبباً لإحجام الولي عن القصاص وعفوه، فقوله ﷺ : "إن قَتَله فهو مثله" الصحيح في تأويله: أنه مثله في أنه لا فضل ولا منة لأحدهما على الآخر؛ لأنه استوفى حقه منه بخلاف ما لو عفى عنه؛ فإنه كان له الفضل والمنة وجزيل ثواب الآخرة وجميل الثناء في الدنيا، وقيل: فهو مثله في أنه قاتل وإن اختلفا في التحريم والإباحة لكنهما استويا في طاعتهما الغضب ومتابعة الهوى، لا سيما وقد طلب النبي ﷺ منه العفو، وإنما قال النبي ﷺ ما قال بهذا اللفظ الذي هو صادق فيه لإيصال مقصود صحيح، وهو أن الولي ربما خاف من ذلك القول لفهمه دخوله في معناه، ولهذا عفا وترك قتله فحصل المقصود .

الدلالات التربوية:

١- يستحب للمفتي إذا رأى مصلحة في التعريض للمستفتي أن يعرِّض تعريضاً يحصل به المقصود مع أنه صادق فيه، فقوله ﷺ في الرواية الأخرى: (القاتل والمقتول في النار)، ليس المراد به هذين الرجلين، فكيف تصح إرادهما مع أنه إنما أخذه ليقتله بأمر النبي ﷺ، بل المراد غيرهما؛ وهو إذا التقى المسلمان بسيفيهما في المقاتلة المحرمة كالقتال عصبية ونحو ذلك فالقاتل والمقتول في النار والمراد به التعريض، والله أعلم.

٢- ترغّيبه ﷺ الولي في العفو؛ بسؤال يقرره عن مدى رغبته في الثواب الحاصل من العفو، بقوله: أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك؟ وذلك حال رجوع الولي وتردده في الأمر وسؤال الولي الرسول ﷺ عن مقصوده بعدما سمع تعريضه بإثمه لو اقتص منه .

والعفو مصلحة للولي والمقتول في ديتهما؛ لقوله ﷺ : "يبوء بإثمك وإثم صاحبك" وفيه مصلحة للجاني وهو إنقاذه من القتل .

وأما سؤاله ﷺ :" أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك؟" فقيل: معناه يتحمل إثم المقتول بإتلافه مهمته، وإثم الولي لكونه فجعه في أخيه، ويكون قد أوحى إليه ﷺ بذلك في هذا الرجل خاصة، ويحتمل أن معناه يكون عفوك عنه سبباً لسقوط إثمك وإثم أخيك المقتول والمراد إثمهما السابق بمعاص لهما متقدمة لا تعلق لها بهذا القاتل، فيكون معنى يبوء: يسقط وأطلق هذا اللفظ عليه مجازاً .[1]

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِكَ مِنْ الأنْصَارِ قَدْ لَطَمَ فِي وَجْهِي، قَالَ : ادْعُوهُ فَدَعَوْهُ، قَالَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِالْيَهُودِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قَالَ: قُلْتُ: وَعَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ : فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ فَلَطَمْتُهُ، قَالَ: لا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ ؟) .[2]

معنى الحديث :

استب رجلان أحدهما رجل من المسلمين، قيل: هو أبو بكر الصديق ﷺ ورجل من اليهود – قيل اسمه فنحاص –[3]،والوارد في الحديث أن الذي ضربه رجل من الأنصار، وهذا يعكر على القول بأنه أبو بكر الصديق، إلا إن كان المراد بالأنصار المعنى الأعم، فإن أبا بكر الصديق ﷺ من أنصار رسول الله ﷺ قطعاً بل هو رأس من نصره ومقدمهم وسابقهم[4]، فلما علم النبي ﷺ سبب ذلك وهو قول اليهودي الذي يقتضي تفضيل موسى ﷺ، نهى

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١/١٧٤) ، المفهم ، (٥ / ٥٣) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي ، (٢/٨٥٠ ، ح ٢٢٨١) .

(٣) انظر، غوامض الأسماء المبهمة، خلف بشكوال، (١/ ٣٠٠).

(٤) انظر، فتح الباري ، (٢/٣٢٢).

الرسول ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء ، وإنما نهى عن ذلك لمن يقوله برأيه لا لمن يقوله بدليل، أو أن النهي وارد لمن يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، فالأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة؛ لأن المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر؛ فيفضي إلى الكفر، فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي، والظاهر أن هذا الصعق يكون يوم القيامة حين يأتي الرب عز وجل لفصل القضاء ويتجلى، فيصعقون حينئذ أي يغشى عليهم وليس المراد من الصعق الموت ، فلا أدري أكان موسى عليه السلام فيمن صعق، فأفاق قبلي، أم حوسب بصعقته الأولى التي صعقها لما سأل الرؤية وهي صعقته يوم الطور، وهو في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: من الآية١٤٣]

وفي رواية : (أو كان ممن استثنى الله) أي في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: من الآية٦٨] ، والمعنى: فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله أي فلم يكن ممن صعق، أي فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة، وإن كان ممن استثنى الله فلم يصعق فهي فضيلة أيضاً.

والجمع بينه وبين قوله:(أو كان ممن استثنى الله) ، أن في الروايتين بيان السبب في استثنائه وهو أنه حوسب بصعقته يوم الطور، فلم يكلف بصعقة أخرى . (١)

وقد يرد إشكالان هنا:

١- نهى ﷺ عن التفضيل، وقد فضل هو بنفسه موسى عليه الصلاة والسلام، والجواب على ذلك: أنه ﷺ لم يفضل، إذ معناه: وأنا لا أدري أن هذا البعث فضيلة له أم لا ؟ أو جاز له ما لم يجز لغيره، فإن قيل: السياق يقتضي تفضيل موسى على سيدنا رسول الله ﷺ ،فالجواب: لئن سلمنا لا يقتضي إلا تفضيله بهذا الوجه، وهذا لا ينافي كونه أفضل مطلقاً من موسى.

---

(١) انظر، فتح الباري ، (٣٢٢/٢) ، عمدة القاري،(٤/١٦).

٢- أنه ﷺ نهى عن المخايرة بين الأنبياء، ونبينا محمد أفضل الأنبياء والمرسلين، وقد قال ﷺ (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)(١) فما وجه قوله ﷺ :(لا تخيروني) أي تفضلوني على موسى، فإن الجواب عنه من أوجه:

الأول: أن هذا النهي كان له سبب، فالتفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموماً.

الثاني: أن النهي نهي عن التفضيل الخاص ، أي لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه؛ بخلاف قوله ﷺ " أنا سيد ولد آدم.." فإنه تفضيل عام، فلا يمنع منه. (٢)

الثالث: أنه قبل أن يعلم أنه أفضلهم، فلما علم قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر.

الرابع : أنه نهى عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص بعضهم فإنه كفر.

الخامس : أنه قاله تواضعاً ونفياً للكبر والعجب.

السادس: أنه نهى عن التفضيل في نفس النبوة، لا في ذوات الأنبياء عليهم السلام، وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم، وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

السابع: ليس مقام التفضيل إليكم، وإنما هو إلى الله ﷻ وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به. (٣)

موضع الشاهد ودلالته:

١- استدعاء الرسول ﷺ الرجل الأنصاري، الذي شكاه الرجل اليهودي ، وادعى أنه ضربه ،فسأله ﷺ بصيغة تقريريه عن عمله ، وحقيقة وقوعه منه ، بقوله : أضربته ؟ .

فأجابه أن ذلك بسبب غضبه عند سماعه له وهو يحلف باصطفاء موسى عليه السلام .

٢- العلاج والتوجيه وبيان الحكم بعد السؤال التقريري ، والاستماع للدافع والسبب ، فبيّن ﷺ فضيلة موسى عليه السلام ، ونهى عن التفضيل بين الأنبياء .

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، (١٧٨٢/٤، ح ٢٢٧).

(٢) انظر، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي ، (١٢٠).

(٣) انظر، عمدة القاري، (٢٥٠/١٢)، تفسير ابن كثير،(٣٠٥/١).

الدلالة التربوية :

إن إجابة الرجل عن السبب والدافع ، بينما صيغة سؤاله ﷺ عن وقوع الضرب من عدمه، أضربته ؟ يدل على أن الصحابة قد استوعبت منهجية رسول الله ﷺ في السؤال عن الدوافع والأسباب ، واهتمامه بالاستماع لها ، حتى أبدى الرجل دوافعه من هذا السلوك قبل سؤاله ﷺ عن ذلك .

وفي هذا الحديث يتجلى عدل المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه؛ في اتّباع منهج التثبت والتحقق قبل الحكم على المشكلة؛ حتى ولو كانت الشكوى مقدمة من يهودي ضد ابن من أبناء المسلمين .

٤- تقرير المخاطب بإنجازه المهمة الموكلة إليه :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١- عن أَنَسٌ ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَابِضٌ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْت حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُ هَلا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا) .(١)

معنى الحديث :

في هذا الحديث نقف على كمال لطف النبي ﷺ، وطيب خلقه مع أنس ﷺ في معالجة السلوك الذي صدر منه؛"حيث جمع بين مخالفة رسول الله ﷺ ، وبين الإخبار بامتناعه ، والحلف بالله على نفي ذلك مع العزم على أنه كان يفعله، وفيه ما فيه- وهذا صدر من أنس ﷺ في حال صغره، وعدم كمال تمييزه- ومع ذلك فلم يلتفت النبي ﷺ لشيء من ذلك، ولا عرَّج عليه ولا أدَّبه، بل داعبه، وأخذ بقفاه، وهو يضحك رفقاً به واستلطافاً له" (٢) .

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث التعرف على المشكلة ، (٧١) .

(٢) المفهم ، (٦ / ١٠٤) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لأنس، يقرره فيه عن أداء المهمة التي أوكله بها، سؤالٌ أعطى أنس فرصة في تصحيح خطئه، ومع علمه ﷺ بعدم ذهاب أنس لتلك المهمة التي أرسله إليها حيث رآه يلعب مع الصبيان،كان سؤاله ﷺ محتملاً إنجازه العمل وقيامه بالمهمة، فكان بحق سؤال كفيل بأن يدرك أنس الخطأ الذي وقع فيه، ويمضي فوراً لإنجاز المهمة، حاملاً في نفسه مشاعر الحب والرضا، وهذا كله مقتضى حلمه العظيم، وخلقه الكريم .

الدلالة التربوية :

وهنا نقف على جانب تربوي بالغ الأهمية، فعن طريق السؤال يتم تصحيح الخطأ دون الحاجة إلى لوم أو جرح مشاعر المخطئ بالكلام .

فيا ليت شعري كم نغفل في تربيتنا عن هذه اللمسات الحانية، والأساليب الرائعة التي والله لو التزمنا بها لحققنا ما ننشده من تكوين جيل يتمتع بشخصية قوية، ونفسية سوية، فكم من طفل يعاني من الخوف، ويفتقد القدرة على الطلاقة اللفظية، وكم من شخصية ضعيفة مهزوزة، وكم من نفسية تعاني من الإحباط وعدم تقدير الذات والاعتزاز بها، وفي رأيي ما هذا إلا إفرازاً نَتِناً لأساليب بعيدة كل البعد عن منهج الرسول الحبيب في التربية التي تحتضن بين جناحيها مشاعر الحب والتقدير للذات حتى في حال الخطأ .

٢- عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : (أرسلني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ [١] فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يُصَلِّي عَلَى بَعِيرِهِ فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ لِي بِيَدِهِ هَكَذَا- وَأَوْمَأَ زُهَيْرٌ [٢] بِيَدِهِ - ثُمَّ كَلَّمْتُهُ فَقَالَ لِي هَكَذَا - فَأَوْمَأَ زُهَيْرٌ أَيْضًا بِيَدِهِ نَحْوَ الأَرْضِ - وَأَنَا أَسْمَعُهُ يَقْرَأُ يُومِئُ بِرَأْسِهِ فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: مَا فَعَلْتَ فِي الَّذِي أَرْسَلْتُكَ لَهُ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُكَلِّمَكَ إلا أَنِّي كُنْتُ أصلي). [٣]

(١) سار النبي ﷺ في سنة خمس إلى بني المصطلق من خزاعة لما بلغه أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قد جمع له جمعا ، فوجدهم على ماء يقال له المريسيع فقاتلهم وسباهم ، فنسبت هذه الغزوة إليه تارة، ونسبت إلى بني المصطلق تارة أخرى؛ لأنهم هم المقصودون بالغزوة، وفي السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعي زوجة النبي ﷺ وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك . معجم البلدان ، (٥/ ١١٨)، (معجم الأمكنة، سعد جنيدل، (٤٠٢).

(٢) زهير بن معاوية بن حديج بن الرحيل بن زهير بن خيثمة الجعفي أبو خيثمة الكوفي ، سكن الجزيرة ،من كبار الأتباع ، وزهير ثقة متقن صاحب سنة ، مات سنة ١٧٧ . تهذيب التهذيب ، (٣٠٣/٣).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، (٣٨٣/١ ، ح ٥٤٠) .

معنى الحديث :

إن الصلاة تبطل بالكلام ولا تبطل الصلاة بالإشارة ونحوها من الحركات اليسيرة .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لجابر ﷺ بصيغة تقريرية عن المهمة التي أرسله بها، بقوله: **ما فعلت في الذي أرسلتك به؟** ليتحقق من إنجازه له.

الدلالات التربوية :

١- يتجلى لنا في هذا الحديث حسن خلق النبي ﷺ، وتواضعه بإبداء اعتذاره من الرد على جابر حين كلمه، وبيان المانع من ذلك، فأزال ما وقع في قلبه من ألم وحزن حين لم يرد الرسول ﷺ عليه .

٢- في الحديثين السابقين نرى متابعة الرسول ﷺ مدى تحقيق ما يكلف به من أعمال، وهذا أمر مهم يجب على كل مربي ومسئول الاهتمام به، فليست وظيفتنا قاصرة على توزيع الأعمال بل لا بد من متابعة الإنجاز والتنفيذ .

٣-عن أَبِي قَتَادَةَ قَالَ : (سِرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَوْ عَرَّسْتَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنْ الصَّلَاةِ، قَالَ بِلَالٌ: أَنَا أُوقِظُكُمْ فَاضْطَجَعُوا، وَأَسْنَدَ بِلَالٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : يَا بِلَالُ أَيْنَ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مِثْلُهَا قَطُّ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلَالُ: قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ ،فَتَوَضَّأَ فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ الشَّمْسُ وَابْيَاضَّتْ قَامَ فَصَلَّى) .[1]

معنى الحديث :

أن الصحابة في سيرهم مع النبي ﷺ ليلة في سفرة حين انصرفوا من خيبر، قالوا له: لو عرست بنا يا رسول الله -جواب لو محذوف تقديره لكان أسهل علينا -، من التعريس وهو نزول القوم في السفر آخر الليل للاستراحة، فاحترز النبي ﷺ عما يحتمل فوات العبادة عن وقتها بمن يوقظهم لصلاة الفجر؛ فتكفل بلال بهذه المهمة، ولكنه أسند رأسه على بعيره فغلبه

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الأذان بعد ذهاب الوقت ، (٢١٤/١، ح ٥٧٠) .

النوم، فلم يستيقظ لصلاة الفجر، وكان أول من هبّ مستيقظاً رسول الله ﷺ وقد طلع حاجب الشمس أي طرفها.

وهذا الحديث أقوى دليل لنا على عدم جواز الصلاة عند طلوع الشمس لأنه ﷺ ترك الصلاة حتى ابياضت الشمس – هذه الصيغة تدل على المبالغة – ولورود النهي فيه [1].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لبلال سؤالاً تقريرياً عن عدم قيامه بالمهمة فقال: "يا بلال أين ما قلت ؟ "؛" أي أين الوفاء بقولك أنا أوقظكم، وتوجهت المطالبة على بلال بذلك تنبيهاً له على اجتناب الدعوى والثقة بالنفس وحسن الظن بها ولا سيما في مظان الغلبة وسلب الاختيار." [2]

وهنا يعتذر بلال بجواب جمع بين الأدب والجرأة وقوة الحجة، فيكتفي ﷺ بهذا السؤال وبهذه الإجابة حيث علم أن الأمر كان خارجاً عن إرادته، ويأمر بالأذان للصلاة .

وأجد الفرق كبيرا فيما لوكان السؤال بصيغة: لماذا لم توقظنا ..؟ وبين " أين ما قلت؟" إنها الرقة واللطف المتناهي في الأسلوب عند توجيه المخطئ لخطئه، في حفظ مكانته، وعدم جرح مشاعره، وقد استخدم ﷺ هذا الأسلوب مع أنيس صبياً، ومع بلال رجلاً، فالنفس الإنسانية تحتاج إلى لطف ورقة المعاملة في جميع أعمارها .

حقيق لك يا رسول الله أن تخرج لنا أجيالاً أمثال بلال ..فأين نحن من هذه التربية العظيمة..!!

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٥/٨٨).

(٢) فتح الباري (١ / ٤٩٥) ، إرشاد الساري ، (٢ / ٢٣٨) .

٥- تقرير المخاطب بما يدفع عنه العقوبة :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَبِكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَهَلْ أَحْصَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ) . [١]

معنى الحديث :

إن هذا الحديث يحكي قضية خطيرة تتعلق بحد من حدود الله، وهي قصة اعتراف ماعز بجريمة الزنا ، ومحصل القصة بمختلف رواياتها:

أن ماعز بن مالك الأسلمي جاء إلى النبي ﷺ ، قيل إنه رجل قصير أعضل ليس عليه رداء، وفي لفظ: ذو عضلات- والعضلة ما اجتمع من اللحم في أعلى باطن الساق- والمراد أنه كثير العضلات، فقال: يا رسول الله طهرني، فقال ﷺ : ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه، فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فأعرض عنه ﷺ، فتنحى تلقاء وجهه، أي انتقل من الناحية التي كان فيها إلى الناحية التي يستقبل بها وجه النبي ﷺ ، فقال مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة، قال: فيم أطهرك؟ قال: من الزنى.

وفي رواية: أن الذي اشتكى عليه هو هَزَّال ابن يزيد الصحابي،كانت له جارية وقع بها ماعز الأسلمي فزنى بها، واسمها فاطمة، وقيل منيرة، وقيل: اسمها مهيرة، ويمكن الجمع بين الروايتين: أنه تم تبليغ النبي ﷺ بالواقعة في الوقت الذي جاء ماعز وأقر واعترف بنفسه على ذلك، فجاء من غير استدعاء، وبعد سؤاله وإقراره على نفسه، أمر به رسول الله فرجم بالمصلى، فوجد ماعز مس الحجارة، فخرج يشتد، فلقيه عبد الله بن أنيس فضربه بساق بعير

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب لا يرجم المجنون والمجنونة ، (٢٤٩٩/٦ ، ح٦٤٣٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا ، (١٣١٨/٣، ح ١٦٩١) ، وقد سبق إيراد هذا الحديث، برواية سؤاله ﷺ : " أحق ما بلغني عنك؟ " في مبحث التحقق من صدق الخبر ، (٨٣).

فقتله، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "هلاّ تركتموه لعله يتوب، فيتوب الله عليه،و قال لهـزال حين رآه : يا هزال لو كنت سترته بثوبك كان خيراً لك" (١).

فكان الناس فيه فريقين قائل يقول هلك؛ لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز، أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة، فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: استغفروا لماعز بن مالك، فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، فقال: "لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم، لقد رأيته بين أنهار الجنة ينغمس يعني يتنعم ،قد غفر الله له وأدخله الجنة، وقال ﷺ لمن قال له: يا خبيث ، لا تقل له خبيث لهو عند الله أطيب من ريح المسك" (٢).

وورد في بعض الروايات :(وصلى عليه) وبعضها: (و لم يصلي عليه)، والجمع بين الروايتين بأن رواية المثبت مقدمة على رواية النافي، أو يحمل رواية من قال:(و لم يصلى عليه) يعني حين رجم، ثم صلى عليه بعد ذلك، فقد قيل: يا رسول الله أتصلي عليه؟ قال: لا ، قال: فلما كان من الغد، قال: صلوا على صاحبكم، فصلى عليه رسول الله ﷺ والناس . (٣)

موضع الشاهد ودلالته:

إن هذا الحديث دليل على منهجيته العظيمة، فالحكم لا يصدر منه ﷺ إلا بعد استيفاء أعلى وجوه التثبت والتحقق من خلال :

١- إعراض الرسول ﷺ عن الرجل – قيل أنه ماعز – الذي أقر واعترف بنفسه عن اقترافه جريمة الزنا، أربع مرات، في كل ذلك يعرض عنه رسول الله ﷺ، فأقبل في الخامسة، والمراد بالخامسة الصفة التي وقعت منه عند السؤال والاستثبات، لأن صفة الإعراض وقعت أربع مرات، وصفة الإقبال عليه للسؤال وقع بعدها،وذلك غاية التثبت، فلعله يرجع عن إقراره ، فتندفع العقوبة عنه .

(١) انظر، مسند الإمام أحمد ،(٥/٢١٦، ح ٢١٩٤٠).

(٢) انظر، صحيح مسلم ، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، (٣/١٣٢١، ح ١٦٩٥)، النسائي في الكبير،كتاب الرجم ، كيف يفعل بالرجل، (٤/٢٨٨، ح ٧٢٠٠) .

(٣) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم، (١١/١٩٣)، فتح الباري، (٣/ ٥٦٢)، عمدة القاري،(٢٣/٢٩٢)، شرح الزرقاني، (٤/١٦٩)، (٤/١٧١)، تحفة الأحوذي، (٤/٥٧٨)، التحقيق في أحاديث الخلاف، (٢/٣٣٠).

٢- سؤاله ﷺ للرجل بعد تكراره الاعتراف أربع مرات؛ سؤالاً تقريرياً بقوله:" أبك جنون"؟؛ استقراء وتحقق من حاله، واستبعاد أن يلح عاقل بالاعتراف بما يقتضي إهلاكه، أو لعله يرجع عن قوله، فإن الغالب أن الإنسان لا يصر على الإقرار بما يقتضي قتله من غير سؤال، مع أن له طريقاً إلى سقوط الإثم بالتوبة، فلو ادّعى الجنون لكان في ذلك دفع لإقامة الحد عليه حتى يظهر خلاف دعواه .

٣- سؤاله ﷺ لأهله كما في بعض الروايات: أبه جنون؟ (١) سأل ﷺ لما ظهر على ماعز من الحال الذي يشبه حال المجنون، وذلك أنه دخل منتفش الشعر ليس عليه رداء، يقول زنيت فطهرني، فلما أُخبر أنه ليس بمجنون، سأل : أشرب خمراً ؟ فقام رجل فاستنكهه، فلم يجد منه ريح خمر فقال: أزنيت؟ قال نعم (٢).

٤- سؤاله ﷺ للرجل سؤالاً تقريرياً بعد أن ثبت عليه حد الزنا، عن زواجه من عدمه بقوله : " هل أحصنت ؟ " لا فتراق الحكم في حد من تزوج ومن لم يتزوج، فلما أقّر أُخذ بإقراره . (٣).

٥- وعن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : (لَمَّا أَتَى مَاعِزُ بْنُ مَالِك (٤) النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ لَهُ : لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ ؟ قَالَ : لا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَنِكْتَهَا – لا يَكْنِي – قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِه) (٥).

وفي رواية :"(فلعلك؟ قال: لا والله إنه قد زنى الأخر)، معنى هذا الكلام: الإشارة إلى تلقينه الرجوع عن الإقرار بالزنى واعتذاره بشبهة يتعلق بها، واقتصر في الرواية على لعلك؛ اختصاراً وتنبيهاً واكتفاء بدلالة الكلام، والحال على المحذوف، أي لعلك قبلت أو نحو ذلك" (٦).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى، (٣/١٣٢١، ح ١٦٩٥)، النسائي في الكبير، كتاب الرجم ، كيف يفعل بالرجل، (٤/٢٨٨، ح ٧٢٠٠).

(٢) انظر ، شرح الزرقاني ، (٤/ ١٧٠).

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١ / ١٦١) ، فتح الباري ، (٣ / ٥٦٣) .

(٤) ماعز بن مالك الأسلمي ، له صحبة ، وهو الذي رُجم في عهد النبي ﷺ ، ويُقال أن اسمه غريب وماعز لقب . (الإصابة ٣ / ٣٣٧) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المحاربين ، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت ، (٦/٢٥٠٢، ح ٦٤٣٨) .

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم،(١١/١٩٥).

إن أسئلته ﷺ لماعز حول هذه الجريمة" أخذٌ لماعز بغاية النص الرافع لجميع الاحتمالات كلها تحقيقاً للأسباب وصيانة للدماء، وتلقين الإمام للمقر ما يدرأ عنه الحد" [1] .

الدلالات التربوية:

١- المنقبة العظيمة لماعز رضي الله عنه لأنه استمر على طلب إقامة الحد عليه مع توبته ليتم تطهيره، ولم يرجع عن إقراره مع أن الطبع البشري يقتضي أنه لا يستمر على الإقرار بما يقتضي موته، فجاهد نفسه على ذلك وقوي عليها.

٢- أن الستر على المسلم أولى من التبليغ عليه إلا إذا كان في التبليغ مصلحة ودرء مفسدة عن الآخرين، يؤخذ من قوله ﷺ " لو سترته بثوبك يا هزال".

٣- وجوب التثبت والتحقق الدقيق في القضايا التي تستوجب حداً.

٤- ضرورة محاسبة الإنسان لنفسه قبل أن تُحاسب، والتوبة والندم على ما اقترفته من ذنوب، وتكفيرها .

٢-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ،قَالَ: فَقَالَ الأَشْعَثُ [2]: فِيَّ وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟ قُلْتُ: لا قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: احْلِفْ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذًا يَحْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ..﴾ [آل عمران:٧٧] . [3]

---

(١) المفهم ، (٥ / ٩١) .

(٢) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي ، أبو محمد الصحابي ، نزل الكوفة ، روى عن النبي ﷺ ، وفد على النبي ﷺ بسبعين رجلاً من كندة ، وكان اسمه معد يكرب ، ولقب بالأشعث لشعث رأسه ، ومات بالكوفة في آخر سنة أربعين ، وهو ابن ٦٣ سنة . (التهذيب ، ١ / ٣٦٩) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ، (٨٥١/٢ ، ح ٢٢٨٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق المسلم بيمين فاجرة بالنار (١٢٢/١، ح ١٣٩) .

معنى الحديث :

في الحديث قصة خصومة بين رجل من المسلمين ورجل من اليهود، وقضاء الرسول ﷺ فيها، ومحصل القصة بمختلف رواياتها:

إن ابن مسعود ﷺ كان في مجلس يحدث بحديث رسول الله ﷺ :" من حلف على يمين صَبْر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان"، والمعنى :من حلف على يمين؛ المراد باليمين هنا المحلوف عليه مجازاً، على يمين صَبْر؛ وهي التي يلزم ويجبر عليها حالفها، وهو فيها كاذب، ليفصل قطعة من مال صاحبه ويأخذها بتلك اليمين، لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان؛ هذا وعيد شديد لأن غضب الله سبب لانتقامه، وانتقامه بالنار، فالغضب منه ﷻ يستلزم دخول المغضوب عليه النار، ولهذا وقع في رواية :(فقد أوجب الله له النار)، (وهو عنه معرض)،(ألا لقي الله وهو أجذم)، ولا بد من تقييد ذلك بعدم التوبة.

فدخل الأشعث بن قيس فقال: أنها نزلت في شأني وحالي، كان بيني وبين رجل من اليهود – قيل اسمه :"امرؤ القيس بن عابس" –[1]، وفي رواية : (ابن عم لي)، ولا منافاة بين قوله: "ابن عم لي"، وبين قوله" من اليهود" لأن جماعة من أهل اليمن كانوا يهوداً، أرض متنازع فيها، وفي رواية (بئر) ،ولا امتناع أن يكون المجموع صحيحاً فتارة ذكرت الأرض، لأن البئر داخلة فيها، وتارة ذكرت البئر لأنها المقصودة، فأنكر علي، فخاصمته إلى رسول الله ﷺ ، فقال: شاهداك أو يمينه، قلت: إذاً يحلف عليها يا رسول الله ويذهب بمالي ، فأنزل الله الآية تصديق قوله ﷺ .

فإن قيل: كيف يطابق نزول هذه الآية قوله: "إذن يحلف فيذهب بمالي"، يجاب: أن في ذلك وجهين أحدهما: كأنه قيل للأشعث ليس لك عليه إلا الحلف، فإن كذب فعليه وباله .

وثانيهما: لعل الآية تذكار لليهودي بمثلها في التوراة من الوعيد [2].

---

(١) غوامض الأسماء المبهمة، (٢/٥٧٨).

(٢) انظر، عمدة القاري، (٢٣/١٩٥)، تحفة الأحوذي ، (٨/٢٧٥)، نيل الأوطار، (٩/٢١٧).

موضع الشاهد ودلالته:

منهج رسول الله ﷺ العادل يتبعه ﷺ في حق المسلمين وغيرهم، فهاهو لا يصدر حكماً في الدعوى المقدمة من رجل مسلم ضد رجل يهودي، بل يسأل الأشعث ﷺ سؤالاً تقريرياً عمّا يثبت به حقه في هذه الأرض، بقوله: ألك بينة ؟ أي شهود، فلما أجابه بالنفي، طلب من اليهودي الحلف، فأنزل الله تبارك وتعالى الآية .

٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : (أَنَّ هلالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ[1] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ وَإِلاَّ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ ؟ فَقَالَ هِلالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ :﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ.. ﴾ [النور:٤]، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ إِنْ كَانَ مِنْ الصَّادِقِينَ، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟ ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا : إِنَّهَا مُوجِبَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْلا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ) .[2]

---

(١) شريك بن سحماء : اسم أبيه عبده ابن مغيث بن العجلان ، حليف الأنصار ، وكان شريك أخا البراء بن مالك لأمه من الرضاعة ، بعثه أبوبكر رسولاً إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة ، يقال أنه شهد مع أبيه أحداً ، وكان أحد الأمراء بالشام في خلافة أبي بكر . (الإصابة ، ٢ / ١٥٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله :﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النور:٨] ، (١٧٧٢/٤، ح ٤٤٧٠) ، صحيح مسلم ، كتاب اللعان ، (١١٣٢/٢ ، ح١٤٩٣) .

معنى الحديث :

إن رسول الله ﷺ في هذا الحديث إزاء الحكم في قضية من أخطر القضايا، قضية عرض واتهام بالزنا من زوج لزوجته، ومنهج النبي ﷺ في التثبت والتحقق قبل إصدار الحكم يبدو جلياً في هذا الحديث.

فرسول الله ﷺ طلب إحضار البينة من هلال بن أمية ﷺ حين اتهم امرأته بالزنا مع شريك بن سحماء، وحين أبدى هلال استغرابه من هذا الطلب لصعوبته، كرره ﷺ عليه ليبين له أن القضية خطيرة جداً، وتحتاج إلى غاية التثبت، فلما لم تكن معه بينة، أنزل الله تعالى آية اللعان بين الزوجين لتكون شرعاً في مثل هذه الحالة، فشهد هلال الشهادات اللعانية الخمس على صدقه وعلى كذبها، ثم قيل لها: اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين، فلما كانت الخامسة، قيل لها: اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وأن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فتبطأت عن إتمام اللعان ورجعت إلى ورائها ساعة، ثم قالت: والله لا أفضح قومي؛ فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله بينهما، ثم قال رسول الله ﷺ: إن جاءت بالولد كثير لحم الإليتين[١]، عظيم الساقين[٢]؛ فهو لشريك، فجاءت به كذلك، فقال ﷺ : لولا الأيمان لكان لي ولها شأن؛ أي لولا أن الشرع أسقط الرجم عنها لحكمت بمقتضى المشابهة ولرجمتها .[٣]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالاً تقريرياً أثناء شهادة الأول منهما عن توبة أحدهما من كذبه، لأن أحدهما حتماً سيكون كاذباً، بقوله : فهل منكما تائب ؟ فتنكشف الحقيقة .

---

(١) هذا معنى كلمة سابغ الإليتين، كما ورد في (غريب الحديث لابن الجوزي ، ٤٥٨/١) .

(٢) هذا معنى خدلج الساقين، كما ورد في (النهاية ، ١٥/٢).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (٢٥٠/١٣) .

٦- تقرير المخاطب بما يعتقده لإلزامه:

وفيه حديثان:

١-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: (أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ؟ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا). (١)

معنى الحديث :

أن رسول الله قد أتى له اليهود برجل وامرأة قد ارتكبا جريمة الزنا ليحكم فيهم، فسألهم عن شرعهم في هذه الجريمة، فكذبوا بقولهم: نفضحهم ويجلدون، وفي رواية: نسود وجوههما أي بالحمم، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، وقد أُوحى إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء ، أو أنه أخبره بذلك من أسلم منهم،ولهذا لم يخف ذلك عليه حين كتموه، فطلب منهم قراءة التوراة، فجاءوا بالتوراة وجاءوا بقاريء لهم أعور، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها وضع يده عليه، فقيل: ارفع يدك فرفع فإذا هي تلوح فقال: يا محمد إن فيها الرجم ولكنا كنا نكاتمه، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما قريباً حيث توضع الجنائز، قال عبد الله: فرأيت صاحبها يحني عليها ليقيها الحجارة،وفي هذا دليل لوجوب حد الزنا على الكافر، وأنه يصح نكاحه لأنه لا يجب الرجم إلا على محصن، فلو لم يصح نكاحه لم يثبت إحصانه و لم يرجم، و أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع وهو الصحيح، وأن الكفار إذا تحاكموا إلينا حكم القاضي بينهم بحكم شرعنا . (٢)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] ، (٣/١٣٣٠، ح ٣٤٣٦) ، صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، (٣/١٣٢٦، ح ١٦٩٩) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٨/١٣٣) ، شرح النووي على صحيح مسلم ،(١١ /٢٠٨).

موضع الشاهد ودلالته:

أن النبي ﷺ يسأل اليهود أنفسهم، عن حكم الزنا في كتابهم، بقوله:"ما تجدون في التوراة ؟ " فهذا السؤال ليس لتقليدهم، ولا لمعرفة الحكم منهم، وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم، وإنما سألهم عن الرجم ليبكتهم بتركهم ما أُنزل عليهم فحكم برجمهما بشرعه الموافق لشرعهم .[1]

إن تقرير المخاطب بما عنده حول المشكلة المطروحة، أدعى للقبول بالحكم والإقرار به، وأسرع للتنفيذ .

الدلالة التربويه :

يبدو لي أن هذا السؤال يشبه ما ينادي به التربويون من سؤال المخطئ عما يستحقه من العقاب، فيكون العقاب صادراً منه لا مفروضاً عليه، وهذا أدعى للقبول وعدم التمرد أو الإحساس بالظلم .

٢-عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ ﷺ قال : (سمعتُ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهْوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا نَبِيٌّ فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ: جِبْرِيلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنْ الْمَلائِكَةِ؟ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٧] ،أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ ، قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ ؟ فَقَالُوا : أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ

(١) انظر ، عمدة القاري (١٦/١٦١) ، تحفة الأحوذي ، (٤ /٥٩٠) .

اللّه فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّه فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللّه) .[1]

معنى الحديث :

أنه لما بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، ذهب إليه وهو في أرض يخترف أي يجتني من الثمار، وسأله عن ثلاثة مسائل؛ ليتحقق بها من صدق نبوته ﷺ ، أولها : ما أول علامات الساعة؟ فأخبره أنها نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وثانيها : أول طعام أهل الجنة؟ فأخبره بأنها زيادة كبد الحوت؛ وهي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد ؛ وهي أطيبها؛ وهي في غاية اللذة ،و أهنأ طعام وأمرؤه ، وثالثها: متى يشبه الولد أباه ويذهب إليه أو إلى أمه؟ فأخبره: أنه إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة أشبه الولد أباه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل أشبه الولد أمه، فأعلن إسلامه .[2]

موضع الشاهد ودلالته:

بعد أن عرض عبدالله مشكلته على رسول الله ﷺ في أن اليهود سيكذبون ويفترون عليه وينتقصون حقه إن علموا بإسلامه، استخدم ﷺ أسلوب التدرج في تقرير اليهود وفضح كذبهم :

١- سألهم ﷺ سؤالاً تقريرياً عن مكانة عبدالله ﷺ منهم ، بقوله : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ فلما أقروا بخيريته .

٢- أتبع السؤال بسؤال آخر ، بقوله : أرأيتم إن أسلم عبدالله ﷺ ؟ فشهدوا بهتاناً بأنه من أشر القوم.[3]

إنه ﷺ بسؤاله التقريري الأول،جعلهم يقرون بأفضلية عبد الله بن سلام ﷺ، حتى إذا أخبرهم عن إسلامه،اتضح أن ما وصفوه به من وصف سيء كذب وبهتان لمناقضته لإقرارهم الأول، فرسول الله ﷺ بهذه الفطنة العظيمة والذكاء اللماح استخدم هذا السؤال التقريري

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) ، [البقرة: من الآية٩٧]، (١٦٢٨/٤ ، ح ٤٢١٠) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (١٥/ ٢١٠).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (١٥/ ٢١٠).

فحفظ مكانة عبد الله بن سلام بعد أن أعلن إسلامه، وحماه من بهتان وزور قومه، ولذا قال عبد الله ﷺ : هذا ما كنت أخاف منه، وفضح بهتانهم .

لقد عجز اليهود – معظمهم – عن أن يكونوا طلاب حق لأنهم لم يتصفوا بالموضوعية والتحرر من الهوى، بل وضعوا (كيانهم) فوق الحق .

الدلالات التربوية :

١- لا يجوز تعميم الأحكام بالخير والشر على أمة معينة .. فالإنسان قابل للهداية مهما كان قومه ومهما كانت ثقافته .. صحيح أن ثقافة الأمة تصبغ الفرد بطابعها وتلقنه أفكارها .. لكن الإنسان يملك زاوية يحرك فيها رشده .

٢- إن للأفكار والأخلاق أثراً في الوجه من حيث السماحة والنور الذي وضعه الله، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ [الفتح: من الآية٢٩]، يؤخذ من قول عبد الله: فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بكذاب، والناهون هم الذين يستنطقون قسمات الوجه ويفهمون تعابيرها .

٣- من أوائل ما اهتم به الرسول ﷺ في وصاياه للناس في المدينة :

– إفشاء السلام ، لأن إشاعة التحية بالسلام ينشر الأمن ويقوي الود بينهم .

– إطعام الطعام .. وما أحوج المؤمنين – والمهاجرين خاصة – إلى ضمان لقمة العيش .

– الصلاة بالليل والناس نيام، وفي ذلك برهان على الإخلاص والبعد عن الرياء .

هذه الأسباب الثلاثة: الوداعة مع الناس، والعطاء لهم، وحسن الصلة مع الله .. عاقبتها دخول الجنة بسلام .. وهي جنة في الدنيا قبل الآخرة .

٤- طالب الحق يسأل ويتبين قبل أن يصدر حكماً أو يتخذ موقفاً .

٥- أسئلة عبد الله بن سلام ليس شرطاً أن تكون همّاً لكل طالب، حق في كل عصر، بل هي أمور كان اليهود يعرفونها – دون غيرهم – من كتبهم وأحبارهم، والمهم في الأمر هو مخاطبة الناس على قدر عقولهم .. بشرط أن لا تنساق معهم إلى الخرافة والدجل .. وجواب النبي ﷺ كان من وحي الله .

٦- موضوعية تفكير ابن سلام، إذ لا يصرفه عن الحق كون جبريل عليه السلام وهو عدو اليهود – بزعمهم – ، كذلك إن ابن سلام يعرف عيوب قومه .. ويحذر النبي ﷺ من أنهم قوم بهت .. أي يفترون الكذب على البريء .[1]

٧- تقرير المخاطب بالدليل الذي يثبت خطأ سلوكه :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١- عن علي رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة : (...قَالَ : فَعَادَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، دَعْنِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: أَوَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ الْجَنَّةَ؟ فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) .[2]

موضع الشاهد ودلالته:

إنه ﷺ يسأل عمر رضي الله عنه سؤالاً تقريرياً بشأن حاطب، فيقول له: أليس من أهل بدر؟ فيقرره بالدليل القاطع، وهو فضل أهل بدر على خطأ ما سلكه، حيث أراد قتله .

٢-عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ : (مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾؟ [الأنفال:٢٤] ، ثُمَّ قَالَ : أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ ؟ فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ) .[3]

---

(١) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (١٧٨) .

(٢) سبق تخريجه في التمهيد،(٣٠)، وبيان معناه في المبحث الأول من هذا الفصل" التعرف على المشكلة "، (٤٦)، وأوردته هنا لوجود سؤال مرتبط بهذا المبحث.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧] ، (٤/١٧٣٨ ، ٤٤٢٦) ، وسيتم تناول السؤال ، ألا أعلمك .. ؟ في مبحث أسئلة الإثارة والتشويق (١٦٨).

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ سأل أبا سعيد عن المانع من الاستجابة لأمره ﷺ بالإتيان إليه بقوله : ما منعك أن تأتي ؟ فبيّن له أبو سعيد ﷺ السبب حيث كان يصلي .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ الذي يقرره فيه بالدليل على وجوب الاستجابة لرسول الله ﷺ بقوله :" ألم يقل الله .." ؟ ، ليشعره بالخطأ الذي وقع فيه .

٣-عن عِتْبَانَ بْنَ مَالك الأنْصاريَّ [١] ﷺ قال : (..قال رَجُلٌ منْهُمْ: مَا فَعَلَ مَالــكٌ [٢] لا أَرَاهُ، فَقَالَ رَجُلٌ منْهُمْ: ذَاكَ مُنَافقٌ لا يُحبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : لا تَقُلْ ذَاكَ ألا تَرَاهُ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْتَغي بذَلكَ وَجْهَ اللَّه ؟ فقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ فَوَاللَّه لا نَرَى، وُدَّهُ وَلا حَديثَهُ إِلا إِلَى الْمُنَافقينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّــارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ) . [٣]

معنى الحديث :

يبين ﷺ أن أحكامنا يجب أن تكون على الظواهر، أما البواطن فنوكل الحكم عليها لله رب العالمين .

موضع الشاهد ودلالته:

في هذا الحديث يسأل رسول الله ﷺ الصحابة ﷺ سؤالاً يقررهم فيه بالدليل الذي يثبت خطأ سلوكهم حيث حكموا على مالك بن الدخشم بالنفاق، بقوله : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟" يريد بذلك وجه الله أي ذات الله، وهذه شهادة من رسول الله بإيمانه باطناً

---

(١) عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد الأنصاري السلمي البدري ، روى عن النبي ﷺ ، وكان إمام قومه من بني سالم ، آخى النبي ﷺ بينه وبين عمر ﷺ ، مات في خلافة معاوية وقد كبر . (الإصابة ، ٢ / ٤٥٢) ، (التهذيب ، ٥ / ٤٥٥) .

(٢) مالك بن الدُخشُم : من بني عوف الأنصاري الأوسي ، مختلف في نسبته ، شهد بدراً ، وهو الذي أرسله النبي ﷺ مع معن ابن عدي فأحرقا مسجد الضرار . (الإصابة ، ٣ / ٣٤٣) .

(٣) صحيح البخاري ، أبواب المساجد ، باب المساجد في البيوت ، (١/ ١٦٤ ، ح ٤١٥) ، صحيح مسلم ، الصلاة ، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ، (١/٤٥٥، ح٣٣) ، وسيتم تناول أول الحديث وبيان معناه في مبحث تقييم الواقع النفسي (٢٩٥)، لوجود سؤال مرتبط بالمبحث ، وهو: أين تحب أن أصلي من بيتك؟.

وبراءته من النفاق، فقد يكون قد أقلع عن ذلك، أو النفاق الذي اهم به ليس نفاق الكفر، وكأهم فهموا من هذا الاستفهام أن لا جزم بذلك، ولولا ذلك لم يقولوا في جوابه أنه ليقول ذلك وما هو في قلبه، وأنكروا عليه تودده للمنافقين، وفيه التنبيه على من يظن به الفساد في الدين عند الإمام على جهة النصيحة، ولا يُعد ذلك غيبة، وأن على الإمام أن يتثبت في ذلك ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل .[(١)]

إنه ﷺ يقدم لنا بأسئلته الواردة في الأحاديث السابقة أسلوباً في غاية الروعة والاكتمال، ومنهجاً أساسه التثبت والتروي، والتفكير المرن، وجواً يكتنفه الحب والتودد، وبعيداً كل البعد عن ثورة الغضب والاندفاع، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى ود يسعهم، وإلى حلم لا يضيق بجهلهم، وضعفهم ونقصهم .

وهذا تلتحم الجوانب التي اهتم بها رسول الله ﷺ من سبر لأغوار المشكلة، والسؤال عن أسباها ودوافع حدوثها، بل التفكير في البدائل والخيارات والاحتمالات الممكنة، والسؤال للتحقق والتثبت من صدق وحقيقة الأخبار المنقولة، وعدم إجابة السائل أو المتكلم حتى السؤال عن المراد من عباراته ومقصوده من كلامه، وتقرير المخاطب بسلوكه وعمله، لتكوِّن منهجاً في غاية الوضوح، منهجاً أصيلاً فريداً يتعين علينا تطبيقه في جميع نواحي الحياة .
ومما يجدر ذكره تأكيد علماء التربية على أن القدرة على صياغة السؤال الجيد الذي يحدد المشكلة، ويسبر أغوارها، من القدرات العقلية الهامة .
وكما أن تحديد المشكلة يعد الخطوة الأولى لحلها، من خلال طرح الأسئلة التي يتم بها التعرف على طبيعة المشكلة، وجمع المعلومات التي تحتاجها لحلها، واستخدام أساليب للحصول على البيانات اللازمة، والحلول المفترضة، فإن الخطوة التي تليها هي التثبت والتحقق وتقرير أصحاب المشكلة بما وقع منهم، والاستماع الواعي لهم؛ أي السعي إلى فهم وجهات نظر الآخرين، وتسخير الطاقة العقلية لفهم آلية تفكيرهم، وتفهم أفكارهم وعواطفهم، ودوافعهم وظروفهم المحيطة، والتحلي بالتفكير المرن الذي من أهم معانيه عدم

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٤٣٨) ، عمدة القاري ، (٤/١٦٩) .

الاقتصار على فهم واحد بعينه للأمور، وتقليب الأمور والنظر إليها من زواياها المختلفة، وتفحصها بطرق متعددة، قبل الإقرار برأي معين.

أما على صعيد العمل التربوي، فإن الحلم يعني التفكير قبل العمل، أي تعويد المتربين على التأني والتأمل، وأخذ الوقت الكافي من التفكير قبل الشروع في العمل، والمحافظة على هدوء الأعصاب في المواقف الصعبة، ودراسة المشكلة قبل المبادرة بالحل .[١]

(١) انظر ، العادات العقلية ، د. إبراهيم الحارثي ، (٥٧ – ٦١) ، بتصرف .

الفصل الثاني
أسئلة الرسول ﷺ الذهنية والفكرية

المبحث الأول : أسئلة الإثارة والتشويق

المبحث الثاني : الأسئلة التمثيلية

المبحث الثالث : أسئلة تنمية الذكاء وإعمال الطاقة العقلية

المبحث الرابع : الأسئلة الاستنتاجية

الفصل الثاني
أسئلة الرسول ﷺ الذهنية والفكرية

إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي حباه الله ﷻ نعمة التفكير؛ وبفضل هذا التفكير استطاع الإنسان أن يكون خليفة الله في أرضه، وأن يستحق الإسلام والإيمان، وأن يدرك المعاني المجردة عن الحق والواجب والعدل والرحمة، وتصدر له التكليفات الربانية من توحيد وصلاة وصيام .

فالتفكير من النعم العظيمة، التي كرَّم الله بها بني آدم، وفضلهم على غيرهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك:٢٣] .

في هذه الآية يمتن الله بهذه القوى الثلاثة (السمع ، البصر ، القلب) التي هي أكمل القوى الجسمانية، وبوساطتها يتم الإدراك، ويتحقق التأمل والتفكر، وإلا عاش عيشة بهيمية، ولذا فإن الإسلام يحترم الطاقة العقلية ويشجعها، ويدعو إلى التفكير ويوجه الاهتمام به، بل إن التفكير يعتبر فريضة إسلامية، فالتفكير هو العملية التي ينظم بها العقل خبراته بطريقة جديدة لحل مشكلة معينة، والتفكير مظهر من مظاهر الذكاء، ويمكن اكتساب عادة التفكير العلمي المنظم من خلال التربية والتعليم .[١]

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين وجدت أن جلّها كان لإثارة الانتباه والاهتمام، وإيجاد الدوافع للعلم والعمل، وتحريك العقول للقيام بالعمليات العقلية من تفكير، واستنباط، واستدلال، وربط، وتقويم، فالأسئلة التي طرحها ﷺ في هذا المجال؛ هي الأسئلة العميقة التي توسع خيال المتعلمين، وتنمي مهارات التفكير العليا، وتضعهم في مواقف تعليمية تستدعي منهم استخدام جميع طاقاتهم في حل المشكلات، وتسهم في مقدرتهم على إنتاج المعرفة أكثر من استرجاعها وتذكرها، وتطبيق المعرفة السابقة في المواقف الجديدة [٢]، وتدفعهم إلى التفكير التولدي بقدر أكبر حول المسائل المطروحة، وتطبيق

---

(١) انظر ، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ، د. نبيل السمالوطي ، (١٥٩ - ١٦٠) ، الإقناع في التربية الإسلامية ، سالم بن سعيد بن جبار ، (٢٧٢) ، فلسفة التربية الإسلامية ، ماجد الكيلاني ، (٢٣٢) .

(٢) انظر ، فن طرح السؤال ، سلمى واسرمان ، (٤٠ – ٤٤ – ٥٢) .

التفكير المنطقي الذي يستند على البيانات والحقائق فتتيح لهم استخدام معارفهم لاستيعاب المفاهيم العامة وتكون مأخوذة من العمليات العقلية الأعلى مرتبة، وهذه الأسئلة تشمل المقارنة، والملاحظة، والتصنيف .

فهي أسئلة تحرك الذهن وتجعله يعمل وينشط، وهي ذات ثقل، وتثير الرغبة في تقليب الأفكار الجديدة بالمعرفة، والتفكير حولها [1] .

وتبيّن لي أن أسئلته ﷺ في المجال الفكري والذهني، أربعة أنواع هي :

١- أسئلة الإثارة والتشويق .

٢- الأسئلة التمثيلية .

٣- الأسئلة الاستنتاجية .

٤- أسئلة تنمية الذكاء وإعمال الطاقة العقلية .

---

(١) انظر ، فن طرح السؤال ، سلمى واسرمان ، (١٦ – ٦٥ - ٨٣) .

المبحث الأول

أسئلة الإثارة والتشويق

مفهوم الإثارة :

ترد الإثارة في اللغة بمعنى الظهور [١]، والمثير هو الحادث الذي يستطيع الملاحظ الخارجي تعيينه، مفترضاً أن له تأثيراً على سلوك الفرد [٢].

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، وجدت أن الكثير منها كان يطرحه ﷺ على صحابته؛ لإثارة أذهانهم؛ وتشويقهم للعلم والمعرفة، من خلال :

١- إثارة الانتباه وجذب التركيز الذهني .

٢- إثارة الدافع والرغبة للعمل .

٣- مخاطبة الحواس .

المطلب الأول : إثارة الانتباه وجذب التركيز الذهني

مفهوم الانتباه :

يرد الانتباه في اللغة بمعنى الشعور واليقظة للأمر، [٣] وهو توجيه الطاقة العقلية نحو مثير أو أكثر من المثيرات الداخلية أو الخارجية من بين المؤثرات الكثيرة المحيطة بالفرد في المجال الذي يوجد فيه، وهذا يتضمن نوعاً من الاختيار والاتجاه نحو شيء أو موضوع معين مما يقع تحت الحواس، أو مما يصدر من داخل الأفكار الشخصية، وعندما يتجه الشخص للتركيز في موضوع من أحد المنبهات الحسية الموجودة في البيئة الخارجية أو المثيرات الداخلية مما يجول في خاطر الشخص، فإن هذا الموضوع يحتل بؤرة الشعور والوعي، بينما تظل المثيرات الأخرى على هامش الشعور . [٤]

---

(١) انظر ، لسان العرب ، مادة : ثور ، (٤ / ١٠٨)

(٢) انظر ، علم النفس التربوي ، د. عبد الحميد نشواتي ، (٢٧٦).

(٣) انظر ، لسان العرب ، مادة : نبه ، (١٣ / ٥٤٦) .

(٤) انظر ، علم النفس التعليمي ، د. محمد خليفة بركات ، (٢٠٧) .

وقد تضمنت الأسئلة الواردة في الكتاب والسنة هذه المعاني، ففي كتاب الله العزيز يرد السؤال أحياناً ليكون بمثابة منبه للحقيقة الهامّة التي تعقبه، ومثال ذلك قوله تعالى: " ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾ [الكهف : ١٠٣] ، وقوله﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠] ، وكثير من أحاديث الرسولﷺ في الصحيحين تبدأ باستفهام عن دراية الصحابة بالأمر الذي يريد إبلاغهم إياه، ومن الواضح أنه ﷺ لا يريد بسؤاله إجابة منهم، فهو يعلم عدم درايتهم ومعرفتهم به، لكنه يريد أن يستحضر اهتمامهم، ويستجمع انتباههم، فلا يفوهم من حديثه شيء يبدؤه، وهذه الأسئلة التنبيهية كفيلة بأن تطرق سمع المخاطب، فتحوّل الرؤوس إليه، وتصوب النظرات نحوه، وتجعل الآذان صاغية لما يقول .

وقد استخدم رسول الله ﷺ طريقة طرح الأسئلة لجذب انتباه الصحابة وتوجيه تركيزهم قبل البدء بعرض المعلومات وإلقائها عليهم، من خلال :

١- السؤال عن سابق علمهم ومعرفتهم بالخبر :

وفيه ثمانية أحاديث:

١- عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : (إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مَنْ الْوَفْدُ؟ قَالُوا: رَبِيعَةُ ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلا نَدَامَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنْ الأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ؛ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ؛ عَنْ الْحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ، وَقَالَ احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ) .(وعند مسلم بلفظ : هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ ؟)[1]

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس ، (١ / ٤٥ ، ح ٨٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ، (١ / ٤٧، ح ١٧) .

معنى الحديث :

إن وفد عبد القيس، وهي قبيلة من ربيعة، كانت تنـزل البحرين[1]، قدمت على النبي ﷺ قبل فتح مكة [2]، ولنا في هذه القصة دروسٌ عظيمة :

١- سؤاله ﷺ لهم عن أنفسهم حتى عرفهم، وذلك لينـزل كل إنسان منـزلته، لأن سؤاله ﷺ لأجل هذا المعنى، كما أن جوابهم على سؤاله بقولهم: " ربيعة " دليل على ما خص الله به العرب من الفصاحة والبلاغة، حيث سموا القبيلة التي يحصل بها المقصود، دون إطالة كلام إبلاغاً في البيان وإيجازاً في الاختصار .

٢- ترحيبه لهم بكلمات طيبة، فقال لهم مرحباً بالقوم: أي صادفتم رحباً وسعة،" غير خزايا": أي أنهم أسلموا طوعاً من غير حرب أو سبي يخزيهم ويفضحهم،" ولا ندامى" هذا إخبار لهم بالمسرة في الأجل، لأن الندامة في الغالب لا تكون إلا في العاقبة، فأخبرهم أولاً بالخير عاجلاً وآجلاً، كل ذلك قبل أن يتكلموا ويتبين له ما يريدون، فالترحيب بالضيف له أثره النفسي، وتشجيع له بعرض طلبه دون تحرج أو كلفة.

٣- الأدب الجم الذي اتسم به هذا الوفد في إبداء عذرهم الذي منعهم من المجيء قبل الطلب والسؤال، وهو أن كفار مضر يقطعون بينهم وبين النبي ﷺ فلا يستطيعون المجيء إليه إلا في شهر رجب الفرد الذي يرتفع فيه القتال .

٤- شدة حرص هذا الوفد، ودقتهم في السؤال، وبعد نظرهم، حيث سألوه عن أمر قطعي لانسخ بعده ولا تأويل، وذلك حذراً منهم لئلا يحتاجوا في أثناء السنة للسؤال أيضا والتعليم فلا يجدوا سبيلاً إليه لأجل العذر الذي كان لديهم، وطلبهم الإيجاز في التعليم مع حصول الفائدة فيه .

٥- ابتداؤهم بالسؤال عن عمل يكون سبباً لدخول الجنة، ثم السؤال عن الأشربة، وفي هذا دليل على أنه يُبدأ أولاً في السؤال عن أمر بما هو الآكد والأهم .

---

(١) البحرين : اسم يشمل البلاد الممتدة المحاذية لساحل الخليج العربي من الجزيرة العربية ، من حدود البصرة شمالاً إلى حدود بلاد عمان جنوباً ، وهو ما يطلق عليه في هذا العهد اسم المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية .
(معجم الأمكنة ، سعد بن جنيدل ، (٦٤) .

(٢) لأنهم قالوا : إن بيننا وبينك المشركون ولا نصل إلا في الشهر الحرام ، يعني رجباً وذا القعدة وذا الحجة ومحرماً وذلك لأن العرب كانوا لا يقاتلون فيها . عمدة القاري، (٢٢/٢٠٠).

٦- الاختصار في تعليمه ﷺ بأربعة أوامر، وأربعة نواه، تيسيراً عليهم في التعليم وفي التطبيق، وتعليماً لكل المربين والمعلمين أن يهتموا بذلك، ويعطوا الأولوية للأساسيات في التعليم .

٧- أن الجواب لا يكون إلا بعد تمام الخطاب، لأنه ﷺ لم يجاوبهم حتى أتّموا جميع سؤالهم .

٨- أن الفصيح من الكلام: الإجمال أولاً ثم التفسير للإجمال، لأنه عند الإخبار بالإجمال يحصل للنفس المعرفة بغاية المذكور، ثم تبقى متشوقة إلى معرفة معناه، فيكون ذلك أوقع في النفس، وأعظم في الفائدة، والحكمة في الإجمال بالعدد قبل التفسير أن تتشوف النفس إلى التفصيل ثم تسكن إليه وأن يحصل حفظها للسامع فإذا نسي شيئا من تفاصيلها طالب نفسه بالعدد، فإذا لم يستوف العدد الذي في حفظه علم أنه قد فاته بعض ما سمع .

٩- فصاحته ﷺ وبلاغته في إيجاز الكلام مع إيصال الفائدة بالبيان، فأمرهم بأربع والمذكور خمس، لأن الأربع المأمور بها؛ إقام الصلاة .. وإنما ذكر الشهادتين تبركاً بهما لأنهم كانوا قوماً مؤمنين مقرين بالشهادتين، ولكن ربما كانوا يظنون أن الإيمان كان مقصوراً عليهما كما كان الأمر في صدر الإسلام، فلم يعد الشهادتين في الأوامر، كما أنه لم يذكر الحج لاحتمال أنه لم يفرض بعد، أو ذكر بدلاً منه إعطاء الخمس من المغنم لبيت مال المسلمين حتى لا يفاجئوا به .. بينما كان عرب الجزيرة كلهم يؤمنون بالحج إلى بيت الله الحرام ويعظمونه فلا حاجة لذكره، و لأنهم سألوا عن الأشربة، وهي كثيرة، فلو ذكرها لاحتاج إلى تعدادها كلها بوصفها، ولكنه ﷺ أضرب عن ذلك وأجاب عن الأواني المذكورة لا غير، وهي: الحنتم؛ جرار خضر كانت يحمل فيها الخمر إلى المدينة[١]،و الدباء: القرع اليابس أي الوعاء منه[٢] ،كانت ينتبذ فيها ويتخمر، والنقير: جذع النخلة المنقور الوسط، كانوا ينبذون فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً مسكراً[٣] ، والمزفت : وهو الإناء الذي يطلى بالقار ثم ينتبذ فيه[٤]، ومعنى النهي عن هذه الأربع؛ نهي عن الانتباذ فيها ، وهو أن يجعل في الماء حبات تمر أوزبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب ، وإنما خصت بالنهي لأنه يسرع إليه الإسكار فيها فيصير حراماً نجساً.

---

(١) انظر، النهاية ، (ا / ٤٤٨) .

(٢) انظر، النهاية ، (٢ / ٩٦) .

(٣) انظر، النهاية ، (١٠٣/٥) .

(٤) انظر، غريب الحديث لابن الجوزي ، (٤٣٧/١) .

١٠- معرفته ﷺ بالمشاكل الخاصة لكل قوم .. عاداهم وأساليبهم المعيشية، فيعطيهم ما يناسبهم من التعليمات والنواهي، وهو ما نسميه في عصرنا (علم الاجتماع) لكل أمة، للتصدي للأمراض المنتشرة بينهم وتغييرها، فنواهيه ﷺ الأربع مرتبطة بعاداهم في تخمير الشراب بأوعية خاصة تساعد على ذلك .

١١- الأمر بحفظ العلم، والوصية عليه والحض على نشره وتبيينه، من قوله : " احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم " .[١]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ " أتدرون ما الإيمان بالله ؟ " استفهام من المعلم للمتعلم عما يريد إلقاءه إليه، لأنه عليه السلام استفهم عن حقيقة فهمهم عن الإيمان، فأثار انتباههم واهتمامهم، ثم بينه لهم .

الدلالات التربوية :

١- التأدب والاحترام مع أهل الفضل والدين، يؤخذ من قولهم " الله ورسوله أعلم"، لأنهم ردوا الأمر إليه فيما استفهم عنه تأدباً واحتراماً منهم له .

٢- جواز الجواب بأكثر مما سئل عنه، بل يلزم ذلك إذا كان هو الأصل الذي عليه يتقرر السؤال، لأنهم إنما سألوه عن الأفعال التي توجب لهم الجنة، فأجابهم ﷺ عن الأفعال والاعتقاد .[٢]

٣- إن سؤاله ﷺ عن القوم والتعرف عليهم ومن ثم الترحيب بهم والثناء عليهم، كان سبباً لإدخال الأنس والسرور والارتياح النفسي عليهم ، فيكونون على استعداد نفسي وذهني تام لتلقي المعلومات واستيعابها، إنها تهيئة نفسية منه ﷺ لهم قبل طرح السؤال عليهم .

٤- إن طرحه ﷺ سؤالاً عن الإيمان بالله، وعدم طرحه سؤالاً عن الحنتم، وإنما أجابهم عنه مباشرة؛ دليل على أنه عند اجتماع موضوعين أحدهما أهم من الآخر، فإنه يُثار الانتباه للموضوع الأهم بسؤال تنبيهي ليزداد بروزاً ووضوحاً، فالرسول ﷺ يريد التركيز على مسألة الإيمان ومقتضياته، فهو الأصل الذي تترتب عليه الأعمال الموجبة لدخول الجنة، وإزالة الظن الوارد في بداية الإسلام من أن النطق بالشهادتين تحقيق للإيمان، كما يبدو لي.

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٨٥) ، بهجة النفوس ، (١/ ١٣٧) ، فتح الباري ، (١/ ٢٧٤) ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٦٥٠) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١/ ٢٧٤) .

٢- وعن زيد بن خالد الجهني [١] ﷺ أنه قال : (صَلَّى بِنَا رَسُول اللَّه ﷺ صَلاة الصُّبْح بِالْحُدَيْبِيَة [٢] عَلَى إِثْر سَمَاء كَانَتْ مِنْ اللَّيْل فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ:" هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَته فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ). [٣]

معنى الحديث :

أصابت قريشاً سنة شديدة فسألوا النبي ﷺ أن يستسقي، فلما دعا الله انهمر المطر، ففرح الناس، وارتمى العطاش على الماء يشربون، ويملئون آنيتهم، ويبردون أكبادهم، فترتوي أجسادهم بالماء، وقلوبهم باليقين والإيمان، ويشهدون المعجزة العظيمة بالدعاء النبوي الخالد، إنه الغيث لجند الله في هذه الأرض القفر بدعاء أمير الجند محمد عليه الصلاة والسلام، وقد حدث مثل هذا في الحديبية، فكان هذا امتحاناً للذين في قلوبهم مرض، وقد رأوا المعجزة عياناً ماثلة أمامهم، فماذا كان جوابهم؟ : سحابة مرت فأمطرت، أو سقينا بنوء كذا [٤]، وقد قيل: أن الذي قال في ذلك الوقت " مطرنا بنوء الشعرى " هو رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول [٥].

وأما النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءاً؛ أي سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع، وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة

---

(١) زيد بن خالد الجهني ، أبو عبد الرحمن المدني صحابي، روى عن النبي ﷺ ، وشهد الحديبية ، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح ، توفي بالمدينة سنة ٧٨ هـ ، وهو ابن ٨٥ سنة . (الإصابة ، ١ / ٥٦٥) ، (٣ / ٢٢٥) .

(٢) الحديبية : هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها ، سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل ، وفي الحديث أنها بئر وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد الحل من البيت . (معجم الأمكنة، سعد جنيدل ، (١٧٥)، (معجم البلدان ٢/٢٢٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب قوله : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة:٨٢) ، (١/ ٣٥١، ح ٩٩١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله (١ / ٤٧ ، ح ١٧) .

(٤) انظر ، عمدة القاري، (٧/٥٩)، المنهج التربوي للسيرة النبوية ، منير الغضبان ، (٣/ ٢٣٣) .

(٥) انظر ، فتح الباري ، (١/٤٨٣) .

السنة كلها وهى المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاثة عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما .

وقد اختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين :

أحدهما: هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام، وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء ، وهو ظاهر الحديث، وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقداً أنه من الله تعالى وبرحمته وأن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر واختلفوا في كراهته ، والأظهر كراهته لكنها كراهة تنـزيه لا إثم فيها .

والقول الثاني في أصل تأويل الحديث: أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب، ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب : (أصبح من الناس شاكر وكافر) والله أعلم [١].

موضع الشاهد ودلالته :

إن سؤاله ﷺ : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ فيه طرح منه المسألة على أصحابه وإن كانت لا تدرك إلا بدقة نظر، لأن إلقاء الأسئلة موجب الانتباه . [٢] واستُنبط منه أن للولي المتمكن من النظر في الإشارات أن يأخذ منها عبارات ينسبها إلى الله تعالى يؤخذ من استنطاق النبي ﷺ الصحابة عما قال ربهم، وحمل الاستفهام على الحقيقة لكنهم رضي الله عنهم فهموا خلاف ذلك، ولذا لم يجيبوا إلا بتفويض الأمر إلى الله تعالى ورسوله، وقيل الحكمة في استقبال المأمومين أن يعلمهم ما يحتاجون إليه . [٣]

وأحسب أن في إقباله ﷺ عليهم، بعد الصلاة وابتدارهم بالسؤال، عن وجود علم سابق بما يريد إخبارهم به، مع علمه بعدم معرفتهم به، مثير قوي من شأنه أن يجذب الأذهان للتركيز، واختياره صلاة الصبح بالذات لطرح هذا السؤال حيث يكون المسلم في حالة

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢/٦٠) .

(٢) انظر ، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ / ١٧٨٥) .

(٣) انظر ، فتح الباري ، (١/٤٨٣ – ١ / ٦٠٥ – ١ / ٦٨٢) .

صفاء فكري، قبل أن يلتحم ذهنه بمشاغل ذلك اليوم ومتاعبه؛ يكسب العقل قوة للاستيعاب والتلقي .

٣- عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ :(بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي: فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ) .[1]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ يخبر الصحابة عن حسن نهر الكوثر وورود أمته عليه، وانتزاع[2] من أحدث في دين الله ما ليس منه، فيحرم الشرب منه .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ للصحابة: " أتدرون ما الكوثر ؟ " تنبيهاً وإثارة لأذهانهم قبل بيان ما يريد إخبارهم به عنه، ويبدو لي أن سؤاله ﷺ عن درايتهم، وسابق علمهم بما يريد إخبارهم به، يسبقه تهيئة ذهنية عن المفهوم الذي سيسألهم عنه حيث تبسم، ثم تلا السورة عليهم، فيأتي السؤال التنبيهي: ليعلو بالذهن القمة في الاستعداد للسماع والتلقي .

٤- عن فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ[3] ﷺ قالت:(....صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لأَنَّ تَمِيمًا

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة ، (١/ ٣٠٠ ، ح ٤٠٠).

(٢) هذا معنى كلمة يختلج، فأصل الخلج : الجذب والنزع ، فيختلج أي يجتذب ويقتطع . (النهاية ، ٢/٥٩) .

(٣) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية ، أخت الضحاك بن قيس ، من المهاجرات الأول ، وكانت ذات جمال وعقل ، تزوجت أسامة بن زيد ، واجتمع في بيتها أهل الشورى لما قتل عمر ﷺ . (الإصابة ، ٤ / ٣٨٤) .

الدَّارِيَّ [1] كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ .... الحديث) . [2]

معنى الحديث :

أنه ﷺ جمع الصحابة ليخبرهم بحديث تميم الداري، حيث وافق حديثه حديث النبي ﷺ عن الدجال، فأعجبه، ورغب في تحديثهم به .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ التنبيهي:" أتدرون لم جمعتكم ؟" قبل ذكر الخبر الذي يريد إخبارهم به .

ويظهر لي أنه ﷺ استخدم عدة مثيرات ذهنية قبل طرح السؤال التنبيهي :

١- تبسمه ﷺ في الحديث السابق، وضحكه في هذا الحديث، قبل طرح السؤال التنبيهي عليهم، بقوله:" أتدرون لم جمعتكم؟ " أثار في النفوس الشوق لمعرفة هذا الأمر المفرح؛ فطبيعة النفوس البشرية تحب وتتلهف لاستماع الأمور السارّة والمفرحة .

٢- أمره لهم بلزوم أماكنهم بعد انقضاء الصلاة، يجعلهم في حالة ترقب ذهني لما سيلقى عليهم، فيأتي السؤال عن وجود علم أو معرفة بسبب جمعهم، ليتمم الإثارة الذهنية، ويوجد الإدراك العقلي بأهمية ما سيقال، فيكون الذهن في أعلى درجات الاستعداد والتأهب لاستقبال المعلومات، واستيعابها، وتثبيتها في الأذهان، فالنبي ﷺ يستخدم أكثر من مثير لجذب الانتباه والتركيز، كما يظهر لي .

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ وَمَا لايَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا

---

(١) تميم بن أوس بن حارثة بن سواد ، أبو رقية الداري ، مشهور في الصحابة ، كان نصرانيا، وقدم المدينة فأسلم سنة ٩ هـ ، وغزا مع النبي ﷺ ، وكان راهب أهل عصره ، انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان ، وسكن فلسطين . (الإصابة ، ١ / ١٨٣) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب قصة الجساسة ، (٤/٢٢٦١ ، ح ٢٩٤٢) .

تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟....الحديث) .[1]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ قال لصحابته بعد أن أكل من لحم الذراع التي قدمت إليه بأطراف أسنانه[2]، وكانت أحب الأجزاء إليه – لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها وبعدها عن مواضع الأذى –: " أنا سيد الناس يوم القيامة " ولا شك أنه سيد ولد آدم وأشرف بني الإنسان عند الله ﷻ ،و خص يوم القيامة بالذكر لظهور ذلك له يومئذ حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود، وإنما قال هذا ﷺ تحدثاً بنعمة الله تعالى، وقد أمره الله تعالى بهذا، ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ ، فالسيد هو الذي يفوق قومه، والذي يفزع إليه في الشدائد، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة، وإنما خصَّ يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها، وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه ﷺ كما قال الله تعالى:﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: من الآية١٦] أي انقطعت دعاوى الملك في ذلك اليوم والله أعلم[3].

موضع الشاهد ودلالته :

بعد أن اشتد انتباه الصحابة لهذه المقولة، طرح سؤاله : هل تدرون بم ذاك ؟ أي لأي وجه كوني سيد الناس يوم القيامة ؟ فلما جذب الأنظار له، وأثار الاهتمام لقوله، أجابهم بأنه يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في الأرض الواسعة المستوية ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم، وقيل: تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد، والله تعالى قد أحاط بالناس أولاً وآخراً ...[4]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾(الإسراء:٣) . ، (٤ / ١٧٤٥، ح ٤٤٣٥) ، وصحيح مسلم،كتاب الإيمان ، باب أدنى الناس مترلة فيها (١/ ١٨٤، ح ١٩٤).

(٢) هذا معنى كلمة النهس كما ورد في (النهاية ، ١٣٥/٥).

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٦٦/٣) ، عمدة القاري ، ٢٢٠/١٥) ، تحفة الأحوذي ، (٧ /١٠٣) .

(٤) انظر ، عمدة القاري ، ٢٢٠/١٥) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٦٦/٣) ، تحفة الأحوذي ، (٧ /١٠٣) .

والذي ألحظه أن الإثارة قد تحققت بإلقاء المعلومة " أنا سيد الناس يوم القيامة "، فمن الطبيعي أن يتبادر إلى أذهانهم: لماذا أنت يارسول الله سيد الناس يوم القيامة ؟ فإعادة نتاج السؤال يحقق تأكيد المعلومة، لأنه يدل على أن المعلومة أدركت وفهمت .

إن إثارة انتباه الصحابة وتأكيد المعلومة وترسيخها كان سبباً لسؤاله ﷺ هذا، فأسئلته ﷺ بعد التأمل نجد أنها تحمل أكثر من غرض وتحقق أكثر من هدف، وإن كنا نصنفها في الموضع الأظهر .

والمتأمل في هذه الأحاديث يلحظ اهتمامه ﷺ بطرح السؤال التنبيهي قبل عرض المعلومات، فالأفكار حين تلقى بأسلوب إلقائي، قد يتقبلها السامع أحيانا بغفلة أو شرود ذهني، لذا كانت الأسئلة إحدى وسائل التمهيد لتهيئة النفوس للمناقشات .

الدلالة التربوية :

أن للسيد والأستاذ والمربي أن يبين شيئاً من مؤهلاته ومواهبه ومترلته لتعريف تلاميذه بشيخهم ، ولفت أنظارهم لما يمكن أن يستفيدوا منه بشرط التواضع، وليس هذا من الفخر الممنوع الذي فيه استعلاء .

٦- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: (بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إلا أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ) .(١)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب من أجاب بلبيك وسعديك ، (٥/ ٢٣١٢ ، ح ٥٩١٢١)، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، (١/ ٥٨ ، ح ٣٠) .

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ يخبر معاذاً ما يستحقه الله على عباده مما جعله محتماً عليهم من العبادة، واجتناب المعاصي، وعدم الشرك لأنه من تمام التوحيد، وحق الله على العباد، هو ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب، بحكم وعده الصادق .(١)

موضع الشاهد ودلالته :

١- سؤاله ﷺ معاذاً رضي الله عنه سؤالاً مثيراً للانتباه جاذباً للتركيز، بقوله :"هل تدري ما حق ..؟" " فهو لتأكيد الاهتمام بما يخبره به، ويبالغ في تفهمه وضبطه "، وفيه استفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده، ويبين له ما يشكل عليه منه" (٢) .

٢- إن هذا الحديث يعدّ من الأدلة القوية على جمعه ﷺ لأكثر من مثير لإيصال معلومة واحدة :

أ- أول المثيرات: مناداته ﷺ معاذاً باسمه حتى استثار جميع حواسه فاستعد للتلقي تمام الاستعداد، وهذا يظهر من إجابة معاذ: لبيك رسول الله وسعديك، فنداء الشخص باسمه قبل إلقاء العلم عليه فيه من الفائدة إحضار ذهنه إليك ليعي ما تلقيه عليه، لأن الأذهان قد تطرقها فكرة، فتكون بها مشغولة فلا تعي كل ما يلقى إليها.

ب- ثانيها: تكرار النبي ﷺ نداء معاذ ثلاثاً؛ ليستحضر ذهنه وفهمه، وليشعره بعظم ما يلقيه عليه، وليكمل تنبه معاذ رضي الله عنه فيما يسمع ، وفي تكراره عليه السلام نداءه ثلاثاً تأكيد على حضور ذهنه، وإشعار بأن الذي يلقى إليه له بال، لأنه عليه السلام كانت سنته أن كل شيء له بال يعيده ثلاثاً، فتكرار نداء المتعلم باسمه قبل إلقاء المعلومة من أقوى العوامل التي تحضر الذهن للاستمتاع والانتفاع.

ت- انتقاله ﷺ للمثير الثالث: وهو صمته ﷺ لفترة طويلة بعد هذا النداء يؤخذ ذلك من سيره ساعة دون كلام، فيصبح فكره عاملاً مشتغلاً مستثاراً طيلة هذا الوقت، ويؤخذ من إبطائه ﷺ بين النداء أنه من السنة إلقاء العلوم بالوقار والتؤدة .

ث- ثم أعقبه بمثيرين وهما تكرار عملية النداء والصمت .

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٣٩١،) .

(٢) فتح الباري ، (٣ / ٣٩١) .

ج- المثير السادس: "زاد في النداء الثالث " ابن جبل " إشارة إلى أن هذه الثالثة آخر النداء ، فاسمع ما يلقى إليك، لأن زيادة " ابن جبل " هو الكمال في التعريف، وإذا كمل الشيء فقد تم، فقد ميّز النداء الثالث حتى يحوّل ذهن معاذ من حالة التشويق والإثارة إلى حالة الاستعداد والتهيؤ التام للتلقي، فألقى السؤال التنبيهي لاستكمال عملية الإثارة وإتمامها .

ح- المثير السابع: سؤاله ﷺ:"هل تدري ما حق الله؟"دليل على إلقاء العالم المسائل على تلامذته ثم إذا استثارهم بيّن لهم ذلك،لأن في ذلك من الفائدة إحضار الذهن لقبول العلم.[1]

٣- فصله ﷺ بين السؤالين التنبيهيين دليل على أنه ﷺ لا يستخدم الأسئلة المركبة، بل يطرح السؤال الذي يحتوي على جزء من الفكرة ثم إذا استقرت المعلومة في الأذهان أعقبها بالسؤال عن الشق الثاني، فلا يتشتت الانتباه ولا يقل التركيز .

وأحسب أن طرحه الأسئلة بشكل مخصوص لمعاذ ﷺ أقوى تأثيراً، وأكثر رسوخاً للمعلومات في ذهنه مما لو ألقاها على جماعة، ومع هذا فطرحه الأسئلة على الجماعة أكثر بكثير من الأسئلة التي ألقاها بشكل فردي، وذلك لأن طرح السؤال على الجماعة تعم به الفائدة وإن كان طرح السؤال الفردي أقوى تأثيراً .

الدلالات التربوية:

١- القرب الجسدي من المتعلم له أثر كبير في حسن التلقي والاستجابة ، ففي تعبير معاذ بقوله : " كنت رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل " ، والرديف : هو الراكب خلف الراكب وأصله من ركوبه على الردف وهو العجز ؛مبالغة في بيان شدة قربه إليه ليكون الكلام أوقع في نفس السامع فيضبط" .[2]

٢-تعليمه ﷺ معاذاً من غير سؤال منه له ﷺ دليل لمن يقول : إن للعالم أن يعلم دون أن يسأل .

---

(١) انظر ، المفهم ، (١/ ٢٠٣)، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١ / ٢٣١) ، بهجة النفوس ، (٢ / ١٢٨٧).

(٢) عمدة القاري ، (٢٢/٧٩) .

٣- فصله ﷺ بالمشي ساعة بين المسائل دليل على أنه من الحكمة أن المسألة إذا تباعدت عن الأخرى يبقى الخاطر معمراً بالأولى حتى ترسخ فيه، ثم تأتي الثانية كذلك، والتي بعدها كذلك إلى غاية ما تنتهي الأحكام [١].

٤- استخدام الرسول ﷺ أسلوب اللقاءات الفردية، حيث استثمر كل الأساليب والإجراءات ليربي المسلمين تربية صحيحة، باختياره الوقت المناسب، والمكان المناسب، فقد حدّث معاذاً ﷺ حين كان معه على انفراد، مصاحباً له في المشي .

إن الرسول ﷺ قد سبق التربية الحديثة فيما تعده اكتشافاً جديداً لتنمية مهارات التفكير من أن "الابتكار بالمثيرات والمحفزات العشوائية، يمكن أن يكون من خلال المشي في الأماكن غير المعتادة، والذهاب إلى المواطن الجديدة، كل ذلك له تأثير على المخ الأيمن، وفي تحفيز وإثارة الأفكار الابتكارية،"[٢] فالتدريس هو الذي يعكس براعة المعلم في عرض مادته، وتعضيد العلاقات الشخصية بين التلاميذ وبينه، وخلق الإثارة العقلية لدى المتعلمين، وعقد الصلة الإيجابية معهم، وتنمية أنماط العواطف والعلاقات التي تثير دافعيتهم لبذل أقصى الأداء .[٣]

٧- عن أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْر [٤] ﷺ قال : (بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ، فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَانْصَرَفْتُ وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا؛ خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وتدري ما ذاك ؟ قال:

---

(١) انظر، بهجة النفوس، (٢/ ١٢٨٧) .

(٢) تنمية مهارات التفكير ، (٨١).

(٣) انظر ، المعلمون والمتعلمون ،د. محبات أبو عميرة ، (٤٨).

(٤) أُسَيد بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتِيك الأنصاري ، أبو يحيى ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ، اختلف في شهوده بدراً ، كان من أفاضل الناس ، روى عن النبي ﷺ ، توفي سنة ٢٠ هـ . (التهذيب ، ١ / ٣٥٨) .

لا، قال: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُم). (١)

معنى الحديث :

لقد رأى أسيد حدثاً في غاية العجب والغرابة؛ فبينما هو يقرأ القرآن في صلاته ذات ليلة في مربده؛ وهو الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف (٢)- وكان حسن الصوت - إذ اضطربت فرسه، فسكت قليلاً، فهدأت، ثم واصل القراءة فاضطربت مرة ثانية اضطراباً شديداً حتى خاف أن تدوس على ابنه، فقام لها فرأى منظراً استثار كل حواسه، وأثار استغرابه وعجز ذهنه عن تفسيره ، رأى فوقه مثل السحابة فيها مثل المصابيح، صعدت في الجو حتى اختفت، فلما أصبح حدّث النبي ﷺ بما رآه ، فقال له:" اقرأ يا ابن حضير" أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك، لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك، وأن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع لقراءته،كانوا يستمرون في عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم، وليس أمراً له بالقراءة في حال التحديث، وكأنه ﷺ استحضر صورة الحال فصار وكأنه حاضر عنده لمّا رأى ما رأى، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة بأنه خشي إن استمر فيها أن تطأ الفرس ولده، ودلّ سياق الحديث على محافظة أسيد على خشوعه في الصلاة ؛ حيث لم يرفع رأسه أمام هذا الحدث العظيم المثير حتى اشتدّ به الخطب. (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله المثير للانتباه :" وتدري ما ذاك ؟ "وهذا السؤال منه ﷺ كالسؤال السابق : " هل تدري ما حق الله على العباد ؟ " في استخدامه ﷺ لأسلوب التعليم الفردي، إنه ﷺ لم يفسر للصحابي الظاهرة التي رآها بعد استفهامه له واستغرابه منها، بل طرح سؤالاً عن علمه ومعرفته بماهية الحدث الذي رآه، وهو يعلم ﷺ عدم معرفته به، ليحوّل به موضوع الإثارة ويوجهها من الأمر المادي الذي استثار كل حواسه إلى الأمر الغيبي، كما يبدو لي .

---

(١) صحيح البخاري ، باب نزول السكينة والملائكة ، (٤ / ١٩١٦ ، ح ٤٧٣٠) ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب نزول السكينة عند قراءة القرآن ، (١ / ٥٤٨، ح ١٣٢٧).

(٢) النهاية ، (١٨٢/٢) .

(٣) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٩٥٤) ، عمدة القاري ، (٢٠ / ٣٥) .

فسؤال الرسول ﷺ ليس لإنسان غافل فيثيره لينتبه، بل قد يكون مستثاراً من أمر، منتبهاً لغير الحقيقة، فيكون دور السؤال تغيير مجرى انتباهه للموضوع الأهم .

٨- عَنْ أَبِي بَكْرَةَ [(١)] ﷺ قَالَ : (خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ : أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ ؟ قُلْنَا : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) . [(٢)]
وفي رواية: (أَلا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمَ حُرْمَةً؟ قَالُوا: أَلا شَهْرُنَا هَذَا، قَالَ: أَلا أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: أَلا بَلَدُنَا هَذَا، قَالَ :أَلا أَيُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا: أَلا يَوْمُنَا هَذَا، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ).[(٣)]

معنى الحديث :

يخطب الرسول ﷺ الصحابة بهذا الخطاب البليغ الموجز، يودِّع به أمته حين أحس أن رسالته قد قاربت الانتهاء، فكانت أول وصية يريد ﷺ ترسيخها في النفوس هي حرمة الدماء والأموال .. فاستعمل لهذا الغرض أسلوباً يثير فيه كل الانتباه واليقظة في نفوس سامعيه .

---

(١) أبو بكرة : نَفيع بن الحَارث بن كَلَدة بن عمرو بن أبي سلمة ، وإنما قيل أبا بكرة لأنه تدلى من حصن الطائف إلى النبي ﷺ ، فأعتقه يومئذ ، روى عن النبي ﷺ ، وكان من خيار الصحابة ، مات سنة ٥٠ هـ بالبصرة .(الإصابة، ٣ / ٥٩١) ، (التهذيب ، ٨ / ٥٣٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة في أيام منى ، (٢ / ٦٢٠ ، ح ١٦٥٤) ، ومسلم ، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، (٢/ ٥٢٣ ، ح ١٦٧٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد ، (٦/ ٢٤٩٠ ، ح ٦٤٠٣) .

موضع الشاهد ودلالته :

١- إلقاؤه ﷺ عدة أسئلة يقررهم فيها عن اليوم الذي هم فيه، بقوله: أتدرون أي يوم هذا؟ أليس يوم النحر؟، وعن الشهر، بقوله : أتدرون أي شهر هذا ؟ أليس ذو الحجة ؟ .

فهذه الأسئلة تلفت السامع وتجذب انتباهه، وتثير وجدانه، فيصبح في شوق إلى الإحاطة بالجواب وإدراك المعنى، وما من ريب في أن هذه المعاني تقر عندئذ في النفوس، وتثبت بالوجدان، لأنها ألقيت على المخاطبين بعد أن نُبهوا لها، وتهيئوا لتلقيها، وأخذوا يتطلعون إلى معرفتها، والوقوف عليها، فالنبي ﷺ يقصد بهذا التشويق إلى أن يُمكِّن تلك المعاني في النفوس حتى يشتد الحرص على امتثالها، وتحقيق ما يَكْمُن وراءها من أغراض .. [١]

٢- سكوته ﷺ بين كل سؤال وسؤال، " وهذا السؤال والسكوت والتفسير ، أراد به التفخيم والتقرير والتنبيه على عظم مرتبة هذا الشهر واليوم، وكُرِّر في الرواية الثانية حرف التنبيه " ألا "سؤالاً وجواباً ،" فسؤاله ﷺ "أي يوم هذا ؟ " " سأل عنه وهو عالم به لتكون الخطبة أوقع في قلوبهم ".

" وإن قيل لم سأل عليه السلام عن هذه الأشياء الثلاثة وسكت بعد كل سؤال منها ؟ أجيب : لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليعلموا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا:" فإن دماكم ..إلى آخره "، مبالغة في تحريم الأشياء المذكورة "[٢]

ويؤكد هذه الحقيقة الشيخ محمد بن عثيمين حيث يقول " فسكت : لأجل أن الإنسان إذا تكلم ثم سكت انتبه الناس، ما الذي أسكته ؟ وهذه طريقة متبعة في الإلقاء، لأن الكلام إذا كان مسترسلاً قد يحصل للسامع غفلة، لكن إذا توقف فإنهم سينتبهون لماذا وقف ". [٣]

الدلالة التربوية:

قول الصحابة رضي الله عنهم :" الله ورسوله أعلم" ، هذا من حسن أدبهم، وأنهم علموا أنه لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب ، فعرفوا أنه ليس المراد مطلق الإخبار بما يعرفون، فالعالم إذا سأل عما قد عُلِم، يُردُّ الأمر في ذلك إليه، لأنه لا يسأل عن ذلك عبثاً، وإنما يسأل لحكمة لا يعلمها المسئول، فهم عالمون بما سألهم عنه، فظهرت بعده الحكمة التي

---

(١) انظر ، التشويق في الحديث النبوي ، بسيوني فودة ، (٨) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١ / ١٤٠) .

(٣) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٥٤٥) .

من أجلها سألهم عن ذلك وهي: تأكيد الحرمة وتغليظها بأبلغ ممكن من تكرار ونحوه، وإنما شبّه حرمة الدم والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء، ولا يرون هتك حرمتها، ويعيبون على من فعل ذلك أشد العيب، وإنما قدّم السؤال عنها تذكاراً لحرمتها، وتقريراً لما ثبت في نفوسهم، ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد، بخلاف ما إذا سأل عن شيء يجهله كثير من الناس، فمن النبل إصابة المقصود والإفصاح به .[1]

وسكوتهم أيضاً كما ورد في رواية : (قال: أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا : بلى، قال : فأي شهر هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بذي الحجة؟)[2] " لأنه سأل عن شيء لا يجهله أحد ، فظنوا أنه أراد غيره، وإنما شبه تحريم حقوق الإنسان هذه بحرمة يوم النحر في شهر ذي الحجة، في هذا البلد الأمين لأن تحريمه ثابت عند العرب، راسخ في قلوبهم، بخلاف حقوق الإنسان، فإنهم كانوا يجهلونها، ويتهاونون فيها في الجاهلية، فشبَّه لهم هذه بهذه لتأكيد حرمتها "[3]، "فهذا من حسن الأدب في الجواب للأكابر والاعتراف بالجهل، ولعلهم قالوا ذلك لأنهم ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه ".[4]

(١) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٩٤٥) ، عون المعبود (٥/ ٣٠١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب قوله ﷺ "رب مبلغ أوعى من سامع" ، (٣٧/١ ، ح٦٧) .

(٣) فتح الباري ، (١ / ٢٨٦) ، منار القاري (٢ / ١٦٩) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١ / ١٤٠) .

٢- السؤال عن الرغبة :

أ- في معرفة الخبر الجديد :

وفيه حديثان :

١-عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنْ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ) .[١]

معنى الحديث :

يحذر النبي ﷺ من فتنة الدجال ، وقد قال ﷺ (ما بين خلق آدم وقيام الساعة أمر أكبر من الدجال)[٢] ولذلك ما من نبي من الأنبياء إلا أنذر قومه مع أنه لا يأتي إلا في آخر الزمان ، والله ﷻ يعلم أن محمداً خاتم الأنبياء ومع ذلك أنذر به الأنبياء السابقون، والحكمة من هذا؛ التنويه بفتنته وبيانها وأنها عظيمة، ولذا علينا الاجتهاد في الاستعاذة من فتنته بعدكل صلاة[٣].

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ " ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه ؟ "" ألا " : أداة حض واستفتاح، استفتح النبي ﷺ كلامه لتنبيه المخاطب إلى أمر ذي شأن "[٤]، وإنه لقمة التشويق منه ﷺ أن يبدأ حديثه بسؤال يبين فيه جدة الخبر، فالنفوس بطبعها تحب الاطلاع والتعرف على كل جديد، لم يسبقها أحد إلى معرفته، إنها تهيئة ذهنية كفيلة بأن تجذب التركيز أثناء استقبال المعلومات، وتعمل على تمكُّنها في العقول .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب قوله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾ [الأعراف: من الآية٥٩]، (٣/ ١٢١٥ ، ح ٣١٦٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، (٤ / ٢٢٥٠ ، ح ٢٩٣٦) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن ، باب في بقية من أحاديث الدجال ، (٤/٢٢٦٦، ح ٢٩٤٦).

(٣) انظر، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ / ١٨٦١) .

(٤) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ / ١٦٣٤) .

٢- عن عُثْمَانُ بن عفان ﷺ قال: (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ انْصِرَافِنَا مِنْ صَلاتِنَا هَـذِه، فَقَالَ: مَا أَدْرِي أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَسْكُتُ ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَحَدِّثْنَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ فَيُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ إِلا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا)[1] .

معنى الحديث :

بيان فضل الوضوء والصلاة وتكفيرها لما بينها من الذنوب .

موضع الشاهد ودلالته :

أنه ﷺ يطرح على صحابته سؤالاً بعد الصلاة؛ بقوله:"ما أدري أحدثكم أو أسكت ؟ " " أي ما أدري هل ذكري لكم هذا الحديث في هذا الزمن مصلحة أم لا؟ ثم ظهرت مصلحته في الحال عنده ﷺ فحدثهم به؛ لما فيه من ترغيبهم في الطهارة، وسائر أنواع الطاعات، وسبب توقفه أولاً أنه خاف مفسدة اتكالهم، ثم رأى المصلحة في التحديث به"[2].

سؤال في غاية الروعة، وأحسب أنه يفوق كل وسيلة تشويقية، سؤال يعرض فيه ﷺ تردده بين الإخبار أو عدمه، لجدير بأن تتلهف الأسماع، وتتحرك الأذهان للتفكير في ماهية هذا الخبر، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم يتوقعون أن تردده ﷺ عن تحديثهم قد يكون بسبب عدم خيرية الأمر، فيوكلون الأمر لله ورسوله، وأحسب أنهم في حالة ترقب وتهيب، فتأتي الإجابة بشارة من بشارات الشريعة السمحاء فتجد لها مكاناً في العقل والنفس .

والذي يبدو لي أن سؤاله هذا أسلوب رائع انتهجه سيد المعلمين مع من يعلمهم ليثير انتباههم، ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعرهم وأحاسيسهم المعرفة، إنه لأسلوب متميز لتهيئة الجو للتعليم، وإعطاء مفهوم ومعنى جديد ومغاير لما تعارف عليه الناس من إلقاء المعلومات، أو توجيه النصح من قبل المربين دون الاهتمام بهذه اللفتات التربوية العظيمة .

ومع كون هذا السؤال من أقوى الأسئلة في إثارة الانتباه إلا أنه لم يرد في أحاديثه ﷺ في الصحيحين في غير هذا الحديث، فلعل الإكثار منه يتعارض مع مقام النبوة، أو يُفقد قوته في

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، (١ / ٢٠٧ ، ح ٢٣١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣ / ١١٥) .

جذب الانتباه، فلعل ندرة استعماله تجعله سؤالاً أكثر قوة من بين الأسئلة الأخرى التي تجذب الانتباه .

ب- في تحديد المعنى الصحيح للمفهوم :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ: (إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا) .[1]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ يحذر من نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، والمعنى : "ألا أنبئكم ما العضْة الفاحش الغليظ التحريم ؟". [2] ، وهي النميمة، وهي أن ينقل كلام الناس بعضهم بعضاً من أجل الإفساد بينهم، وهي من كبائر الذنوب، وقد كُشف للنبي ﷺ عن (رجلين يعذبان في قبورهما، فأخبر أن أحدهما كان يمشي بالنميمة)[3]، أما من كان غرضه النصيحة وليس التفريق والإفساد، فلا يعد ذلك من النميمة [4].

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : " ألا أنبئكم ما العضة ؟ "والعضة من عضيت الشيء إذا فرقته ومزقته وقطعته، ولعل النميمة سميت بذلك لأنها تفرق بين الناس [5]، ومنه قوله : ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١] ، يعني قطعاً وأجزاء يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعض، فما هي الأداة المفرقة للأمة الممزقة لهم ؟ [6].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم النميمة ، (٤ / ٢٠١٢ ، ح ٢٦٠٦)

(٢) النووي شرح صحيح مسلم ، (١٦ ، ١٥٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، (١/٨٨ ، ح ٢١٣) ، صحيح مسلم، كتاب الوضوء ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، (١/ ٢٤٠ ، ح ٢٩٢) .

(٤) انظر، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ /١٦١٤) .

(٥) انظر، الإكمال شرح صحيح مسلم ، ٨ / ٨٠) .

(٦) انظر، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ /١٦١٤) .

أحسب أنه ﷺ يريد في ابتدائه الحديث مع الصحابة بسؤال عن رغبتهم في معرفة مفهوم معين، دون أن ينتظر منهم إجابة، جذب الانتباه، وإدراك أهمية هذا المفهوم، وترسيخ المعنى في الذهن، " وهذا الأسلوب من أساليب التعليم الجيدة، وهو أن يلقي المعلم السؤال على المخاطبين؛ للتنبيه حتى يستثير أفهامهم، ويعطوا الكلام انتباهاً، ولا سيما إذا رأى الإنسان من المخاطب غفلة، فإنه ينبغي أن يأتي بالأسلوب الذي ينبهه؛ لأن المقصود من الخطاب هو الفهم والاستيعاب والحفظ ." (١)

٢- عن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّه وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ) .(٢)

معنى الحديث :

أن الإشراك بالله كبيرة في حق الله، وعقوق الوالدين كبيرة في حق من هم أحق الناس بالولاية والرعاية، وكان ﷺ متكئاً أي معتمداً على يده فجلس واستقام في جلسته، ليبيّن لهم أن شهادة الزور من أكبر الكبائر أيضا ، وضررها عظيم وعاقبتها وخيمة .(٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ تنبيهاً وتنشيطاً لأذهانهم قبل الإخبار بها .

ويظهر جلياً لي أنه ﷺ في هذا الحديث قد نوّع في استخدام المثيرات التي من شأنها أن تلفت انتباه السامع، وتجذب تركيزه، وتشعره بأهمية الأمر وخطورته، فراوح بين عدة مثيرات :

١- أحدها : السؤال التنبيهي عن الرغبة في معرفة هذا الأمر الخطير الذي وصفه بوصف يوجب الخوف والحذر منه ، بقوله : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ .

---

(١) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ /١٦١٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ،(٢ / ٩٣٩ ، ح ٢٥١١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، (١ / ٩١ ، ح ٣٨).

(٣) انظر ، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١/ ٧١٤) .

٢- تكراره ﷺ للسؤال ثلاثاً ،"فيه استحباب إعادة الموعظة ثلاثاً لتُفهم، وانزعاج الواعظ في وعظه ليكون أبلغ في الوعي، والزجر عن فعل ما ينهى عنه، وفيه تغليظ أمر شهادة الزور؛ لما يترتب عليها من المفاسد" (١)،" وتأكيداً لتنبيه السامع على إحضار فهمه " (٢) .

٣- تغييره ﷺ في هيئة الحركة، فكان ﷺ متكئاً فجلس" "هذا يشعر باهتمامه ﷺ بـذلك، حتى جلس بعد أن كان متكئاً، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه، وعظيم قبحه. " (٣)

٤- تكرار الإجابة أكثر من مرة، فتستقر في ذهن المستمع حرمة قول الـزور، ووجـوب الابتعاد عنه، بقوله : ألا وقول الزور ، حتى تمنى الصحابة سكوت النبي ﷺ إشفاقاً عليه .

٣- عن أَنَسِ بْنَ مَالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : (ألا أُخبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأنْصَار ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: بَنُو النَّجَّارِ(٤)، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ بَنُو عَبْد الأشْهَلِ(٥)، ثُـمَّ الَّـذينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الْحَارِث بْنِ الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ .) (٦)

معنى الحديث :

تقديم بني النجار على بني عبد الأشهل، وبنو النجار هم أخوال جـد رسـول الله ﷺ لأن والدة عبد المطلب منهم، وعليهم نزل لما قدم المدينة، فلهم مزية على غيرهم، وكان أنس ﷺ منهم فله مزيد عناية بحفظ فضائلهم ، ثم بنو الحارث بن الخزرج أي الأكبر أي بن عمرو بن مالك بن الأوس المذكور بن حارثة، ثم بنو ساعدة هم الخزرج أيضا، وساعدة هو بن كعب

---

(١) فتح الباري (٢/ ٨١) .

(٢) إرشاد الساري ، (٦ / ٩٧) .

(٣) نيل الأوطار ، (٩ / ٢١٢).

(٤) بنو النجار : بفتح النون وتشديد الجيم وبالراء وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، قيل : سمي النجار لأنه اختتن بقدوم ، وقيل بل نجر وجه رجل بالقدوم فسمي النجار. عمدة القاري ، (٩/٦٧) .

(٥) بنو عبد الأشهل : بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس ، والأوس أحد جذمي الأنصار لأنهم جذمان الأوس والخزرج ، وهما أخوان وأمهما قبيلة بنـت الأرقم بن عمرو بن جفنة ، وقيل: قبيلة بنت كاهل بن عدي بن سعد بن قضاعة . عمدة القاري، (٩/٦٧).

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، (٥/٢٠٣١ ، ٤٩٩٤) ، صحيح مسلم ، كتاب الصحابة ، باب في خير دور الأنصار وغيرهم ، صحيح مسلم ، (٤/١٩٥١، ح ٢٥١٢) بلفظ : ألا أحدثكم ؟.

ابن الخزرج الأكبر، خير دور الأنصار، وفي كل دور الأنصار خير ؛خير الأولى : بمعنى أفضل، والثانية : اسم أي الفضل حاصل في جميع الأنصار وإن تفاوتت مراتبه(١) .

" وكانت كل قبيلة منها تسكن محلة، فتسمى تلك المحلة دار بني فلان، وقال العلماء: أن تفضيلهم على قدر سبقهم إلى الإسلام ومآثرهم فيه، وفي هذا دليل لجواز تفضيل القبائل والأشخاص بغير مجازفة ولا هوى ولا يكون هذا غيبة ."(٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ " " كلمة ألا : للتنبيه ، والخطاب لمن كان معه من الصحابة، ودور جمع دار ويريد به القبائل الذين يسكنون الدور يعني المحال ". (٣)

الدلالة التربوية :

استعماله ﷺ الإشارة المفهمة مقرونة بالنطق ،" قال بيده فقبض أصابعه ثم بسطهن كالرامي بيده "، أي كالذي يكون بيده الشيء قد ضم أصابعه عليه ثم رماه فانتشرت . (٤)

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٩ / ٤٤١) .

(٢) تحفة الأحوذي ، (٢٨١/١٠) .

(٣) عمدة القاري، (٦٧/٩) .

(٤) انظر ، فتح الباري ، (٩ / ٤٤١) .

٣- طلب إعادة السؤال :

وفيه حديثان :

١- عن أبي أَيُّوبَ[١] رضي الله عنه :(أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنْ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ وُفِّقَ أَوْ لَقَدْ هُدِيَ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ: فَأَعَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ) .[٢]

معنى الحديث:

أن أعرابياً من سكان البادية وهو صخر بن القعقاع[٣] أتى النبي ﷺ بين عرفة والمزدلفة فأمسك بخطام ناقته ﷺ وهو: الحبل الذي يعلق في حلق البعير، ثم يثنى على أنفه ولا يثقب له الأنف [٤]، حتى يتمكن من سؤاله بلا مشقة، فسأله عن عمل يقربه إلى الجنة ويباعده عن النار، فأجابه ﷺ بأن إخلاص العبادة لله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والإحسان إلى الأقارب وذوي الرحم بما تيسر على حسب الحال من إنفاق أو سلام أو طاعتهم، من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، وتصوم رمضان زاد هذا في رواية ، لأن الظاهر أنه قد فرض، ولم يذكر الحج لأنه لم يفرض حينئذ، ولا الجهاد لأنه ليس بفرض على الأعراب.[٥]

موضع الشاهد ودلالته :

طلبه ﷺ من السائل إعادة السؤال بقوله: كيف قلت ؟ لينتبه جميع الصحابة له، وحتى لا يفوتهم شيء من الإجابة، وهذا دليل على اهتمامه بالسؤال كما يبدو لي .

فطلب إعادة السؤال كان عنصراً مثيراً من عدة عناصر مثيرة استخدمها ﷺ في هذا الحديث

---

(١) خالد بن زيد بن كُليب الأنصاري الخزرجي ، أبو أيوب ، صحابي أقام في المدينة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، توفي غازياً في بلاد الروم في خلافة معاوية سنة ٥٠ هـ . (الإصابة ، ١ / ٤٠٥) ، (التهذيب ، ٢ / ٥١١) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة ، (١ / ٤٢ ، ح ١٣).

(٣) انظر، إيضاح الإشكال، المقدسي، (٨٣/١)

(٤) النهاية ، (٢ / ٥٠) .

(٥) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧٣/١) .

الدلالات التربوية:

تتجلى لنا في هذا الحديث دروس عظيمة:

١- حلم النبي ﷺ وسعة صدره للسؤال، فوقف ﷺ مستمعاً منتبهاً لسؤال من أوقفه عن سيره وأمسك بخطام ناقته يريد السؤال، بل واستحسانه والثناء عليه، حتى إذا أنهى الإجابة على سؤاله طلب منه أن يترك خطام الناقة ليتمكن من مواصلة سيره، فلم يفرض وقتاً معيناً للسؤال، و لم يتأذى من إيقاف الأعرابي له، فأي تربية أعظم من هذه التربية ؟!

٢- سؤال من لا يعلم لمن يعلم عن العمل الذي يكون سبباً لدخول الجنة، ووجوب السؤال عن أمور الدين.

٣- سكوت النبي ﷺ بعد سماع السؤال، ونظره في أصحابه يعد كل منهما مثيراً قوياً من شأنه جذب العناية والاهتمام بهذا السؤال المطروح، وعليه ينبغي على المعلم الإصغاء لمحدثه، والإنصات للسائل إذا سأل، قال ابن جماعة في أدب المعلم : " وأن يلازم الإنصات في بحثه وخطابه ، ويسمع السؤال من مُورده على وجهه وإن كان صغيرا ". [(١)]

٤- ثناؤه ﷺ على جودة السؤال بقوله " لقد وفق إلى هدى "، فيه تعزيز نفسي للسائل ، ولفت نظرهم لأهمية السؤال .

٥- أن تخصيصه ﷺ خصلة الإحسان إلى الأقارب من بين خلال الخير نظراً إلى حال السائل كأنه كان لا يصل رحمه، فأمره به لأنه المهم بالنسبة إليه، ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحض عليها بحسب حال المخاطب، وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها إما لمشقتها عليه، وإما لتساهله في أمرها. [(٢)]

٢- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ : (أن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ، ابن جماعة ، (٧٨) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم،(١٧٤/١)، عمدة القاري، (٢٤٢/٨) .

مُحْتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِي ذَلِكَ) . [1]

معنى الحديث :

يخبرنا ﷺ عن فضيلة عظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو أن يقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، فالأعمال لا تنفع إلا بالنية والإخلاص لله تعالى، فإن قاتل لعصبية أو لغنيمة أو لصيت أو نحو ذلك فليس له هذا الثواب ولا غيره ، وأما قوله ﷺ : " إلا الدين" ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفّر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى ،وأما قوله ﷺ: نعم ،ثم قال بعد ذلك إلا الدين ، فمحمول على أنه أوحى إليه به في الحال ، ولهذا قال ﷺ : "إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك" والله أعلم . [2]

موضع الشاهد ودلالته :

إنه ﷺ بعد أن أجاب السائل على سؤاله تجدد عنده ﷺ مزيد علم بوحي من الله، فلم يُعِد الإجابة بهذا العلم الزائد إلا بعد أن أثار انتباه الصحابة بطلبه من الرجل إعادة السؤال، بسؤاله : كيف قلت ؟ فينتبه الجميع للسؤال والإجابة مرة ثانية، فلا يغفل شارد ذهن عنها ، ويبدو لي أن موطن إثارة السؤال هنا من أهم المواطن حتى لا تثبت في الأذهان الإجابة الناقصة .

إن طريقة الرسول ﷺ في طرح السؤال تثير الشعور ، وتسترعي الانتباه ، وتركز الفكر ، وتوقظ الذهن ؛ لتصور المسؤول ، ولتلقي الجواب ، فإذا ألقى رسول الله ﷺ الجواب كانت القلوب حاضرة ، والسمع صاغياً ، وكان وعاء علم لما يسمع ، وما حفظه فلن ينساه ، وهذا هو أسلوب التشويق والاسترعاء . [3]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه ، (٣ / ١٥٠١ ، ح ١٨٨٥) .

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم، (٢٩/١٣) .

(٣) انظر السؤال والجواب ، عطيه محمد سالم ، (٥) .

ويؤكد علماء التربية المعاصرون على أهمية توظيف المعلم لصوته ونبرته وإشارته وحركاته لجذب انتباه جمهور المتعلمين، و يحافظ على نشاطهم أثناء الدرس بأسئلته وأمثلته وإثابته، وتدعيمه للسلوك الحسن، ويستثير عواطف التلاميذ وانفعالاتهم، وينقل إليهم شعوراً قوياً بالحضور، ويحتفظ بحماستهم وحيويتهم، وفطنتهم طوال الدرس، إنه من خلال إثارة العواطف، وتوليد السرور ينشط العقل، ويتم التمعن في الأفكار، وإدراك المفاهيم المجردة، وتبيان صلتها بالحياة اليومية . (١)

(١) انظر ، المعلمون والمتعلمون ، د. محبات أبو عميرة ، (٧١).

المطلب الثاني
إثارة الحماس والهمة للعمل

إن الإثارة والتشويق في أسئلة الرسول ﷺ لا تقف عند جذب الانتباه والتركيز في المعلومات الملقاة فتكون أكثر رسوخاً وثبوتاً في الذهن، بل قد تتعدى ذلك إلى إثارة الدافع والرغبة وإشعال روح الحماس والهمّة للعمل والالتزام به .

والذي يبدو لي من خلال البحث في الأسئلة الواردة في أحاديث الصحيحين، أن الرسول ﷺ قدح زناد الحماسة والهمّة في نفوس أصحابة، عن طريق :

١- السؤال الترغيبي للأعظم والأنفس :

وفيه عشرة أحاديث :

١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:(جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا :ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنْ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: أَلا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ ،وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ ؟ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَنَحْمَدُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: تَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ). [١]

معنى الحديث :

جاء فقراء الصحابة إلى النبي ﷺ يشكون أنهم لا يستطيعون فعل بعض العبادات المالية لقلة ذات أيديهم، شكوى غبطة لا شكوى حسد، ولا اعتراض على الله ﷻ، ولكن يطلبون فضلاً يتميزون به عمن أغناهم الله[٢] فتصدقوا بفضول أموالهم، فأرشدهم النبي ﷺ إلى هذا

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، صحيح البخاري ، باب الذكر بعد الصلاة ، (٢٨٩/١، ح ٨٠٧) ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة ،باب استحباب الذكر بعد الصلاة، (٤١٧/١ ،ح ٥٩٤) .

(٢) هذا المقصود بأهل الدثور ، وهم أصحاب المال الكثير ، لسان العرب ، مادة : ثور ، (٤/ ٢٧٧) .

الذكر، وبيّن لهم أن هذه الكلمات مع سهولتها تساوي الأعمال الشاقة ، من جهاد ونحوه ، ولا سيما مع الفقر،[1] وهذا الذكر: "سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر" من الأذكار المخصوصة المقيدة بعمل ، فهو مشروع خلف الصلوات ، وقد ورد في حديث آخر أنه تكمل المائة بقوله: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير). [2]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا أحدثكم إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ..؟ إنه ﷺ بهذا السؤال الذي يتضمن ترغيب وإغراء بضخامة الربح والمكسب في الآخرة، فوصف فيه العمل قبل إخبارهم به، بوصف تشتاق له النفوس، وتشرأب له الأعناق، يثير الحماسة الذهنية والنفسية للتلقي والسماع، فقد حوّلهم ﷺ بهذا السؤال المثير من حالة حزن على قلة أعمالهم بسبب فقرهم، إلى حالة حماسٍ وتأهب وهمة للعمل، حتى أنهم من شدة اهتمامهم بالمعلومة التي أُخبروا بها ناقشوا معناها والمقصود بها قبل خروجهم من المجلس ، كما يبدو لي .

الدلالات التربوية:

١- سعة صدر النبي ﷺ على المراجعة والمناقشة، لأنه ﷺ يريد الحق أينما كان ، والحق معه لكي يطيب قلوب الناس ويبين لهم .

٢- همم الصحابة العالية التي جعلتهم يغبطون إخوانهم الأغنياء على الأموال التي يتصدقون بها لا على ما عندهم من فضول أموال .

٣- أن الأغنياء من الصحابة كالفقراء حريصون على فعل الخير والتسابق فيه، ولهذا صنعوا مثل ما صنع الفقراء ، فصاروا يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة . [3]

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ قَالَ : (مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يقلْ اللهُ:﴿ يَا

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢٢ / ٢٩٣) ، رياض الصالحين، شرح ابن عثيمين ، (١/ ٨٤٢)، (١/٣٦١).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، (١/٢٨٩ ، ح ٨٠٨)، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، (١/٤١٨ ، ح ٥٩٧) .

(٣) انظر، رياض الصالحين، شرح ابن عثيمين ، (٢/ ١٥١٢).

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] ثُمَّ قَالَ: أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ؟ فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ ․) (١).

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ يبين في هذا الحديث فضل سورة الفاتحة، وأنها أعظم سورة في كتاب الله، ولهذا تسمى أم القرآن، والأم الذي يرجع إليه الشيء، فسورة الفاتحة ترجع إليها معاني القرآن كلها، فهي السبع المثاني، أما السبع فلأنها سبع آيات بلا خلاف، وأما تسميتها بالمثاني فلأنها تثنى في كل ركعة. (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن ..؟ ألا: " كلمة مؤلفة من حرفي الاستفهام والنفي لإعطاء التنبيه على تحقيق ما بعدها وذلك لأن الهمزة فيه للإنكار فإذا دخلت على نفي أفادت تحقيق الثبوت . " (٣)

وأحسب أنه ﷺ بطرح السؤال الترغيبي في معرفة الأمر : ألا أعلمك أعظم سورة ..؟ ، وتأجيل الإجابة عليه ؛ قد أكسب فكر هذا الصحابي ﷺ مشكلة جعلته في شغل شاغل ، يود أن يعرفها عاجلاً قبل أن يغادر مكانه ، وهذه صورة تعليمية فردية ومباشرة ، وسريعة لاكتساب المعلومة مع وجود الاستعداد الكامل لاستقرارها في الذهن ، فرسول الله ﷺ لم يكتف هنا بمثير واحد، بل استخدم مثيرين: السؤال الترغيبي في معرفة الأمر، وتأجيل الإجابة عليه .

كما أنه ﷺ حين طرح السؤال عن الرغبة في معرفة أعظم سورة، وترك الإجابة لفترة من أجل هذا الغرض، حدد ﷺ المدة التي هي مدة الانتظار والترقب، حتى لا يضيع السؤال من ذهن الصحابي، وفعلاً كانت النتيجة عدم غفلة أبي سعيد ﷺ أو نسيانه حيث تحيّن موعد

---

(١) سبق تخريجه وبيان معناه في الفصل الأول ، المبحث الرابع: تقرير المخاطب، (١٣١)، لوجود سؤال : ألم يقل الله..؟ المرتبط بذلك المبحث.

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٨١/١٨) ، انظر، رياض الصالحين، شرح ابن عثيمين ، (٢ / ١٢٥٠).

(٣) فيض القدير ، (١٠٠/٣) .

الإجابة فذكّر الرسول ﷺ بها قبل خروجه من المسجد، فرسول الله ﷺ لم يُعلمه بأعظم سورة قبل أن يخرج من المسجد حتى سأله أبو سعيد عنها؛ فأصبح هو الطالب والمُتلهف لسماع الإجابة .

ومن هنا نستنتج قيداً مهماً عند استخدام طرح السؤال وتأجيل الإجابة، وهي تحديد وقت معيّن للإدلاء بالإجابة، وليس هو بالوقت القصير بحيث لا يستكمل الذهن فترة الانشغال في التفكير بالأمر، ولا الطويل بحيث تفقد الإثارة معناها، بل قد تكون طريقة بعض المعلمين من طرح السؤال وتأجيل الإجابة عليه إلى اليوم التالي مخالفة لهديه ﷺ حيث حدد موعد الإجابة قبل مغادرة المسجد أي قبل التفرق بين العالم والمتعلم .

والظاهر أن في هذه الطريقة تطبيقاً لما تدعو إليه التربية الحديثة الآن " فالناس يستوعبون، ويتذكرون الأشياء التي يسمعونها في النهاية، ويغلبهم النعاس في المنتصف، إن المعلم الجيد يعرف منحنى التركيز والانتباه، ويأخذه بعين الاعتبار، إذ يقدم لتلاميذه المعلومات الأكثر فائدة في بداية الدرس ونهايته."(١)

٣- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِد الْجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا) .(٢)

معنى الحديث:

في المراد بهذا الحديث تأويلان :

أصحهما وأشهرهما: أنه محمول على من عنده شهادة لإنسان بحق ولا يعلم ذلك الإنسان أنه شاهد فيأتي إليه فيخبره بأنه شاهد له .

والثاني: أنه محمول على شهادة الحسبة وذلك في غير حقوق الآدميين المختصة بهم، فما تقبل فيه شهادة الحسبة الطلاق والعتق والوقف والوصايا العامة والحدود ونحو ذلك، فمن علم شيئاً من هذا النوع وجب عليه رفعه إلى القاضي وإعلامه به .

---

(١) انظر ، الإلقاء الناجح ، (١٢٤) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب بيان خير الشهود ، (٣ / ١٣٤٤ ، ح ١٩١٧).

قال العلماء: وليس في هذا الحديث مناقضة للحديث الآخر في ذم من يأتي بالشهادة قبل أن يُستشهد، في حديث عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ : فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنه قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ)[١] ، وقد تأول العلماء هذا تأويلات أصحها أنه محمول على من معه شهادة لآدمي عالم بها، فيأتي فيشهد بها قبل أن تطلب منه." [٢]

بوب عليه ابن حبان في صحيحه : " باب ذكر استحباب إعلام الشاهد المشهود له ما عنده من الشهادة إذا جهل عليها " . [٣]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: " ألا أخبركم بخير الشهداء؟"، إثارةً لحماسهم وترغيباً لهم في الالتزام والعمل بالصفة التي سيذكرها ﷺ بعد السؤال فيكونون من أهل هذا الوصف .

وأحسب أن إطلاق الخيرية في سؤاله ﷺ وعدم تقييدها، مع أن الخيرية مقيدة، وأن الإدلاء بالشهادة قبل أن تُطلب مذموم في بعض الحالات يدل على مشروعية استخدام ألفاظ عامة ولو كان التخصيص وارداً فيها، وذلك لتلبي تشوفات المخاطبين وتطلعاهم .

٤-عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا [٤] عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلا غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ، قُلْ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، أَوْ قَالَ: أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ) . [٥]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، (١٣٣٥/٣، ح ٣٤٤٩) ، مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل لصحابة ثم الذين يلوهم ، (١٩٦٤/٤، ح ٢٥٣٥) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧/١٢) .

(٣) صحيح ابن حبان ، (٤٧٠/١١) .

(٤) اربعوا على أنفسكم: أي ارفقوا بأنفسكم أي لا تبالغوا بالجهر . (غريب الحديث لابن الجوزي ، ٣٧٥/١).

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا علا عقبة ، (٥ / ٢٣٤٦ ، ح ٦٠٢١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ، (٤ / ٢٠٧٦ ، ح ٢٧٠٤) .

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ لما توجّه إلى خيبر فحاصرها وفتحها ورجع، وأشرف الناس على وادٍ، أمر الصحابة رضي الله عنهم حين سمعهم يرفعون أصواقم بالدعاء بخفضها؛ لأن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليُسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه، وقوله: " لا حول ولا قوة إلا بالله كتر من كنوز الجنة "؛ سبب ذلك أن هذه الكلمة فيها التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله ﷻ ، فهي استعانة واستسلام ، وتفويض إلى الله تعالى ، واعتراف بالإذعان له إذا أعياك الشيء وعجزت عنه فييسره الله لك، وليست هي كلمة استرجاع كما يفعله كثير من الناس عند حلول المصيبة، فكلمة الاسترجاع هي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومعنى الكتر هنا :أنه ثواب مدّخر في الجنة ،وهو ثواب نفيس ، كما أن الكتر أنفس أموالكم . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا أدلك على كلمة هي كتر من كنوز الجنة ؟ "الاستفهام هنا للتشويق ، يعني : يشوقه الرسول ﷺ إلى أن يستمع إلى ما يقول"(٢) ،ويثير به حماسه وشوقه للعمل بما سيخبره به، فيفوز بهذا الثواب المنتظر .

وإني ألحظ في هذا الحديث عدة أمور :

١- أن رسول الله ﷺ حقق جانباً من الإثارة حين حوّل خطابه من خطاب الجماعة إلى الفرد — عبد الله بن قيس – فإن هذا التحول من شأنه أن يلفت الانتباه ويجذب التركيز .

٢- ملاحظة النبي ﷺ لأقوال أصحابه وأفعالهم ، والتأكيد على صحة الصواب منها حتى وإن كان القول أو العمل فيما بين الصحابي وبين نفسه ، لم يتعمد إظهاره .

٣- إن إتيان النبي ﷺ لعبد الله بن قيس ﷺ، مثير قوي يلفت انتباه الصحابة رضي الله عنهم حيث أنه في حال يخاطب به الجميع ويوجههم حول موضوع معين وهو عدم رفع الصوت

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٥٩٥) ، النووي شرح صحيح مسلم ، (١٧ / ٢٦) ، شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ، (٢ / ١٥٢٥) .

(٢) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢ / ١٥٢٥) .

عند الدعاء، فلما سمع قولاً من الأهمية بمكان التنبيه عليه والتأكيد على المداومة عليه والتزامه لما يعود على صاحبه بالأجر العظيم عليه تحوّل عن موضوعه إلى التنبيه على الموضوع الأهم.

٥- عن عَلِيٍّ ﷺ : (أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام[١] اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا؟ فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ) .[٢]

معنى الحديث :

أن فاطمة رضي الله عنها جاءت لرسول الله ﷺ تشكو إليه حال ثخانة جلد يدها من إدارة رحى اليد، والعمل بالأشياء الصلبة الخشنة، وتطلب خادماً حين سمعت أن الناس قد أخذوا عبيداً وإماءً ، فدلها النبي ﷺ على ما هو خير من ذلك من التسبيح والذكر .

وقد يقال: لا شك أن للتسبيح ونحوه ثواباً عظيماً، لكن كيف يكون خيراً بالنسبة إلى مطلوبها وهو الاستخدام؟ ويجاب عن ذلك: لعل الله تعالى يعطي للمسبح قوة يقدر بها على الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه، أو يسهل الأمور عليه؛ بحيث يكون فعل ذلك بنفسه

---

(١) يقول شيخ الإسلام:" ليس لأحد أن يخص أحداً بالصلاة دون النبي ﷺ لا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علياً، ومن فعل ذلك فهو مبتدع ، فإما أن يصلي عليهم كلهم ، أو يدع الصلاة عليهم كلهم"،(الفتاوى ، ٤ / ٤٢٠) ، ويقول ابن كثير : المعتمد أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء، كما أن قولنا ﷻ مخصوص بالله تعالى، وأما السلام هو في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال علي عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء والأموات، وأما الحاضر فيخاطب به فيقال: سلام عليك، وسلام عليكم، أو السلام عليك أو عليكم، وهذا مجمع عليه ،وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي ﷺ ، بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحاً لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين. تفسير ابن كثير، (٣/٥١٧).

(٢) صحيح البخاري ، أبواب الخمس ، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله (٣/١١٣٣ ،ح ٣٩٤٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ، (٤ / ٢٠٧٦ ، ح ٢٧١٧) .

أسهل عليه من أمر الخادم بذلك، أو أن معناه أن نفع التسبيح في الآخرة ، ونفع الخادم في الدنيا والآخرة خير وأبقى [١].

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : " ألا أدلكما على خير مما سألتما ..؟ " : ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام كلمة الحث والتحضيض ، وإنما أسند السؤال إليهما مع أن السائل هي فاطمة ﵂ فقط لأن سؤالها كان برضاه . [٢]

وأحسب أن أمر النبي ﷺ لهما بلزوم أمكانهما وعدم مفارقته، وقعوده بينهما، لأمر يلفت ويثير الانتباه، ويهيئ الذهن لسماع ما سيقوله ﷺ ، فيأتي السؤال التنبيهي عن الرغبة في معرفة الأمر : " ألا أدلكما ..؟ ، ليكمِّل عملية الإثارة والرغبة في معرفة هذا الأمر الموصوف بالخيرية للعمل به والتزامه .

٦- عن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبِ الْخُزَاعِيَّ [٣]﵁ قَالَ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ) . [٤]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ يبين صفات أهل الجنة وهم: كل مستضعف محتقَر من الناس بسبب ضعف حاله في الدنيا ، والمتواضع المتذلل ، الذي لو أقسم يميناً طمعاً في كرم الله بإبراره لأبره، وقيل لو دعاه لأجابه، [٥]، وأهل النار وهم: المتكبرون المتغطرسون الذين لا يلينون للحق أبداً، ولا يرحمون العباد، وذوي الغلظة والشدة على الناس، والجمَّاعون المنَّاعون، وقيل المختالون

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢١ / ٢٠) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢١ / ٢٠) .

(٣) حارثة بن وهب الخزاعي ، أمه أم كلثوم بنت جرول الخزاعية ، فهو أخو عبيد الله بن عمر لأمه ، له رواية عن النبي ﷺ وعن حفصة بنت عمر ﵄ ، له صحبة ، نزل الكوفة . (الإصابة ، ١ / ٢٩٩) ، (التهذيب ، ٢ / ١٣٨)

(٤) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٣٠) .

(٥) هذا معنى : كل ضعيف متضعِّف ، انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧/١٨٨) .

في مشيتهم ومن فيهم زيادة سوء خلق (١) ، والمراد أن أغلب أهل الجنة وأغلب أهل النار ،وليس المراد الاستيعاب في الطرفين ، وهذا يقتضي منا الحذر والابتعاد عن هذه الصفات الموجبة لدخول النار، والتحلي بصفة التواضع واللين لنكون من أهل الجنة إن شاء الله .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ سؤالين : ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ ألا أخبركم بأهل النار ؟

"هذا من الأسلوب الذي كان النبي ﷺ يستعمله ؛ أن يورد الكلام على صيغة الاستفهام ، من أجل أن ينتبه المخاطب ويعي ما يقول" (٢)، فهو يقول : ألا أخبركم ..؟ لترغيبهم وإثارة حماسهم للعمل بما سيخبرهم عنه فيكونون من أهل هذا الوصف، والابتعاد عن صفات أهل النار ، فالكل سيقول : نعم أخبرنا .

والظاهر لي أن فصل هذه المعلومة : أهل الجنة وأهل النار ، بسؤالين : ألا أخبركم بأهل الجنة؟ والإجابة عليه، ثم طرح السؤال الثاني: ألا أخبركم بأهل النار؟ والإجابة عليه، مع أنه بالإمكان طرح سؤال واحد عنهما؛ يتيح مجالاً لتجديد عملية الإثارة والانتباه، ولاستقرار المعلومة الأولى قبل طرح السؤال الثاني، فالرسول ﷺ لم يستخدم الأسئلة المركبة كي لا تتزاحم المعلومات في الذهن.

٧- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (أَلا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلامِ إِلَى اللَّه ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلامِ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْكَلامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ) . (٣) .

موضع الشاهد ودلالته :

يستخدم الرسول ﷺ في هذا الحديث أسلوب طرح السؤال المثير بشكل فردي بقوله : ألا أخبرك بأحب الكلام ..؟ ، وإطلاق وصف ترغيبي عام في السؤال قد يدخل ضمنه أقوال

(١) هذا معنى : عتل جواظ ، انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٨٨/١٧) ،(عمدة القاري ، ٢٢ / ١٤٠)، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٨٩٩) .

(٢) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٨٩٩) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب فضل سبحان الله وبحمده ، (٤ / ٢٠٩٣ ، ح ٢٧٣١) .

كثيرة تتبادر إلى الذهن، دون تخصيص الثواب الحاصل لقائل هذه الكلمات، يبدو لي أنه يلبي به رغبات الناس وتطلعاتهم، فالإنسان بطبعه يريد أن يصل إلى الأحب والأكمل مطلقاً .

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ).[١] .

معنى الحديث :

يحث الرسول ﷺ على إظهار السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفنا ومن لم نعرف، ويبين أنه لا يكمل الإيمان، ولا يصلح الحال في الإيمان إلا بالتحاب، والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وإفشائه يمكّن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، ويظهر شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين ، وأقل إظهاره أن يرفع صوته بحيث يسمع المُسَلَّم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسنة ويستحب أن يرفع صوته بقدر ما يتحقق أنه سمعه[٢] .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : "أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟"

أحسب أنه ﷺ استعمل في هذا الحديث أسلوب تسلسل اللوازم ، فلم يبدأ ﷺ بالسؤال بل مهدّ له بمبدأ (تسلسل اللوازم) ثم كان السؤال الذي يثير الهمة والحماسة معرفة هذا الأمر والالتزام به، فيأتي الجواب (إلقاء السلام)، فإلقاء السلام يقوم على المحبة ، والمحبة تقوم على الإيمان ، والإيمان يقود إلى الجنة .

٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ ،فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ) .[٣]

(١) صحيح مسلم ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، (١ / ٧٤ ، ح ٥٤) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢/ ٣٦) ، فيض القدير،(٢/ ٢٣).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل إسباغ الوضوء ، (١ / ٣١٩ ، ح ٢٥١) .

معنى الحديث :

الوعد بغفران الذنوب ، وإعلاء المنازل في الجنة لمن أتم الوضوء في أيام الشتاء يكون فيها الماء بارداً، فيحصل بذلك مشقة على النفس، فإذا أكمل المسلم وضوءه مع هذه المشقة دل على كمال الإيمان، ولمن أكثر الخطى إلى المساجد، ويكون ذلك ببعد الدار، وكثرة التكرار، فتزداد الحسنات، ولمن انتظر الصلاة بعد الصلاة من شدة شوقه إليها وتعلقه بالصلاة، وهذا دليل على تمام إيمانه، فهذه الأعمال هي المرابطة الحقيقية لأنها تسد طرق الشيطان على النفس، وتقهر الهوى، وتمنعها من قبول الوساوس، فيغلب بها حزب الله جنود الشيطان وذلك هو الجهاد الأكبر، ولما فيها من معنى الحبس والصبر الذي يتضمنه الرباط .

وأما حكمة تكراره: " فذلكم الرباط " فقيل للاهتمام به وتعظيم شأنه، وقيل كرره ﷺ على عادته في تكرار الكلام ليفهم عنه، والأول أظهر والله أعلم . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ؟ " يعرض عليهم هذا العرض، ومن المعلوم أنهم سيقولون : نعم يا رسول الله أخبرنا، ولكنه ﷺ اتخذ هذا الأسلوب، وهذه الصيغة من أجل أن ينتبهوا إلى ما سيلقى إليهم، قالوا : بلى ، يا رسول الله ، إننا نود أن تخبرنا بما يرفع به الدرجات ويمحو به الخطايا " (٢) ، وكذلك في الأحاديث السابقة ، فما أحسن تعليمه صلوات ربي وسلامه عليه !!

"ففي هذا الحديث طرح العالم العلم على المتعلم وابتداؤه إياه بالفائدة وعرضها عليه، وهذا الحديث من أحسن ما يروى عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال ." (٣)

الدلالة التربوية:

إنه ﷺ ينوع في استخدامه للفظ بعد أداة الاستفهام التنبيهية بين " أدلكم " وبين " أخبركم أو أنبئكم" ويبدو لي أنه في الغالب يستخدم لفظ الدلالة حين يدل ويرشد لأمر يحتاج إلى عمل ، بينما لفظ " أخبركم " للخبر .

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم، (١٤٢/٣) ، فيض القدير ، (١٠٩/٣) .

(٢) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٣٧٢) .

(٣) التمهيد لابن عبد البر ،(٢٠ /٢٢٢)

١٠- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ :أَنَّ بَنِي سَلِمَةَ (١) أَرَادُوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا عَنْ مَنَازِلِهِمْ فَيَنْزِلُوا قَرِيبًا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُعْرُوا الْمَدِينَةَ (٢) فَقَالَ: أَلا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ؟ قَالَ مُجَاهِدٌ: خُطَاهُمْ آثَارُهُمْ أَنْ يُمْشَى فِي الأَرْضِ بِأَرْجُلِهِمْ). (٣)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: خَلَتْ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ فَقَالَ: يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ .) (٤)

معنى الحديث :

أراد بنو سلمة الانتقال من مساكنهم إلى مساكن قريبة من المسجد، فلم يرض رسول الله ﷺ بذلك لأنه أراد أن تبقى جهات المدينة عامرة بساكنيها؛ ليعظم المسلمون في أعين المنافقين، والمشركين، إرهاباً لهم وغلظة عليهم، فرجح درء المفسدة بإخلائهم جوانب المدينة على مصلحة ومنفعة السكنى قرب المسجد، وأعلمهم بأن لهم في التردد إلى المسجد من الفضل ما يقوم مقام السكنى بقرب المسجد أو يزيد عليه، بقوله : ألا تحتسبون ..؟ أي ألا تعدون الأجر في خطاكم إلى المسجد ، فإن لكل خطوة أجراً ، فأقاموا في منازلهم .

وقد يقال: لم ترك الرسول ﷺ التعليل بذلك ، وعلل بمزيد الأجر لبني سلمة ؟ ويجاب عن ذلك: بأنه اقتصر في مخاطبتهم على التعليل المتعلق بهم ليكون ذلك أدعى لهم على الموافقة، وأبعث على نشاطهم إلى البقاء في ديارهم . (٥)

---

(١) بنو سلمة : بفتح السين وكسر اللام وهم بطن كبير من الأنصار ثم من الخزرج . (عمدة القاري ، ١٧٢/٥) .

(٢) أن يُعروا وفي رواية أن تُعرى : أي تخلو ونصير عراء وهو الفضاء من الأرض وتصير دورهم في العراء . (النهاية ، ٢٢٦/٣) .

(٣) صحيح البخاري ، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة ، (٦٦٦/٢، ح ١٧٨٨) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب كثرة الخطا إلى الصلاة ، (ج٤٦٢/١ ، ٦٦٥) .

(٥) فتح الباري ، (١/ ٥٢٥) ، إرشاد الساري ، (٤ / ٤٣١) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : " ألا تحتسبون آثاركم ؟ "أحسب أن هذا السؤال القصير الذي ختم به ﷺ كلامه فلم يعقبه حديث، كان كافياً لتحقيق الغرض منه فقد حوّل الرفض، وعدم الرغبة في البعد عن المسجد، إلى حماسة وهمّة في المشي إلى المسجد، وتحمل مشقة البعد عنه .

أما في رواية مسلم فالرسول ﷺ استخدم السؤال للتثبت من الخبر وصحته، ومن ثم حثهم على احتساب أجر الخطا، واستخدم أسلوب التكرار للفت الانتباه لأهمية الأمر وقيمته .

وفي كلتا الروايتين ألحظ حكمة النبي ﷺ وهدوءه ورويته ﷺ في معالجة الأمور التي يكرهها، واستخدامه أسلوب السؤال سواء السؤال التنبيهي التحضيضي الرافع لمستوى الرغبة في العمل، أو التثبت من صدق الخبر من أصحاب الشأن أنفسهم، ومن ثم توجيههم للأصلح.

ومن خلال هذه الأحاديث يمكننا استنتاج منهجية الرسول ﷺ ، حيث نراه يطرح السؤال المثير للحماسة ، والرافع للهمة ، والحرص على العمل " ألا أدلكم ..؟ " " ألا أخبركم ..؟" قبل أن يذكر للصحابة الأمر الجليل، والهدف السامي الذي يريد منهم السعي إليه ، فإذا كان الجواب " بلى " الدالة على التلهف لسماع الإجابة ، جاءت الإجابة مركزة ، موجزة ، مشرقة تبهج القلوب والأسماع .

فالرسول ﷺ بهذا السؤال القصير، يحصر الفكر والحواس نحو ما سيأتي بعده، فيكتسب فكر المستمع مشكلة تجعله متحمسا للمعرفة، وتكتسب المعلومة قوة البروز والظهور، واستعدادها للاستقرار في الذهن، ويخلق عند المتعلمين التنافس للسعي والعمل والالتزام بها .

ونلاحظ في ختام هذا المبحث :

١-أن السؤال ليس هو المثير الوحيد أو المهم بل هو جزء من عملية أهم وأشمل، محصلتها : كيف نثير اهتمام المتلقي حتى يُحسن الفهم ويُحسن تحمل العلم .

٢-أن الرسول ﷺ استعمل قبل السؤال تهيئة اتخذت عدة نماذج للتحفيز :

- التبسم ، اعتلاء المنبر مع الضحك ، الأمر بلزوم الأماكن ، الصمت ، تكرار النداء ، المدح والإطراء ، فيأتي السؤال ليكمل عناصر عملية الإثارة .

٣- السؤال عنده ﷺ يحمل فكرة واحدة، فلا يجمع بين فكرتين في سؤال واحد، فأسئلته قصيرة غير مركبة .

٤- يرد اللفظ لنفس الحديث في الصحيحين أو غيرهما بأكثر من أداة، وعليه لم أجد تفسيراً لسبب استخدام الرسول ﷺ لأداة استفهام دون أخرى .

٥- بالرغم من أن استخدام الرسول ﷺ طرح الأسئلة على الجماعة أكثر من استخدامه على الأفراد لتعم الفائدة، إلا أنني أراه منهجاً قوياً عنده ﷺ فقد تكرر كثيراً، وأظن أن في اتباع المعلمين والمربين لهدي النبي ﷺ في هذه المنهجية خير كثير يثري العملية التعليمية والتربوية .

٦- استخدم ﷺ لفظ الدلالة للأمر الذي يتضمن عمل، ولفظ الإخبار للأمر الذي مضمونه خبراً في الغالب .

ومما يجدر بنا ذكره أن عملية إثارة انتباه المتعلم وتركيزه نحو المادة المتعلمة أصبحت تحتل مكانة كبرى في العملية التعليمية، حيث تعد إحدى نظريات الدافعية للتعلم التي لا يخفى علينا أهميتها في عملية التحصيل الدراسي، والإنجاز الأكاديمي للمتعلمين .

فمعظم نتائج الدراسات والبحوث التربوية والنفسية تؤكد على أهمية إثارة الدافعية للتعلم لدى التلاميذ؛ باعتبارها تمثل الميل إلى بذل الجهد لتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة في الموقف التعليمي ، ومن أجل زيادة الدافعية عند التلاميذ ينبغي على المعلمين القيام باستثارة انتباه تلاميذهم، والمحافظة على استمرار هذا الانتباه . (١)

والواقع أن العلاقة وثيقة بين عمليتي الانتباه والإدراك، ذلك لأن الانتباه عملية أساسية تسبق الإدراك وتمهد له ، فإذا كان الانتباه هو الالتفات إلى شيء معين مجهول أو معلوم، فالإدراك هو معرفة ذلك الشيء .

ثم إن عمليتي الانتباه والإدراك تحتلان موقعاً هاماً بين العمليات العقلية من (تذكر ، وتعلم ، واستدلال ، وابتكار ، وتفكير ، وتخيل) ؛ لأنهما السبيل الأول لاتصال الفرد ببيئاته

(١) انظر ، دافعية الانجاز المدرسي ،محمد الحامد ، (٥١) .

المختلفة، يضاف إلى هذا أنهما الأساس الأول لكافة العمليات العقلية الأخرى، وتتوقف شخصية الفرد على مسارات انتباهه، ونوعية إدراكه .[1]

فالانتباه نور من أنوار الكشف للعقل المبدع المبتكر، وعليه يتوقف فعل كل قوى العقل المتممة للأعمال، فالفرق بين نتاج عقول البشر يتوقف على اختلاف قوة الانتباه فيهم .[2]

---

(١) انظر ، الإسلام وقضايا علم النفس ، د. نبيل محمد السمالوطي ، (١١٨) .

(٢) انظر ، تنمية مهارات التفكير ، محمود علي ، (٣٦) .

المطلب الثالث: مخاطبة الحواس

الحواس من أهم وسائل المعرفة؛ فبوساطتها يتعرف الإنسان على الأشياء، وإن تفعيل جميع الحواس يزيد في استجلاء الأحداث والأشياء وفهمها وتوضيحها، لذلك قال المربون : " أسمع فأنسى، أرى فأتذكر، أعمل فأتعلم "، وقد نبهنا الله على أهمية استخدام الحواس في التعلم، قال تعالى : ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] ، وعليه فإن من الأساليب التربوية الناجحة والتي تثري العملية التعليمية وترتقي بها هي الأساليب المعتمدة على الحواس، وتوجيهها إما لشيء حسي معين، أو حدث مشاهد جارٍ، أو فكرة سابقة، أو وسيلة إيضاحية مبسطة ، لتقريب المعاني المجردة لأذهان المتعلمين ، وإثارة الشوق للمعرفة ، وجذب الانتباه .

كما أن استخدام هذا الأسلوب في التعليم يساهم في تثبيت الأفكار، لأنه من عادة الإنسان أن ينسى المسموع ولا ينسى المنظور، فالمناظر والمشاهد التي يراها الواحد منا تبقى عالقة بذهنه دهراً طويلاً، فهي تؤثر في النفس ما لايؤثره الكلام وحده ، ولذا فقد طلب إبراهيم الخليل من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠] .

وبعد البحث في أسئلة الرسول ﷺ الواردة في أحاديث الصحيحين ، والتي يبدو لي أنها تثير الأذهان، وتجذب الانتباه والتركيز من خلال مخاطبة الحواس، وجدت أحاديث وجه فيها ﷺ حواس الصحابة إلى عدة أمور هي :

١- توجيه حاسة البصر نحو شيء معين سابق أو حاضر :

وفيه أربعة أحاديث :

١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : (أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ

تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَة فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِه الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي صُورَتِه الَّتِي يَعْرِفُون فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ [١]، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ [٢] مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللَّهُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ...الحديث).[٣]
وفي رواية : (فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، قَالَ: قُلْتُ :بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ .. الحديث) [٤] .

معنى الحديث :

يشبه الرسول ﷺ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة دون حجاب برؤيتهم للقمر لا يضارون غيرهم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة أو غيرها لخفائه، فلا يشتبه عليهم ، ولا يرتابون فيه فيعارض بعضهم بعضاً في رؤيته، فكما أهم يرون البدر عند كماله دون سحاب، والشمس دون سحاب بلا تعب، فإنهم يرون الله كذلك بلا مرية ظاهراً جلياً، ولا يلزم منه المشابهة في الجهة والمقابلة وخروج الشعاع ونحوه؛ لأنها أمور لازمة للرؤية عادة لا عقلاً، ففيه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح، وزوال الشك والمشقة والاختلاف . [٥]

---

(١) ظهري جهنم : وسطها ، (عمدة القاري ، ٢٥ / ١٢٦) .

(٢) كلاليب : جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة ، والكلوب : حديدة مقطوفة كالخطاف . (عمدة القاري ، ٦ / ٨٥) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود ، (١ / ٣٧٧ ، ح ٧٧٣)، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة الرؤية ، (١/ ١٦٤ ، ح ١٨٢).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة مترلة ، (١/١٨٦، ح ١٩٥).

(٥) انظر ، منهاج السنة ، ابن تيمية ، (١ / ٢١٧) ، العقيدة الطحاوية ، لأبي العز الحنفي ، (١٤١) ، عمدة القاري (٦ / ٨٣) ، والنووي شرح صحيح مسلم ، (٣ / ١٧) .

موضع الشاهد ودلالته :

١- إنه ﷺ يجيب السائلين عن رؤيتهم لربهم يوم القيامة ، بسؤالين يقطع فيهما الشك باليقين ، وهما : هل تضارون في القمر ..؟ هل تضارون في الشمس ..؟ يخاطب فيهما حاسة البصر كما يبدو لي، ويستحضر بهما صورة القمر والشمس اللتين لم يحجبهما شيء، فيجعل الصورتين ماثلتين في الأذهان، ليؤكد تحقق رؤيتهم لله كرؤيتهم للشمس والقمر، ليس دونهما حجاب.

٢- لم يقتصر استخدام النبي ﷺ للسؤال كمثير ذهني على بداية الحديث، بل إنه ما يزال يستثير الانتباه في ثنايا الكلام، حتى يمنع شرود الذهن، وحدوث الغفلة، فلم يكتف بقوله " إن لجهنم كلاليب كشوك السعدان " بأسلوب تقريري، بل يطرح سؤالاً يخاطب به أبصارهم بقوله " هل رأيتم شوك السعدان ؟ " وهو نبت له شوك عظيم من كل الجوانب مثل الحسك وهو أفضل مراعي الإبل[١]، فيستحضرون الصورة في أذهانهم، فتقترب الفكرة بهذه الصورة الماثلة في الذهن، ولا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب من تأثير في تثبيت الأفكار، وتأكيد المعلومات .

"ففيه التشبيه في الإخبار ، إذا عرف ما يشبه به أنه أبلغ في البيان، لأن شوك السعدان كثير في البرية، له أطراف شديدة الحدة، إذا تعلقت بشيء قلما تنفصل عنه ، إلا وقد أخذت منه ، فإذا كانت هذه هنا على هذه الصفة، مع وسع الأرض ودقتها هنا، فكيف هناك مع ذلك الموقف العظيم، وضيق الطريق، فما أبدع التشبيه "[٢].

" وفيه دليل على أن المعلم يسأل من يعلمه بما يعرف أنه يعرفه حتى يتيقن بالتحقيق أنه قد علم ، يؤخذ ذلك من قوله : " هل رأيتم شوك السعدان ؟" حتى قالوا : نعم ، وهو عليه السلام يعلم أنهم يعرفونها ، لكن الحكمة حتى يتيقن من أنهم قد عرفوا تمام المعرفة . "[٣]

٣- سؤاله ﷺ : " ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ " يوجه ﷺ أبصارهم لتسترجع صورة مرور البرق ورجوعه في طرفة عين، فتقترن الصورة بخبر مرور أول أمة محمد

---

(١) انظر، غريب الحديث لابن الجوزي ١/٤٨٠) .

(٢) بهجة النفوس ، (١/ ٣٦٤) .

(٣) بهجة النفوس ، (١ / ٣٧٣) .

ﷺ على الصراط ، فأزال بهذا السؤال الإشكال الذي علق في أذهان بعضهم حتى سألوه عن كيفية مرورهم كالبرق ، وبسؤاله هذا تأكيد وتحقق من وصول المعلومة ، وتمام استيعابها .

٢-عن أبي ذر ﷺ قال : (قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَتُبْصِرُ أُحُدًا ؟ قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنْ النَّهَارِ، وَأَنَا أُرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَه، قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُد ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلا ثَلاثَةَ دَنَانِيرَ، وَإِنَّ هَؤُلاءِ لا يَعْقِلُونَ إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا ، لا وَاللَّهِ لا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا وَلا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ) . (١)

معنى الحديث :

أنه ﷺ أراد أن ينبه أبا ذر ﷺ على عظم أحد؛ ليضرب به المثل في أنه لو كان قدره ذهباً ما أحب أن يؤخر عنده إلا لما ذكر من الإنفاق والإعداد والحفظ للدَّيْن، فظنَّ أبو ذر ﷺ أنه يريد أن يبعثه في حاجة، و لم يكن ذاك مراداً ، إنما استفهمه عن رؤيته؛ ليستحضر قدره ،حتى يشبه له ما أراد، بقوله: " إن لي مثله ذهبا ". (٢)

" إن نظره ﷺ ، وتوجيهه للنظر كان اعتباراً؛ لأنه لما رأى أُحُداً قرر عليه قاعدة شرعية ، ولو كان النظر بخلاف هذا ، لكان الكلام بخلاف ذلك؛ لأن الكلام نتيجة الفكر، والفكر مقدمته، وبحسب المقدمة تكون النتيجة، والقاعدة الشرعية التي قعدها ﷺ هنا : جواز أخذ الدين ، وجواز تمني الخير .." (٣) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله لأبي ذر ﷺ :" أتبصر أحداً ؟" وأحسب أن هذا السؤال الذي استثار به ﷺ حاسة البصر عند أبي ذر ﷺ ، فيستدعي به شكل الجبل وضخامته في الذهن ليتخيل شكله وهو مملوء ذهباً، ثم يبين رفضه ﷺ وعدم محبته لحيازة مثل هذه الأموال، وسيلة تعليمية تفوق كل وسيلة يمكن بها تصوير المعلومة ، وتقريبها ، وترسيخها في الذهن .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب إنفاق المال في حقه ، (٢ / ٥١٠ ، ح ١٣٤٢) ، و صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الكانزين للأموال ، والتغليظ عليهم ، (٢ / ٦٨٩ ، ح ٩٢٢).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٣٥٩) .

(٣) بهجة النفوس ، (١/ ٦٧٢) .

كما يبدو لي أنه ﷺ في هذا الحديث يستخدم طريقة طرح سؤال إجابته بعيدة جداً عن الإجابة المتوقعة التي قد ترد في ذهن المتعلم، حيث توقع أبو ذر من سؤال الرسول ﷺ : أتبصر أُحداً ؟ إرساله في حاجة له، بل وبدأ يفكّر في المدة المتبقية من النهار هل تكفي لإنجاز المهمة التي سيرسله إليها ﷺ أم لا، فجاءت الإجابة منه ﷺ على خلاف ما توقعه أبو ذر، فتكون أكثر إثارة ورسوخاً وثباتاً للمعلومة في الذهن، وقد تحقق ذلك عند أبي ذر فأدرك المعلومة إدراكاً تعدّى حدود الثبات والاستقرار في الذهن إلى منهج وسلوك التزم به في حياته ﷺ فكان زاهدا حتى"كان من مذهبه أنه يحرم على الإنسان ادخار ما زاد على حاجته." (١)

الدلالة التربوية:

" فيه الأخذ بالقرائن لأن أبا ذر لمّا قال له النبي ﷺ : أتبصر أحداً ؟ فهم منه أنه يريد أن يرسله في حاجة فنظر إلى ما على أحد من الشمس ليعلم هل يبقى من النهار قدر يسعها ؟ وفيه أن محل الأخذ بالقرينة إن كان في اللفظ ما يخصص ذلك، فإن الأمر وقع على خلاف ما فهمه أبو ذر من القرينة، فيؤخذ منه أن بعض القرائن لا يكون دالاً على المراد وذلك لضعفه ". (٢)

٣ – عن أبي سعيدٍ الخدريّ ﷺ عن النبي ﷺ قال :" يدخلُ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ، وأهلُ النّارِ النّارَ، ثمّ يقولُ اللهُ تعالى: أَخرِجُوا مَنْ كَانَ في قَلْبِه مِثْقَالُ حَبةٍ مَنْ خَردلٍ مِنْ إيمانٍ ، فيخرْجونَ منها قد اسْودوا، فيُلقونَ في نهرِ الحيا أو الحياة – شكّ مالك – فينبتونَ كما تنبتُ الحبةُ في جانبِ السيلِ، ألمْ تَر أنها تخرجُ صَفْراءَ مُلتويةً ؟ " (٣)

معنى الحديث :

تشبيه من يخرج من ماء الحياة من المؤمنين؛ من حيث الإسراع في إنباتهم، بنبات الحبة في حميل السيل ، لأن الحبة بمقتضى الحكمة مع السيل أسرع في النبات وفي الأرض من غيرها ؛ لأنه يجتمع فيه التراب الرخو الذي يجذبه السيل ، وكثرة نداوته ، وما يخالطه من حرارة

---

(١) عمدة القاري ، (٨ / ٢٦٥) .

(٢) فتح الباري ، (١ / ٢٥) .

(٣) صحيح البخاري ، الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، (١ / ١٦ ، ح ٢٢) .

الأزباد التي يجدها معه، فهذه كلها موجبة لسرعة النبات [١] ،ومن حيث ضعف النبات ، ومن حيث الطراوة والحسن ، والمعنى : أن القليل جداً من الإيمان يخرج صاحبه من النار، فيلقى في الماء، فمن كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من ذلك الماء نضراً حسناً منبسطاً متبختراً كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء متمايلة منعطفة .[٢]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ؟ إنه ﷺ يطرح السؤال في نهاية حديثه عن شبه خروج المؤمنين من هذا الماء بخروج النبتة ، ليستثير به حاسة البصر ، فتستحضر صورة النبتة أثناء خروجها وهي تهتز من الضعف، فيقترب المعنى في الذهن، وتتأكد المعلومة، وفي إجابتهم بنعم ، تحقق من إدراكهم للمعلومة المطروحة ، وتقويم لاستيعابهم .

كما يبدو لي أن هذا السؤال يعد من الأسئلة التمثيلية التي تقرب المعنى، فأسئلته ﷺ تهدف إلى تحقيق أكثر من غرض في أقصر عبارة، وأوجز أسلوب .

٤- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَمْ تَرَوْا الإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَصَ بَصَرُهُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ : فَذَلِكَ حِينَ يَتْبَعُ بَصَرُهُ نَفْسَهُ) .[٣]

معنى الحديث:

يبين النبي ﷺ أن سبب ارتفاع بصر الميت بعد موته؛ أن بصره يتبع نفسه،والمراد بالنفس هنا الروح ، فالموت ليس بإفناء وإعدام وإنما هو انتقال وتغير حال ، وإعدام الجسد دون الروح، إلا ما استثنى من عجب الذنب .[٤]

موضع الشاهد ودلالته :

يطرح ﷺ سؤالاً يوجه به أنظار سامعيه لتصور شكل الإنسان إذا مات الإنسان وارتفع بصره فلم يرتد ، بقوله : ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ؟ فلما استقرت الصورة في أذهانهم حيث أجابوا : بلى ، بيّن لهم المعلومة التي يريد إيضاحها لهم .

---

(١) انظر ، بهجة النفوس ، (٢ / ٣٢) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (١ / ١٧٢) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه ، (٢/ ٦٣٥ ، ح ٩٢١) .

(٤) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٦ / ٢٢٤) .

وقد نادت التربية الحديثة باستخدام حاسة البصر في العملية التعليمية عند الإعداد لموضوع ما، أو نفض الغبار عن موضوع قديم، فلا بد من الإدراك أن المنبهات البصرية القوية هي مفاتيح الذاكرة عند السامع، فهي من أفضل الطرق التي تحسّن إلى أبعد الحدود من ذاكرة المستمع الضعيفة فالناس يتذكرون ما رأوه بأعينهم، ويحفظونه بعقولهم، وليس الكلمات التي سمعوها أو قرؤوها، فإحدى الطرق الأكيدة لجعل المستمعين يتذكرون المعلومة بشكل أكبر هي أن تجذب أعينهم، وتدهشها .[1]

٢- توجيه حاسة البصر إلى حدث مشاهد جارٍ :

وفيه حديثان :

١-عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : (قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) .[2]

معنى الحديث :

ينتهز ﷺ هذا الموقف الذي رآه الصحابة ويستمثره في تعليم الصحابة عظم رحمة الله، فيوجه حواسهم نحو منظر المرأة التي تبحث عن صبيها من بين السبي، وهي في غاية اللهفة والشوق للقائه، حتى أنها كلما وجدت صبياً أرضعته ليخف عنها اللبن، فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته وألصقته على صدرها من فرحها بوجدانه وشفقتها عليه، ثم يبين أن رحمة الله بعباده أعظم من رحمة هذه المرأة بولدها.

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: هل ترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ سؤال استثار به ﷺ حاسة البصر عندهم إلى ذلك المشهد الجاري أمام أعينهم، وهو أمر عادي ألفه الناس فهو جزء من حياتهم

---

(١) انظر ، الإلقاء الناجح ، جونز إرنبوج ، (٥٣) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ، (٥ / ٢٢٣٥ ، ح ٥٦٥٣) ، و صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله ، (٤ / ٢١٠٩ ، ح٣٧٥٤) .

اليومية، ففقدوا بهذه العادة التلذذ بمعنى الأمومة، وغفلوا عن معنى الرحمة التي بني عليها التناسل الإنساني، ليحقق منه هدفاً تعليمياً، ثم قادهم إلى أهم من ذلك .. قادهم إلى حب الله إياهم، وعظيم رحمته بعباده بمشاهدة ذلك المثال.

في هذا الحديث نجد الصحابة يجيبون رسول الله ﷺ على سؤاله بناء على معرفتهم وعلمهم وتقديرهم للأمر المسئول عنه، حيث أنه سؤال لا يحمل موضوعاً غيبياً فيوكلون العلم به إلى الله ورسوله؛ بقولهم : الله ورسوله أعلم .

فرسول الله ﷺ بهذا السؤال قد ضرب المثل بما يدرك من الحواس لما لا يدرك بها، لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل ، ومع ذلك ، قربها النبي ﷺ للسامعين بحال المرأة المذكور . (١)

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ:(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ (٢) وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّت فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِه ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِه قَالَ : أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فيه لأَنَّهُ أَسَكُّ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ : فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ).(٣)

معنى الحديث:

يعطي النبي ﷺ حين كان بالسوق والناس بجانبه (٤)، درساً في هوان الدنيا، وأنها لا تساوي جناح بعوضة عند الله تعالى ، ومع ذلك فمن عمل فيها عملاً صالحاً صارت له مزرعة في الآخرة ، ونال سعادة الدارين (٥)

---

(١) انظر بهجة النفوس (٢/ ١٣٠١)، فتح الباري ، (٣ / ١٧٩) ، عمدة القاري ، (٢٢ / ١٠١).

(٢) العالية (العوالي) : حي من أحياء المدينة ، يقع في الجنوب الشرقي منها ، وأدناها على أربعة أميال ، وأبعدها من جهة نجد ثمانية أميال ، والظاهر أن عوالي المدينة يشمل قباء وما حولها من الأحياء . (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل ، (٣٣٠) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق ، (٤ / ٢٢٧٢ ، ح ٢٩٥٧) .

(٤) هذا معنى كنفته:(النووي شرح مسلم ، ١٨ / ٩٣) .

(٥) انظر، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٧٩٣) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ أتحبون أنه لكم ؟ إنه أسلوب حواري عملي ، يرى رسول الله ﷺ ولد ماعز[1] مقطوع الأذنين[2] ، ميتاً تزكم لرائحته الأنوف ، يمسكه من إحدى أذنيه، ويعرض على أصحابه أن يشتروه بدرهم ، فيأبون، وماذا يفعلون بجيفة قذرة ؟ لو كان حيًا وهو مقطوع الأذنين ما رغبوا فيه ، فكيف وهو ميت؟ حين يصلون إلى هذا القرار، يعظهم النبي ﷺ ، فيخرج الدنيا من قلوبهم[3] .

الدلالات التربوية:

١- أنه ﷺ ينتقل بسؤاله من الصيغة الفردية : " أيكم يحب ؟" ، إلى الصيغة الجماعية : " أتحبون ؟"، فلا يكرر السؤال بألفاظه ، وفي هذا تنويع وإثارة كما يبدو لي .

٢- بيئة النبي ﷺ بيئة صفية تربوية، في أي مكان يجتمع فيه مع صحابته، كما في هذا الحديث كان التعليم في السوق، وفي الحديث السابق في ساحة الحرب.

٢- أن استغلال الأحداث الجارية والمشاهدة، لإعطاء توجيهات معينة، يجعل التوجيه أكثر قابلية للتأثير، وأطول أمداً، وأعمق تعبيراً، وأكثر استمرارية، من التوجيهات العابرة، فمن خلال هذه الطريقة يمكن :

١- تحقيق الأهداف السلوكية الثلاثة للتعليم: المعرفي، الوجداني، النفس حركي .

٢- إتاحة الفرصة للمربي لإثارة الأسئلة والإجابة عنها وهو الأسلوب العلمي لحل المشكلات .

٣- التأثير البالغ في النفس والعقل، حيث يتم اكتساب مفاهيم وقعت تحت حاستي السمع والبصر، وهذه هي درجة اليقين أعلى مراتب العلم .

والمربي البارع هو الذي يمتلك صفة حسن استغلال الحدث وتوجيهه توجيهاً مناسباً لغرس مفاهيم إيمانية ، وتربوية في العقول والنفوس .[4]

---

(١) هذا معنى الجدي كما ورد في ، (النهاية ، ١ / ٢٤٩) .

(٢) هذا معنى أسك كما ورد في ، (النهاية ، ٢/ ٣٤٨) .

(٣) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٧٩٣) ، التربية النبوية ، عثمان قدري ، (٦١) .

(٤) انظر ، الانصات الانعكاسي ، د. محمد ديماس ، (١٠٠) ، ومن أساليب الرسول في التربية ، نجيب العامر ، (١١٧) .

تقدر نظرية العادات العقلية " الحساسية الفكرية " وتؤكد على أهميتها في السلوك الذكي ، ومن الملاحظ أن كثيراً من الممارسات التربوية ، تهمل الحساسية الفكرية التي تتضمن إدراك الفرص والمناسبات ؛ التي يرغب الفرد في المشاركة فيها بسلوكيات فكرية ملائمة ، والقدرة على تمييز الوقت المناسب لإحداث التأمل الذاتي عند المتعلم، أو لطرح الأسئلة، أو للاستماع بفهم واهتمام ، أو اختيار النمط الفكري الملائم للحالة الراهنة . (١)

٣- توجيه حاسة البصر نحو صورة مرسومة :

وفيه حديث واحد :

١-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : (عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ وَخُطُوطًا إِلَى جَنْبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ ، وَخَطٌّ خَارِجٌ مِنْ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا الإِنْسَانُ الْخَطُّ الأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الَّتِي إِلَى جَنْبِهِ الأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ إِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخَطُّ الْمُرَبَّعُ الأَجَلُ الْمُحِيطُ بِهِ وَالْخَطُّ الْخَارِجُ الأَمَلُ) .(٢)

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ وجّه أصحابه رضي الله عنهم إلى هذه الصورة؛ وهي الإنسان وما يحيط به، وأمله ، والأحداث التي تلم به ، فبيّن لهم بما رسمه على الأرض ، كيف يحال بين الإنسان

---

(١) انظر ، العادات العقلية ، د. إبراهيم الحارثي ، (٩٢) .

(٢) مسند أحمد ، (٣ / ١٧، ح ١١١٤٨) ،وقد اخترت هذا الحديث لمناسبته في هذا المطلب ، ولأن أصل الحديث في البخاري ،كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله ، (٥/٢٣٥٩، ح ٦٠٥٤) ، ولفظه : لا يوجد به سؤال ، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : خط النبي ﷺ خطاً مربعا وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه ، وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وأن أخطأه هذا نهشه هذا "

قال الألباني : صحيح . (صحيح سنن ابن ماجة ، كتب الزهد ، باب الزهد في الدنيا ، ح ٤٢٣١) .

ويشهد لهذا الأسلوب منه ﷺ حديث ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : (خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ قَالَ : تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ) أخرجه أحمد في مسنده ، (١ / ٢٩٣ ، ح ٢٦٦٨) .

وآماله الواسعة بالأجل المباغت تارة، أو بالعلل والأمراض المقعدة تارة أخرى، أو بالهرم المفني، ففيه إشارة إلى الحض على قصر الأمل، والاستعداد لبغتة الأجل (١).

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : هل تدرون ما هذا ؟ إن الرسول ﷺ بهذا السؤال الذي يوجه فيه حاسة البصر إلى وسيلة حسية أعدها بنفسه؛ يجسد المفهوم المجرد، ويؤكد المعنى، ويحقق الهدف المتوخى من الموقف التعليمي .

والرسم يعدّ أسلوباً تعليمياً؛ يجلو الأمر ويوضحه أتم توضيح، وإنه لمستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ أن يكون الرسم أداة في قوم أميين . (٢)

ومما يجدر ذكره أن طريقته ﷺ في الرسم بالعود على التراب، نادت بها التربية الحديثة مؤخراً :" يعتبر تغيير الألوان والأدوات طريقة جديدة لإضاءة وتنبيه الجانب الأيمن من العقل، أي المكان الذي تحدث فيه كل التصورات، ومما ننصح به الرسم على تراب رطب باستعمال عود خشب، تأكد أن جميع معيناتك البصرية مقروءة وواضحة وبسيطة، إذا لم تستطع تمثيل فكرتك فعلى الأرجح أنها فكرة غامضة ومشوشة، فالأفكار الجيدة تترجم بسهولة إلى صور قوية تحفظ في الذاكرة ، فمن الصعب جداً أن تستطيع أن تصنع لفكرتك صوراً واضحة تحفظ بالذاكرة ، إلا أنها مهارة تستطيع أن تتدرب عليها " . (٣)

٤- توجيه الحواس والذاكرة نحو المعلومات السابقة والجديدة :

إن القيمة التربوية والتعليمية للأسئلة كبيرة جداً؛ تبدأ من استرجاع معارف قديمة إلى اكتساب معارف أخرى جديدة ثم تثبيتها، أو التأكد من درجة استيعابها وفهمها، هذا بالإضافة إلى توسيع مدارك التلاميذ خلال المخالطة الكلامية عن طريق السؤال والجواب بين المعلم والمتعلم، فهي الأسئلة التي تهدف إلى تكوين الحقائق، ومهمتها إحياء الحقائق القديمة في الذاكرة، وإدراك الحقائق الجديدة .

(١) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٣٤٨) .

(٢) انظر، التصوير الفني في الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، (٥٢٥) .

(٣) الإلقاء الناجح ، جونز إرنبوج ، (٤٦- ٤٨) .

وبعد البحث والدراسة في أحاديث الصحيحين، وجدت ثمانية أسئلة طرحها ﷺ على الصحابة أحسب أنه يوجه فيها حواسهم إما لمعلومات مختزنة في الذاكرة، أو معلومات جديدة سيطرحها عليهم :

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: (اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِه فَقَالَ: قَدْ قَضَى؟ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللَّه، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: أَلا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِه -أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِه عَلَيْه). (١)

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ دخل على سعد ﷺ فوجده يتألم من كرب الوجع الذي فيه، فبكى، ولما بكى الناس قال: اسمعوا ، فالله لا يعذب الباكي والحزين، ولا يعذب الميت، وإنما يعذب بهذا أو يرحم ، يعني: أن يقول قولاً محرماً، فهذا الذي يعذب به الإنسان، فدل ذلك على جواز البكاء على الميت، بدمع العين من غير زيادة على ذلك، بشرط أن لا يكون فيه ندب ولا نياحة. (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ لهم: ألا تسمعون؟ يستثير به حاسة السمع عندهم لما سيلقيه عليهم من معلومات، وهو فعل لا يحتاج إلى مفعول؛ لأنه جُعل كالفعل اللازم، أي ألا توجدون السماع؟ وفيه إشارة إلى أنه فهم من بعضهم الإنكار، فبيَّن لهم الفرق بين الحالتين . (٣)

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب البكاء على الميت ، (١ / ٤٣٩ ، ح ١٢٤٢) ،و صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب البكاء على الميت ، (٢/٦٣٥ ،ح ٩٢٤).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٢٥٧) ، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢/١١٩٢) .

(٣) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٢٥٧) ، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (٢/١١٩٢) .

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّه بن مسعود ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا : أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ ، أَلا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ ؟ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] . (١)

معنى الحديث :

كان الشرك عند الصحابة ﷺ أكبر من أن يلقَّب بالظلم، فحملوا الظلم في الآية على ما عداه؛ يعني المعاصي، فسألوا عن ذلك، وظاهر هذا أن الآية التي في لقمان كانت معلومة عندهم، ولذا نبههم عليها، ولذا استنبط منه بعضهم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، ويحتمل أن يكون نزولها في الحال فتلاها عليهم ثم نبههم . (٢)

وأحسب أنه ﷺ بهذا السؤال والذي قبله: ألا تسمعون؟ ألا تسمعون إلى قول لقمان ؟ يثير حاسة السمع لاستماع المعلومات التي ستلقى عليها، فيتحقق الفهم والاستيعاب بشكل أفضل .

٣-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: مَهْلا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ) . (٣)

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ ردّ على اليهود، حين سلموا عليه بقولهم: السلام عليكم، بقوله: "وعليكم " أي وعليكم الموت ، أو وعليكم ما تستحقونه من الذم . (٤)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، باب من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة ، (٦ / ٢٥٣٥ ، ح ٦٥٢٠).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٢٥٧) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم ببعضهم ، (٥ / ٢٢٤٣ ، ح ٥٦٨٣) ، صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، (٤ / ١٧٠٦ ، ح ٢١٦٥) .

(٤) انظر ، عمدة القاري (٢٢/٢٣) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: أو لم تسمعي ما قلت ؟ إنه ﷺ يستثير بهذا السؤال: حاسة السمع عند عائشة رضي الله عنها لتسترجع ما سمعته منه، فتعلم أنه رد عليهم بما يستحقونه، كما يبدو لي .

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ :(بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ على بالصَّدَقَة، فَقِيلَ: مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالعَبَّاسُ عمُّ رسول الله ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ ، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ! أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ). (١)

معنى الحديث :

أن عمر ﷺ قال لرسول الله ﷺ: منع هؤلاء إعطاء الصدقة، فبين له ﷺ وجه امتناعهم عن الإعطاء، أما ابن جميل فلا ينبغي أن يمنع الزكاة، وقد كان فقيراً فأغناه الله؛ إذ ليس هذا جزاء النعمة، وأما خالد ؛ فقد اعتذر لخالد ودافع عنه؛ بأن خالداً طولب بالزكاة عن أثمان الدرع على معنى أنها كانت عنده للتجارة، فأخبر النبي ﷺ أنه لا زكاة عليه فيها، إذ جعلها حبساً في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فأخبر عنه ﷺ أنه عمه وعم الرجل مثل أبيه، وأنا استسلفنا زكاته عام الأول ، أي أنه عجّل الزكاة. (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أما شعرت أن عم الرجل صنو الأب ؟ أحسب أنه ﷺ بهذا السؤال يوجه حواس عمر ﷺ لمعلومة موجودة، ومستقرة في ذاكرته، ليستحضرها الآن في مثل هذا الموقف، فيعلم أن العباس ﷺ لا يمنع الصدقة ، " وأن عم الرجل صنو أبيه، أي مثله ، يعني أصلهما واحد ، فتعظيمه كتعظيمه ، وإيذاؤه كإيذائه ." (٣)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب في تقديم الزكاة ومنعها، (٢ / ٦٧٦ ، ح٩٨٣) .
(٢) انظر ، عمدة القاري (٩ / ٤٦) .
(٣) تحفة الأحوذي ، (١٠ / ١٧٨) .

٥- عَنْ عَائِشَةَ ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا : أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوْا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: لَوْلا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ) . (١)

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ يجيب عائشة عن تساؤلها حول الجدر – الحجر – أمن البيت هو ؟ (٢)، بقوله : ألم تري ؟ أي ألم تعرفي أن قومك -هم قريش – اقتصروا عن قواعد إبراهيم عليه السلام ، فبين لها أنه قطعة من البيت، ولكن قومها استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت .(٣)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : ألم تري أن قومك اقتصروا على قواعد ..؟ سؤال يستثير به رسول الله ﷺ الذاكرة ، لاسترجاع المعلومات السابقة المخزونة في الذهن ، ويستعرضها لإزالة الإشكال الذي وقع في ذهن السائل، ويتجلى في ذلك إعمال الرسول ﷺ للعقل، واستدعاء ما فيه من معلومات ، والاستفادة منها في تفسير بعض الظواهر والإشكاليات .

٦-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِي ما قَالَ الْمُدْلِجِي لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، ورأى أقدامهما، فَقَالَ : إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ لَمِنْ بَعْضٍ ؟) .(٤)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، (٢/ ٥٧٣ ، ح١٥٠٦)، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنيانها ، (٢/ ٩٦٨ ، ح ١٣٣٣) .

(٢) عن عائشة ﷺ قالت سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ قال : نعم ، قلت : فما لهم لم يدخلوه في البيت ، قال: إن قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعاً قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض. "صحيح البخاري، كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ، (٥٧٣/٢ ، ح ١٥٠٧)

(٣) انظر ، عمدة القاري (٩/ ٢١٦) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، (٣ / ١٣٠٤ ، ٣٣٦٢) ، و صحيح مسلم ، باب العمل بإلحاق القائف الولد (١٠٨١/٣، ١٤٥٩) ولفظه " ألم تري ؟ " .

معنى الحديث :

أنهم كانوا في الجاهلية يقدحون في نسب أسامة (١)؛ لأنه كان أسود شديد السواد، وكان أبوه زيد أبيض من القطن، فلما مر بهما مجزز(٢) وهما تحت قطيفة قد بدت أقدامهما من تحتها فقال: إن هذه الأقدام بعضها من بعض، فقضى هذا القائف بإلحاق نسبه مع اختلاف اللون، وكانت الجاهلية تعتمد قول القائف، ويعترفون بحقيقة القيافة، ففرح النبي ﷺ لكونه زاجراً لهم عن الطعن في النسب.

وليس في حديث المدلجي دليل على وجوب الحكم بقول القافة، لأن أسامة كان نسبه ثابتاً من زيد قبل ذلك ، ولم يحتج النبي ﷺ في ذلك إلى قول أحد، وإنما تعجب النبي ﷺ من إصابة مجزز كما يتعجب من ظن الرجل الذي يصيب ظنه حقيقة الشيء الذي ظنه، ولا يثبت الحكم بذلك ، وترك رسول الله ﷺ الإنكار عليه لأنه لم يتعاط في ذلك إثبات ما لم يكن ثابتاً. (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ لعائشة: ألم تسمعي ما قال المدلجي ؟ ،وفي رواية: (ألم تري أن مُجزَّزاً نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال: إن هذه الاقدام بعضها من بعض).(٤)

أحسب أنه ﷺ بهذا السؤال يستثير حاسة السمع لما سيلقيه من معلومات فتزداد القدرة على التركيز ، وجذب الانتباه .

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان ، يكنى أبا محمد، ويقال أبو زيد، وأمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ، ولد أسامة في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة، وكان أمره على جيش عظيم فمات النبي ﷺ قبل أن يتوجه فانفذه أبو بكر، وكان عمر يجله ويكرمه وفضله في العطاء على ولده عبد الله بن عمر، واعتزل أسامة الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية، نزل إلى المدينة في آخر حياته، فمات بها بالجرف ، سنة أربع وخمسين. الإصابة في تمييز الصحابة، (٤٩/١).معجم الصحابة،لابن قانع، (٩/١).

(٢) مُجَزِّز المدلجي ، وهوابن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج الكناني ،نسبته إلى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة ، مشهور بالقيافة ؛ والقائف هو من يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه. الإصابة في تمييز الصحابة، (٧٧٥/٥)، وقيل هومحرز، والصواب هو مجزز. انظر، تصحيفات المحدثين، (٥٤/١).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (١٦ / ١١٠) ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٠ / ٤١) .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب القائف، (٢٤٨٦/٦، ح ٣٦٨).

٧- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبَيَاذِقَةِ[١] ، وَبَطْنِ الْوَادِي فَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ادْعُ لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ ، فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟ قَالُو ا: نَعَمْ ، قَالَ : انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا، وَأَخْفَى بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ : مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا .... الحديث) .[٢]

معنى الحديث :

لحرص رسول الله ﷺ ألا تراق قطرة دم واحدة في مكة لحرمة مكة عنده، ولحفاظه على أرواح بنيها الذين يدخرهم للإسلام، فقد أمر رسول الله ﷺ أمراءه أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سماهم، وهم:عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نَقِيد، فقدكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله علي يوم الفتح، ومُقيّس بن صبابة، وهبّار بن الأسود الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس بعيرها فأسقطها ، و لم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه أعلن بالإسلام، فقبل منه فعفا عنه ،وقينتان كانتا لابن خطل كانتا تغنيان بهجو النبي ﷺ ، اسمهما فرتنى وقرينة فاستؤمن لإحداهما فأسلمت، وقتلت الأخرى، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب، وقد أسلمت وعاشت إلى خلافة عمر، وكعب بن زهير وقصته مشهورة وقد جاء بعد ذلك وأسلم ومدح، ووحشي بن حرب ، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد أسلمت ،وأرنب مولاة بن خطل أيضاً قتلت .

لكن قريشاً استعدوا للحرب، فجمعوا أوباشاً لهم وأتباعاً من قبائل شتى، وقالوا: نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناه الذين سألنا فشاء الله أن تقع المواجهة،

---

(١) البياذقة : هم الرجالة الذين لا دروع لهم ؛ سموا بذلك لخفتهم وسرعة حركتهم . شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣٢/١٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ، (٣ / ١٤٠٧ ، ح ١٧٨٠) .

وما هي إلا جولة واحدة، وكان قادة الكفار يلوذون بالفرار، والجيش الإسلامي يطاردهم ، ويدعو الأنصار بملاحقتهم وقتلهم (١).

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : هل ترون أوباش قريش ؟ وهي الجموع من قبائل شتى (٢).

كما يبدو لي أنه ﷺ بهذا السؤال يوجه حواسهم ، ويستجلب معرفتهم ، ويستحضر تصورهم، عن شيء لهم سابق علم به، فتزداد قدرتهم على التركيز والانتباه لما يريد إعلامهم به من خبر جديد، أو أمر يريد منهم تنفيذه .

الدلالة التربوية:

استخدام الرسول ﷺ أكثر من وسيلة لإثارة الانتباه، وتصوير الأمر، فمع السؤال الذي أثار انتباههم، استخدم الإشارة بيده،" يحاكي صفة الحصد والقطع باليمين لما قبضت عليه الشمال ، يريد قتلهم واستئصالهم." (٣).

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمْ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ) . (٤)

يقال : إن هذه المدينة هي القسطنطينية قد صحت الرواية أن فتحها مع قيام الساعة . (٥)

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٢/ ٦٢٤) ، المنهج التربوي للسيرة النبوية ، منير غضبان ،(٣ / ٦٦)

(٢) انظر، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٦ / ١٤١) .

(٣) انظر، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٦ / ١٤١) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة ..، (٤ / ٢٢٣٨ ، ح ٢٩٢٠) .

(٥) المستدرك على الصحيحين ، (٤ / ٥٢٣) .

" وقيل إن المعروف المحفوظ: من بني اسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه ، لأنه إنما أراد العرب " [١].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ؟.

يظهر لي أن دلالة هذا السؤال تتطابق مع دلالة الذي قبله.

وقد ركزت معظم الدراسات التربوية على أهمية الذاكرة في جعل المعلومات أكثر طواعية لخدمة أهداف المتعلم، و لم يعد استخدام الذاكرة لأغراض الحفظ والاستظهار فقط، بل لزيادة الثروة اللفظية، وتعزيز القدرة على الاستيعاب بواسطة حاستي النظر والسمع ، وزيادة عملية الانتباه والوعي . [٢]

كما أن تطبيق المعرفة في مواقف جديدة دليل على فهمها واستيعابها ، فتوظيف المعرفة في الحياة هو الغاية من تعلم المعرفة ، لذا فإن من المهام التي ينبغي تكليف المتعلمين بها عند تعلمهم معرفة جديدة :

استخدم معلوماتك السابقة في ..

وظف ما تعرفه عن ..في أداء المهمة التالية .

انقل معلوماتك إلى ما وراء الموقف الذي تعلمته .

ما معلوماتك السابقة في هذا المجال . [٣]

فأفضل الأفكار وأصدقها، وأكثرها نفعاً تلك التي يمكن للمتعلمين أن يقارنوها بالأفكار التي يعرفونها مسبقاً أو يؤمنون بها أو يشعرون بها، فإذا كانت جملتك الأولى تتفق مع ما يجدونه في ذاكرتهم فسوف يوافقون عليها، ولن يعترضوا، بل سيبتسمون ويومئون برؤوسهم . [٤]

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣٢/١٢) .

(٢) انظر ، تنمية مهارات التفكير ، د. محمود محمد علي ، (٤٩) .

(٣) انظر ، العادات العقلية ، د. إبراهيم الحارثي ، (٦٦) .

(٤) انظر ، الإلقاء الناجح ، (١٥) .

تؤكد البحوث الحديثة في مجال الوسائل التعليمية، أن قدرة المتعلمين على الاستيعاب يمكن أن تزداد بشكل جوهري إذا اعتمدوا في تحصيلهم على استخدام السمع والبصر على نحو متبادل، ولكن لسوء الحظ فإن غالبية ما يحدث داخل فصولنا الدراسية لا يخاطب إلا حاسة واحدة هي حاسة السمع، وإذا كان ذلك مقبولاً في العصور السابقة ، فإنه لم يعد مقبولاً في العصر الحاضر، عصر اللغة البصرية التي فرضت نفسها عبر وسائل الإعلام المختلفة .

ويعني هذا: أن المعلم ينبغي أن لا ينسى أن لكل تلميذ خمس حواس، وعليه أن يعد درسه بحيث يخاطب كل قنوات الاتصال عند التلميذ، وهنا يمكن تنويع المثيرات عن طريق الانتقال من حاسة إلى أخرى . (١)

إن مسئولية المعلم هي: توجيه الأسئلة بأسلوب يدعو التلاميذ لاستخدام العمليات العقلية، واستخدام الخطوات الأساسية لمعالجة المعلومات وهي :

١- الحصول على المعلومات عن طريق الحواس الخمسة أو من الذاكرة .
٢- مقارنة تلك المعلومات بالمعلومات السابقة .(ما نعرفه فعلا) .
٣- استخلاص علاقات بين المعلومة الجديدة ، وبين ما نعرفه فعلا .
٤- تطبيق هذه العلاقة في مواقف جديدة . (٢)

" فكيفية التفكير تبدأ بالواقع المدرك بالحواس، ثم تتجه تدريجيا لتصبح معتمدة على إدراك المفاهيم والتوجيه الذاتي بشكل كبير ." (٣)

---

(١) انظر ، مهارات التدريس ، جابر عبد الحميد ، وآخرون ، (١٤٣) .

(٢) انظر ، تعليم من أجل التفكير ، آرثر كوستا ، (١٥) .

(٣) تنمية مهارات التفكير ، د. محمود محمد علي ، (٥٠).

المبحث الثاني: الأسئلة التمثيلية

مفهوم المثل :

يرد المثل في اللغة: بمعنى "الشبه"[١] ، والمراد بالمثل هنا هو:" تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر"[٢]، "مع وجود قدر مشترك مُعين بينهما؛ ليبرز فيه المعنى المراد من تأثير وبلاغه تقضي بمدح، أو ذم أو تحقير، أو تنفير أو نحو ذلك، وهو من الأساليب القوية في الإقناع ، إذ فيه تنكيت للخصم الشديد الخصومة، وهو يؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نقسه ولذلك أكثر الله من إيراد الأمثال في القرآن" .[٣]

أهمية المثل :-

للمثل في الكلام مكانة هامة، ووظيفة لا تنكر فائدتها، يمكن أن توجز في النقاط الآتية :

١- تقريب المعنى المراد، وإيصاله إلى ذهن السامع في أوضح صورة، فالأمثال شواهد للمعاني، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته .

٢- رسوخ المعنى في الذاكرة العقلية، وامتداد أثره والاهتمام به .

٣- تأنيس النفس، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضُرب لها مثله من الحق، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة وعدم النظير[٤].

وعليه" فإن ضرب الأمثال يُعد من الأساليب التربوية الحيوية التي نلجأ إليها بهدف إيضاح المعاني وتقرير فحواها، ويكون ذلك حسن سياق المثل بعد تمام المعنى واستيفاء مقصوده،فيأتي حينئذ كالبرهان الذي تثبت به المسالة ويُدلَّل عن طريقه على صدق فحوى القاعدة " [٥].

---

(١) انظر، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : مثل ، (١٣ / ٢١) .

(٢) الأمثال في القرآن ، ابن قيم الجوزية ، (١٧٣) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، (٢/ ٢٦٥) .

(٤) انظر إعلام الموقعين ، (١ / ٣٩١) ، و نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ، د. عبد المجيد محمود عبد المجيد ، (٨٤).

(٥) ظاهرة الأمثال ، مصطفى عيد الصياصة ، (١٣١) .

وقد اعتنت التربية الإسلامية في مصادرها الأولى القرآن والسنة بالأمثال باعتبارها أسلوباً فذاً ومتميزاً في إيصال الفكرة إلى عقل المتلقي ووعيه وتثبيتها في أعماق جنانه، ومسارب فؤاده، ومن خلال رفدها بالتذكير أو الترغيب والترهيب تتحول إلى أنماط سلوك تظهر على الجوارح، وتتحرك في مدارج الحياة، وفوق أرض الواقع .
قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:٢١] .

وفي الحديث الشريف جملة من الأحاديث التي عرض فيها ﷺ الفكرة المرادة ، بمثال يسبقه سؤال، يقرب فيه المعنى ويؤكده في عقل السامع، ومن أسئلته ﷺ التي بزغت فيها شمس الإبداع في تقريب المعنى وتسهيل فهمه وإدراكه: ما رواه أبو هُرَيْرَة رضي الله عنه قال : (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟) .[١]

معنى الحديث :

شبّه الحديث الطفل المولود على الفطرة، ومن ثم تغيره وتفسده البيئة المحيطة به؛ بالشاة التي يخلقها الله تعالى كاملة الخلق، جميلة الشكل والصورة، ولكن الناس هم الذين يشوهون جمالها، فيقطعون أذنها، ويجدعون أنفها، حتى تصبح ناقصة، مشوهة الصورة .
"فالله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق،كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ، ودين الإسلام هو دين الحق، كالبهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنهم تصرفوا فيه بقطع إذنه مثلاً فخرج عن الأصل، وهو تشبيه واقع، ووجه واضح، والله أعلم ".[٢]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، (١ / ٤٥٦ ، ح ١٢٩٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، (٤ / ٢٠٤٧ ، ح ٢٦٥٨) .
(٢) المفهم ، القرطبي ، (٦ / ٦٧٦) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : هل تحسون فيها من جدعاء ؟ "هو من الإحساس، والمراد به العلم بالشيء، يريد أنها تولد لا جدع فيها، وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك، ففيه نوع من التأكيد؛ أي أن كل من نظر إليها قال ذلك لظهور سلامتها" .

"وفيه التشبيه بالمحسوس المعاين، ليفيد أن ظهوره يقع في البيان مبلغ هذا المحسوس، والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبّلة، والتهيؤ لقبول الدين، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها و لم يفارقها إلى غيرها، لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد .. "[1]

والذي يظهر لي أن سؤاله ﷺ فيه إثراء للشبه، وإحالة لأذهانهم من المجرد إلى المحسوس ، وفي تأخيره للسؤال بعد عرض المعلومة، عملية تقويم وتأكد من الفهم والاستيعاب الفكري، فطرح السؤال على المتعلم يترتب عليه وجوب المشاركة منه والإجابة، وفي الإجابة على السؤال بالنفي؛ دلالة على وصول المعلومة صحيحة .

فقد وضح ﷺ ببيان جلي ، ناحية شغلت أذهان علماء الاجتماع والفلاسفة والمفكرين ، ردحاً طويلاً من الزمن ولا تزال، وفحواها : هل الدين فطرة في الإنسان ؟ وهل يكون الطفل حين ولادته مزوداً بطاقة تُلهمه السداد ؟ لقد بيّن ﷺ أن الخير في الإنسان أصل، وأن الشر عارض، فالمجتمع من حول المرء هو الذي يُفسده ، والبيئة المحيطة هي التي تلوث فطرته، ولا سيّما أبواه ومن حوله .

وبعد التأمل والدراسة لأسئلة الرسول ﷺ الذهنية ، الواردة في أحاديث الصحيحين ، والتي استخدم فيها التمثيل ،ظهر لي أنها تهدف لتحقيق أحد الغرضين التاليين :

١- الإقناع الفكري ٢-الترغيب والتنفير .

(١) فتح الباري ، (١ / ٨١٠) .

المطلب الأول: الإقناع الفكري

مفهوم الإقناع :

يرد الإقناع في اللغة بمعنى:" الإرضاء "[1]، فهو عملية إرضاء، يقوم بها المربي باستخدام الطرق المؤثرة التي تجعل نفس المتعلم ترضى بالشيء المعتقد، ويأتي الاتباع نتيجة لهذا الاقتناع. [2]

وبعد البحث والتأمل في أحاديثه ﷺ في الصحيحين، وجدت حديثين طرح فيهما ﷺ سؤالاً تمثيلياً، يظهر لي أن هدفه فيهما إقناع المتعلم الفكري، واستنتاجه النتيجة السليمة بنفسه ، عن طريق إعمال فكره، وتحريك عقله، بأسلوب غاية في البلاغة، وتسلسل منطقي للأمور، وإقامة الحجة والدليل القاطع ، وقياس الأمور على الأشباه والنظائر، كما أوردت شاهداً لهما من غير الصحيحين :-

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلامٌ أَسْوَدُ ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا ؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ، قَالَ : لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ). [3]

معنى الحديث :

أنه ﷺ شبه ما أنكره الأعرابي من لون الغلام بما كان يعرفه في نتاج الإبل، فقد كان الأعرابي يعرف أن الإبل الحُمر قد تنتج الأغبر[4]، الذي لونه بين السواد والغبرة ، فبيَّن لــه ﷺ أن المرأة البيضاء كذلك قد تلد الأسود، [5] فكلاهما قد يكون نزعه عرق .

---

(١) الصحاح ، (٣ / ١٢٧٢) ، ومعجم مقاييس اللغة ، (٥ / ٣٢) .

(٢) انظر ، الإقناع في التربية الإسلامية ، د. سالم بن جبار ، (٣٠) .

(٣) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٢٥).

(٤) هذا معنى كلمة الأورق : (غريب الحديث لابن الجوزي ، ٢/ ٤٦٥).

(٥) انظر، النبي الكريم معلماً ، أ.د . فضل إلهي ، (١٥٠) .

موضع الشاهد ودلالته:

أسئلته ﷺ الحوارية: هل لك من أبل؟ فما ألوانها؟ هل فيها من أورق؟

إن عرض هذا التشبيه بصيغة استفهامات متتالية ، تهدف إلى بناء قياس صحيح ، واستنتاج سليم مبني على مسلّمات وأسس منطقية صحيحة ، متنوعة بين السؤال التقريري ذي الإجابة المقفلة بنعم أولاً ، وبين السؤال المفتوحة إجابته ،الذي يجيب فيه المتعلم حسب رؤيته وإدراكه العقلي للمثال الواقعي الحي المطروح ،تجعل النتيجة نابعة من ذات المتعلم ، يعبِّر عنها بنفسه، توصَّل إليها بعد قيامه بعمليات ذهنية وفكرية من تحليل، ومقارنة النظير بالنظير ، والشبيه بالشبيه، وربط الأمر بمثيلة وموازنة بينهما، أثارتها أسئلته ﷺ ، فكان الإقناع في أعلى درجاته عند هذا الأعرابي للقضية التي أثارت شكوكه ، وأثقلت همومه ، وكادت أن تؤدي به إلى نفي ولده، وظلم زوجته، فزال الإشكال الذي تعسّر عليه فهمه، وعاد الرجل بعد هذه المقايسة مذعناً مطمئناً ، لا يحمل في نفسه أدنى ريبة .

وأحسب أن أسئلته ﷺ في هذا الحديث تحث العقل على البحث والاستقصاء، وهو نوع من الأسئلة " يُطلب فيه من المتعلم أن يتعمق فيما وراء المعلومات المعطاة ؛ لكي يتوصل إلى مرئيات جديدة ، فالمتعلم بذلك يكوّن استنتاجاته بنفسه، فإذا قام المعلم بمثل هذه الأسئلة : هل تستطيع أن تحدد طبيعة هذا الحيوان ؟ لماذا حدث ذلك ؟ فقد قام بنوع من البحث والاستقصاء . " [1]

كما يظهر لي أن سؤاله ﷺ " أنَّى له هذا ؟ " من الأسئلة الذهنية القوية، التي تنمي القدرة على النقد عند المتعلم " وهذا يتم عندما يطلب المعلم من الطلاب تبرير إجاباتهم ، وعندما يقوِّم المتعلم أحد جوانب الموضوع، يصبح أكثر فهماً ، وإدراكاً واقتناعاً به ." [2] ، والقدرة على الاستنتاج المنطقي؛ الذي يشمل سؤال المعلم وإجابة التلميذ عن ذات الصفة الاستنتاجية المنطقية، ويقوم على استعمال الحقائق الكبرى ، والقواعد ثم الانتقال إلى جزئياتها ، وتفاصيلها .

---

(١) فن صياغة الأسئلة ، د. زيد آل الحسين ، وآخرون ، (١٣).

(٢) فن صياغة الأسئلة ، د. زيد آل الحسين ، وآخرون ، (١٦).

" وفي الحديث إثبات القياس والاعتبار بالأشباه ، وضرب الأمثال " [١]" والذي ورد عنه ﷺ من التمثيل إنما هو تشبيه أصل بأصل، والمشبه أخفى عند السائل من المشبّه بــه، وفائــدة التشبيه التقريب لفهم السائل، وقد أورده النسائي بلفظ من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبهم ، قد بيّن الله حكمها للسائل، وهذا أوضح في المراد ".[٢]

وقد ترجم عليه الإمام البخاري بقوله :(باب من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن، وقد بــيَن النّبي ﷺحكمها ليُفهِم السائل). [٣]

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَــيْكُمْ دَارَ قَــوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ: أَلا هَلُمَّ ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا). [٤]

معنى الحديث :

تمنى الرسول ﷺ أنه قد رأى إخوانه بقوله ﷺ : وددت أنا قد رأينا إخواننا؛ والمراد رأينــاهم في الحياة الدنيا، وقيل المراد: تمنى لقائهم بعد الموت، فاستغرب الصحابة وسألوه عن ذلك ، لأهم يظنون أهم إخوانه، ، فأجاب بقوله: بل أنتم أصحابي، وهذا ليس نفياً لأخوقم، ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة فهؤلاء أخوة صحابة، والذين لم يأتوا أخوة ليسوا بصــحابة، وذهب معظم العلماء إلى أن من صحب النبي ﷺ ورآه مرة من عمره وحصلت لــه مزيــة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٠/ ١١٣) .

(٢) فتح الباري (٣ / ٨١٥) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، (٦ / ٢٦٦٧ ، ح٦٨٨٤) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة ، (١ / ٢١٨ ، ح ٢٤٩) .

الصحبة أفضل من كل من يأتي بعد، فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ثم فسّر ﷺ الإشكال الذي ورد في أذهانهم عن كيفية التعرف على إخوانه الذين لم يرهم من أمته يوم القيامة ، وبيّن ﷺ أنه يتقدمهم على الحوض، وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً، وأن رجالاً من أمته يطردون[١] عنه، فيناديهم: ألا هلم، أي: تعالوا ، فيقال أنهم غيروا وبدلوا بعد رسول الله ﷺ ، قيل: هم المنافقون والمرتدون، وقيل: من كان في زمنه ﷺ، ومن ارتد بعد وفاته، وقيل أصحاب الكبائر، وقيل أصحاب الأهواء والبدع، فيقول ﷺ :سحقاً أي بُعداً، والتقدير ألزمهم الله أو سحقهم[٢].

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أرأيت لو أن رجلاً له ..؟ وهو سؤال عن مدى قدرتهم على التعرف على خيولهم الغر المحجلة، والغرة بياض في وجه الفرس، والحجلة بياض في قوائمه ، يريد ﷺ أن سيماء أمته في القيامة في وجوهها، ومواضع وضوئها، إما نور يشرق أو بياض تتبين به جماعتهم من بين سائر الناس، أو ما الله أعلم بذلك[٣]، من بين الخيول الدهم أي السوداء ،وقيل الذي لا يخالط لونها لوناً سواها ، سواء كان أسود أو أبيض، أو أحمر، بل يكون لونه خالصاً[٤]، وهذا سؤال ينبع من واقع بيئتهم ، وقريب إلى نفوسهم ، وبعد أن أخذ منهم الإقرار بقدرتهم على ذلك ، ألقى عليهم ما يريد إيضاحه من معرفته لهم بنور مواضع وضوئهم من أثره .

الدلالات التربوية:

تعامل النبي ﷺ مع الناس كل بحسب مستوى عقله وتفكيره؛ لأن الناس مراتب تختلف عقولهم ومداركهم، وتتفاوت فطرهم وآفاقهم، ففيهم الخاصة الذين يهمهم معرفة الحقائق بأدلتها المنطقية والعقلية، والعامة الذين لا يلتفتون إلى إحكام القول، ولا إلى الأدلة العقلية ، وإنما يحتاجون إلى الخطاب العادي الذي يصل إلى عقولهم بسهولة ويسر، ويحتاجون إلى الموعظة النافعة التي تُحرك عواطفهم ووجدانهم.

---

(١) هذا معنى كلمة ليذادن : (لسان العرب ، مادة: ذود ، ٣ / ١٦٧) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣٩/٣)، الديباج على مسلم ، (٣٤/٢).

(٣) هذا معنى خيل غر محجلة : (مشارق الأنوار ، مادة : غرر ، ١٣١/٢) .

(٤) هذا معنى الدهم : (مشارق الأنوار ، مادة : بهم ، ١٠٢/١) .

وضرب أروع الأمثلة في ذلك، فاختار للأعرابي المثل الذي يعقله ويعرفه في حدود محيطه وبيئته، وراعى في محاورته للشاب خصائص هذه المرحلة العمرية واحتياجها إلى تغذية الفكر بالقناعة، والتدرج مع العقل للوصول إلى القناعة والقبول الفكري، وتجنب مالا يتسق معه من الشدة ، والتعنت في الرأي كما سيأتي في حديث أبي أمامة.

فالاقتصار بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله ؛ فينفره ، أو يخبط عليه عقله، من أهم وظائف المعلم.[1]

وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة: من أن إقناع المتلقين يحتّم على المربي أو المعلم إدراك الفروق الفردية بين البشر في سلوكهم وظروفهم النفسية إلى جانب فهم احتياجاهم وقيمهم ومعتقداهم بشكل كبير وذلك من أجل ضمان كون الرسالة الموجهة مقنعة ومؤثرة.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ[2] ﷺ قَالَ : (إنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ ، قَالُوا: مَهْ مَهْ ، فَقَالَ : ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ : فَجَلَسَ ، قَالَ : أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ،قَالَ :أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لا وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ) .[3]

---

(١) انظر ، إحياء علوم الدين ، (١/ ٥٧) .

(٢) صدي بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، مشهور بكنيته ، روى عن النبي ﷺ ، سكن الشام ، مات سنة ٨٦ هـ . (الإصابة ، ٢ / ١٨٢) ، (التهذيب ، ٤ / ٤٥) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ، (٥ / ٢٥٦ ، ح ٢٢٢٦٥) ، والطبراني في المعجم ، (٨ / ١٦٢ ، ح ٧٦٧٩) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٣٦٢ ، ح ٥٤١٥) ، كلهم من طريق حريز بن عثمان عن سليم بن عامر به ،قال الألباني: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات ، رجال الصحيح، (السلسلة الصحيحة، ١/ ٦٤٥) ، وهذا الحديث خارج عن شرطي ، فهو ليس من أحاديث الصحيحين ، ولكن لصحته ، وأهميته البالغة في هذه المسألة ، ولكي تكتمل صورة الإقناع الفكري آثرت إيراده في هذا المقام .

معنى الحديث:

يناقش ﷺ هذا الفتى الذي استأذنه في الزنا، في قضية مسلّمة أصلاً، ويتدرج معه للإجابة عن أسئلة يثق ﷺ من أن إجابة الفتى عليها ستكون هي الوسيلة لإقناعه بأن الزنا حرام .

فبهذه المحاورة الهادئة، وبهذا الأسلوب الرفيع والقرب الجسدي من المتربّي الذي تسري معه مشاعر الحب والحنان والرحمة فتمس شغاف قلبه ، وتحرك وجدانه ، فتستقبل نفسه كل ما يلقى إليه ، فيرضى ويقتنع ، ويعود طيب النفس ؛كان كفيلاً لوصول رسالة الشفقة والرغبة في إصلاح أمره .

موضع الشاهد ودلالته :

أسئلته ﷺ : أتحبه لأختك ؟ أتحبه لعمتك ؟ أتحبه لأمك ؟ .

فيما يبدو لي أن هذا الشاب وصل إلى مرحلة عالية من القناعة والرضى، وانتشال بذرة الشر من نفسه، بفضل ما طرحه الرسول ﷺ من أسئلة متتالية ، يستنطقه بها بالإقرار برفض أمر الزنا، ومقته لقراباته ، ولم يكتف ﷺ بطرح سؤال واحد ، بل كرر السؤال نفسه عدة مرات، شمل به كل من يحبهم ويخاف عليهم من أهله ، وبعد كل إجابة من الشاب بالرفض والنفي ، يقرر ﷺ مشابهة مشاعره بمشاعر الآخرين .

الدلالة التربوية:

إن ختمه ﷺ لهذه المحاورة بهذا الدعاء الصادق كان له أكبر الأثر في تقويم سلوكه وتعديله،" ومنه أُخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يُخل بواجب ، أو يفعل محرماً ، أن يترفق في إرشاده ، ويتلطف به " (١)

وأحسب أن هذا هو التعلم الأمثل والأثبت الذي ينبع من ذات المتعلم، يتوصل إليه بعد الموازنة النفسية ، والمحاكمة العقلية ، وتصوير المشكلة بأنها مشكلته هو ، والقضية قضيته ، وهو صاحب القرار فيها ، دون الزجر والتوبيخ ، ودون الطعن في العقل أو الدين ، ودون سرد لأدلة الوعيد والتحريم .

وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة في " أنه يجب تجنب عرض نقاط الاختلاف؛ لأنه يوقف الحوار من أوله على أقل تقدير ، ينحى به منحى التحدي ، ويكون نصرة الذات لا بلوغ

---

(١) فيض القدير ، عبد الرؤوف المناوي ، (٥ / ٤٦١) .

الحق هي الهم الأوحد ، فلتبدأ الحديث بنقاط الاتفاق تجعل محاورك يقتنع بحديثك دون أن يشعر ، وقد كان سقراط حكيم اليونان يسأل محاوره أسئلة لا يملك الإجابة عليها إلا بنعم ، ويظل يكسب الجواب تلو الجواب حتى يجد مناظره نفسه مقتنعاً بفكرة كان ضدها منذ خمس دقائق." (١)

فلا بد من جعل الطرف الآخر يظن أن الفكرة فكرته، وأنه من السوء أن يجرّع الآخرين الآراء غصباً، فمن الأجدى أن تُساق لهم الاقتراحات مجردة، وأن تدعهم يتوصلون إلى الرأي من تلقاء أنفسهم، وأنه منذ اللحظة الأولى التي تبدأ فيها بإلقاء الموضوع، هناك جزء واحد من عقل المستمع، يطرح أسئلة: هل هذه الرسالة لي؟ فلا بد أن تشكل رسالتك بحيث تلائم تماماً عقله، استيقظ ! انتبه ! المقصود أنت، أما إذا فشلت في استعمال هذه الميزة، فلن تنجح أبداً في إقناع مستمعيك . (٢)

" فالقيادة الفعالة من قبل كل مربي تتطلب كيفية توجيه أسئلة ذات طابع معين، بطريقة مفيدة تقود إلى نقاش لب المسألة المطروحة ." (٣)

"فأفضل الأفكار وأصدقها، وأكثرها نفعاً تلك التي يمكن للمستمع أن يقارنها بالأفكار التي يعرفها مسبقاً، أو يشعر بها، فإذا كانت جملتك الأولى تتفق مع ما يجدوه في ذاكرتهم، فسوف يوافقون عليها ولن يعترضوا، بل سيبتسمون، ويومئون برؤوسهم، وعندما ترى هذه الإشارة ، فإن مستمعك يقول لك: " لقد قارنت هذه العبارة بما أعرف أنه صحيح ، ووجدتها تتفق مع ما أعرفه، أنا مستعد لتصديق ما ستقوله لي بعد ذلك" (٤) ،" فإذا أردت إقناع مستمعك، يجب أن تعرف تلك القوة الموجهة في تكوينه الشخصي، والتي تتطابق كثيراً مع أهدافك ." (٥)

لذا يجب على المحاور إذا أراد أن يكون كلامه مؤثراً ومقنعاً أن يدرك أن عقول الناس تتفاوت، فلكل جماعة من الناس لسان تخاطب به على حسب حالها؛ فالإنسان الثائر يخاطب

(١) كيف تحاور ، د. طارق الحبيب ، (٢٥).

(٢) انظر، الإلقاء الناجح ، جونز إرنبورج ، (١٣).

(٣) فن صياغة الأسئلة ، (١٢).

(٤) الإلقاء الناجح ، (١٥) .

(٥) الإلقاء الناجح ، (١٠١) .

بعبارات هادئة لتكون برداً وسلاماً على القلوب، والإنسان الهادئ الفاتر يخاطب بعبارات مثيرة للحمية موقظة للهمم ، حافزة للعزائم ، محركة للنفوس ، والإنسان الذي انحرف عن جادة الصواب يخاطب بعبارات فيها من القوة والعزم وروح الرحمة وبشائر الأمل .

فأسلوب طرح الأسئلة أثناء الحوار من أقوى أساليب الإقناع، وما ذاك إلا لأنه يعرف بالأساس العقلاني والمنطقي لأي قضية تطرح ، ليرقى بالمتلقي من أسلوب التقليد الأعمى إلى أسلوب إعمال الفكر وإيضاح الحقائق ، والحرية في مناقشة أي فكرة تعترض له، حتى يجد الحل الذي يتمشى مع الفطرة السليمة ، والعقل الصحيح دون أن تفرض عليه بالقوة .[1]
فالرسول الكريم ﷺ قد وضع المنهج السليم في التربية وهو أن يحسن المربي كيف يأخذ المتعلم من أقصر طريق إلى موقع الحق في أية قضية من القضايا ، هذه القضايا قد تكون قضايا صعبة للعقل فيها وقفة ، ولكن لباقة المربي وحسن استعداده ، واتساع ثقافته ، تجعل من هذه الأمور كلها أدوات تعينه على أن يصل بالمربي إلى الحقيقة التي يريدها من أقصر طريق إلى الفهم ، وبأقل وسيلة في الإقناع .[2]

---

(١) انظر ، الإقناع في التربية الإسلامية ، سالم بن مسفر ، (١٠٠) .

(٢) انظر ، تربية الطفل في السنة النبوية ، محمد المنيف ، (٢٨) .

المطلب الثاني : الترغيب والتنفير

مفهوم الترغيب :

يرد الترغيب في اللغة بمعنى "الحرص على الشئ ، والطمع فيه" ،[(١)] "وهو وسيلة استرضاء ، واستعطاف، لما لدى الإنسان من طمع بمنافع ولذات وخبرات معجّلة أو مؤجلة ".[(٢)]

والتنفير يرد في اللغة بمعنى :

"التفرق" [(٣)] "وهو وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أوذنب مما نهى الله عنه" [(٤)].

فالترغيب والترهيب من أساليب الإقناع في التربية الإسلامية ، وقد كان ﷺ يهدف من خلال طرح أسئلته على متعلميه إلى تحقيق هذين الغرضين " الترغيب أو التنفير " للوصول بالمتعلم إلى الحماسة الشديدة للقيام بما رُغِّب فيه ، والاستمرار عليه ، أو القناعة التامة بوجوب الإقلاع عما نُفِّر منه وترك العمل به.

وبعد الدراسة والتأمل في أحاديث الصحيحين وجدت حديثين طرح ﷺ فيهما سؤالين تمثيليين للترغيب ، وسبعة أحاديث طرح فيها سبعة أسئلة تمثيلية للتنفير .

الأسئلة الذهنية التمثيلية التي يبدو أنه ﷺ قصد بها ترغيب السامع لما يقول هي :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ: فَثَلاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ). [(٥)]

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : رغب ، (١/ ٤٢٢) .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن الميداني ، (٢٥٤) .

(٣) لسان العرب ، مادة : نفر ، (٥ / ٢٢٤) .

(٤) أصول التربية الإسلامية ، عبد الرحمن النحلاوي ، (٢٨٧) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن ، (١ / ٥٥٢ ، ح ٨٠٢) .

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ : (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّة فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلا قَطْعِ رَحِمٍ ؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ ، قَالَ : أَفَلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الإِبِلِ) . [١].

معنى الحديث :

إن مقصود الرسول ﷺ في هذا الحديث من تمثيل من يقرأ آيتين أو أكثر من كتاب الله كمن كان له ناقتين عظيمتين أو أكثر" الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه" فخاطبهم على ما تعارفوه ، فإنهم أهل أبل، وإلا فأقل جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها". [٢]

وقد بوَّب عليه ابن حبان في صحيحه : " ذكر الحث على تعليم الكتاب وإن لم يتعلم الإنسان بالتمام ".[٣]

"فالحاصل أن رسول الله ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم في الفانيات، فذكره هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى أو بثوابها من الدرجات العلى . "[٤]

" فرسول الله ﷺ في هذا الحديث يَردُّ الناس عند العوارض الداعية إلى تمني الدنيا والإقبال عليها إلى ما هو أليق بحالهم، وأصلح لبالهم من الاشتغال بالأذكار، وما يعود عليهم من منافع البيان والأنوار، ويعصمون به من المهالك والأخطار ".[٥]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات سمان–النوق الحوامل–[٦]؟

أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان فيأتي منه بناقتين كوماوين– عاليتين السنام– [١] ؟

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن ، (١ / ٥٥٢ ، ح ٨٠٣) .

(٢) انظر ، المفهم ، (٢ / ٤٢٩) .

(٣) صحيح ابن حبان ، (٣٢٢١/١) .

(٤) عون المعبود ، (٣٢١/٤) .

(٥) حلية الأولياء ، (٢٤١/١) .

(٦) هذا معنى كلمة خلفات ، (لسان العرب ، مادة : خلف ، ٩٥/٩) .

وأحسب أنه ﷺ لم يعرض هذا المثال بصيغة تقريرية ، يعرض فيه نوع العمل ثم يرتب عليه الثواب، بل عرضه بصيغة استفهامية عن ميولهم، وتطلعهم للحصول على أنفس ما يملكه العربي ؛ وهي النوق العظيمة ، وهذا الأسلوب أدعى في تحقيق الرغبة القوية ، من خلال :

١- طرح المثال بصيغة استفهامية تنبه المتعلم ، وتثير اهتمامه .

٢- توجيه السؤال بصيغة فردية : أيكم يحب ؟ ، فكل واحد منهم يشعر أنه هو المخاطب بهذا السؤال ، فتعلق الإجابة في ذهنه ، " نعم أنا أحب ذلك " ، وهذا كفيل بأن يجعل عملية التعلم عملية ذاتية تنبع من أعماق المتعلم .

٣- تقديم الثواب في المثال قبل ذكر العمل، يثير المشاعر ، ويحرك الرغبة ، فتستقر الرغبة في النفس لهذا الثواب قبل معرفة العمل المطلوب .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِه؟ قَالُوا: لا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا).[٢]

معنى الحديث :

قال الدماميني[٣] رحمه الله تعالى: " شبّه على وجه التمثيل حال المسلم المقترف لبعض الذنوب، المحافظ على أداء الصلوات الخمس في زوال الأذى عنه وطهارته من أقذار السيئات بحال المغتسل في نهر على باب داره كل يوم خمس مرات في نقاء بدنه من الأوساخ، وزوالها عنه" .[٤]

---

(١) هذا معنى كلمة ناقتين كوماوين : قلبت الهمزة في التثنية واوا ، مفردها : ناقة كوماء .(النهاية في غريب الأثر ، ٤ /٢١١).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس كفارة ، (١ / ١٩٧ ، ح ٥٠٥) .

(٣) الدماميني : العلامة بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨هـ واسم شرحه على البخاري ، " مصابيح الجامع " ذكر انه ألفه للسلطان احمد شاه بن محمد بن مظفر من ملوك الهند وعلقه على أبواب منه ومواضع تحتوي على غريب وإعراب . (كشف الظنون ١/٥٤٩) ، (الحطة في ذكر الصحاح الستة، (١/١٨٩)

(٤) إرشاد الساري ، (٢ / ١٨٤) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ " أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم ..؟ " استفهام تقرير متعلق بالاستخبار، والتاء للخطاب ، ومعناه : أخبروني هل يبقى من درنه شيء؟ ، والمعنى: لو ثبت نهر صفته كذا وكذا لما بقي كذا، وفائدة التمثيل : التأكيد، وجعل المعقول كالمحسوس، ففي هذا الحديث مبالغة في نفي الذنوب لأنهم لم يقتصروا في الجواب على " بلى " بل أعادوا اللفظ تأكيداً.[١]

إن هذه الأسئلة التمثيلية التي استخدمها رسول الله ﷺ أعظم من أسلوب التلقين، لأنها أثارت في النفس العواطف والمشاعر، وساعدت على تصوير المعاني، وتجسيدها في الذهن ، فسهُل الفهم، وثبتت المعاني في الذاكرة ، وأوجدت الدافع القوي لالتزام الإنسان بهذه المبادئ عملياً .[٢]

إن الفكرة التربوية في هذا الحديث، كون العبادة الإسلامية ذات أثر دائم ومتجدد في التطهر والتنقية من الآثام، وقد قدم الرسول ﷺ هذه الفكرة المتميزة في التربية الدائمة والمتجددة بخطوتين ، هما نموذج رائع حقاً في عالم التربية :

الأولى: في تقديم الفكرة على شكل مثال عملي معروف لتجسيد المعنى ، وغرسه في أذهان السامعين ، إنه إنسان يعيش على شاطئ نهر ، طاهر الماء ، دائم الجريان ، فالماء ميسور ، وقريب ونظيف ، والإنسان ينعم بالاغتسال بمائه يومياً خمس مرات ، فكم يكون ذلك الإنسان نظيفاً وسليماً !!

الثانية : تقديم هذه الصورة بإطار من التساؤل يثير الانتباه والاهتمام لدى السامع ليعمل ذهنه في تلمس الجواب ، فإن أصاب وإلا فقد بعث السؤال الحركة في ذهن السامع ، والشوق في نفسه لتقبل الجواب،[٣] ولا يسع الناظر في هذا الحديث والمتفحص فيما يحمله من صور بديعة إلا أن يقول إن هذه الصور يكاد الحس يقر أنها حقيقة ماثلة ، يقف الذهن

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٤٧٢) .

(٢) انظر ، توجيه المعلم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي ، مقداد يالجن ، (١٩٨) .

(٣) انظر، الرسول العربي المربي ، عبد الحميد الهاشمي، (٢٢٧)، تربية الطفل في السنة النبوية، محمد المنيف ، (٣٠) .

تجاهها ، لا يملّ التأمل في كنهها ، وأن لها من بلاغة التوضيح ، وعمق الأثر ما تعجز عنه أدوات التعبير الحسي كائنة ما كانت .[1]

الأسئلة الذهنية التمثيلية التي أحسب أنه ﷺ قصد بها تنفير السامع مما يقول :

١-عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:(عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ أَوْ لا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟)[2].

معنى الحديث :

" ظاهر الحديث يقتضي تحريم الرفع قبل الإمام لكونه توعد عليه بالمسخ، وهو أشد العقوبات، واستدل به على جواز المقارنة ولا دلالة فيه لأنه دل بمنطوقه على منع المسابقة ، وبمفهومه على طلب المتابعة وأما المقارنة فمسكوت عنها، وخص وقوع الوعيد بالرأس لأن بها وقعت الجناية " .[3]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أما يخشى أحدكم ..؟ " أما " بتخفيف الميم : حرف استفتاح مثل " ألا " وأصلها النافية ، دخلت عليها همزة الاستفهام ، وهو هنا استفهام توبيخ ، وفي الحديث كمال شفقته ﷺ بأمته، وبيانه لهم الأحكام ، وما يترتب عليها من الثواب والعقاب .

وفيه تغليظ شديد على المأموم في مسابقة إمامه، أي كيف تتجرؤون على رفع رؤوسكم من الركوع والسجود قبل الإمام ؟ ألا يخاف أحدكم إذا رفع رأسه قبل إمامه أن يمسخ الله رأسه رأس حمار؟ إما مسخاً مجازياً بأن يجعله الله كالحمار في غباوته وبلادته، أو مسخاً حقيقياً ، بأن يجعل صورة رأسه على صورة رأس الحمار إما في الآخرة أو في الدنيا .[4]

---

(١) انظر ، الخصائص الفنية ، محمد الدبل ، (١٢٤) .

(٢) صحيح البخاري ، الآذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام ، (١/٢٤٥ ، ٦٥٩) ، مسلم ، الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام ، (١/٣٢٠ ، ح ٤٢٧) .

(٣) فتح الباري (١/٥٤٣) .

(٤) انظر، إكمال المعلم ، (٢ / ٣٣٨) ، فتح الباري (١/٥٤٣) ،منار القاري ، شرح مختصر البخاري ، (٢/ ١٤١) .

يظهر لي أن عرضه ﷺ لهذا المثال بطريقة استفهامية عن مدى خوف كل واحد منهم من الوقوع به؛ فيه استقطاب انتباه السامع وقيادته للمشاركة في تصور الفكرة وإمكانية حدوثها له شخصياً، وهذا أدعى لتثبيت ورسوخ الفكرة في الذهن ، وبالتالي النفور التام والحذر والحيطة .

٢-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ امْرِئٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تُؤْتَى مَشْرُبَتُهُ فَتُكْسَرَ خِزَانَتُهُ فَيُنْتَقَلَ طَعَامُهُ ؟ فَإِنَّمَا تَخْزُنُ لَهُمْ ضُرُوعُ مَوَاشِيهِمْ أَطْعِمَاتِهِمْ، فَلا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِهِ) . (١)

معنى الحديث :

النهي عن أن يأخذ المسلم للمسلم شيئاً إلا بإذنه الخاص أو العام، و شبه ﷺ ضروع المواشي في ضبطها الألبان على أربابها بالخزانة التي تحفظ ما أودعته من متاع وغيره، وإنما خص اللبن بالذكر لتساهل الناس فيه، فنبه به على ما هو أولى منه. (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أيحب أحدكم أن تُؤتى ..؟ : بصيغة المجهول ، والاستفهام للإنكار، (٣) وهذا السؤال فيه ضرب المثل للتقريب للأفهام، وتمثيل ما قد يخفى بما هو أوضح منه ، واستعمال القياس في النظائر.

إن القياس لا يشترط في صحته مساواة الفرع للأصل بكل اعتبار ، بل ربما كانت للأصل مزية لا يضر سقوطها في الفرع إذا تشاركا في أصل الصفة ، لأن الضرع لا يساوي الخزانة في الحرز، كما أن الصرَّ لا يساوي القفل فيه، ومع ذلك فقد ألحق الشارع الضرع المصرور في الحكم بالخزانة المقفلة في تحريم تناول كل منهما بغير إذن صاحبه . (٤)

---

(١) تقدم تخريجه في التمهيد (٣٠).

(٢) انظر، شرح الزرقاني ، (٤ ٤٨٢) .

(٣) انظر، عون المعبود ، (٧ / ٢٠٦) .

(٤) فتح الباري ، (٢ / ١١) .

الدلالات التربوية:

أن قوله ﷺ " فلا يحتلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه"أعاده بعد ضرب المثال زيادة في التنفير عنه ، وإعادته بعد ذكر العلة تأكيداً وتقريراً .

يترجح لي أن طرحه ﷺ السؤال بعد النهي عن حلب الشاة بغير إذن صاحبها، يدل على أن النبي ﷺ لا يهدف إلى مجرد إعطاء معلومات فحسب، بل يدعو المخاطب إلى التأمل والتدبر فيما لو وقع له مثل هذا الأمر الذي لا يرضاه قطعاً ، فتقترن هذه الصورة التي يرفضها هو بتلك الصورة التي نهى عنها الرسول ﷺ قبل طرح السؤال ، فيصل المخاطب بالسؤال في نهاية المطاف إلى إدراك خطورة الأمر ، ووجوب عدم الاستهانة به ، والملاحظ أن أسئلته ﷺ التمثيلية أسئلة واقعية موصولة بالأشياء التي يستخدمها المخاطبون في بيئتهم ، وعليه فإن الإجابة عليها ستعتمد على تصور ذهني دقيق ، وتفكير عميق تبعاً لخبرات المخاطبين ، وهكذا يمكن القول أن هذه الأسئلة هادفة وسهلة ، تعمل على تنمية التفكير .

٣- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ : (قَاتَلَ يَعْلَى بْنُ مُنْيَةَ أَوْ ابْنُ أُمَيَّةَ [١]رَجُلاً فَعَضَّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ؛ فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ فَمِهِ فَنَزَعَ ثَنِيَّتَهُ ، فَاخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَيَعَضُّ أَحَدُكُمْ كَمَا يَعَضُّ الْفَحْلُ لا دِيَةَ لَهُ ؟) . [٢]

وفي رواية : (أَنَّ رَجُلاً عَضَّ يَدَ رَجُلٍ فَانْتَزَعَ يَدَهُ فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ أَوْ ثَنَايَاهُ ، فَاسْتَعْدَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا تَأْمُرُنِي ، تَأْمُرُنِي أَنْ آمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ فِي فِيكَ تَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ، ادْفَعْ يَدَكَ حَتَّى يَعَضَّهَا ثُمَّ انْتَزِعْهَا) . [٣]

---

(١) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة ، واسمه عبيد ، حليف قريش ، روى عن النبي ﷺ ، كان أول من أرّخ الكتب وهو باليمن ، صحب الزبير وعائشة في معركة الجمل ، وكان فيمن قتل في صفين . (الإصابة ، ٣ / ٦٨٥) ، (التهذيب ، ٩ / ٤١٩) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب القسامة ، باب الصائل على نفسه الإنسان، (٣/ ١٣٠٠ ، ح ١٦٧٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب القسامة ، باب الصائل على نفسه الإنسان، (٣/ ١٣٠٠ ، ح ١٦٧٤) .

معنى الحديث :

أن يعلى بن أمية قاتل إنساناً، فعض أحدهما يد الآخر، -العض أخذ الشيء بالسن -فانتزع المعضوض يده من فم العاض فقلع شيئاً منها، ولا ينافيه قوله في الصحيحين كان لي أجير فقاتل إنسانا لأنه يجوز أن يكنى عن نفسه ولا يبين للسامعين أنه العاض، وقال الحفاظ الصحيح المعروف أن المعضوض هو أجير يعلى لا يعلى، ويحتمل أنهما قضيتان جرتا ليعلى وأجيره في وقت أو وقتين، فترع يده من فمه ، فكسر ثنيتاه أي ثنيتا العاض، وهي الأسنان المتقدمة اثنتان فوق واثنتان تحت، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ التنفيري: أيعض أحدكم كما يعض الفحل؟ ثم سؤاله الإنكاري: ما تأمرني ، تأمرني أن آمره أن يدع يده في فيك تقضمها كما يقضم الفحل؟ فأنكر النبي ﷺ على الرجل الذي اشتكى من كسر ثنيته؛ بمعنى هل تريد أن يترك يده في فيك حتى تقضمها؟ فكيف تنكر عليه أن ينتزع يده من فيك وتطالبه بما جنى في جذبه لذلك ، فليس المراد بهذا ، أمره بدفع يده ليعضها ، فلا يمكن أن يؤمر بذلك .(١)

أحسب أنه ﷺ طرح هذا السؤال الذي شبه فيها الرجل الذي يعتدي بالعض على غيره، بصورة الفحل الذي لا يميز ولا يفقه ما يفعل وهو يعض ويقضم ما يلقى في فمه ، سؤال موجه للخاطئ ، يستثير فيها ذهنه، ويقرن فعله بهذه الصورة الحيوانية المنفرة ، ليكتشف قبح ما فعله بنفسه ،وهذا أدعى للثبات والاستمرارية في الإقلاع والترك .

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ:(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ:مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ ؟ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ؟ فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا) .(٢)

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١ / ١٣٣) ، إكمال المعلم ، (٥ / ٤٧) ، المفهم ، (٥ / ٢٥) ، عمدة القاري، (٥٢/٢٤)، تحفة الأحوذي ، (٥٦٢/٤).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب النهي عن البصاق في المسجد ، (١ / ٣٨٩ ، ح ٥٥٠) .

٥- عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال : (أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ، فَرَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ قَالَ : فَخَشَعْنَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ قَالَ : فَخَشَعْنَا ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ قُلْنَا : لا أَيُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلا عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى) .[١]

معنى الحديث :

"ينهى النبي ﷺ عن البصاق جهة القبلة في المسجد ، ثم ينفرهم من هذا العمل بالتشبيه ، أي كأن الله تعالى في مقابل وجهه، فلا يقابل هذه الجهة بالبزاق، الذي هو الاستخفاف لمن يبزق وتحقيره 'فيعامله الله معاملة المعرض عنه ، فلا يثيبه . [٢]

موضع الشاهد من الحديثين ودلالته :

سؤاله ﷺ : أيحب أحدكم أن يستقبل ..؟ أيكم يحب أن يعرض الله عنه ؟

والذي يظهر لي أن رسول الله ﷺ في هذين الحديثين أحدث تهيئة ذهنية للمخاطبين :

قولية : بإنكار العمل إنكاراً تعريضياً بسؤاله : ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع أمامه ؟.

وفعلية : بإزالة السلوك غير المرغوب فيه وذلك بحكه للنخامة قبل طرح السؤال التمثيلي عليهم، فجعلهم على أهبة الاستعداد الذهني لسماع ما سيلقيه عليهم من حديث ، فيأتي السؤال الذي يخاطب به ميولهم ورغبتهم عما تأباه النفوس ؛ ليجعل النفور ذاتياً نابعاً من أعماق المتعلم ، نتيجة لاستقرار الصورة البغيضة في الذهن والمرتبطة بهذا السلوك المشين .

كما أن طرح السؤال بعد ذكر مقدمات قولية وفعلية ، يتبين من خلالها النهي عن هذا السلوك ، يؤكد ما ذكرته سابقاً حسب ما ترجح لي أن رسول الله ﷺ لم يهدف في تعليم

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل ، (٤ / ٢٣٠٣ ، ح ٣٠٠٨) .

(٢) انظر، عمدة القاري ، (٤/ ١٥٠) ، المفهم ، (٦ / ٧٤) .

أصحابه إلى إعطاء معلومات مجردة فحسب ، بل هدف بأسئلته أن يثير التفكير ، وينشطه ، ويدفعه إلى انتقاء استجابة ما .

الدلالات التربوية:

١- يبدو لي أن في قول الصحابة " فخشعنا " دليل على أنه ﷺ انتظر لفترة قبل الإجابة أو إعادة السؤال عليهم ، وفترة الانتظار عقب السؤال تعد مهارة من مهارات طريقة طرح الأسئلة ،" فعلى المعلم أن يعمل على إطالة فترة التوقف أو فترة الانتظار بعد توجيه السؤال من ثلاث إلى خمس ثوان ، حيث إن لها مزايا عديدة ، فهي تساعد المعلم على أن يعرف تلاميذه بصورة أفضل ، بملاحظة انطباعاتهم بعد توجيه السؤال ، وتتيح للتلاميذ وقتاً لمزيد من التفكير ، وبالتالي تساعد المعلم على تقويم أداء تلاميذه". (١)

وبهذا يتأكد لنا أن السؤال جزء من عملية أعم وأشمل لإثارة الانتباه ، وتقريب المعاني للأذهان .

٢- والذي ألحظه في هذا الحديث هو تكرار الرسول ﷺ للسؤال بنفس ألفاظه أكثر من مرة، مع ندرة ذلك في الأحاديث الأخرى حيث لم يرد إلا في حديث : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ وحديث : أي شهر تعلمونه أعظم ؟ دليل على أنه ﷺ ليس من منهجه التعليمي تكرار السؤال بألفاظه إلا في حالة التنبيه والتحذير والتنفير ؛ حتى يصل إلى ذهن المتلقي خطورة الأمر وسوء عاقبته .

وقد توصلت التربية الحديثة إلى أن تكرار السؤال من العادات التي تضر بالعملية التعليمية : " فينبغي أن يُطرح السؤال على مسامع التلاميذ مرة واحدة فقط ما لم يحدث شيء يعرقل سمع السؤال ، إذ بهذه الطريقة يمكن تدريب التلاميذ على الاستماع ، وكثيراً ما يميل المعلمون عند الاستجواب إلى إعادة السؤال الذي يطرحونه أول مرة حال الفراغ من توجيهه ، أو حتى قبل أن تحكم صيغته الأولى إحكاماً تاماً ، إن اتباع هذا الأسلوب في الاستجواب يؤدي إلى بلبلة أذهان التلاميذ . "(٢)

---

(١) مهارات التدريس ، د. إمام حميدة وآخرون ، (٢٢٢) .

(٢) التعليم والتعلم ، مدخل في التربية وعلم النفس ، آرثر جورج هيوز ، (٣٦٥) .

٦- عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت : (لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: غَرِيبٌ وَفِي أَرْضِ غُرْبَةٍ لأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الصَّعِيدِ تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،وَقَالَ: أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ؟ فَكَفَفْتُ عَنْ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ) . (١)

معنى الحديث :

عزمت أم سلمة على البكاء على أبي سلمة حزناً عليه، وألماً على موته غريباً ، فهو من أهل مكة ومات بالمدينة، فأقبلت امرأة من الصعيد، المراد بالصعيد هنا عوالي المدينة، وأصل الصعيد ما كان على وجه الأرض، لتساعدها في البكاء والنوح ، فزجرها النبي ﷺ . (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أتريدين أن تدخلي الشيطان ..؟ وهو سؤال يتضمن تشبيه النياحة بصورة قبيحة ومنفرة ، ويكرره مرتين ليكون أبلغ في الردع والزجر ، فيحقق القناعة بالترك والإقلاع .

وأحسب أن هذه الصور التمثيلية التي استثار الرسول ﷺ بالسؤال عنها عاطفة المخاطب ورغباته وميوله، جعلت عملية التعليم متمركزة حول المتعلم ، فكانت طريقاً واسعاً لوصول المعنى إلى الذهن دون أدنى تكلف .

فهذه الأسئلة تحتوي مضامينها على تشبيهات تعنى بتربية الانفعال، وذلك بتوسيع دائرة تأثيره ، ونقله من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية

فالسؤال التمثيلي الذي يخاطب فيه رسول الله ﷺ ميول النفس الإنسانية ، ويستحضر في أذهانهم ما يصبون إليه ويتمنونه، بإثارة السؤال عن محبتهم له، و لم يرد ﷺ من هذا السؤال إجابة ، فالإجابة معلومة ، إنما أراد ﷺ استحضار هذه الصورة المحبوبة في أذهانهم وهي امتلاك ناقتين أو ثلاث ، أنفس ما يملكه العرب ، ليضم إليها صورة أخرى تتضمن سلوكاً عملياً ، فتقترن هذه بتلك في الذهن ، فيستثير مشاعر الرغبة والحماسة في العمل والأداء .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب البكاء على الميت ، (٢ / ٦٣٥ ، ح ٩٢٢) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم، (٦/٢٢٤)

كما أن قرنه ﷺ للسلوكيات الخاطئة بصور تثير انفعال الكراهية والاشمئزاز حيث تستقر هذه الصور، وترتبط بالسلوكيات ارتباطاً كلياً في الذهن ، يولّد دافعاً قوياً لتعديل السلوك بما يتناسب مع هذا التنفير فيربأ الإنسان بنفسه عن السلوك الدنيء ، وينهض بها إلى السلوك الأمثل .

ولاختيار المشبه به أثر كبير في إثارة الانفعال المناسب، فصورة تحويل الرأس إلى رأس حمار للمخالف إمامه في الصلاة، وصورة الفحل وهو يعض للذي عض أخيه المسلم ، وصورة استقبال الوجه بنخامة؛ للذي يبصق نخامته تلقاء وجهه في المسجد ، تصوير رائع ، وتشبيه معبّر ، يثير مشاعر الأنفة من الهبوط إلى هذا المستوى الحيواني المتدني .

وفي هذه الأحاديث يظهر جلياً أن أسئلته ﷺ تحمل أكثر من غرض، فهي أسئلة إنكارية اشتملت على صور تمثيلية منفّرة لتقريب المعنى للأذهان .

ويبدو لي أن الرسول ﷺ يستخدم صيغة الحب أو الرغبة أو الإرادة ، أيحب أحدكم ..؟ أتريدين ..؟ دون الخوف أو الخشية أو الرهبة في طرح السؤال التمثيلي للتنفير من الأمر، حيث لم ترد هذه الصيغة إلا في حديثٍ واحد من هذه الأحاديث ، أما يخشى أحدكم ..؟ إن في هذا دليل على أن منهج الرسول ﷺ هو استخدام الأسلوب الودّي والابتعاد عن الأسلوب التهديدي التخويفي في التعليم .

٧- عن مُسْتَوْرِد أَخِي بَنِي فِهْرٍ [١] قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إلا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ- وَأَشَارَ يَحْيَى [٢] بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟) [٣] .

---

(١) المستورد بن شداد بن عمرو بن محارب بن فهر القرشي ، نزيل الكوفة ، له ولأبيه صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، شهد فتح مصر ، واختلط بها ، ولأهل مصر عنه أحاديث ، توفي بالإسكندرية ، سنة ٤٥ هـ . (الإصابة ، ٣ / ٤٠٧) .

(٢) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي ، أبوسعيد البصري الأحول ،الحافظ من الطبقة الصغرى من الأتباع ، وهو إمام بلا مدافعة من أجلّ أصحاب مالك بالبصرة ، واحتج به الأئمة كلهم ، توفي بالبصرة ١٩٨ هـ . (التهذيب ، ٩ / ٢٣٤) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب ما الدنيا في الآخرة.. ، (٤/ ٢١٩٣ ، ح ٢٨٥٨) .

معنى الحديث :

هذا الحديث مثلٌ منه ﷺ لحقارة الدنيا وقلتها ، وهو نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ ، [النساء: من الآية٧٧] أي : " كل شيء يُتمتع به في الدنيا من أولها إلى آخرها قليل ، إذ لا بقاء له ولا صفو فيه ، وهذا بالنسبة إلى نفسها ، وأمّا بالنسبة إلى الآخرة فلا خطر ولا قدر للدنيا " [١].

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ التمثيلي : فلينظر بماذا يرجع ؟ ، ووجه هذا التمثيل: " أن القدر الذي يتعلق بالأصبع من ماء البحر لا قدر له ولا خطر وكذلك الدنيا بالنسبة للآخرة"،[٢]" وهو أوجه وأشبه بالتمثيل بما تكون به الإشارة" [٣]، "والحاصل أن الدنيا كالماء الذي يعلق في الأصبع من البحر والآخرة كسائر البحر.

كأنه ﷺ في هذا الحديث يستحقر تلك الحالة في مشاهدة السامع ، ثم يأمر بالتفكر والتأمل هل يرجع بشيء أم لا ؟ وهذا تمثيل على سبيل التقريب وإلا فأين المناسبة بين التناهي وغير التناهي ". [٤]

وقد بوّب عليه ابن حبان في صحيحه " ذكر الأخبار عن وصف قدر طول الدنيا ومدتها في جنب بقاء الآخرة وامتدادها "[٥]

لقد أَلِف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية ، وقد بلغت الحكمة النبوية غاية في روعة الوضوح و استكماله، وتقديم الأفكار أو المعاني بصورة مثل يُضرب لتجسيد تلك الأفكار، فهو وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان بعيداً غامضاً ، وعليه فإن التمثيل يساعد المربي على تقريب الأفكار المجردة بصورة محسوسة ملموسة يعرفها كل الناس أو أكثرهم على أقل تقدير .

---

(١) إكمال المعلم ، القاضي عياض ، (٨ / ٣٨٩) .
(٢) المفهم ، القرطبي ، (٧/١٢٦) .
(٣) إكمال المعلم ، القاضي عياض ، (٨ / ٣٨٩) .
(٤) شرح سنن ابن ماجة ، السيوطي ، (١/ ٣٠٢) .
(٥) صحيح ابن حبان ، (١٤ / ٢٩) .

ويزداد هذا الأثر التربوي للتمثيل النبوي حين يتخلل مراحله سؤال يُوجِه رغبة السامع في تحديد معالم الفكرة ، ليجعل التربية عملية ذاتية نابعة من أعماق المتعلم ، فالتصوير التمثيلي يُشبع حاسة البصر ، ويُوجد رؤية مجسدة ، ويدني الفكرة لتكون قاب قوسين أو أدنى[1].

وأحسب أن المتأمل في هذا الحديث يدرك تحقيق النبي ﷺ لأكثر من غرض من طرح هذا السؤال فقد :

- استخدم التمثيل بصورة قريبة ومحسوسة .
- وخاطب الحواس بقوله " فلينظر " .
- واستخدم الإشارة الحسية بيده التي يرتبط فيها المفهوم المجرد بشيء ملموس ، ليكتمل تجسيد هذا المعنى العظيم في الذهن – الذي يحدد نظرة المسلم لهذه الدنيا ، ويلعب دوراً في التأثير على سلوك الإنسان في الحياة اليومية – في أوجز عبارة ، وأبلغ أسلوب ، وأقرب مثال ، فصلوات ربي وسلامه عليه .

إن هذه التعبيرات النبوية التي استُخلصت معانيها من القريب المشاهد ، أثارت الخيال ، وولدت الصور ، وجمعت بين المختلفات، ومثَّلت الشيء بما هو أعظم منه في الاتصاف بالصفة ، فتضمنت محاسن التشبيه حققت كل ما تقصده من ترغيب أوتنفير ، وما أرادت أن تثبته للموصوف من مدح أوذم بصورة موجزة بليغة ، غنية عن التكرار وتعداد الأوصاف ، وهيئت النفوس للتلقي والقبول كالأرض الخصبة التي تختزن كل ما يسقى إليها ، فيزهو زرعها ، ويثمر شجرها .

والله إنها لمهارة فكرية ، وقدرة بلاغية ، وطلاقة لفظية ، كان صلوات ربي وسلامه علية قمة سامقة فيها ، فأسئلته التمثيلية كما يظهر لي حولت المجرد إلى محسوس مشاهد ، مما كان له أكبر الأثر في فهم الفكرة المقصودة ، وتقريب المعنى المنشود ، فقد أعطت صوراً تقريبية مستقاة من الواقع ، هدفها إزالة ما كان يكتنف الفكرة من بُعد عن متناول ذهن المتلقي وإدراكه ، إنه المربي المخلص ، والمعلم الناجح ، والأستاذ الذي لا يألوا جهداً في الشرح والتوضيح ، واستخدام كل وسيلة يمكن معها تجسيد الفكرة ، ومنحها التأثير المطلوب .

---

(١) انظر ، تربية الطفل في السنة النبوية محمد المنيف ، (٣٢) .

وهذا ما أكدت عليه العلوم التربوية الحديثة ، فهي تدعو إلى " تشجيع الطلاب على التفكير في شواهد جديدة للمفهوم ، بأن ينطوي التعلم على الانتقال من المفاهيم إلى الأمثلة أو الشواهد ، فيطرح المعلم أمثلته عن المفهوم ، لكي يتطور ويندمج في البنية المعرفية للمتعلم ، فتوليد أمثلة جديدة عن المفهوم تمكن المتعلم من استيعاب المفاهيم على نحو أفضل، كما تزوده بفرصة ترميز المعلومات وتسميعها ، وهي أمور ضرورية للاسترجاع والتذكر، وفي جميع الأحوال يجب تزويد المتعلمين بالتغذية الراجعة المناسبة ." (١)

فإذا لم يستطع المربي تمثيل فكرته بصورة واضحة بسيطة فعلى الأرجح أنها فكرة غامضة ، ومشوشة ، فالأفكار الجيدة الواضحة تترجم بسهولة إلى صور قوية تحفظ في الذاكرة ، فمن الصعب جداً أن يصنع لفكرته صوراً قوية تحفظ في الذاكرة ؛ إلا أنها مهارة يستطيع أن يتدرب عليها . (٢)

فالأسئلة التمثيلية ، طريقة تربوية ناجحة ، تثير كوامن الوجدان في المتعلم ، وتفسح المجال لتفكيره ،حتى يربّي على تكوين وإدراك العلاقات بين عناصر الحكم أو المقدمة ، ثم بين كل مقدمة وأخرى ، ثم بين المقدمات والنتائج إدراكاً مصحوباً بإثارة اهتمامه بالعواقب ، ليختار السلوك المؤدي إلى العواقب السليمة المحمودة ، ويتجنب كل ما يؤدي إلى العواقب الوخيمة، وهي طريقة ذات نتائج فعالة في حياة الفرد والجماعة ، ذات أثر عميق في النفس والسلوك ، وفي كيان المجتمع ، وتكوين علاقته . (٣)

وعليه فإن المتحدث الناجح ، والمحاور الذكي ، هو الذي يُحسن ضرب الأمثلة ، ويتخذها إما وسيلة لتقريب وجهة نظره من السامع وشرحها ، أو لإقناعه بفكرته ، وهي تفيد مع العالم كما تفيد مع من دونه ، وتؤثر على الكبير كما تؤثر على الصغير ، إن لهذه الأمثال دوراً لا يمكن تجاهله في التأثير وإقناع الطرف الآخر، ولهذا نجد الدعاة والخطباء يضربون

---

(١) علم النفس التربوي ، د. عبد المجيد نشواتي ، (٤٥٠).

(٢) انظر ، الإلقاء الناجح ، (٤٨) .

(٣) انظر ، التربية بضرب الأمثال ، عبد الرحمن النحلاوي ، (١٠) .

المثل للتأثير على المستمعين ، وإثارة انفعالاتهم النفسية ، واستمالتها إلى الخير ، كما أنها تربي العقل على التفكير الصحيح ، والقياس المنطقي السليم للوصول إلى النتيجة الأكيدة .[1] .

(١) انظر ، فنون الحوار والإقناع ، د. محمد ديماس ، (١٦٨) .

المبحث الثالث

أسئلة تنمية الذكاء وإعمال الطاقة العقلية

بعد البحث والدراسة في أحاديث الصحيحين يظهر لي أنه ﷺ بما يطرحه من أسئلة، ينمي المهارات العقلية التي ترتفع بمستوى الذكاء العقلي، من تصور، وتخيل، وملاحظة، وإدراك، وتخطيط، وتوقع، وكلها تعني: تقليب الأمور، والنظر إليها من وجوه مختلفة ومتعددة، وهو المعنى المقصود بالتدبر في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وتدبر الأمر يعني: ملاحقته وتتبعه من جميع الجهات لاكتشاف معانيه، والتعمق في البحث فيه، وعدم الوقوف عند المعاني السطحية الظاهرة فقط، وعلى صعيد التربية ينبغي تعويد المتربين على البحث عن المعنى، وعلى التفكير بطرق مختلفة، وعلى استخدام محاولات مختلفة، وتشجيعهم على توليد أفكار جديدة، كما ينبغي تشجيعهم على التفكير عن حدث ما بعبارات مختلفة وطرق مختلفة؛ لكي يتعودوا على الطلاقة الفكرية، والطلاقة اللفظية .

وبعد التأمل والنظر في هذه الأحاديث، وجدت أن أسئلته ﷺ فيها تعتني بتنمية جوانب عقلية متعددة ، وهي :

١- تنمية الخيال والتصور

٢- تنمية الإدراك وقوة الملاحظة

٣- تنمية القدرة على التخطيط والتوقع .

٤- تنمية القدرة على إعمال الفكر وشحذ الذهن .

٥- تنمية القدرة على المقارنة والتقييم .

المطلب الأول : تنمية القدرة على التخيل والتصور

مفهوم الخيال والتصور :

الخيال : هو قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات، بعد غيبوبة المـــادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها ، فهو خزانة الحس المشترك ، ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ ، والتصور: حصول صورة الشيء في العقل . (١)

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين ، وجدت ســتة أحاديــث ، أحسب أنه ﷺ ينمي بطرحها القدرة على تخيل الأمر وتصوره في الذهن :

١- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ؓ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّه ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنْ الْفِتْنَةِ؟ مَاذَا أُنْزِلَ مِنْ الْخَزَائِنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ؟ يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ) . (٢)

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ أوحى إليه في نومه ذاك بما سيقع بعده من الفتن، أو أن الملائكة أعلمته بـــالأمر المقدور، فاستيقظ رسول الله ﷺ من نومه وحذرهم من ذلك . (٣)

موضع الشاهد ودلالته:

طرح رسول الله ﷺ ثلاثة أسئلة متتالية، يتخيل ويتصور العقل من خلالها كثرة الفتن المقبلة فيدرك خطورة الأمر، وضرورة البعد عن مواطن الفتنة والتحصن بالذكر والصلاة :

١- سؤاله ﷺ : سبحان الله ماذا أُنزل الليلة .. ؟ استفهام متضمن معنى التعجب ، فيه تعظيم لله ، وتنزيهه بالتسبيح و استعظام الأمر، والمراد بالإنزال: أي ما أعظم الفتن التي قدر الله في هذه الليلة ظهورها في المستقبل القريب .

---

(١) انظر ، التعريفات ، (٦٨ – ١١٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شرمنه ، (٦ / ٢٥٩١ ، ح ٦٦٥٨) .

(٣) انظر ، فتح الباري ، (١/ ٣٠٩) منار القاري (١ / ٢١٠) ، وإرشاد الساري ، (١ / ٣١١) .

٢- سؤاله ﷺ :ماذا أنزل من الخزائن ؟ وما أعظم ما قدر الله أن فتح لهذه الأمة من خزائن الأرزاق، وكنوز الأموال التي تصل إليها عن طريق المغانم ، والفتوحات شرقاً وغرباً ..، فالفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال بأن يُتنافس به فيقع القتال بسببه ، وأن يَبخل به فيمنع الحق .

٣- سؤاله ﷺ : من يوقظ أصحاب الحجرات ؟ الحجرات منازل أزواجه، فأراد تحذير أزواجه من ذلك كله ، وكذا غيرهن ممن بلغه ذلك، وإنما خصهن بالإيقاظ لأنهن الحاضرات حينئذ أو من باب أبدا بنفسك ثم بمن تعول. (١)

وأحسب أنه ﷺ بسؤاله التعجبي عن كثرة الفتن وعن كثرة الخزائن، وسؤاله عمن يوقظ زوجاته، يطلق العنان للفكر أن يتخيل ويتصور كثرة وتلاحق ما ينتظرهم من الفتن ، وفي هذا تنمية وتقوية للملكة العقلية وهي الخيال والتصور الذهني .

وإننا والله لنعيش الآن في عصر الفتن المتلاحقة التي حدثنا عنها ﷺ ، وأمرنا فيها بالصلاح والإصلاح.

٢- عن أُسَامَةَ ﷺ قَالَ : (أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ (٢) مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ). (٣)

معنى الحديث :

يخبر ﷺ في هذا الحديث بوقوع الفتن، ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها ..والتشبيه لها بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي أنها كثيرة وتعم الناس، لا تختص بها طائفة، وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها، حيث جعل الموت خيراً

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١/ ٣٠٩) منار القاري (١ / ٢١٠) ، وإرشاد الساري ، (١ / ٣١١) .

(٢) الأطم : بضم الهمزة والطاء هو القصر والحصن ، وجمعه آطام ، وهي حصون تبنى في المدينة بالحجارة ، وآطام المدينة كثيرة ومشهورة تحدث عنها المؤرخون ، منها ما له اسم يعرف به مثل : الأغلب وخيط والموجا ، وهذه الأطم والمعالم التاريخية قد زالت كلها في زمن غابر ، ولم يبق أثر يدل على مواقعها إلا ما كتب المؤرخون في وصفها وتحديد أماكنها . معجم الأمكنة ، سعد جنيدل ، (٣٧) .

(٣) صحيح البخاري ، أبواب فضائل المدينة ، باب آطام المدينة ، (٢/ ٦٦٤ ، ح ١٧٧٩) .مسلم ، كتاب الفتن ، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٤ /٢٢١١ ، ح ٢٨٨٥) .

من مباشرتها، وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان ﷺ كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك .[1]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : هل ترون ما أرى ؟ وذلك حين نظر من فوق بناء مرتفع من أبنية المدينة[2]، سؤال عن رؤيتهم لما يرى من الفتن التي تتناثر من بين بيوتهم، ويبدو لي أن دلالة هذا الحديث تشبه دلالة الحديث الذي قبله.

٣-عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ أَوْ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ .)[3]

معنى الحديث :

بعد أن بين ﷺ أن يد الله حقيقة [4] في غاية الغنى ، وتحت قدرته ما لا نهاية له من الأرزاق لا ينقصها شيء، دائمة السح أي الصب والسيلان ؛كناية عن محل عطائه، ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها الاستقاء، وخص اليمين لأنها في الأكثر مظنة العطاء على طريق المجاز والاتساع .

- يجوز أن يكون ملآى، ولا يغيضها، وسحاء، و أرأيتم أخباراً مترادفة ليد الله .

- ويجوز أن تكون الثلاثة أوصافاً لملآى، ويجوز أن يكون أرأيتم استئنافاً فيه معنى الترقي، كأنه لما قيل ملآى أوهم جواز النقصان، فأزيل بقوله: لا يغيضها شيء ، وقد يمتلىء الشيء ولا يغيض، فقيل: سحاء إشارة إلى عدم الغيض، وقرنه بما يدل على الاستمرار من ذكر

(١) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٦٩٧) ، النووي شرح صحيح مسلم ، (٨ / ١٨) .

(٢) هذا معنى كلمة : أشرف، انظر، عمدة القاري ، ١٣ / ١٥) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (هود:٧) ، (٦ / ٢٦٩٩ ، ح ٦٩٨٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال ، (٢ / ٦٩١ ، ح ٩٩٣).

(٤) ولا يجوز تفسيرها بالقدرة كما قالت القدرية ؛لأن قوله وبيده الأخرى ينافي ذلك لأنه يلزم إثبات قدرتين، وكذا لا يجوز أن تفسر بالنعمة لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق مثله ؛ لأن النعم كلها مخلوقة ، وأبعد من هذا أيضاً من فسرها بالخزائن . عمدة القاري ، (٢٥/١٠٦) .

الليل والنهار، ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خاف على ذي بصر وبصيرة، بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله: أرأيتم ؟ على تطاول المدة، لأنه خطاب عام عظيم ، أما مناسبة ذكر العرش هنا ليستطلع السامع من قوله خلق السموات والأرض ما كان قبل ذلك ، فذكر ما يدل على أن عرشه قبل السموات والأرض كان على الماء ، يخفض ويرفع أي يخفض الميزان ويرفعه، والميزان هنا مَثَل، وإنما هو القسمة بين الخلائق يبسط الرزق على من يشاء ويقتر كما يصنعه الوزان عند الوزن يرفع مرة ويخفض . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أرأيتم ما أنفق منذ أن خلق السموات والأرض ؟ يبدو لي أنه ﷺ بسؤاله هذا ينمي القدرة على التخيل والتصور؛ وإن كان العقل قاصراً عن الإحاطة بذلك، لكن له أن يتصور عظمة الله، وسعة رزقه، وإنفاقه منذ أن خلق السموات والأرض؛ ليعلم أنها لم تنقص من ملكه شيء.

٤- عن عَبْد اللَّه بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ : (صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ؟ فَوَهِلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا تَخْرِمُ ذَلِكَ الْقَرْنَ) . (٢)

معنى الحديث :

يبين الرسول ﷺ لأصحابه أن كل من كان تلك الليلة على الأرض لا يعيش بعدها أكثر من مائة سنة، سواء قل عمره بعد ذلك أو لا، وليس فيه نفي عيش أحد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ولكنه ﷺ أراد في هذا الحديث أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم، وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة (٣).

---

(١) انظر ، فتح الباري (٣ / ٨٥٥) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٨٠/٧) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب السمر والفقه بعد العشاء ، (١/ ٢١٦ ، ح ١١٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قوله ﷺ لا تأتي مائة سنة ..، (٤ / ١٩٦٥ ، ح ٢٥٣٧).

(٣) انظر ، فتح الباري (١ / ٣٠٩) ، عمدة القاري ، (٥ / ٦٢) ،ومنار القاري ، (٢ / ١٠١) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أرأيتكم ليلتكم هذه ...؟ : الهمزة الأولى للاستفهام ، أي لقد أبصرتم هذه الليلة التي نعيشها الآن ، فاضبطوا تاريخها فإنها لا تمضي مائة سنة بعدها إلا وينقرض هذا الجيل الموجود من الصحابة، وهذا استفهام لا يحتاج إلى جواب، لأنه جار على غير حقيقته ، لكن السامعين لم يفهموا المعنى المراد، وشت كل واحد منهم في واد بعيد عن المعنى المراد، وأصاب ابن عمر ، ووفق لفهم المعنى المراد . (١)

وأحسب أنه ﷺ بهذا السؤال الذي يجذب فيه انتباههم ؛ يطلق العنان للذهن في التخيل والتصور، فتقوى عندهم هذه الملكة العقلية، حتى أن أذهانهم تخيلت وتصورت انقضاء هذا الجيل ابتداء من ليلتهم وحتى مائة سنة ، فذهلت أذهانهم من هذا الخيال .

٥- عن بُرَيْدَةَ (٢) ﷺ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: حُرْمَةُ نسَاءِ الْمُجَاهدينَ عَلَى الْقَاعدينَ كَحُرْمَة أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْقَاعِدينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنْ الْمُجَاهدينَ في أَهْله فَيَخُونُهُ فيهِمْ إلا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ.. ؟). (٣)

معنى الحديث :

يعظم ﷺ حرمة نساء المجاهدين على القاعدين وذلك في شيئين أحدهما : تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم، وخلوة وحديث محرم وغير ذلك، والثاني: في برهن والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها (٤).

وأن المخون في أهله إذا مكّن من أخذ حسنات الخائن لم يبق له منها شيئاً؛ فمصيره إلى النار، وظهر من هذا الحديث أن خيانة الغازي في أهله أعظم من كل خيانة ، لأن ما عداها لا يخير في أخذ كل الحسنات، وإنما يأخذ بكل خيانة قدراً معلوماً من حسنات الخائن. (٥)

---

(١) انظر ، فتح الباري (١ / ٣٠٩) ، عمدة القاري ، (٥ / ٦٢) ،ومنار القاري ، (٢ / ١٠١) .

(٢) بريدة بن الحَصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي ، أسلم حين مر النبي ﷺ مهاجراً بالغميم ، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأحد ، غزا مع رسول الله ﷺ ستة عشر غزوة ، مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ . (الإصابة ، ١ / ١٤٦) ، (التهذيب ، ١ / ٤٥٢) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيها ، (٣ / ١٥٠٨ ، ح ١٨٩٧) .

(٤) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣/ ٤١) .

(٥) انظر ، المفهم ، (٣ / ٧٣٢).

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : فما ظنكم.. ؟ فما استفهامية .. والمراد : "فما ظنكم بمن أحله الله بهذه المنزلة وخصه بهذه الفضيلة ؟ بما يكون وراء ذلك من الكرامة ، أو فما تظنون في ارتكاب هذه الجريمة العظيمة ؟ هل تتركون معها؟ أو ينتقم منكم ؟ ويلزم من هذا تعظيم شأن المجاهدين، أو ما تظنون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في ذلك المقام؛ أي لا يبقي منها شيئاً إن أمكنه والله أعلم" . (١)

يظهر لي أنه ﷺ بسؤاله هذا : ما ظنكم ؟ في آخر الحديث يطلق العنان لتصور موقف هذا الخائن وشدة إفلاسه في هذا اليوم العظيم ما يغني عن أي شرح أو توضيح ، أي أترك تصور هذه النتيجة لخيالكم، وأنه من أقوى الأسئلة في هذا المجال حيث لا يعقبه توضيح يحدّ من عملية التخيل والتصور .

٦- عن الْبَرَاء (٢)رضي الله عنه يَقُولُ (أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا أَوْ أَلْيَنُ). (٣)

معنى الحديث :

خاف ﷺ على الصحابة حين رآهم يتعجبون من جمال ولين حلة الحرير، أن يميلوا بذلك إلى الدنيا ويستحسنوها، فزهدهم عنها، ورغبهم في الآخرة، فبيَّن لهم أن أدنى ثياب سعد رضي الله عنه في الجنة وهي المناديل خير من الحلة التي تعجبوا منها، لأن المنديل أدنى الثياب؛ فهو معد للوسخ والامتهان، فغيره أفضل منه. (٤)

---

(١) فيض القدير ، (٣ / ٣٨١).

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، يكنى بأبي عمارة ، ويقال : أبو الطفيل المدني ، له ولأبيه صحبة ، وهو الذي افتتح الري ، وشهد معركة الجمل وصفين وقتال الخوارج ، ونزل الكوفة ، ومات سنة ٧٢ هـ . (الإصابة ، ١/ ١٤٢) ، (التهذيب ، ١ / ٤٤١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب مناقب سعد ، (٣ / ١٣٨٣ ، ح٣٥٩١) ، صحيح مسلم ، باب فضائل سعد ، (١٩١٦/٤، ح ٢٤٦٨) .

(٤) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٦ / ٢٣) ، حاشية السندي ، (٨ / ١٩٩).

موضع الشاهد ودلالته :

حين أثارت الحلة إعجاب الصحابة رضي الله عنهم فجعلوا ينظرون إلى لينها ويتعجبون منها، إذ ما سبق لهم عهد بمثلها، طرح ﷺ عليهم سؤالاً : أتعجبون من لين هذه ..؟ وضرب المثل بالمناديل لأنها ليست من علية الثياب، بل هي تتبدل في أنواع من المرافق يتمسح بها الأيدي وينفض بها الغبار عن البدن، ويعطى بها ما يهدى وتتخذ لفائف للثياب فصار سبيلها سبيل الخادم، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم، فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بعليتها؟ ، قال تعالى: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾" [السجدة:١٧] .(١)

أحسب أنه سؤال استثار به ﷺ الخيال لينطلق في تصور جمال وليونة مناديل أهل الجنة، والبون الشاسع بينها وبين هذه الحلة الجميلة .

وهكذا ينبغي أن نتعود على طرح الأسئلة العميقة التي توسع خيال التلاميذ، وتنمي فيهم مهارات التفكير العليا (٢) .

يظهر لي تنويع الرسول ﷺ في موقع طرح السؤال، فالغالب طرحه في أول الحديث، وأحياناً في وسطه، وقليلٌ طرحه في آخره، وهذا من العوامل التي يسّرت حفظ الحديث النبوي في الصدور منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا .

---

(١) انظر، عمدة القاري ، (١٣ /١٧٠) .

(٢) انظر ، العادات العقلية ، د. إبراهيم الحارثي ، (٨٣) .

المطلب الثاني
تنمية الإدراك ودقة الملاحظة

مفهوم الإدراك :

" هو الإحاطة بالشيء بكماله، وهو حصول الصورة عند النفس الناطقة، وتمثيل حقيقة الشيء وحده، من غير حكم عليه بنفي أو إثبات، ويسمى تصوراً، ومع الحكم بأحدهما يسمى تصديقا "(١) .

وبعد البحث في أحاديث الصحيحين وجدت ثلاثة أحاديث، طرح فيها ﷺ أسئلة على الصحابة أحسب أنها تنمي قدرتهم على الإدراك، وحضور البديهة، والدقة في الملاحظة :

١- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : (أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا، يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: يَا عَبَّاسُ أَلا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ رَاجَعْتِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ قَالَتْ: لاحَاجَةَ لِي فِيهِ) . (٢)

معنى الحديث :

إنه خبر عجيب، يحمل لنا إيقاعاً من عواطف متباينة .. يعترف بها الرسول ﷺ ويقدرها، فهو مشفق على مغيث، مهتم بأمره، محترم حبه لبريرة، متألم لحزنه الشديد على فراقها، ويحاول أن يجد له حلاً ومخرجاً، وبريرة كارهة لمغيث راغبة عنه، فيطلب منها أن ترجع له، طلباً فيه استعطاف لا يحمل معنى الأمر، ومع هذا سألت بريرة استيثاقاً وتأكداً إن كان هذا الطلب أمراً فلن ترد أمر رسول الله ولو كان ثقيلاً على نفسها ، وحين علمت أنه شفاعة رفضت شفاعة النبي ﷺ في مغيث، وهنا يقدم لنا المصطفى الحبيب نموذجاً رائعاً في احترام الإرادة والمشاعر، فلم يلمها بل تركها وشأنها .

---

(١) التعريفات ، (٢٥).

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الطلاق ، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ، (٥ / ٢٠٢٣ ، ح ٤٩٧٩) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ لابن عباس : ألا تعجب من حب مغيث بريرة ..؟ فيه تنبيه الصاحب صاحبه على الاعتبار بآيات الله وأحكامه لإثارة النبي ﷺ تعجب العباس من حب مغيث بريرة، وأن نظره ﷺ كان كله بحضور وفكر، وأن كل ما خالف العادة يتعجب منه ، ويعتبر به؛ لأنه الغالب في العادة أن المحب لا يكون إلا محبوباً، وبالعكس ،[١] فلما كان حب مغيث بريرة وتخدمه لها ، وبكاؤه عليها، ومشيه خلفها، وذلك كله مما تستمال به النفوس، لا تزيد فيه بذلك إلا بغضاً، كان موضعاً للتعجب والاعتبار في قدرة الله تعالى .[٢]

يبدو لي والله أعلم أن هذا السؤال فيه توسيع لمدارك المتعلمين، يقوي به ﷺ دقة الملاحظة، والتفريق بين المتناقضات، ويثير روح التأمل في الحدث وتقليبه في الذهن وإدراك غرابته .

٢-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ ؟ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا ، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ) .[٣]

وفي رواية : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي لَعْنَ قُرَيْشٍ وَشَتْمَهُمْ ..؟) .[٤]

معنى الحديث :

لقد كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولوا: مذمم، ومذمم ليس باسمه ، ولا يعرف به ، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره، ولذا قال ﷺ :وأنا اسمي محمد كثير الخصال الحميدة.[٥]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ " ألا تعجبون كيف يصرف الله ..؟ : كلمة ألا للتنبيه، وأحسب أنه ﷺ بهذين السؤالين السابقين : ألا تعجبون كيف ...؟ ألم تروا كيف يصرف ..؟ يثير التعجب الذهني من الأمر المستغرب، والتعجب عملية ذهنية تتبع التدبر، والملاحظة الجيدة للأمر .

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢٠ / ٢٦٨) .

(٢) انظر ، بهجة النفوس ، (٢ / ١١٩١).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء الرسول ﷺ ، (٣ / ١٢٩٩ ، ح ٣٣٤٠) .

(٤) مسند أحمد ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (٢/٣٤٠ ، ح ٨٤٥٩) .

(٥) انظر، فتح الباري ، (٢ / ٣٦٩) ، عمدة القاري ، (١٦ / ٩٧) .

٣- عن أَنَس بْنَ مَالك قال : (مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: وَعَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا نَقْتُلُهُ ؟ قَالَ: لا إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ).(١)

معنى الحديث :

هذا الحديث فيما إذا عرض الذمي وغيره ؛ نحو المعاهد ومن يظهر الإسلام ؛ بسب النبي ﷺ أي بتنقيصه ولكن لم يصرح، بل بالتعريض نحو قوله السام عليك وهو الموت عليك ، يرد عليه بـ " وعليكم " . (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أتدرون ما يقول ؟ فيما يبدو لي أنه ﷺ بهذا السؤال يستثير انتباه الصحابة، ويدعوهم لدقة الملاحظة والتمييز، حيث لم ينتبهوا لما قاله هذا اليهودي ، ولم يميزوا بينه وبين تحية الإسلام .

إن تنمية التفكير الإبداعي عند المتربين لا يقتصر على تنمية مهاراقم وزيادة إنتاجهم، وإنما يشمل أيضاً تنمية درجة الوعي عندهم، وتنمية إدراكهم، وتوسيع مداركهم وتصوراقم ، وتنمية خيالهم ، وتنمية شعورهم بقدراقم وبأنفسهم. (٣)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ، (٦ / ٢٥٣٨ ، ح ٦٥٣٧).

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢٤ / ٨٢) .

(٣) انظر، تعليم التفكير ، د. إبراهيم الحارثي ، (٥٥) .

المطلب الثالث

تنمية القدرة على التخطيط والتوقع

مما لا شك فيه أننا نحتاج إلى تربية تخطيطية توقعية، يواجه بها الفرد والمجتمع ما يمكن أن يحدث في المستقبل، فهي تولد لدى الفرد مناعة ضد الارتجالية .

وبعد البحث والدراسة في أحاديث الصحيحين وجدت ثلاثة أحاديث أحسب أن سؤاله ﷺ فيها يقوي القدرة العقلية على توقع ما سيحدث، وتخطيط العمل لأمر معين:

١- عن أبي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ؟) . (١)

معنى الحديث:

" كيف حالكم إذا نزل فيكم عيسى ابن مريم في آخر الزمان، وأنتم تصلون، وإمامكم في الصلاة هو أميركم المهدي فيصلي عيسى ؑ خلف إمامكم، ويكون تابعاً لملتكم حاكماً بشريعتكم ." (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم ...؟ " وهذا استفهام عن حال من يكونون أحياء عند نزول عيسى، كيف يكون سرورهم بلقاء هذا النبي الكريم، وكيف يكون فخر هذه الأمة وعيسى روح الله يصلي وراء إمامهم . " (٣)

يبدو لي أنه ﷺ بهذا السؤال يعرض فيه الموقف، ويترك للذهن أن يتوقع النتيجة .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، (١٢٧٢/٣، ح٣٢٦٤)، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حاكماً بشريعة نبينا، (١٣٦/١، ح ١٥٥).

(٢) منار القاري ، (٤ / ٢١٠) .

(٣) فيض القدير ، (٥ / ٥٨) .

٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَضَرَبَ فَخِذِي - : كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي قَوْمٍ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ قَالَ: مَا تَأْمُرُ ؟ قَالَ: صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا ، ثُمَّ اذْهَبْ لِحَاجَتِكَ فَإِنْ أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ وَأَنْتَ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلِّ) . (١)

معنى الحديث :

يحث النبي ﷺ أبا ذر ﷺ على الصلاة أول الوقت، و أن الإمام إذا أخَّرها عن أول وقتها يستحب للمأموم أن يصليها في أول الوقت منفرداً، ثم يصليها مع الإمام، فيجمع فضيلتي أول الوقت والجماعة (٢).

وبوب عليه ابن حبان في صحيحه " باب ذكر ما يجب على المرء عند تأخير الأمراء الصلاة عن أوقاتها " (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة ؟ إنه سؤال تعليمي فردي ، يدرب فيه ذهن أبي ذر على الرؤية المستقبلية ، وتوقع الأمر ثم التخطيط لمواجهته .

الدلالة التربوية:

قدَّم الرسول ﷺ على السؤال مثيراً وهو: ضرب فخذ أبي ذر ﷺ " للتنبيه وجمع الذهن على ما يقوله له " (٤) ، ويبدو لي أنه أحدث به اقتران شرطي - وهو أسلوب من أساليب التعلّم الحديثة - بحيث تقترن هذه المعلومة بهذه الضربة التي تحمل معنى القوة في مجاهدة النفس وتأديبها ؛ فتكون المعلومة أكثر بقاءً ورسوخاً في الذهن .

---

(١) سبق تخريجه في التمهيد، (٣٠).

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٥ / ١٤٨) .

(٣) صحيح ابن حبان ، (٣٤٦/٤) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٥ / ١٤٨) .

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ : (عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْف ﷺ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ). (١)

معنى الحديث :

إخبار النبي ﷺ للمؤمنين بأهم لا يبقون على تلك الحال من الزهد في الدنيا، وعدم التنافس عليها إذا فتحت لهم الدنيا، وأنها تتغير بهم، فيتسابقون إلى أخذ الدنيا ثم يتحاسدون ، فيكون الخلاف والقتال، وأن مساكين المهاجرين وضعفتهم ستفتح عليهم إذ ذاك الدنيا ، حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض . (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: أي قوم أنتم ؟ : أي على أي حال تكونون ؟ هذا استفهام يشوبه إخبار منه ﷺ عن أمر قبل وقوعه، وقع على نحو ما أخبر عنه ، فكان ذلك من أدلة صحة نبوته ورسالته فكأنه قال: أتبقون على ما أنتم عليه، أو تتغير بكم الحال؟ وقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ: نقول كما أمرنا ، هذا إخبار منهم عما يقتضيه حالهم في ذلك الوقت .

أحسب أنه ﷺ بهذا السؤال: إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ ينمي قدرة الذهن على توقع الأمر، والتخطيط لمواجهته، وطريقة التعامل معه .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب (٤ / ٢٢٧٤ ، ح ٢٩٦٢).

(٢) انظر ، المفهم ، (٧ / ١١٥).

فيما يبدو لي أن أسئلته ﷺ في هذا الأحاديث لدليل على تنميته ﷺ للتفكير الجيد ، والتخطيط السليم ، في حالة ما يستجد من أمور ومواقف تعرض في حياة المسلم .

فمن الفعاليات المهمة التي تساعد على نمو مهارات التفكير : تشجيع التفكير الحدسي والتوقع ، وتقديم الأسئلة المثيرة لاختبار المعلومات بطرق جديدة .[1]

(١) انظر ، تنمية مهارات التفكير ، د. محمود علي ، (١٣٩).

المطلب الرابع
تنمية القدرة على إعمال الفكر وشحذ الذهن

التفكير :

هو إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها " (١) ، فالتفكير من النعم العظيمة التي أكرم الله بها بني آدم ، وفضلهم بها على غيرهم ، قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك:٢٣] .

ففي هذه الآية يمتن الله بهذه القوى الثلاث" السمع والبصر والقلب " التي هي أكمل القوى الجسمانية؛ وبواسطتها يتم الإدراك، ويتحقق التأمل والتفكر، وإلا عاش الإنسان عيشة بهيمية، ولذا فإن الإسلام يحترم الطاقة العقلية ويشجعها، ويدعو إلى التفكير، ويوجه الاهتمام به، بل إن التفكير يعتبر فريضة إسلامية . (٢)

وأحسب أنه ﷺ قد أولى هذا الجانب عنايته واهتمامه، فبعد البحث والدراسة لأسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، وجدت سبعة أحاديث يبدو لي أنه ﷺ يشحذ فيها ذهن المخاطب، ويُعمِل تفكيره، تجاه قضية أو مشكلة ليتوصل إلى حلها .

١- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا:حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :هِيَ النَّخْلَةُ .) (٣)

معنى الحديث :

تشبيه الرسول ﷺ المسلم بالنخلة، فالمسلم هو المشبه والنخلة هي المشبه بها، وأما وجه الشبه هو: كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجودها على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها

(١) تنمية مهارات التفكير ، د. محمود علي ، (٢٣) .

(٢) انظر ، الإقناع في التربية الإسلامية ، د. سالم بن سعيد بن جبار ، (٢٢٧).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الفهم في العلم ، (١ /٣٩، ح ٧٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، (٤ / ٢١٦٤ ، ح٢٨١١) .

وأغصانها فيستعمل جذوعاً وحطباً وعصياً وحصراً وحبالاً وأواني، وغير ذلك مما ينتفع به من أجزائها، ثم آخرها نواها ينتفع به علفاً للإبل وغيره، ثم جمال نباتها وحسن ثمرتها، وهي كلها منافع وخير وجمال، وكذلك المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه ومواظبته على صلاته وصيامه وذكره والصدقة وسائر الطاعات .[1]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ إن من الشجر .. فحدثوني ما هي ؟ سؤال يطرحه ﷺ على أصحابه ليختبر أفهامهم ، ويمتحن أذهانهم، ويرغبهم في الفكر والاعتناء ، مع بيانه لهم إن لم يفهموه [2] .

الدلالات التربوية:

١- استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه، و ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام وتصوير المعاني ؛ لترسخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة[3] ، وقد بوب عليه البخاري"باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم"[4].

٢- أن الفهم قدر زائد على العلم الذي هو مطلق الإدراك، لأنه•قوة ذهنية يتوصل بها إلى استنباط الأشياء الدقيقة التي قد يصل إليها الفهم ، ولا يصل إليها العلم ، كما استنبط ابن عمر من قرينة الجمار الذي أهدي إلى النبي ﷺ أن الشجرة المسئول عنها هي النخلة؛ لأن النبي ﷺ إنما طرح هذا السؤال بعد إهدائه الجمار الذي هو رأس النخلة فدل على أنها هي ، وفيه مشروعية الحوار والنقاش العلمي ، وتشبيه الأشياء بنظائرها تحريكاً لعقول الطلبة، ولذا بوب البخاري الحديث في" باب الفهم في العلم ".[5] " ومناسبة الحديث لترجمة " باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" أن ابن عمر لما ذكر النبي ﷺ المسألة عند إحضار الجمار إليهم [6] ، فهم أن المسئول عنه النخلة ، فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها الكلام ما يقترن به من قول أو فعل ". [7]

---

(١) انظر ، عمدة القاري، (١٤/٢).

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧ / ١٢٧) ، وتحفة الأحوذي ، (٨ / ١٣٦) .

(٣) انظر، فتح الباري (١ / ٢٨١) .

(٤) صحيح البخاري، (٣٤/١).

(٥) انظر ، منار القاري ، (١ / ١٧٤ – ١٩٠).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، (٢٠٧٥/٥، ح٥١٢٩).والجمار بضم الجيم وتشديد الميم هو الذي يؤكل من قلب النخل يكون ليناً، شرح النووي على صحيح مسلم، (١٥٥/١٧).

(٧) فتح الباري (٢٨١/١) .

٣- "إن الملغَز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن الملغِز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغَز باباً يدخل منه، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه، وامتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه". (١)

" فالمقصود من هذا الاختبار جودة الخواطر، وحدة القرائح، فإذا جاوب بما يصلح في ذلك سر به السائل " . (٢)

٤- طرح السؤال المحرك للأذهان، والمثير للأفكار، والظاهر أن سؤاله ﷺ من هذا النوع حتى" وقع الناس في شجر البوادي أي ذهبت أفكارهم إلى شجر البوادي، وذهلوا عن النخلة فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع يقال وقع الطائر على الشجرة إذا نزل عليها، فقال عبد الله به عمر رضي الله عنهما كما في روايات الحديث في الصحيحين: (فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم) ، وفي رواية : (فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم)، وفي رواية : (ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم) ." (٣)

وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة " لا تعط أفكارك للناس فحسب، قدم لهم لغزاً، واتركهم يحاولون حله، أوح لهم بأن لديك الجواب، ودعهم يطلبونه، عندما تسأل سؤالاً أعط الناس الوقت الكافي ليفكروا في الإجابة ." (٤)

٥- أن الرجل يباح له الحرص على ظهور ابنه في العلم على الشيوخ وسروره بذلك، وقيل: إنما تمنى ذلك رجاء أن يسر النبي ﷺ بإصابته فيدعو له، وفيه أن الابن الموفق العالم أفضل مكاسب الدنيا؛ لقول عمر ؓ: " لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا "، فتأسف عمر على كون ابنه لم يقل ذلك لتظهر فضيلته ، فاستلزم حياء ابن عمر ؓ تفويت ذلك، وكان يمكنه إذا استحيى إجلالاً لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك لغيره سراً ليخبر به عنه، فجمع بين المصلحتين ، ولهذا عقبه المصنف بباب من استحيا فأمر غيره بالسؤال. (٥)

---

(١) فتح الباري (١ /٦ ٢٨) .

(٢) بهجة النفوس ، (٢ / ١٢٣٧) .

(٣) عمدة القاري (٢/ ١٤) .

(٤) الإلقاء الناجح ،(١٠٨).

(٥) انظر ، فتح الباري (١ / ٣١٧) ، وعمدة القاري (٢ / ٢١٣).

إنما التربية النفسية السليمة للطفل التي تدربه على التحرر من الخوف والخجل، والجرأة والشجاعة في القول، ومقاومة ظاهرة الخجل وظاهرة الشعور بالنقص، إن التشجيع الحسي أو المعنوي عنصر ضروري من عناصر التربية لاغنى عنه، ولكن بدون إفراط، فيجب أن يكون في حدود معينة إذا تجاوزها فإنه يتحول إلى عنصر مفسد، وله دور كبير في نفس الطفل، وفي تقدم حركته الإيجابية البنَّاءة، وفي كشف طاقاته الحيوية، وأنواع هواياته ، كما أنه يزيد في استمرارية العمل ودفعه قدماً نحو الأمام بمردود جيد ، فليكن شعارنا : " قل يا بني ولا تحقر نفسك"، " ما منعك أن تقولها ؟" وذلك حتى نستطيع تشجيع الطفل، ومن ثم دفعه إلى الأمام بمردود جيد ، وكشف طاقاته .[1]

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، قَالَ: إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ، قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ) .[2]

معنى الحديث :

يبيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أنواع الشهداء في الإسلام، وهم: من جاهد الأعداء ، وقتل في ساحة الجهاد، ومن وُجد مع الجيش في ميدان الحرب ولكن توفي بلا قتال ونزال ، ومن مات في مرض عام كالطاعون، ومن مات من مرض في بطنه، ومن مات غرقاً كما في روايات أخرى، وهؤلاء ينالون ثواباً عظيماً من الله على ما نُكبوا به فصبروا على تحمله، والمقتول في سبيل الله هو أعلى أنواع الشهداء، أما الشهداء الآخرون فهم شهداء في الآخرة لا في أحكام الدنيا، ومع ذلك فإنهم لا يساوون الذين قتلوا في سبيل الله، ولكنهم شهداء، ولكل درجات مما عملوا.[3]

---

(١) انظر ، الانصات الانعكاسي ، (٤٨) .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الإمارة ، باب بيان الشهداء ، (٣ / ١٥٢١ ، ح ١٩١٥).

(٣) انظر ، رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (٢ / ١٤٥٦) .

موضع الشاهد ودلالته :

يبدو لي أن هذا الحديث يقدم لنا نموذجاً رائعاً في اهتمام الرسول ﷺ بإعمال فكر الصحابة وشحذ أذهانهم، وذلك حين:

١- طرح السؤال عن حقيقة الشهيد / ما تعدون الشهيد فيكم ..؟ .

٢- طرح نتيجة إجابتهم الناقصة، فلم يكملها أو يصححها لهم، بل قال :" إذن شهداء أمتي قليل" ليتبينوا نقصانها أو خطئها، فيُعمل الفكر مرة ثانية ليبحث عن موطن الخطأ .

ما أعظمك يارسول الله وما أحسن تعليمك !!

واعتقد أن هذا الأسلوب من الأساليب المهمة التي ينبغي الالتزام باستخدامها على صعيد التربية والتعليم، وفي جميع المستويات: عرض نتيجة الإجابة الخاطئة أو الناقصة حتى يتبين المسئول وجه خطئه قبل تقديم الإجابة الصحيحة، فالمعلومة لا تقدم دائماً على أطباق من ذهب ، بل على المتعلم البحث والتفكير عنها .

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا الَّذِي لا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ ، قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) . [١]

معنى الحديث :

يبين ﷺ لصحابته خطأ اعتقادهم أن الرقوب المحزون؛ هو المصاب بموت أولاده [٢] ، وليس هو كذلك شرعاً ، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه، يكتب له ثواب مصيبته به ، وثواب صبره عليه، ويكون له فرطاً وسلفاً، واعتقاد أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل؛ هو القوي الذي لا يصرعه الرجال، بل يصرعهم [٣]، وليس هو كذلك شرعاً، بل هو من يملك نفسه عند الغضب، فهذا هو الفاضل الممدوح، الذي قلَّ من يقدر على

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ،باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب ، (٤ / ٢٠١٤ ، ح ٢٩٠٨).

(٢) هذا معنى كلمة الرقوب ، وأصل الرقوب في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد . (النهاية ، ٢٤٩/٢) .

(٣) هذا معنى كلمة الصرعة ، كما ورد في ، (النهاية ، ٣ / ٢٣) .

التخلق بخلقه، ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول " [١] ، " فلما كان الرقوب عندهم ذا مصيبة لفقد بنيه، كثير الأسف على ذلك؛ أعلمهم ﷺ أن الذي أصيب بفقدهم في الآخرة هو المصاب حقيقة، فكأنه قال: ليس الرقوب بالحقيقة ولا الصرعة بالحقيقة من ذكرهم ، لكنه هذان الآخران، وذلك لما فقده في أخراه، وهذا لما ملك نفسه وصرعها عند غضبه ، ولم ينف اسم اللغة عن المسميين" . [٢]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ: ما تعدون الرقوب فيكم؟ يبدو لي أنه ﷺ يطرح سؤالاً، وهو يعلم أن إجابتهم ستأتي وفق قدراتهم الناقصة في موضوع الجواب الذي يريد شرحه لهم، ثم يعرض عليهم الجواب الصحيح بعد أخذ جوابهم،[٣] وفي هذا تحريك للعقول، وشحذ للأفكار، وتواردها في الذهن، ولفت الانتباه لصفة المحزون الحقيقي والصرعة الحقيقية.

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) .[٤]

معنى الحديث :

في الحديث إخبار بشدة إفلاس من يتطاول على حقوق العباد وينال منها بقول أو فعل يوم القيامة .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أتدرون ما المفلس؟ يبدو لي أن دلالة الشاهد في هذا الحديث كالحديث السابق.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٩ / ١٣٣) .

(٢) الإكمال شرح صحيح مسلم، (٨ / ٨٣).

(٣) التربية بالحوار ، النحلاوي ، (١٢٧) .

(٤) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، (٤ / ١٩٩٧ ، ح ٢٥٨١).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) . (١)

معنى الحديث:

يبين النبي ﷺ الفرق بين الغيبة والبهتان.

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أتدرون ما الغيبة ؟ يبدو لي أن دلالة الشاهد في هذا الحديث كالحديث السابق.

كما يبدو لي أن جميع أسئلته التي يشحذ فيها العقل للتفكير، بدأ بها حديثه ﷺ ، وهذا الأسلوب هو " أسلوب العصف الذهني " أو التفاكر الذي احتل مكاناً كبيراً من الأهمية على الساحة التربوية ، ونفذت فيه الدورات لتدريب المعلمين والمربين على استخدامه باعتباره طريقة جديدة للتفكير الابتكاري ، وهو من استراتيجيات استثارة دافعية التعليم ، والتهيئة الحافزة عند بدء الحصة . (٢)

ويعتبر أسلوب العصف الذهني من الأساليب الشائعة لتوليد الأفكار الإبداعية، وتقوم فلسفة العصف الذهني على مبدأين :

١- تأجيل الحكم على الأفكار: ذلك لأن إحساس المشارك بأن أفكاره ستكون موضعاً للنقد منذ ظهورها يكون عاملاً كافياً عن إصدار أفكار أخرى ، كما يساعد تأجيل الحكم أيضاً على وضوح خصائص الفكرة المطروحة من خلال الحوار الحر غير الناقد الذي يبني على الفكرة أو على جزء فيها، والترحيب بكل الأفكار مهما يكن نوعها أو مستواها ، ما دامت متصلة بالمشكلة موضع الاهتمام ، والهدف من ذلك هو مساعدة الفرد أو الجماعة على أن يكون أكثر

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الغيبة ، (٤ / ٢٠٠١ ، ح ٢٥٨٩).

(٢) انظر ، دافعية الإنجاز ، (٤٦) .

استرخاء وأقل تحفظاً ؛ وبالتالي أعلى كفاءة في توظيف قدراته على التخيل ، وتوليد الأفكار في ظل ظروف التحرر الكامل من ضغوط النقد والتقويم .

٢- الكم يولد الكيف : يهتم الباحثون بالكم في جلسات العصف الذهني ؛ لأن الكم يؤدي إلى تنوع الأفكار، فكلما زاد عدد الأفكار المقترحة ، كلما زاد احتمال بلوغ قدر أكبر من الأفكار الإبداعية ، فإثارة حماس المشاركين في جلسات العصف الذهني يساعد على البناء على أفكار الآخرين وتطويرها . (١)

٦- عن سَهْل بْنَ سَعْد ﷺ قَالَ : (جَاءَتْ امْرَأَةٌ بِبُرْدَة قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ ؟ فَقِيلَ لَهُ : نَعَمْ هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذه بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّه اكْسُنِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ :فَكَانَتْ كَفَنَهُ) .(٢)

معنى الحديث:

أن امرأة لم يعرف اسمها، جاءت إلى النبي ﷺ ببردة وهو كساء أسود مربع تلبسه الأعراب وتلتحف به فيه خطوط، حاشيتها منسوجة؛ يعني أنها لم تقطع من ثوب فتكون بلا حاشية، فكأنه أراد أنها جديدة لم يقطع هدبها و لم تلبس بعد، فأخذها وهو محتاج إليها ، فإن قيل: من أين عرفوا احتياج النبي ﷺ إلى ذلك، يجاب عن ذلك: بأنه يمكن أن يكون ذلك بصريح القول من النبي ﷺ أو بقرينة حالية دلت على ذلك، فخرج النبي ﷺ عليهم متزراً بالبردة، فاستحسنها رجل وسأل النبي ﷺ أن يكسيه إياها ليتبرك بها. (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أتدرون ما البردة ؟ وفي رواية : هل تدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة؛ والشملة كساء يشتمل به وهي أعم، لكن لما كان أكثر اشتمالهم بها اطلقوا عليها اسمها.

---

(١) انظر ، ٣٣٣ ، تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر ، علي الحمادي ، (٦٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب من استعد بالكفن في زمن النبي ، (١/ ٤٢٩،ح ١٢١٨) .

(٣) انظر، عمدة القاري، (٦٢/٨)، (١٢٠/٢٢).

إنه ﷺ يطرح سؤالاً يتأكد به من صحة معرفتهم، ويختبر معلوماتهم، إن إثارة الانتباه إلى صفات شئ معين، وتكوين مفهوم واضح عنه، هو الهدف من سؤال النبي ﷺ في هذا الحديث كما يبدو لي .

الدلالات التربوية:

١- مشروعية الإنكار عند مخالفة الأدب ظاهراً وإن لم يبلغ المنكر درجة التحريم.

٢- أنه ﷺ لم يكن يرد سائلاً، فكان يعطي حتى لا يجد شيئاً، فيدخل بذلك في جملة المؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. (١)

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (وُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ وَلَحْمٍ فَتَنَاوَلَ الذِّرَاعَ وَكَانَتْ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ فَنَهَسَ نَهْسَةً فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ نَهَسَ أُخْرَى، فَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابَهُ لا يَسْأَلُونَهُ قَالَ : أَلا تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟ قَالُوا: كَيْفَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ...وَسَاقَ الْحَدِيثَ) . (٢)

إن الهاء في قوله ﷺ : "كيفه "هي هاء السكت تلحق في الوقف ، وأما قول الصحابة : كيفه يارسول الله ؟ فأثبتوا الهاء في حالة الدرج ففيها وجهان أحدهما : أن من العرب من يجرى الدرج مجرى الوقف ، والثاني : أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبي ﷺ الذي حثهم عليه ، فلو قالوا : كيف ؟ لما كانوا سائلين عن اللفظ الذي حثهم عليه والله أعلم . " (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ألا تقولون كيفه؟ يحثهم فيه على الانتباه، والسؤال طلباً للعلم والمعرفة، وهذا ما يجب على كل معلم ومربي أن يشجع من يعلمهم على التساؤل، ويظهر شغفاً بوجهات نظرهم الشخصية، ويشجعهم على ابتداء الحوار معه، ويوحي لهم بأن فهمهم للمادة يهمه، يترتب على ذلك إحساسهم بالقدرة على التعلم والتفكير. (٤)

---

(١) انظر، عمدة القاري، (٢٢/١٢٠).

(٢) سبق تخريجه في التمهيد (٣٠) ، وبيان معناه في مبحث أسئلة الإثارة والتشويق، (١٤٦) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٣/٧٠) .

(٤) انظر ، المعلمون والمتعلمون ، (٤٨) .

والذي يبدو لي أن أسئلته ﷺ في مجال الأسئلة الذهنية التي تنمي القدرة على إعمال الفكر وشحذ الذهن :

١- يطرحها ﷺ في بداية حديثه، فتكون هي أول مثير ومحرك للعقل كي يعمل .
٢- تنويعه ﷺ في طريقة صياغتها : من طلب الإخبار : أخبروني ..حدثوني ؟ استفهام عن معرفتهم بالمسئول عنه : أتدرون ما ..؟ أو طلب لتقييم المسئول عنه: ما تعدون ..فيكم ؟
٣- تأجيل الإجابة والحكم إلى ما بعد سماع الأفكار حول المسئول عنه .
٤- عرض نتيجة الإجابة الخاطئة أو الناقصة قبل ذكر الإجابة الصحيحة .

وأحسب أن هذه الأسئلة التي طرحها رسول الله ﷺ هي أسئلة مثيرة للتفكير حيث يتعدى هذا النوع من الأسئلة حد الذاكرة والاستعادة ، إلى المعرفة أو الفهم الحقيقي للمادة الدراسية ، وتطلب هذه الأسئلة في العادة من التلميذ توضيح وتفسير ما يقول ، وإنتاج إجابة منطقية ومركبة كماً ونوعاً في طبيعتها العامة ، بمعنى ؛ تتطلب مثل هذه الأسئلة من أفراد التلاميذ إعمال الفكر والمحاولة الجادة لإيجاد حلول وآراء معمقة، أو مدروسة، بعيدة عن التخمين أو التذكر العشوائي،كما تحفز في التلاميذ وتنمي فيهم القدرة على الحكم والتحليل والتنظيم والمقارنة والتنبؤ .[١]

وحتى تتعزز الدافعية لابد للمعلمين من رفع توقعاتهم مع الرضا والقبول لما يقدمه الطلاب، بدون إشعارهم بالتقصير ، أو إنهم لم يصلوا للتوقعات المرجوة .[٢]

" وينبغي للمعلم أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل، ويختبر بذلك أفهامهم ، ويظهر فضل الفاضل، ويثني عليه بذلك؛ ترغيباً له وللباقين في الاشتغال والفكر في العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه، ولا يعنف من غلط منهم في ذلك إلا أن يرى في تعنيفه مصلحة له، وإذا فرغ من تعليمهم وإلقاء الدرس عليهم أمرهم بإعادته ليرسخ حفظهم له ، فإن أشكل عليهم منه شيء ما ، عاودوا الشيخ في إيضاحه " .[٣]

---

(١) انظر ، طرق سائلة في الأسئلة الصفية ، (١٠٧) .
(٢) انظر ، دافعية الإنجاز ، (٤٦) .
(٣) المجموع ، النووي، (١ / ٥٩) .

إن من استراتيجية طرح الأسئلة لتنمية الناحية الابتكارية: تقديم أسئلة مفتوحة، ومثيرة للتفكير، لتحصل على عدد كبير من الإجابات المختلفة، وهو ما يساعد المتعلمين على جمع المعلومات، وحرية التعبير عن أنفسهم، وفرض الفروض، والتأمل، والسعي إلى إشباع حب الاستطلاع في الموضوع الذي يقرؤونه، ومن الأسئلة المفتوحة سؤال عن معلومات غير موجودة في الكتاب، وعن فكرهم الشخصية عما يقرؤون، وعرض قصة ،وسؤالهم عن أشياء لم تخبر بها القصة ، وتستخدم أدوات الاستفهام التي تبدأ بما يلي (لماذا، ما الذي يمكن أن يحدث) ، وعلى السائل تقبل جميع الإجابات، وعدم رفض إجابة منها، وسؤالهم عن إدراك العلاقات بين المعلومات والأشخاص ، والأحداث .

إن هذه الأسئلة تنبه العقل، وتفتح مغاليق فهمه وتوقظ حركة الذاكرة الجامدة، لذا يمكن استخدام طريقة طرح الأسئلة على المتعلم عند توجيهه وتربيته، وعند إدخاله في المنافسات الرياضية والفكرية لكونها تعتبر من أحسن الطرق التي تجذب انتباهه، وذلك لأنها تثير المتعلم، وتحصر فكره في السؤال المطروح، فلا تنشغل حواسه بشيء آخر، وتعطيه انطباعاً بأن المعلومة المتعلقة بالسؤال ذات أهمية كبيرة . (١)

وإني لأحسب أن أسئلته ﷺ قد حققت الأهداف السلوكية المعرفية، والوجدانية، والنفس حركية، فالمتعلم في قمة الشوق والتلقي الذهني للمعرفة والتلقي عند إثارة الأسئلة التنبيهية، وفي قمة التأثر النفسي والوجداني عند طرح الأسئلة التي تصف العمل وثوابه، وعلى أهبة الاستعداد للعمل والتطبيق السلوكي .

إن طرح مثل هذه الأسئلة يساعد على معرفة نتائج التعلم؛ للوقوف على مقدار الحقائق والمعلومات والمعارف التي استوعبها التلاميذ، وفي ذلك يقول بدر الدين بن جماعة : " إذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس أن يطرح مسائل على الطلبة يمتحن بها فهمهم ، وضبطهم لما شرح ، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإصابة في جوابه شكره ، ومن لم يفهم تلطف في إعادته له " . (٢)

---

(١) انظر ، الإنصات الانعكاسي ،(٣٩).

(٢) فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة ، د. حسن عبد العال ، (٢٩٠).

كما أن قيام المعلم بتوجيه أسئلة تتحدى تفكير الطلاب، تحدث عملية التفكير بالشكل الصحيح عندما يواجه الطالب بمهام تقتضي عملاً عقلياً غيرَ عادٍ يكمن في كيفية استعمال المعرفة السابقة في سبيل الحصول على المعارف الجديدة، بدلاً من مجرد استدعاء المعارف السابقة، كما أن تشجيع التفكير وتدعيمه لدى الطلاب يحتاج إلى فترات من الصمت حيث تتاح الفرصة للمتعلمين لتأمل صحة الأجوبة والردود البديلة . (١)

فتوجيه الأسئلة بطريقة فعالة يساعد المتعلمين على التفكير بذكاء أوسع حول المسائل التي يتطرق لها موضوع الدرس، كما أن هذه المهارة تضفي على نقاش الفصل حركة نوعية، وتشحنه بطاقة موجبة لا ينحصر أثرها في إنارة طريق الفهم فحسب، إنما يُفعِّم كافة طلاب الفصل بالحيوية والنشاط أصلاً، فالأسئلة المثمرة هي فئة الأسئلة التي تحرك الذهن، وتجعله يعمل وينشط ، وهي من النوع شديد الاستفزاز للعقل، وقد يبقى أثره سنينَ عدداً، فمثل هذه الأسئلة تجعلنا نفكر باستمرار ، ونبحث عن طرق الفهم والاستيعاب ، وهي أسئلة ذات ثقل ، وتثير الرغبة في تقليب الأفكار الجديرة بالمعرفة والتفكير حولها. (٢)

---

(١) انظر ، تعليم من أجل تنمية التفكير ، روبرت ما رذانوا ، (٧٦).

(٢) انظر ، فن طرح السؤال الصحيح ، د . سلمى واسرمان ، (٣٧) .

المطلب الخامس
تنمية القدرة على المقارنة والتقييم

يوجه المعلم أحياناً بعض الأسئلة لتلاميذه طالباً منهم التمييز، والتفريق بين أشياء معروضة أمامهم، أو حقائق لديهم فكرة مسبقة عنها، لا يحتاج هذا النوع من الأسئلة إلى طاقة أو قدرة لفظية من قبل التلميذ بل يكفي غالباً تفكيره الصامت، ثم حركة ميكانيكية بسيطة من يده تشير إلى الإجابة الصحيحة، هذا المستوى من التفكير المطلوب يتدرج في صعوبته كلما اتجهنا إلى مراحل تفكيرية أعلى، فالمقارنة بين الأضداد تساعد على بيان الأفكار، ووضوحها في أذهان المتعلمين (١).

وبعد البحث في أحاديث الصحيحين وجدت أربعة أسئلة منه ﷺ أحسب أنها تزيد من القدرة الفكرية على المقارنة بين الأشياء، والتمييز بين الأمور المختلفة وإعطاء القيمة الصحيحة للأمر المسئول عنه تبعاً للتصور السليم له :

١- عن ابْن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: (أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّهَا لا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ(٢) وَيَزِيدُونَ) (٣)

---

(١) انظر ، طرق سائلة في الأسئلة الصفية ، (١٠٨).

(٢) يقرفون فيه : يخلطون فيه الكذب وهو بمعنى يقذفون . (شرح النووي على صحيح مسلم ، ٢٢٧/١٤).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، (٤ / ١٧٥٠ ، ح ٢٢٢٩) .

معنى الحديث :

النهي عن الكهانة ، والاستسقاء بالأنواء ؛ وأنه استعانة بالجن والشياطين .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ما ذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ وأحسب أن هذا السؤال منه ﷺ "من أسئلة السلوك الضابط : الذي يتطلب تعديل أو تصحيح سلوك غير مقبول، وهي أسئلة تطرح لجذب انتباه المتعلمين لسلوك خاطئ وذلك لغرض التصحيح ". (٢)

٢- عَنْ سَهْلِ بن سعد ﷺ قَالَ:(مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَـذَا؟ قالوا:حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا) . (٣)

معنى الحديث :

هذان رجلان أحدهما من أشراف القوم، وممن له كلمة فيهم، وممن يجاب إذا خطب، ويُسمع إذا قال، والثاني بالعكس رجل من ضعفاء المسلمين، ليس له قيمة، إن خطب فلا يجاب، وإن شفع لا يشفع، وإن قال فلا يسمع .

فبيّن الرسول ﷺ لصحابته بأن السيادة بمجرد الدنيا لا أثر لها، وإنما الاعتبار في ذلك بالآخرة، وأن الله لا ينظر إلى الشرف بل إلى القلب والعمل فمن أحبت لله وعمل بما يرضيه فهو الكريم الوجيه عنده، وهذا الذي لو أقسم على الله لأبره، وأن الذي يفوته الحظ من الدنيا يُعاض عنه بحسنه في الآخرة، وقد تبين من سياق طرق القصة أن جهة تفضيله إنما هي لفضله بالتقوى، وليست المسألة مفروضة في فقير متق وغني غير متق بل لا بد من استوائهما أولاً في التقوى، وأيضاً ليس فيه تصريح بتفضيل الفقر على الغني، إذ لا يلزم من ثبوت

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، (٤ / ١٧٥٠ ، ح ٢٢٢٩) .

(٢) مدى استخدام معلمات اللغة العربية أسلوبي السبر والتوقف أثناء إلقاء الأسئلة الشفهية،شيخة السنبل،(٢٠) .

(٣) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٣٠)

فضيلة الفقر أفضليته، وكذلك لا يلزم من ثبوت أفضلية فقير على غني، أفضلية كل فقير على كل غني.[1] .

موضع الشاهد ودلالته :

طرحه ﷺ سؤالين حول شخصين: ما تقولون في هذا ؟ ما تقولون في هذا ؟ وفي رواية : (ما رأيك في هذا)[2] يقيس بهما أساس تقييمهم للأشخاص، ويصحح لهم هذا التقييم، فيقرر الرسول ﷺ أن الناس لايتفاضلون بالأشكال الظاهرية، إنما محك التفاضل هو القيم النفسية والقلوب السليمة النقية والأعمال الصالحة التي تفيد العباد والبلاد .

ونلاحظ أن رسول الله ﷺ لم يختر للمقارنة رجلين متماثلين في المظهر فقراً أو غنى، ولو أنه فعل وقارن بين فقيرين ثم حكم بأفضلية أحدهما على الآخر لكانت المقارنة كافية لتثبيت المعنى ، وكذلك لو قارن بين غنيين، ولكنه ﷺ قارن بين غني خبث باطنه، وحسن مظهره وبين فقير طاب باطنه وهان مظهره، وتلك اللفتات النبوية الدقيقة التي من شأنها أن تظهر لك المفارقة بين هذين الطرفين .[3]

إنه من المؤمل أن نرتفع بأسئلتنا التعليمية والتربوية إلى هذا المستوى الذي يصل إلى قمة الهرم المعرفي: ما رأيك في كذا؟ ما تقول في كذا؟ ما وجهة نظرك حول كذا؟ كيف تقيم هذا الأمر؟ .. الخ ، فيفتح باباً للحوار والنقاش وإبداء الرأي ، وعرض الأفكار وتفنيدها وتصحيحها .

٣-عن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : (قال النَّبِيُّ ﷺ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ جُهَيْنَةُ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارُ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَبَنِي أَسَدٍ وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: خَابُوا وَخَسِرُوا، فَقَالَ: هُمْ خَيْرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ وَمِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَطَفَانَ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ) .[4]

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٣٦٣) ، شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين ، (١ / ٦٢٢) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب فضل الفقر، (٥/٢٣٦٩ ، ح٦٠٨٢).

(٣) انظر ، تربية الطفل في السنة ، محمد المنيف ، (٣٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة ، (٣ / ١٢٩٣ ، ح ٣٣٢٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل غفار وأسلم .. ، (٤ / ١٩٥٦ ، ح ٢٥٢٢) .

معنى الحديث :

أن جهينة ومزينة وأسلم وغفار خير من بني تميم إلى آخره؛ وخيريتهم بسبقهم إلى الإسلام وبما كان فيهم من مكارم الأخلاق ورقة القلوب، وقوله : من بني تميم هو ابن مُرّ، ابن أُدّ ، ابن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وفيهم بطون كثيرة جداً ، قوله : وبني أسد هو ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وكانوا أعداداً كثيرة ،ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ مع طلحة بن خويلد، وارتد بنو تميم أيضا مع سجاح التي ادعت النبوة ، قوله: ومن بني عبد الله بن غَطْفان ؛ وهو ابن سعد بن قيس غيلان بن مضر وكان اسم عبد الله بن غطفان في الجاهلية عبد العزى، فصيّره النبي ﷺ عبد الله وبنوه يعرفون ببني المحولة ، قوله : ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة ابن قيس غيلان ، وهوازن ضرب من الطير وفيه بطون كثيرة وأفخاذ، فقال رجل : -هو الأقرع بن حابس التميمي - : خابوا وخسروا ، فقال النبي ﷺ : هم خير .(١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أرأيتم إن كان جهينة ..؟ ؛ أي أخبروني ..؟

وهو سؤال يعقد به ﷺ مقارنة بين فريقين من القبائل ؛ ليصحح به المقياس الذي يقيسون به الخيرية .

٤- عن عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال : (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أَحَبُّ إِلَيْه مِنْ مَاله؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ، قَالَ : فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِه مَا أَخَّرَ) . (٢)

معنى الحديث :

يخبر النبي ﷺ أصحابه في هذا الحديث؛ أنه ليس منهم من أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله ، فتساءل أحدهم: وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: مالك ما قدمت، أي على موته

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٣٦٤) ، عمدة القاري ، (٨٣/١٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما قدم من ماله فهو له ، (٥ / ٢٣٩٩ ، ح ٦٠٧٧) .

بأن صرفه في حياته في وجوه القرب فصار أمامه، يجازى عليه بعد موته في الآخرة، ومال وارثه ما أخَّر، أي ما أخره من المال الذي يتركه ولا يتصدق منه حتى يموت . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أيكم يحب ..؟ يسأل النبي ﷺ عن : أي واحد منهم يحب مال وارثه الذي يتملكه من بعده ، أكثر من ماله الذي يملكه في حياته ؟.

إن من حسن البيان أن يقارن المتحدث بين أمرين، ويقابل بين شيئين، ويوازن بين متضادين، فمن هذه الموازنة تتميز الأشياء بأضدادها، وتعرف الأمور بنظائرها، فيدرك السامع الفرق الكبير بين الحسن والقبح، ولا يخفى ما في هذه الموازنة، والمقابلة من إثارة للانتباه، ومن حفز للسامع للاهتمام، ومن إيقاظ للجمهور للإصغاء والتوجه، بل هي طريقة القرآن وأسلوبه، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة:١٨] .(٢)

وأحسب أن هذا الأسلوب المقارِن الذي انتهجه سيد المعلمين مع من يعلمهم، حيث يثير فيه انتباههم، ويحرك فطنتهم، وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعرهم معين المعرفة، إلا لتهيئة الجو للتعليم، ولتصحيح التصورات الخاطئة، وإعطاء معاني مغايرة لبعض المفاهيم التي تعارف عليها الناس .

ويبدو لي أن هذا النوع من الأسئلة هو الأسئلة التقييمية : " وهي التي تتطلب من المتعلم إعطاء رأيه حول ملاءمة أو كفاية شئ ما ، أو إعطاء القيمة النسبية للأحداث ، أو ذكر دليل ." (٣)

ويمكن القول بوجود صلة وثيقة بين الإدراك كعملية عقلية ، وبين الصحة النفسية ؛ ذلك لأن توافقنا الاجتماعي ، وقدرتنا على العيش بسلام وسط الناس ، والتفاعل مع البيئة بشكل إيجابي يحقق الأمن النفسي والمادي ؛ يتوقف على قدرتنا على الإدراك السليم لمكونات البيئة الاجتماعية من عادات ، وتقاليد ، وأعراف ، ومعتقدات ، وما هو مرغوب فيه ، وما هو مرغوب عنه ، وأي خلل في هذه الإدراكات يسبب لنا الاضطرابات النفسية ، ويمكن القول بأن أحد المظاهر العامة في الاضطرابات السلوكية ؛ تشويه إدراك الواقع الاجتماعي . (٤)

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢٣ / ٤٩) ، فيض القدير ، (٢ / ١٠) .

(٢) انظر ، فنون الحوار والإقناع ، د. محمد ديماس ، (١٨٥) .

(٣) مدى استخدام معلمات اللغة العربية أسلوبي السبر والتوقف أثناء إلقاء الأسئلة الشفهية،شيخة السنبل،(٢٠) .

(٤) انظر ، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ، (١١٧) .

وأحسب أن هذه الأسئلة التي يطرحها رسول الله ﷺ تنمي مستوى الذكاء العقلي ، وتزيد مهارة التفكير .

فجميع أنواع الذكاء قابلة للنمو والزيادة على مدى العمر ، فالذكاء ثلاثة أنواع هي :

١- الذكاء الإبداعي : يتضمن التخيل والتصميم والابتكار .

٢- الذكاء التحليلي : ويتضمن المقارنة ، والتقويم وإصدار الأحكام .

٣- الذكاء العملي : ويتضمن القدرة على الأداء والشرح . (١)

كما تضمنت هذه الأسئلة النبوية معنى المناقشة ، فالمناقشة : تتضمن تفاعلاً جماعياً لا ينصب على ما يعرفه التلاميذ بل على ما لايعرفونه، وفي الغالب تنصب المناقشة على رؤى مختلفة تتعدد بتعدد المشاركين فيها وتتنوع بذلك النظرة للشيء الواحد ، ويكون المعلم هنا هو القائد الذي ينظم المناقشة ، ويكون مسئولا عن تنميتها بما يوفره من مناخ عام يتسم بالحرية والوضوح والمساواة ، وإذا كنا نسعى لفهم سلوك المعلم ، وتحديد السلوك الذي يشجع على التفكير، فلا بد لنا أن نضع هذه النتائج الخاصة بالمناقشة كأسلوب للتفاعل داخل الفصل في مركز الاهتمام ، حيث أن جميع الاستراتيجيات الخاصة بتنمية التفكير ، والتعلم التعاوني ، ومفهوم الذات الإيجابي تؤكد على استراتيجية المناقشة

وعليه فإن الأسئلة المثمرة هي الأسئلة التي تدفع الطلاب إلى التفكير التولدي بقدر أكبر حول المسائل المطروحة، وتكون مأخوذة من العمليات العقلية الأعلى مرتبة ، وهذه الأسئلة تشمل المقارنة والملاحظة والتصنيف والتقييم واتخاذ القرار .

كما أن الطلاقة في التفكير عبارة عن القدرة على استخدام مخزوننا المعرفي عندما نحتاجه ، وهو قدرة الشخص على إنتاج عدد كبير من الأفكار في وحدة زمن قياسية ، ويرى كثير من التربويين أن العقل البشري مثل العضلات ينمو ويتطور ويقوى بكثرة التمرينات ؛ فكلما زودته بمثيرات للتفكير وتحديته تزداد قدراته على معالجة المعلومات . (٢)

---

(١) انظر، العادات العقلية ، إبراهيم الحارثي ، (٢٨) .

(٢) انظر ، تعليم التفكير ، د. إبراهيم الحارثي ، (٦٧) ، فن طرح السؤال الصحيح ، د . سلمى واسرمان ، (٤٤) ، انظر ، تعليم من أجل التفكير ، آرثر كوستا ، (١٥ — ١٧) .

المبحث الرابع : الأسئلة الاستنتاجية

لقد ظهر مؤخراً توجه خاص نحو الأسئلة التي يستخدمها المعلمون داخل الصفوف، وفي جملة ذلك تنويع الأسئلة مابين أسئلة حقائق؛ أسئلة تتطلب قدرات عقلية دنيا وهي الأسئلة التي تقع في مستوى التذكر والفهم، وأسئلة استنتاج؛ أسئلة تتطلب نوعاً من التفكير أعلى من ذلك الذي تتطلبه استدعاء حقائق مذكورة في المادة المتعلمة، كأن تتطلب من التلميذ أن يعالج ذهنياً أجزاء من معلومات تعلمها من قبل ليبتكر إجابة جديدة، أو يدعم إجابة معطاة بأدلة عقلية مقنعة .

ويسود اعتقاد بين المربين مفاده أن الأسئلة التي تتطلب قدرات عقلية عليا أكثر فائدة من سواها، لأنها تتطلب مستوى أعمق من المعالجة الذهنية مما يؤثر إيجابياً في طبيعة التعلم ودرجته، إذ يعمل على تطوير التفكير المتشعب الناقد، ويعد هدفاً تربوياً مهماً، ومن هنا حظيت هذه الأسئلة بمزيد من البحث والدراسة، كما تمت محاولات لتدريب المعلمين على توجيه الأسئلة من هذا النوع في مختلف المواد الدراسية، وذلك بهدف العمل على تحسين استيعاب الطلبة، وتثبيت العلم وبقائه .(١)

وبعد البحث في أحاديث الصحيحين وجدت عشرين سؤالاً فيها؛ كان ﷺ يقابل به سؤال الصحابة؛ لإحداث الاستدلال على الإجابة في أذهانهم، وهذا الأسلوب هو أساس الطريقة المعروفة عند المختصين بأصول وطرائق التدريس بالطريقة الاستنتاجية التي تعتمد الحقائق الثابتة في الذهن كأساس يعتمد عليه للوصول إلى القضايا الجزئية المجهولة الحكم، وهو السؤال الذي يطرح من المعلم بدلاً من إعطاء جواب السؤال الذي طرحه المتعلم؛ أي مقابلة السؤال بسؤال بدلاً من الإجابة مباشرة، وذلك للتوصل إلى أحد الأغراض التالية أو جميعها:

١- إقامة الدليل القاطع، والبرهان الواضح على الإجابة .

٢- تأكيد الإجابة، ولفت النظر، وتحويل التفكير لما هو أهم من الإجابة المتوقعة للسؤال المطروح .

---

(١) انظر ، دراسة تجريبية في تأثير استخدام الأسئلة التي تتطلب قدرات عقلية ، د . شادية أحمد التل ، المجلة التربوية ، عدد٢٠ ، مجلد ٦ ، ربيع ١٩٨٩ م ، الكويت .

المطلب الأول

إقامة الدليل القاطع ، والبرهان الواضح على الإجابة وإتاحة الفرصة للعقل للاستدلال

وفيه اثنا عشر حديثاً :

١- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لا عَدْوَى وَلا صَفَرَ وَلا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا ؟ فَقَالَ : فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ ؟) . (١)

معنى الحديث :

في الحديث نفي وإبطال لما كانوا يعتقدونه في الجاهلية من :

١- الصفر وهو زعمهم أن في البطن حية يقال لها الصفر؛ تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه ، وأنها تعدي ، وقيل : أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله. (٢)

٢- الهامة وهو اسم طائر كانوا يتشاءمون به، وهو من طير الليل وهذا المراد به هنا، وقيل: هي البومة، وقيل: كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل: روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه(٣).

٣- العدوى، في أن المريض إذا دخل على الأصحاء أمرضهم .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: فمن أعدى الأول؟ فبعد بيانه ﷺ لحكم هذه الأشياء، وبيان بطلانها وانتفائها، أورد الأعرابي شبهة عدوى الإبل السليم التي هي كالظبي في نشاطها وقوتها وسلامتها من الداء، من الإبل الأجرب، رد عليه النبي ﷺ بهذا السؤال، وهو جواب في غاية البلاغة والرشاقة، وحاصله من أين جاء الجرب للذي أعدى بزعمهم ؟ فإن أجيب من بعير آخر، لزم التسلسل، أو سبب آخر فليفصح به، فإن أجيب بأن الذي فعله في الأول هو الذي فعله

---

(١) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٣٠).

(٢) هذا معنى كلمة الصفر كما ورد في ، (النهاية ، (٣ /٣٥) .

(٣) هذا معنى كلمة الهامة ، كما ورد في ، (النهاية ، (٥/٢٨٢) .

في الثاني ثبت المدعى، وهو أن الذي فعل بالجميع ذلك هو الخالق القادر على كل شـــيء ، وهو الله سبحانه وتعالى. [١]

لقد علم النبي ﷺ أن السائل اغتر بهذا المحسوس، وأن الشبهة قدحت في نفسه فأزالها عنه ﷺ من نفسه بالدليل، لأن الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة لا تدفع إلا باستدلال ونظر في إبطالها،فسأله: " فمن أعدى الأول ؟ "، فكأنه قال: إذا كنت تقول هذه الجربة جربت مـــن هذا العادي عليها أيضا، ممن تعلق به الجرب ؟ فإن قلت: من غيره ألزمناك فيه ما ألزمناك في الأول حتى يؤدي ذلك إلى ما لايتناهى، أو يقف الأمر عند الجمل الذي وجد الجرب فيه من غير أن ينتقل إليه من غيره ، وإذا صح وجود جرب من غير عدوى بل من الله ﷻ؛ صح أن يكون جرب هذه الإبل من نفسها لا من غيره . [٢]

الدلالة التربوية:

"جواز مشافهة من وقعت له شبهة في اعتقاده بذكر البرهان العقلي، إذا كان السائل أهـــلاً لفهمه، فأما أهل القصور فيخاطبون بما تحتمله عقولهم من الأمور الإقناعيات ." [٣]

٢-عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : (قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَبِكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً ، قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ يَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ وَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَـــلالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ) . [٤]

معنى الحديث :

يتجلى في هذا الحديث استيعابه ﷺ للحزن الذي وجده فقـــراء الصـــحابة في نفوســـهم، وشعورهم بتفوق الأغنياء[٥] عليهم، وفوزهم بالأجر والثواب حيث رزقهم الله بالأموال

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١٠ / ٢٤٢)، النووي شرح صحيح مسلم، (١٤ / ٢١٧).

(٢) انظر، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (١ / ٤٣٠) .

(٣) المفهم ، (٥ / ٦٢٢) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة ،(٢ / ٦٩٧ ،ح ١٠٠٦) .

(٥) هذا معنى كلمة الدثور ، وهم أصحاب المال الكثير، (النهاية ، /١٠٠) .

الكثيرة التي تمكنهم من إخراج الصدقة، فجاءوا للمصطفى ﷺ يبثون إليه شكواهم بفوات أجر الصدقة عليهم، فعدد لهم بعض الأفعال التي تماثل الصدقات في الأجور ، وبيّن لهم أن المباحات تجعلها النيات الصادقة طاعات . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

هنا نلمس سعة صدره ﷺ على المراجعة والمناقشة لأنه يريد الحق أينما كان، والحق معه، ولكن يطيِّب قلوب الناس ويبيِّن لهم ، فيطرح عليهم ﷺ سؤالين :

سؤال يثير به انتباههم إلى بديل الصدقة بالمال وما يعادلها: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ فلما استجمع انتباههم عدد لهم هذه الأمور، حتى لفت نظرهم أمراً وتعجبوا منه ، فسألوا رسول الله عنه ،فكيف يأتي الرجل امرأته وهي متعة له فتكون له صدقة ؟

وهنا يأتي سؤاله يوضح لهم به الإجابة، ويزيل الإشكال العالق في أذهانهم بصيغة استدلالية قاطعة تثبت حجية الأمر الذي استغربوا منه: أرأيتم لو وضعها في حرام ...؟

وفي هذا السؤال تنبيه على ما يسميه الفقهاء قياس العكس، وهو إثبات نقيض حكم الأصل في ضد الأصل، لمفارقة العلة، فهنا العلة في كون الإنسان يؤجر إذا أتى أهله؛ هو أنه وضع شهوته في حلال، نقيض العلة : إذا وضع شهوته في حرام فإنه يعاقب على ذلك . (٢)

الدلالة التربوية:

" جواز سؤال المستفتي لبعض ما يخفى من الدليل إذا علم المسئول أنه لا يكره ذلك، ولم يكن فيه سوء أدب. (٣) "

٣- عنْ عَائِشَةَ ﵂ : (أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَغْتَسِلُ الْمَرْأَةُ إِذَا احْتَلَمَتْ وَأَبْصَرَتْ الْمَاءَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ : تَرِبَتْ يَدَاكِ وَأُلَّتْ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَعِيهَا ، وَهَلْ يَكُونُ الشَّبَهُ إِلا مِنْ قِبَلِ ذَلِكِ ؟ إِذَا عَلا مَاؤُهَا مَاءَ الرَّجُلِ أَشْبَهَ الْوَلَدُ أَخْوَالَهُ وَإِذَا عَلا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَهَا أَشْبَهَ أَعْمَامَهُ) . (٤)

---

(١) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٣ / ٥٢٧).

(٢) انظر ، شرح رياض الصالحين ، ابن عثمين ، (١ / ٣١٣) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٧ / ٨١) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل المرأة من المني ، (١ / ٢٥١ ، ٣١٤) .

معنى الحديث :

مقتضى هذا الحديث " أن العلو يقتضي الشبه، فيلزم اقتران الشبه للأعمام، والمذكورة؛ إن علا مني الرجل، وكذلك يلزم إذا علا مني المرأة اقتران الشبه للأخوال ، والأنوثة " .[1]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : وهل يكون الشبه إلا من ذلك ؟ ، إنه ﷺ يقابل سؤال المرأة عن الاحتلام والذي أنكرته عليها عائشة رضي الله عنها بسؤال يقيم فيه الدليل على وقوع ذلك من المرأة .

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : (أَنَّ سَائِلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الصَّلاةِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوَلِكُلِّكُمْ ثَوْبَانِ ؟) .[2]

معنى الحديث:

جواز الصلاة في الثوب الواحد مع ستر العورة، لأن الثوبين لا يقدر عليهما كل أحد، فلو وجبا لعجز من لا يقدر عليهما عن الصلاة، وفي ذلك حرج.

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أولكلكم ثوبان ؟ لفظ استفهام منه ﷺ ومعناه :" التقرير والإخبار عن معهود حالهم ، ويتضمن جواز الصلاة بالثوب الواحد "[3]؛ أي أأنت سائل عن مثل هذا الظاهر ؟، ومعناه: لا سؤال عن أمثاله، ولا ثوبين، فالاستفهام مفيد لمعنى النفي ، ففيه الإخبار عما كان يعلمه من حالهم في العدم، وضيق الثياب، فوقع في ضمنه الفتوى من طريق الفحوى، كأنه يقول إذا علمتم أن ستر العورة فرض الصلاة، والصلاة لازمة، وليس لكل واحد منكم ثوبان، فكيف لم تعلموا أن الصلاة في الثوب الواحد جائزة ؟ أي مع مراعاة ستر العورة به[4] ، أي : لِمَ لَمْ تستخدم هذه المعرفة الموجودة عندك في فهم ما أشكل عليك ؟ .

---

(١) المفهم ، (١ / ٥٧١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به ، (١ / ١٤١ ، ح ٣٥١) ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في الثوب الواحد وصفة لبسه ، (١ / ٣٦٧ ، ح ٥١٥).

(٣) المفهم ، (٢ / ١١٢).

(٤) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٤١٧) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٤ / ٢١٣) ، وعمدة القاري ، (٤ / ٦٤).

وأحسب أن ذلك يتجلى فيه تقوية الرسول ﷺ لملكة التفكير والاستنتاج ، ودعوته لإعمال العقل، واستدعاء ما فيه من معلومات والبناء عليها ، والاستفادة منها في تفسير بعض الظواهر وحل الإشكاليات .

٥- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً ؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ) . (١)

معنى الحديث:

أن امرأة قيل أن اسمها غاثية، أتت النبي ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها نذر أن تمشي إلى الكعبة، فبين لها ﷺ جواز حج المرأة عن أمها لأجل الحجة التي عليها بطريق النذر. (٢)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ فشبَّه لتلك المرأة التي سألته الحج عن أمها ، بدين الله ؛ بما تعرف غيره من دين العباد ، وذلك عن طريق طرح هذا السؤال، غير أنه قال : " فدين الله أحق " ، فرسول الله ﷺ ينبه على وجه الدليل إذا صار مختصراً واضحاً ، وبالسائل إليه حاجة ، أو يترتب عليه مصلحة ، لأنه ﷺ قاس على دين الآدميين تنبيهاً على وجه الدليل ، وهو أطيب لنفس المستفتي ، كما أنه استخدم القياس وضرب المثل ليكون أوضح وأوقع في نفس السامع ، وأقرب إلى سرعة فهمه ، فشبّه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه . (٣)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة ، (٢ / ٦٥٦ ، ح ١٧٥٤) ، صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب قضاء الصيام عن الميت ، (٢ / ٨٠٣ ، ح ١١٤٨) .

(٢) انظر، عمدة القاري ، (٢١٣/١٠).

(٣) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٩٩١) ، عمدة القاري ، (٢٥ / ٥٠)، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٨ / ٢٢) .

٦- عن أَنَس بْنُ مَالِك ﷺ : (أَنَّ رَجُلا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّه كيف يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟) . (١)

معنى الحديث:

يقرر النبي ﷺ أن مشي الكافر على وجهه يوم القيامة هنا على حقيقته حين استغرب الرجل وسأله عن كيفية ذلك، والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه في القيامة إظهاراً لهوانه بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات.(٢)

موضع الشاهد ودلالته :

يجيب النبي ﷺ على تساؤل الصحابي عن كيفية حشر الكافر على وجهه؛ بسؤال يقيم به الدليل على قدرة الله تعالى على ذلك: أليس الذي أمشاه ...؟، حيث أمشاه في الدنيا على رجليه، فهو قادر على أن يمشيه على وجهه في الآخرة.

٧- عَنْ يَعْلَى بن أمية ﷺ قَالَ : (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ (٣) وَأَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ مُقَطَّعَاتٌ يَعْنِي جُبَّةً وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِالْخَلُوقِ، فَقَالَ : إِنِّي أَحْرَمْتُ بِالْعُمْرَةِ وَعَلَيَّ هَذَا وَأَنَا مُتَضَمِّخٌ بِالْخَلُوقِ(٤) ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَجِّكَ؟ قَالَ: أَنْزِعُ عَنِّي

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله :﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾، (٤ / ١٧٨٤ ، ح٤٤٨٢) ، صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والنار ، باب يحشر الكافر على وجهه ، ٤ / ٢١٦١ ، ٢٨٠٦).

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢٣ / ١٠٥) .

(٣) الجعرانة : بكسر أوله إجماعاً ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه، ويشددون راءه، وهما روايتان جيدتان،(المعجم ، الحموي، ٢/ ١٤٢).

وهي موضع شرق مدينة مكة ، ما زال محتفظاً باسمه عبر القرون الماضية ، ومعروفاً لم يتغير فيه شيء ، وهي في الأصل بئر في صدر وادي سرف الذي يُسمى بها هناك ، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزوة حنين ، وأحرم منها ﷺ ، وله فيها مسجد ، وبها بئر متقاربة ،وفيها اليوم مسجد كبير ، وبستان صغير ، وماؤها عذب ، وتبعد أحد عشر كيلاً عن علمي طريق نجد ،. (معجم البلدان، (٢/١٤٢) ، (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل ، (١٢٩) .

(٤) متضمخ بالخلوق : إذا تلطخ بالطيب وتلوث به ، (عمدة القاري ، ٩ / ١٥١) .

هَذِهِ الثِّيَابَ وَأَغْسِلُ عَنِّي هَذَا الْخَلُوقَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَجِّكَ فَاصْنَعْهُ فِي عُمْرَتِكَ) .(١)

معنى الحديث :

أن محظورات الإحرام للعمرة هي نفس محظورات الإحرام للحج، من اجتناب لبس المخيط ومس الطيب .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: ما كنت صانعاً في حجك ؟، إنه ﷺ يقابل سؤال الصحابي واستفهامه عن أمر يجهله: عن حكم إحرامه بالعمرة وهو متطيب؟، بسؤال يسترجع به معلوماته عن أمر يعلمه، ثم يبين له تماثل الأمرين فيحدث عنده الاستنتاج والربط الذهني بين الأمرين .

٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا).(٢)

معنى الحديث :

يحذر ﷺ النساء أثناء مروره بهن من الصفات التي هي سبب كونهن أكثر أهل النار، ثم يغلظ في نصحهن بما يكون سبباً لإزالة الصفة التي تعاب، فيخبرهن بنقصان دينهن وعقلهن، فاستفسرن عن وجه نقصان دينهن وعقلهن، وذلك لأنه خفي عليهن ذلك، وهذا السؤال دال على النقصان لأنهن سلّمن ما نسب إليهن من الأمور الثلاثة: الإكثار والكفران والإذهاب، ثم استشكلن كونهن ناقصات دين .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان ما يباح للمحرم ، (٢ / ٨٣٦ ، ح ١١٨٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض للصوم ، (١ / ١١٦ ، ح ٢٩٨) .

موضع الشاهد ودلالته :

طرحه ﷺ سؤالين : أليس شهادة المرأة .....؟ أليس إذا حاضت لم تصل ..؟ ليبيّن ﷺ لهن ما خفي عليهن من ذلك، وهذا جواب منه ﷺ بلطف وإرشاد من غير تعنيف ولا لوم، بحيث خاطبهن على قدر فهمهن، لأنه ﷺ أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم . (١)

فرسول الله ﷺ يقابل استفسارهن بسؤال يقيم فيه الدليل على ذلك، في كون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وتركها الصلاة والصيام في حال العذر الشرعي .

ويبدو لي هنا ابتعاد الرسول ﷺ عن الأسئلة المركبة ، أو الجمع بين سؤالين في آن واحد ثم الإجابة عليه ، فنراه يقابل السؤال الواحد الذي سألته النساء ، ما نقصان دينهن وعقلهن ؟ بسؤالين منفصلين يتلو كل سؤال، إجابة منهن " بلى "، ثم توضيح منه ﷺ بموطن الاستدلال، فصلوات ربي وسلامه عليه ، ما أعظم تربيته ! وما أوضح أسلوبه !

٩- عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى (٢) ﷺ : (أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ(٣) وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ(٤) كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ(٥) فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ فَقَالا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ يَهُودِيٌّ فَقَالَ : أَلَيْسَتْ نَفْسًا ؟) . (٦)

---

(١) انظر ، فتح الباري (١ / ٣٩٠) ، وعمدة القاري ،(٣ / ٢٧١) .

(٢) عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، شهد أحدا ومعه ابنه عبد الرحمن ، وأدرك النبي ﷺ ، واختلف في صحة سماعه منه ، وله مراسيل ، ومات في الجماجم سنة ٨٣ هـ . (الإصابة ، ٢ / ٤٢٠) ، (التهذيب ، ٥ / ١٦٦) .

(٣) قيس بن سعد بن عبادة بن حارثة الأنصاري الخزرجي ، أبو عبد الله ،كان من النبي ﷺ بمنزلة الشرطة من الأمير، روى عن النبي ﷺ ، كان رجلا ضخماً جسيماً ، وكان من دهاة العرب، توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية .
(الإصابة ، ٣ / ٢٤٩) ، (التهذيب ، ٦ / ٥٣٢) .

(٤) سهل بن حنيف بن واهب بن الحارث الأوسي الأنصاري ، أبو ثابت ، روى عن النبي ﷺ ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، وثبت مع رسول الله ﷺ في أحد ، ثم صحب عليا ﷺ حين بويع ، فاستخلفه على البصرة ، ثم شهد معه صفين ، ومات سنة ٣٨ هـ . (الإصابة ، ٢ / ٨٧) ، (التهذيب ، ٣ / ٥٣٨) .

(٥) القادسية : مدينة في العراق، وقعت فيها وقعة القادسية سنة ستة عشرة، في عهد عمر بن الخطاب ، وهزم فيها المشركون، وبينها وبين الكوفة خمسة أميال، وفي هذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد ابن أبي وقاص، والمسلمين والفرس، في أيام عمر بن الخطاب، سنة ١٦هـ،وكانت من أعظم وقائع المسلمين ، وأكثرها بركة. معجم الأمكنة ، سعد جنيدل، (٣٤٩).

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي ، (١ / ٤٤١ ، ١٢٥٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة ، (٢ / ٦٥٩ ، ح ٩٦٠) .

معنى الحديث :

النهي عن الغفلة عند رؤية الميت، فإذا رأى الإنسان الميت ثم تمادى على ماكان عليه من الشغل؛ كان هذا دليلاً على غفلته وتساهله بأمر الموت، فأمر الشرع أن يترك ماكان عليه من الشغل، ويقوم تعظيماً لأمر الميت واستشعاراً به، فيستوي في ذلك الميت المسلم وغيره .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ حين قيل له إنها جنازة رجل ذمي: " أليست نفساً ؟ " أي أليست الجنازة نفساً قبضت ؟ [(١)] ، أليست نفساً فماتت ؟ ومقتضى التعليل هنا أن ذلك يستحب لكل جنازة، فالقيام لها لأجل صعوبة الموت وتذكره، فكأنه إذا قام كان أشد لتذكره .[(٢)]

إنه ﷺ يقابل استفهام الصحابة عن قيامه ﷺ لجنازة غير المسلم، بسؤال يستدل به على هذا العمل ، فيستنتجون ذهنياً ؛ أن للموت حرمته العظيمة بغض النظر عن دِين الميت .

١٠- عن الْمُغِيرَة بن شعبة ﷺ قال: (إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ فَيُقَالُ لَهُ : فَيَقُولُ : أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟) .[(٣)]

معنى الحديث :

يتساءل الصحابة رضي الله عنهم مشفقين على الحبيب ﷺ حين يراقبون عبادته فيرون عجباً، قيام للصلاة طوال الليل حتى تدمى قدماه، فيقولون له:يا رسول الله قد غفر لك ما تقدم وتأخر؟ فلم كل هذا الاجتهاد ؟ .

---

(١) انظر ، المفهم ، (٢/ ١٢١).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٧٨٣) ، عمدة القاري (٨ / ١١١).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ (الفتح:٢) . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك " ، (٤ / ١٨٣٠ ، ح ٣٢٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والنار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، (٤ / ٢١٧١ ، ٢٨١٩) .

موضع الشاهد ودلالته:

تأتي الإجابة الشافية الكافية على تساؤل الصحابة بسؤال يطرحه ﷺ عليهم عن العرفان والتقدير لنعم الله .. أفلا أكون عبداً شكورا ؟ الفاء فيه للسببية ، لبيان أن الشكر سبب للمغفرة، والتهجد هو الشكر، فلا يتركه [١]، والتقدير: أأترك تهجدي، فلا أكون عبداً شكوراً ؟ وهو استفهام على طريق الإشفاق، قيل: وهو أولى من جعله للإنكار، بلا شقاق، أي: إذا أكرمني مولاي بغفرانه ، أفلا أكون شكوراً لإحسانه ؟ [٢] وفي هذا دلالة على أن يأخذ الإنسان نفسه بالشدة في العبادة؛ وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك؛ فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار. [٣]

يبدو لي أن رسول الله ﷺ يقابل استفهام أصحابه عن سبب قيامه وصلاته الطويلة وإجهاده لنفسه وقد غفر له ذنبه المتقدم منه والمتأخر، بسؤال يستدل به على عمله، فيستنتجون ذهنياً أن العبادة هي شكر لله .

١١- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنْزِلُ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ؟ فَقَالَ: وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رِبَاعٍ [٤] أَوْ دُورٍ ؟). [٥]

معنى الحديث :

أمضى النبي ﷺ بعض تصرفات الجاهلية تأليفاً لقلوب من أسلم منهم، فلقد باع من هاجر من المؤمنين داره لقريبه الكافر، ووضع عقيل ابن عم الرسول ﷺ يده على الدار كلها، ولعله ﷺ أضاف الدار إليه لسكناه إياها، مع أن أصلها كان لأبي طالب؛ لأنه هو الذي كفله، ولأنه أكبر ولد عبد المطلب، فاحتوى عقيل على أملاك عبد المطلب وحازها وحده، لسنة على عادة الجاهلية ، ويحتمل أن يكون عقيل باع جميعها ، وأخرجها عن أملاكهم . [٦]

(١) انظر ، عمدة القاري (٧ / ١٨٠) .

(٢) انظر ، عمدة القاري (٥ / ٢٣٩) ، تحفة الأحوذي (٢ / ٣٢٨).

(٣) انظر ، فتح الباري ،(١ / ٧١٥).

(٤) رباع : بكسر الراء ، جمع ربع ، المحلة أو المترل المشتمل على أبيات أو الدار . (إرشاد الساري (٤ / ١٠٥).

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب الترول بمكة للحاج ، (٢/ ٩٨٤ ، ١٣٥١).

(٦) انظر، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٤ / ٤٦٣) .

وهنا تظهر روعة الموقف حين يترل بخيف- وادي- بني كنانة المحصب[1] مع إمكانـــه أمـــر عقيل بالخروج منها، وفي ذلك درس عملي أن يوم الفتح يوم إحسان وليس يـــوم تســـلط وانتقام.

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ: وهل ترك عقيل..؟ سياق السؤال يقتضي أن عقيلاً باعها، ومفهومه أنه لو تركها لنـــزلها، فسياق الاستفهام يفيد العموم للإشعار بأنه لم يترك من الرباع المتعدده شـــيئاً[2]، وذلك حين أتى أسامة ﷺ إلى النبي ﷺ يوم الفتح متسائلاً : أين تنـــزل غداً يارسول الله ؟، فتأتي الإجابة منه ﷺ بسؤال مثقلاً بالألم والحرمان: وهل ترك لنا عقيل من رباع ودور ؟.
فبأبي أنت وأمي يا رسول الله تدخل مكة بلدك .. حيث كانت دارك ودار خديجة .. حيث أقمت فيها أكثر من خمسين عاماً .. فلا تجد داراً تأوي إليها !!

١٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ ، فَقِيلَ لَهُ : وَمَا تُزْهِي؟ قَالَ: حَتَّى تَحْمَرَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَـــرَةَ بِـــمَ يَأْخُـــذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ ؟) .[3]

معنى الحديث:

ينهى النبي ﷺ في هذا الحديث عن بيع الثمار قبل اكتمال نضجها.

موضع الشاهد ودلالته :

يوضح ﷺ للصحابة استفهامهم حول علامة صلاح الثمار وعدم بيعها قبل اكتمال نضجها؛ بسؤال يقيم فيه الدليل على عدم صحة ذلك البيع؛ بقوله: بم يأخذ أحدكم مال أخيـــه؟ أي بأي شيء يأخذ أحدكم مال أخيه إذا تلف الثمر؟ لأنه إذا تلف الثمر لا يبقى للمشتري في مقابلة ما دفـــع شيء، فيكون أخذ البائع بالباطـــل، فكيـــف يأكله بغير عوض؟ ويروى بم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم ،(١١١٣/٣، ح ٢٨٩٣)، المحصّب: هو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى، في أعلى مكة، وحده من الحجون ذاهباً إلى منى، وسمي بذلك لأن أرضه تتميز بالحصباء، غير أن في هذا العهد أصبح لا حصباء، ولا بطحاء، ولا محصب ، فقـــد زالت كل معالم الطبيعة الجغرافية لهذه البقاع. (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل، ١٨٩).

(٢) انظر، فتح الباري ، (١ / ٨٩٤)، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٥٢٠) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باع إذا باع الثمار قبل بدو صلاحها ، (٢ / ٧٦٦ ، ح ٢٠٨٦) .

يستحل أحدكم مال أخيه؟ وفيه إجراء الحكم على الغالب لأن تطرق التلف إلى ما بدا صلاحه ممكن، وعدم تطرقه إلى ما لم يبد صلاحه ممكن، فأنيط الحكم في الغالب في الحالين.[١]

"يرتقي هذا النوع من الأسئلة – أسئلة الاستدلال – إلى درجة أعلى وأصعب في التفكير من أسئلة التمييز أو التذكر ، حيث يطلب من التلاميذ أن يميزوا بين المعلومات ، ويحللوها ، ويقارنوها بأخرى ، ويستنتجوا إجابات جديدة من خلالها. "[٢]

"إن هذه الطريقة تساعد المتعلم على الفهم، وتساعده على الحكم على الأشياء بنفسه، فيترك أثراً واضحاً في نفسه ، يجعله مقتنعاً به ، ويكون للحكم قيمة كبيره عنده. "[٣]

(١) انظر ، فتح الباري ، (١ / ١١٢٩) ، عمدة القاري ، (١٢/٨) .

(٢) طرق سائلة للتدريس الحديث ، محمد حمدان ، (١٠١) .

(٣) انظر طرق التعليم في السنه ، د . أحمد عليان ، (١١٨) .

المطلب الثاني

تأكيد الإجابة ، ولفت النظر ، وتحويل التفكير لما هو أهم من الإجابة المتوقعة للسؤال المطروح

يكون الرسول ﷺ جالساً بين أصحابه رضي الله عنهم يعلمهم ويربيهم ، يحادثهم ويحاورهم، يباسطهم ويوادّهم، فيهم الألمعي الذكي، وفيهم البسيط الغر، وفيهم الصغير القليل الخبرة ، ويسأله أحدهم سؤالاً ليس له جواب، إما أنه من علوم الغيب التي استأثر الله سبحانه وتعالى نفسه بها فلا يطلع عليها أحداً، وإما أن الجواب ليس له فائدة تذكر، والمعرفة به لا تضيف جديداً، وهنا يوظف النبي ﷺ السؤال ويبني عليه قضية جديدة ، جديرة بالنظر والتفكير والتأمل ، جديرة بالعمل فيما ينتج عنها وهذا هو الأهم . (١)

وفي هذا المطلب ثمانية أحاديث :

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ : (أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْهِجْرَةِ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا) . (٢)

معنى الحديث :

يسأل الأعرابي رسول الله ﷺ عن الهجرة وهي مفارقة دار الكفر إذ ذاك، والتزام أحكام المهاجرين مع النبي ﷺ وكأن ذلك وقع بعد فتح مكة لأنها إذ ذاك فرض عين ثم نسخ ذلك بقوله " لا هجرة بعد الفتح "، فيبيّن له ﷺ أن القيام بحقها أمرٌ صعب وشديد، ويوجهه لعمل الخير حيث ما كان، فإذا كان يؤدي فرض الله عليه في نفسه وماله، فلا يبالي أن يقيم في بيته وإن كان أبعد البعيد عن المدينة، فإن الله لا يضيع أجر عمله، ولا يهاجر فإن الهجرة من جزيرة العرب، ومن كانت داره من وراء البحار، أمر شاق وعسير لن يصل إليها، فمنعه

---

(١) انظر ، التربية النبوية ، عثمان مكانسي ، (١١١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب زكاة الإبل ، (٢ / ٥٢٦ ، ح ١٣٨٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب المبايعة بعد فتح مكة ، (٣ /١٤٨٨ ، ح ١٨٦٥).

من الهجرة لأنها كانت متعذرة على السائل شاقة عليه، وكان في الإيجاب حرجاً عليه وإضراراً .(١)

وقد بوب عليه ابن حبان " ذكر استيفاء المرء الثواب الجزيل في العقبى بإعطائه صدقة ماشيته في الدنيا ." (٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : فهل لك من إبل تؤدي صدقتها ؟ أي زكاتها، وإنما خص صدقة الإبل مع أن أداء جميع الواجبات واجب؛ لأنه كان من أهل الإبل، والباقي منقاس عليه .

يسأل الأعرابي رسول الله ﷺ عن أمر غيبي لا يعلمه رسول الله ﷺ، ولا ينتج عن معرفته أمر إيجابي، ولا عن الجهل به أمر سلبي، وهنا نجد أسلوب الرسول ﷺ ويسميه البلاغيون أسلوب الحكيم، أو الإلفات إلى الأهم وهذا الأسلوب قل من يستعمله ، فهو يحتاج إلى سرعة بديهه، وذكاء وحسن أداء . (٣)

وأحسب أنه ﷺ يقابل سؤال الأعرابي الذي يسأل عن الهجرة بسؤال يصرف فيه ذهنه عن الهجرة إلى ماهو أصلح له وأكثر توافقاً مع قدرته واستطاعته، رفقاً به وشفقة عليه؛ لأن الهجرة أمر شاق عليه لما فيها من مفارقة الوطن والأهل .

٢- عَنْ أَنَسٍ ﷺ : (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ: لا شَيْءَ إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ).(٤)

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٥٠٨) ، عمدة القاري ، (٩ / ١٤ ــ ٢٢ / ١٩٥) .

(٢) صحيح ابن حبان (٨ / ٤١).

(٣) انظر ، للتربية النبوية ، عثمان مكانسي ، (١١١) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب المهاجرين ، باب مناقب عمر بن الخطاب ، (٣ / ١٣٤٩ ، ح ٣٤٨٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب المرء مع من أحب ، (٤ / ٢٠٣٢ ، ح ٢٦٣٩) .

معنى الحديث :

أن محبة الله ، ومحبة نبيه والاستقامة على طاعتهما ، وعدم مخالفة أمرهما ، هو أعظم الدرجات ، وأرفع منازل الطاعات .

موضع الشاهد ودلالته :

سلك ﷺ مع السائل عن الساعة إشفاقاً مما يكون فيها طريق الأسلوب الحكيم؛ وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم؛ لأنه سأل عن وقت الساعة، وأجاب بسؤاله: ما أعددت لها؟ يعني إنما يهمك أن تعتني بما ينفعك عند قيامها :من الأعمال الصالحة [١]، وفيه جواز سكوت العالم عن جواب السائل والمستفتي إذا كانت المسألة لا تعرف، أو كانت مما لا حاجة بالناس إليها أو كانت مما يُخشى منها الفتنة . [٢]

٣- عن الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه قال : (مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي: مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ؟ قُلْتُ: لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ، قَالَ: هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ) .[٣]

معنى الحديث :

الدجال هو : شخص بعينه ، ابتلى الله عباده به ، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى؛ من إحياء الميت، واتباع كنوز الأرض، وإمطار السماء ، وإنبات الأرض بأمره ، ثم يعجزه الله عز وجل بعد ذلك، فلا يقدر على شيء من ذلك، و يكون مدعياً للإلهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله من انتقاصه بالعور، وعجزه عن إزالته عن نفسه، وعن إزالة

---

(١) عمدة القاري (٢٢ / ١٩٦) .

(٢) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ،(٨ / ١١٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، (٦ / ٢٦٠٦ ، ح ٦٧٠٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب جواز قوله لغير ابنه يا بني واستحبابه للملاطفة (٣/١٦٩٣ ، ح٢١٥٢) .بلفظ " وما ينصبك منه من النصب وهو التعب والمشقة ؛ أي ما يشق عليك ويتعبك منه (شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٣٠ه) ، ولفظ " وما سؤالك ؟ ، صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب في الدجال وهو أهون على الله ، (٤/٢٢٥٨ ، ح ٢٩٣٩) .

الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، وفائدة تمكينه من هذه الخوارق ؛ امتحان العباد ، وهو أهون على الله من أن يجعل ذلك سبباً لضلال المؤمنين ، بل هو ليزداد الذين آمنوا إيماناً. (١)

موضع الشاهد ودلالته :

إنه ﷺ يقابل سؤال السائل عن الدجال بسؤال: ما يضرك منه ؟

وفي روايات مسلم: وما ينصبك منه؟ من النصب بمعنى التعب والمشقة أى ما يشق عليك ويتعبك(٢)، أو ما الذي يغمك منه من الغم حتى يهولك أمره؟ (٣) ورواية: وما سؤالك عنه؟ أي وما سبب سؤالك عنه؟ .

و لم يتبين لي في اختلاف ألفاظ السؤال أمراً؛ إلا أنه ﷺ يصرف به ذهن السائل إلى ما هو أهم، من معرفة دقائق أموره، وهو هوان الدجال وعدم قدرته على إضرار المؤمنين.

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: وَمَنْ النَّاسُ إِلا أُولَئِكَ ؟) . (٤)

معنى الحديث :

أنه ﷺ يبين أن الساعة لا تقوم حتى تسير أمته ﷺ بسير القرون قبلها ، فالحديث فيه كناية عن شدة الموافقة لليهود والنصارى في المخالفات والمعاصي، لا في الكفر . (٥)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : ومن الناس إلا أولئك ؟ أي فارس والروم ، وذلك حين سئل ﷺ عن هؤلاء الذين يتبعوهم ،كفارس والروم ؟ وهما جيلان مشهوران من الناس، وفارس هم الفرس وملكهم كسرى، وملك الروم قيصر، وكلمة من للاستفهام على سبيل الإنكار، فليس المراد

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٧٣١) ، عمدة القاري ، (٢٤ / ٢١٦) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم،(١٤/١٣٠).

(٣) انظر، فتح الباري، (٣ / ٧٣١).

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي " لتتبعن سنن من كان قبلكم " (٦ / ٢٦٦٩ ، ح ٦٨٨٨).

(٥) انظر، عمدة القاري (١٦ / ٤٦) .

حصر الناس المتبوعين المعهودين المتقدمين ، وإنما عين هذين الجيلين لكونهما كانا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلاداً . (١)

٥- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، قَالَ : فَمَنْ ؟) . (٢)

موضع الشاهد ودلالته:

جوابه ﷺ لهم حين قالوا: اليهود والنصارى ؟ بسؤاله : فمن ؟ ، ولم يزد على ذلك شيئاً ، ففي هذا السؤال والذي قبله: ومن الناس إلا أولئك؟ دليل على أن حسن الكلام والاختصار في اللفظ إذا فهم المعنى ، لأنهم فهموا بهذه الإشارة أنه لم يرد غيرهم، واختصر بهما طوال الكلام ، وفي ذلك من الحسن كل بديع .

قال ابن حجر:" استفهام إنكاري ، أي ليس المراد غيرهم"(٣) والذي يبدو لي سؤاله ﷺ تأكيد للمعلومة أكثر من أن يكون إنكاراً، إن لم يكن هم اليهود والنصارى فمن يكونون؟.

الدلالة التربوية:

فيه دليل على مراجعة العالم إذا بقي في كلامه على السامع احتمال، يؤخذ ذلك من قول الصحابة (اليهود والنصارى) ؟ سؤال استرشاد وتثبت، فإن حسن السؤال نصف العلم، فاستفهموا لزوال الاحتمال . (٤)

٦-عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: لا أَجِدُهُ ، قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلا تُفْطِرَ؟ قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟) . (٥)

---

(١) انظر ، عمدة القاري (٢٥ / ٥٢).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، (٣ / ١٢٧٤ ، ٣٢٦٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب كراهة الخصومة في الدين ، (٢٥٩٥).

(٣) فتح الباري ، (٢ / ٣٤٥) .

(٤) انظر، بهجة النفوس ، (٢ / ١١٣١) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل الجهاد ، (٣ / ١٠٢٦ ، ح٢٦٣٣) .

معنى الحديث :

أن الجهاد أفضل الأعمال، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك . (١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : هل تستطيع إذا خرج المجاهد ..؟ للذي سأله عن عمل يعدل الجهاد ، وأحسب أنه ﷺ بهذا السؤال أكد في ذهن السائل استحالة وجود عمل يعدل الجهاد حتى وصل السائل إلى النتيجة بنفسه فاستنتجها ، فقال : ومن يستطيع ذلك ؟.

٧- عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الْكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ مِنْهُ فَإِنَّهُ أَطْيَبُهُ قَالُوا : أَكُنْتَ تَرْعَى الْغَنَمَ؟ قَالَ: وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلا وَقَدْ رَعَاهَا ؟) . (٢)

معنى الحديث :

في طريق الرسول ﷺ إلى فتح مكة، وحين حط الجيش قريباً منها، والناس يبحثون عن ما يؤكل من ثمر الأراك الناضج، سأل الصحابة رسول الله ﷺ : هل كنت ترعى الغنم؟ وكأنهم يشعرون أن النبي ﷺ أعظم من أن يرعاها، وفي سؤالهم اختصار ، والتقدير: أكنت ترعى الغنم حتى عرفت أطيب الأراك؟ لأن قوله ﷺ لهم : عليكم بالأسود منه، دال على تمييزه بين أنواعه ، والذي يميز بين أنواع ثمر الأراك غالباً من يلازم رعي الغنم لكثرة تردده تحت الأشجار لطلب المرعى منها والاستظلال تحتها، على ما ألفوه ، فبين لهم أن جميع الأنبياء رعوها، والحكمة في أن الله تعالى لم يضع النبوة في أبناء الدنيا والمترفين منهم، وإنما جعلها في رعاء الشاء، وأهل التواضع من أصحاب الحرف، ليتعلموا منها دروساً عظيمة، فهي قوة عملية تدريبية لرعاية الأمة (٣).

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ١٤٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب " ويعكفون على أصنام لهم " ، (٣ / ١٢٥٠ ، ح ٣٢٢٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب فضيلة الأسود من الكباث ، (٣ / ١٦٢١ ، ح ٢٠٥٠).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (١٥ / ٣٠٣) .

موضع الشاهد ودلالته :

أنه ﷺ يقابل سؤال الصحابي: أكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟، بسؤاله : وهل من نبي إلا وقد رعاها ؟ ليؤكد فيه أن الله قد جعلها سنة في أنبيائه كما يبدو لي .

٨- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ (١) ﷺ : (أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لأبي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ : مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي ولا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟ فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ)، وفي رواية : (أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ جَاءَتْ فَزَعَمَتْ أَنَّهَا أَرْضَعَتْهُمَا فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ ؟) (٢) .

معنى الحديث:

أن عقبة ﷺ بعد أن سمع شهادة المرأة بإرضاعه مع زوجته، ركب إلى رسول الله ﷺ حال كونه في المدينة، وكان ركوبه من مكة لأنها دار إقامته ،فسأل عقبة رسول الله ﷺ عن الحكم في المسألة النازلة لذاته، فأفتاه بالتحرز عن الشبهة، وأمره بمجانبة الريبة، خوفاً من الإقدام على فرج قام فيه دليل على أن المرأة أرضعتهما، لكنه لم يكن قاطعاً ولا قوياً؛ لإجماع العلماء على أن شهادة المرأة الواحدة لا تجوز في مثل ذلك، لكن أشار عليه النبي ﷺ بالأحوط. (٣)

موضع الشاهد ودلالته :

إن سؤاله ﷺ كيف وقد قيل؟ وفي رواية " كيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما؟ (٤)" لعقبة حين سأله عن قول هذه المرأة؛ مشعر بإشارته ﷺ إلى تركها ورعاً واحتياطاً لاحتمال أن يكون قولها أنها أرضعتهما صحيحاً فيرتكب الحرام، ولهذا فارقها عقبة ، ففيه توضيح

---

(١) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، أبو سِروعة النوفلي المكي ، أسلم يوم الفتح ، روى عن النبي ﷺ ، له صحبة ، وهو الذي قتل خبيب بن عدي ، مات في خلافة ابن الزبير . (الإصابة ، ٢ / ٤٨٨) ، (التهذيب ، ٥ / ٦٠٥) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الرحلة في المسألة النازلة ، (١ / ٤٥ ، ح ٨٨) .

(٣) انظر، عمدة القاري، (٢/٢٠١).

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب شهادة الإماء والعبيد (٢ / ٤١،ح ٢٥١٦) .

الشبهة وحكمها، وهو الاجتناب عنها ، والتقدير: كيف تباشرها وتفضي إليها وقد قيل إنك أخوها؟ أي إن ذلك بعيد من ذي المروءة والورع .(١)

يبدو لي أنه ﷺ قد أحدث تهيئة ذهنية ونفسية لعقبة ﷺ قبل طرح السؤال الذي يؤكد له وجوب تنفيذ حكم الفراق بناء على ما شهدت به المرأة من إرضاعهما ، وذلك بـ:

٢- إعراضه ﷺ ليبين فيه للسائل أن الحكم فيما سأله الكف عنه .

٣- تبسمه ﷺ لتهوين الأمر، وبعث الراحة والرضا في النفس .

والذي يظهر لي في هذه الأحاديث أنه ﷺ لا يلقى الإجابة على سؤال السائل بشكل مباشر بل يطرحها بصيغة سؤال يحمل نوعاً من الاستنتاج الذهني للوصول إلى الإجابة .

إن طريقة الاستنتاج والاستدلال؛ تساعدنا على استعمال المعلومات بهدف التوسع، وإعادة تنظيم فهمنا لمحتوى ما نتعلمه، ويقدم أسلوب استنتاج الأحداث محتملة الوقوع على سبيل المثال المساعدة على فهم كيفية الاستفادة من المعلومات النظرية المجردة المكتسبة، والحصول على معلومات أخرى في مواقف مشابهه .

ومما يجدر ذكره أن القدرة على الاستقراء والاستنتاج والاستدلال للخروج بقانون أو مبدأ عام، يعد من القدرات العقلية التي يتألف منها الذكاء .

كما أن السبر بإعادة التركيز ينتج عنه مهارات التحليل والمقارنة، لأننا نحاور حتى نصل إلى العلاقة بين الموضوع الذي نسأل عنه وبين موضوع آخر إما اتفاقاً " التركيب " أو التمييز بين الموضوعين اختلافاً " التحليل " وأخيراً فإن السبر الناقد أو التأملي ينتج عنه إثبات صحة الإجابة بالدليل " الحجج "؛ لتصبح الإجابة بمثابة اتخاذ القرار، والدليل بمثابة البرهان الذي يُدعم صحة الإجابة، وكل هذه المهارات من أرقى أنواع مهارات مستويات التفكير العليا التي يجب الاهتمام بها، فكلما ارتفعنا بأسئلتنا، وتدرجنا بها إلى مراحل تفكيرية أعلى، فإننا

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١/ ١٠٨٦ – ٢ / ٨٣) .عمدة القاري ، (٢ / ١٠٢) ، (١١ / ١٦٦) .

نكون بهذا قد ساعدنا على تطوير القدرة الفكرية، وزرع حب وقوة الاستنتاج والمنطق، وليس من المهم بمكان حفظ المعلومات وتذكرها، ولكن الأهم من هذا هو كيفية استعمال المعرفة، والاستفادة منها في مواقف أخرى مشابهة لها. (١)

إن هذه الأساليب النبوية التي مرت بنا من طرح الأسئلة لإثارة الانتباه وما يتخللها من صمت لزيادة نسبة التركيز، والتهيئة لذلك من تبسم وضحك وتغيير هيئة، وتكرار السؤال، أو أسئلة رفع مستوى الهمة والحماس، أو أسئلة الإقناع الفكري، وأسئلة الاستنتاج ولفت النظر لما هو أهم، التي راعى فيها ﷺ خصائص النمو العقلي، والنفسي والوجداني لدى المتعلمين، ومستوى إدراكهم، والحوافز المؤثرة والمقنعة لهم، والدوافع التي يمكن أن تثير مشاعرهم، وتهيئ نفوسهم للتلقي والتعلم، مع احترام مبادئهم الشخصية، ونشاطهم الذاتي، ومشاركتهم الفعالة في عملية التعلم بفهم، ووعي وتبصر، وليس عن طريق التلقين، وحشو الأذهان بالمعلومات والمعارف، دون فهمها واستيعابها، إنها أساليب غاية في الروعة والإعجاز، سابقة لما توصل إليه الفكر التربوي في العصر الحديث من أسس وقواعد في تربية الناشئة تربية متكاملة سوية. (٢)

وحيث إن الحضارة ما هي إلا نتاج العقل الواعي ، والقلب المستنير ؛ لذا يتحتم علينا أن نعمل جاهدين للنهوض بأمتنا وإعداد أطفالها، وشباب المستقبل؛ بتنمية عقولهم ، وتوسيع مداركهم ، إضافة إلى حسن توجيههم نحو استيعاب معطيات العلوم والحضارة للاستفادة منها تحت مظلة الوعي الإسلامي .(٣)

---

(١) انظر ، مدى استخدام معلمات اللغة العربية أسلوبي السبر والتوقف أثناء إلقاء الأسئلة الشفهية الصفية ، شيخة السنبل ، (٤٣) ، طرق سائلة للتدريس الحديث ، محمد زياد حمدان ، (١١١) ، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ، د. محمد نبيل ، (١٦٥) ، التدريس من أجل تنمية التفكير ، روبرت مارزانو ، (٥٨) .

(٢) انظر ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، عبد الحميد الزنتاني ، (١٩٦) .

(٣) انظر ، تربية الأطفال النبوية ، محمد حمد ناصر ، (٣١٢) .

الفصل الثالث

أسئلة الرسول ﷺ النفسية

المبحث الأول : أسئلة تقييم الواقع النفسي

المبحث الثاني : أسئلة الأمن النفسي

الفصل الثالث :
أسئلة الرسول ﷺ النفسية

لقد اهتم علماء التربية بالتدريب العقلي في بادئ الأمر؛ إذ إنه يخزن ما سوف يؤثر في الحياة المقبلة من معارف وعلوم، ولذا انصب اهتمامهم على إعطاء أكبر قدر من المعارف لتدريب العقول دون الاهتمام بالجوانب الأخرى، وكان تركيزهم منصباً على المعلومات وخزنها سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة، وقد أثبتت الدراسات المستمرة خطأ الاعتماد على التدريب العقلي فقط، وبيّنت هذه الدراسات أن الإنسان كلٌّ متكامل، يجب الاهتمام به، وبخصائص نموه المتعددة، والاهتمام بحاجاته وميوله، وقدراته ومهاراته، واستعداداته، وطرق تفكيره وسلوكه، كما يجب الاهتمام بالنواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية للفرد المتعلم، فأصبح من الواجب على المعلم معرفة حاجات المتعلم، وميوله ورغباته، ودوافعه إلى التعلم، وكيفية نموه . (١)

فالأهداف التربوية والتعليمية يجب أن لا تقتصر على تزويد المتربين ببعض المعارف والمهارات التي تخاطب عقولهم فقط، بل لا بد من تزويدهم بالمساعدات التي تضمن لهم نمواً نفسياً سليماً، وتحقق تكيفاً شخصياً وأكاديمياً مثمرا؛ أي يجب أن تساهم العملية التعليمية التربوية في بناء الشخصية المتمتعة نسبياً بالصحة النفسية والتي توفر لصاحبها الشعور بالكفاية والثقة، وتزوده بالقدرة على الإنجاز والتغلب على مشكلات الحياة .

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين أحسب أن منها ما يحقق به الرسول ﷺ النمو النفسي السليم، وهي كما يبدو لي أسئلة ذات أهمية كبيرة؛ لأنها تدل على أن للإنسان حاجات أساسية وثانوية لا بد من معرفة كيفية إشباعها بشكل صحيح؛ لأن ذلك سيؤثر على سلامة السلوك، وصحة التصرفات، ونظراً لأثر التربية النفسية المهم والخطير على الفرد جسمياً وعقلياً ونفسياً، نشأت علوم نفسية حديثة ؛ منها ما هو خاص بالوقاية

---

(١) انظر ، مقدمة في التربية ، د. إبراهيم ناصر، (٢٦).

النفسية، وآخر خاص بالعلاج النفسي، ولجميع الفئات العمرية المختلفة، منها: علم نفس الطفل، وتربية المراهق النفسية .

ومن خلال الأسئلة التي طرحها الرسول ﷺ يتضح لي أنه ﷺ كان يرسي قواعد أساسية تمت الإشارة إليها لاحقاً عند أصحاب الاختصاص، وذلك للمحافظة على استقامة الصحة النفسية، والبناء العاطفي، وتلك الأسئلة تتمثل في :

١- الأسئلة التي يطرحها لتقييم الواقع النفسي؛ وذلك ليُعلم الآخرين ذلك الواقع، ويُعلمهم كيفية التعامل الصحيح معه .

٢- الأسئلة التي تحقق الأمن النفسي .

المبحث الأول :
أسئلة تقييم الواقع النفسي

الواقع النفسي:

أقصد به ما تنطوي عليه النفس الإنسانية، وما تحمله بين جنباتها من ميول ورغبات واتجاهات نحو أشياء معينة تدفعها لتحقيقها والحصول عليها، وما تمتلكه من قدرات وطاقات ومقومات شخصية تمكنها من الإنجاز وتحقيق الأهداف.

ويأتي تقييم هذا الواقع بغرض الكشف عنه، وتحديد قيمته، ومن ثم توجيهه توجيهاً إيجابياً، وإصدار الأحكام التي تناسبه، وهذا التقييم له عدة أساليب ووسائل من أهمها الأسئلة .

وبعد البحث والدراسة في أسئلة الرسول ﷺ في أحاديث الصحيحين، وجدت عشرة أحاديث طرح فيها ﷺ أسئلة أحسب أنه ﷺ يراعي فيها الحاجات النفسية، وذلك عن طريق:

١- السؤال عن الرغبات والميول والاهتمامات.

٢- السؤال عن القدرات الذاتية.

المطلب الأول

السؤال عن الرغبات والميول والاهتمامات

الرغبة: شوق وإرادة على المستوى الشعوري، أو هي أمنية لتحقيق هدف معين، وهي بذلك تدفع الفرد لتحقيق ما يرغب.[1]

الميل: اهتمام يؤدي إلى الحاجة إلى الانتباه الانتقائي لشيء له مغزاه عند الفرد، قد يكون نشاطاً، أو هدفاً، أو مجالاً معيناً، وعوامل الميل قد تشغل الهوايات وأنشطة الترويح وأوقات الفراغ،[2] ومن تعريف الميول يتضح تطابق الميول مع الاهتمامات.

إن عناية المربي بميول المتربين ورغباتهم وتقديرها واحترامها، وسؤالهم عنها لتلبيتها لهم، إذا كانت وفق الضوابط الشرعية والعرفية من المقومات المهمة لتمتع الفرد بالصحة النفسية الجيدة، والسبيل الصحيح للوصول إلى تربية متكاملة.

وبعد البحث والدراسة في أسئلة الرسول ﷺ الواردة في أحاديث الصحيحين وجدت ستة أحاديث سأل فيها ﷺ عن ميل من يخاطبه واهتمامه ورغبته:

السؤال عن الاهتمامات بما يحقق السعادة للمسئول :

١- عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ ؟) .[3]

معنى الحديث:

يبين أنس ﷺ حسن معاشرة النبي ﷺ لهم فيقول : إن النبي ﷺ ليخالطنا غاية المخالطة ويعاشرنا نهاية المعاشرة ، ويجالسنا ويمازحنا حتى انتهت مخالطته لأهلنا كلهم ؛ حتى الصبي

---

(١) انظر، معجم علم النفس والطب النفسي، (٤ / ١٧٧٥).

(٢) انظر، معجم علم النفس والطب النفسي، (٣/ ٩٢٨).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس ، (٥ / ٢٢٧٠ ، ح ٥٧٧٨) ، صحيح مسلم ، كتاب الآداب ، كتاب الأدب ، باب استحباب تحنيك المولود ، (٣ / ١٩٩٢ ، ح ٢١٥٠) .

وحتى الملاعبة معه وحتى السؤال عن فعل النغير[١]، فكان ليقول لأخ لي - أي من أمـــي أم سليم - وأبوه أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، يا أبا عمير ما فعل النغير؟.

وفي رواية: (كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال: أحســبه فطيم- فطيم بمعنى مفطوم أي انتهى إرضاعه- وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل النغير نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة، وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الــذي تحتــه فيكــنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا). [٢]

وفي رواية: (كان لأبي طلحة ابن يقال له: أبو عمير، وكان النبي ﷺ يضاحكه، قال: فــرآه حزيناً، فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير). [٣]

وفي رواية : (كان النبي ﷺ يدخل على أمي أم سليم، فتتحفه بالشيء، فدخل علينــا يومــاً وعندها أخ لي صغير فرآه خاثر النفس - أي ثقيل النفس غير نشيط- فقال: ما بال ابنك يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فقال: يا أبا عمير مــات النغير[٤] أتى عليه الدهير.)[٥]

النغير والصعو: شيء واحد، وهو طائر معروف يشبه العصفور، أحمر المنقار، وقيل هي فراخ العصافير [٦].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لأبي عمير: ما فعل النغير؟": أي ما شأنه وحاله، أو أين النغير[٧] والمعنى ما جرى له حيث لم أره معك؟ [١]، والرسول ﷺ في هذا يقرر قاعدة نفسية عظيمة جداً، يمكن لنا أن نستنبط منها محورين؛ يشكلان أساساً قوياً للبناء النفسي السليم للطفل :

---

(١) انظر، فتح الباري ، (٣/ ٢٤١) ، تحفة الأحوذي ٦/ ١٠٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل ، (٢٢٩١/٥، ح ٥٨٥٠).

(٣) مسند الإمام أحمد ، (٣/ ١١٤).

(٤) يا أبا عمير ما فعل البعير قاله بفتح عين عمير بوزن عظيم، وقال بموحدة مفتوحة بدل النون، وأهمل العين بوزن الأول فصحف الاسمين معاً. فتح الباري،(٥٨٤/١٠)، فتح المغيث ، (٧٤/٣) .

(٥) مسند الطيالسي، (١/ ٢٨٥) ، مسند عبد بن حميد، (٤١٤/١).

(٦) هذا معنى كلمة النغير، (النهاية ، ٨٥/٥) .

(٧) الأدب المفرد، (١٣٩/١).

١- المحور الأول : إظهار الاحترام للطفل : ويتمثل في :

أ - احترامه أثناء الحديث؛ سواء كان ذلك الاحترام في أثناء الحديث مع الطفل، فتتحدث معه بهدوء، وصوت غير حاد، خالٍ من الصراخ، أو عند مناداته: بالبعد عن استخدام البذيء من الأسماء والكنى، بل إنه ﷺ اختار له كنية كأنه رجل كبير لعلمه ﷺ أن من أحب الأشياء التي تتطلّع لها نفس الصغير - ذكراً كان أو أنثى - هو تقليد الكبار كلاً حسب جنسه، وإعطاء الرسول ﷺ هذه الكنية للطفل تعتبر نوعاً من ممارسة الطفل لدور الكبار .

٢- المحور الثاني: مراعاة ميول الأطفال، واهتماماتهم المباحة ومساعدتهم، وتشجيعهم على إبراز تلك الميول، وتوفير البيئة الغنية التي تسهم في ممارستهم لتلك الميول أيضاً .

" إن مقدرة المعلم على فهم مشاعر الطفل وانفعالاته، هي السبيل للوصول إلى تربية الطفل تربية متكاملة. " (٢)

الدلالات التربوية :

١- بيان ما كان النبي ﷺ عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل، والتواضع في مخالطته للصبيان والصغار ومؤانستهم وملاطفتهم، يمسح على رؤوسهم، ويدعو لهم، ويخصهم بالمحادثة والأسئلة، (٣) ولا يخفى ما في ذلك من أثر على نفسية الطفل وتقوية ثقته بنفسه .

٢- تحسس مشاعر الناس وعواطفهم، فقد يحكم ﷺ بما يظهر من إمارات الوجه والعينين على حال صاحبها، إذ استدل ﷺ بالحزن الظاهر على الحزن الكامن حتى حكم بأنه حزين ، فسأل أمه عن حزنه .

٣- السؤال عما السائل به عالم، جانب تربوي مهم غايته فتح قناة يبث منها المسئول همه وشكواه للسائل .

٤- ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به، و إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات . (٤)

---

(١) انظر ، عمدة القاري، (٢٢/١٧٠)، عون المعبود (١٣/٢١٢) .

(٢) مهارات التدريس ، د. جابر عبد الحميد جابر ، (٢٨٠) .

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٤/١٢٩) .

(٤) انظر، فتح الباري (٣ / ٢٤١) .

فالسرور والفرح يلعب في نفس الطفل شيئاً عجباً ويؤثر في نفسه تأثيراً قوياً، فالأطفال وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح، وبالتالي فإن تحريك الوتر المؤثر في نفس الطفل سيورث الانطلاق والحيوية في نفسه كما أنه يجعله على أَهُبة الاستعداد لتلقي أي أمر أو ملاحظة أو إرشاد، إن إدخال الفرح والارتياح إلى نفس الطفل يجعله يبرز موهبته على أكمل وجـــه ، فمن الأساليب الناجحة في كثير من المواطن في نمو الطفل وتربيته الاستجابة لميوله، وترضيته حتى يرضى، فإذا تمت الاستجابة لميوله انشرحت نفسه، وانطلق بحيوية فائقة [١] .

السؤال عن وجود الباعث والميل النفسي :

٢- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَان تُغَنِّيَان بِغِنَاء بُعَاث فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْـــرٍ فَـــانْتَهَرَنِي وَقَـــالَ: مِزْمَـــارُ الشَّيْطَان[٢] عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْه رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَالَ: دَعْهُمَـــا فَلَمَّـــا غَفَـــلَ غَمَزْتُهُمَا، فَخَرَجَتَا وَكَانَ يَوْمَ عِيد يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَق وَالْحِرَاب فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَني وَرَاءَهُ خَدِّي عَلَى خَدِّه وَهُوَ يَقُـــولُ: دُونَكُمْ يَا بَني أَرْفِدَةَ [٣]؟ حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: حَسْبُكِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبِي) .[٤]

معنى الحديث :

أن أبا بكر ﷺ حين رأى عند عائشة رضي الله عنها جاريتين تغنيـــان بغنـــاء بُعـــاث: أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث؛ وهو يوم مشهور من أيام العرب، كانت فيه مقتلـــة عظيمة بين الأوس والخزرج، قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو واللعب[٥] غضب من ابنته وزجرها، فأمره النبي ﷺ بتركهما ، وقال في رواية: (إن لكـــل

---

(١) انظر ، الانصات الانعكاسي ، د. محمد ديماس ، (٣٧) .

(٢) مزمار الشيطان : الصوت الذي له صفير ، وإضافتها للشيطان من جهة أنه تلهي . (فتح الباري ، ١ / ١٤٩)

(٣) بنو أرفدة : أرفدة بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الفاء وفتحها، والكسر أشهر؛ وهو لقب للحبشة أو اسم أبيهم الأقدم ، وقيل جنس منهم يرقصون، وقيل المعنى يا بني الآماء . (عمدة القاري ، ٦ / ٢٧٠) .

(٤) صحيح البخاري، كتاب العيدي ، باب الحراب والدرق يوم العيد، (٣٢٣/١ ، ح ٩٠٧) ،صحيح مسلم ، كتاب العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ، (٦٠٧/٢ ، ح٨٩٢) .

(٥) هذا معنى غناء بعاث كما ورد في: (النهاية ، ٣٩٢/٣).

قوم عيداً، وهذا عيدنا) [1]، فهذا تعليل لنهيه إياه بقوله: دعهما، وبيان لخلاف ما ظنه أبـو بكر من أنهما فعلتا ذلك بغير علمه؛ لكونه دخل فوجد النبي ﷺ مغطى بثوبـه نائمـاً، ولا سيما المقرر عنده منع الغناء واللهو فبادر إلى إنكار ذلك قياماً عن النبي ﷺ ، مستنداً إلى ما ظهر له، فأوضح له النبي ﷺ الحال وبيّنه وعرّفه الحكم مقروناً ببيان الحكمة بأن لكل قـوم عيداً؛ أي أن لكل طائفة من الملل المختلفة عيداً يسمونه باسم مثل النيروز والمهرجـان وإن هذا اليوم يوم عيدنا وهو يوم سرور شرعي، فلا ينكر مثل هذا؛ على أن ذلك لم يكن بالغناء الذي يهيج النفوس إلى أمور لا تليق، ثم استمرت عائشة رضي الله عنها في حديثها ببيـان اهتمامه ﷺ بتلبية ميولها ورغباتها وهي في تلك المرحلة العمرية، حيث كان في ذلك اليـوم السودان يلعبون بالدرق وهو ضرب من التروس يتخذ من الجلود ،[2] فإما التمسـت مـن رسول الله ﷺ النظر إليهم وكلمة "إما" تدل على ترددها فيما كان وقع منها؛ هل كان أذن لها في ذلك ابتداء منه من غير سؤال منها، أو كان عن سؤال منها إياه في ذلك [3].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ: تشتهين تنظرين؟ وفي رواية:" يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ؟[4] سؤال عـن رغبتها في ذلك، فلما أجابت: بنعم، حقق رغبتها تلك في الحال، وذلك بأن وقفت وراءه، ووضعت وجهها على كتفه ﷺ، فكان خدها على خده متلاصـقين؛ لاكتمـال الشـعور بالأنس والحنان، وقال: دونكم يابني أرفده، أي الزموا ما أنتم فيه وعليكم به، حتى إذا ملتّ واكتفت من المتعة بالنظر إليهم، سألها بقوله :حسبك؟ الاستفهام مقـدر؛ أي أحسـبك ؟ والخبر محذوف أي أكافيك هذا القدر ؟[5].

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب سنة العيدين لأهل الإسلام (٣٢٤/١ ، ح ٩٠٩).

(٢) هذا معنى الدرق كما ورد في : (لسان العرب ، مادة : درق ، ٩٥/١٠)

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (٢٧٠/٦).

(٤) أخرجه النسائي في الكبير ، كتاب عشرة النساء ، إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب ، (ج٥/ص٣٠٧ ، ح ٨٩٥١) ، قال ابن حجر : إسناده صحيح و لم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا ، (فتح الباري ، ١ / ٦٥٠) .

(٥) انظر ، عمدة القاري ، (٢٧٠/٦).

إنه ﷺ يراعي حاجة عائشة رضي الله عنها، وميلها النفسي في هذه المرحلة العمرية للنظر والفرجة على الذين يلعبون بالحراب، فيسألها عن ذلك بقوله: " تشتهين تنظرين ؟ "، بل ويضع خده على خدها لتشعر بالأنس والمشاركة أثناء النظر وإشباعها هذه الرغبة، ثم يسألها عن اكتفاء هذه الحاجة في نفسها، بقوله: " حسبك ؟ " .

الدلالات التربوية :

١- أن التعلم إنما يكون مع الباعث من المتعلم، وإن عدم الباعث منه فالترك إذ ذاك لكي تجم النفس، ثم يأخذ بأهُبه، لأنه ﷺ لما ظهر له من عائشة رضي الله عنها أنها ملّت، قال لها: " حسبك؟"، ولأن التعلم مع الكسل قلّ أن يتأتى منه المقصود .

٢- جواز الحكم على الباطن بما يظهر في الظاهر، لأن النبي ﷺ استدل على أنها ملّت بما ظهر له من حالها، لكن الحكم بذلك مطلقاً لا يجوز حتى يستيقن ذلك من صاحبه، لأن النبي ﷺ أعرف الناس بذلك الشأن، ثم لم يحكم به حتى استفهمها عنه، فأجابت بتحقيق ما ظهر له . [١]

سؤال عن سبب مجانبة الميول :

٣- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ أَوْ قَالَ :خَيْرًا) .[٢]

---

(١) انظر، بهجة النفوس ، (١ / ٨٦٥).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النفقات ، باب عون المرأة زوجها في ولده، (٥/٢٠٥٣ ،ح ٥٠٥٢) ،صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر ، (٢/ ١٠٨٧، ح ٧١٥)، وبلفظ " فأين أنت من العذارى ولعابها ؟ ".

معنى الحديث :

يسأل النبي ﷺ جابراً ﷺ على سبيل الاستخبار: أتزوجت بكراً أم تزوجت ثيباً ؟ والثيب من ليس ببكر، ويقع على الذكر والأنثى، يقال: رجل ثيب وامرأة، والمراد هاهنا العذراء، فأجابه: إن أبي وهو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، مات وترك تسع بنات، وفي رواية: (ست بنات)[1] ، فكان ثلاث بنات منهن متزوجات، أو بالعكس، وفي رواية: (ولي أخوات صغار)[2] ، فلم يعين عددهن ولا إشكال فيه؛ لأن ذكر القليل لا ينافي ذكر الكثير، فكرهت أن أضم إليهن (خرقاء)[3] مثلهن أي صغيرة لا تجربة لها في الأمور ، والخرقاء -هي الحمقاء الجاهلة، وقيل: الخرقاء المرأة التي لا رفق بها ولا سياسة- وأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن ، وتعلمهن وتؤدبهن .

فصوَّبه النبي ﷺ وقال له: بارك الله لك، وفي رواية : (بارك الله عليك)[4]، ومناسبة قوله ﷺ "بارك الله لك"؛ اختصاصه بالبركة في زوجته، "وبارك الله عليك"؛ شمول البركة له في جودة عقله حيث قدم مصلحة أخواته على حظ نفسه، فعدل لأجلهن عن تزوج البكر مع كونها أرفع رتبة للمتزوج الشاب من الثيب غالباً[5].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ: " هلا جارية تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحك ؟" وفي رواية: (أفلا بكراً تلاعبها ؟)[6]، وفي رواية: (أين أنت من العذارى ولعابها ؟)[7] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا ، باب قضاء الوصي ديون الميت بغير محضر من الورثة ،(٣/١٠٢٣، ح ٢٦٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير ، باب استئذان الرجل الإمام ، (٣/١٠٨٣، ح٢٨٠٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (٤/١٤٨٩ ،ح ٣٨٢٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمتزوج، (ج٥/ص٢٣٤٧، ح ٦٠٢٤).

(٥) انظر، فتح الباري، (١/ ١٠٨٤- ١٠٩٧- ١١٦٤) ، (٣/ ٣٢٩)، (، عمدة القاري، ، (٨/١٦٦) ، (١١/٢١٥) ، (٢١/٢٤) .

(٦) مسند الإمام أحمد ، (٣/٢٩٤، ح ١٤١٦٤) .

(٧) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، (٢/١٠٨٧، ح ٧١٥) .

فرسول الله ﷺ يعرف أن نفس الشاب تميل إلى البكر وتألفها لما فيها من المزايا؛ منها الألفة التامة التي تتميز بها البكر، فإن الثيب قد تكون متعلقة القلب بالزوج الأول، فلا تكون محبتها كاملة بخلاف البكر[1]، لذلك سأل ﷺ جابراً ﷺ هذا السؤال " ليعرف ما هي الفكرة التي دفعته لترك ذلك الميل؟ واختيار تلك الثيّب والرغبة بها، وعندما عرف الرسول ﷺ السبب؛ دعا له بالبركة، وفي ذلك أكبر دليل على إقرار الرسول ﷺ بميول الفرد ورغباته، وتفهمه لها عليه الصلاة والسلام، وهذا أيضاً من أساسيات البناء النفسي السليم.

سؤال تعجب من الميول لعدم توافقه مع الفطرة :

٤- عن أُمّ حَبِيبَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَة، وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي الْخَيْرِ أُخْتِي، فَقَالَ: إنَّ ذَلِكِ لا يَحِلُّ لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه فَوَاللَّه إنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَاللَّه لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إنَّهَا بِنْتُ أَخِي مِنْ الرَّضَاعَةِ أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ) .[2]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ :" أوتحبين ذلك ؟" لأم حبيبة رضي الله عنها حين طلبت منه ﷺ أن ينكح أختها، وحينما سألها عن محبتها لذلك، قالت: لست لك بمخلية؛ أي لست خالية من الضرات، ولست الزوجة الوحيدة التي لا يشاركها أحد في زوجها، وأحب من شاركني فيك وفي صحبتك والانتفاع منك بخيرات الآخرة والدنيا أختي .

يبدو لي أن أسلوبه ﷺ يفتح الحوار مع الآخرين، فعندما عرضت عليه زوجته أم حبيبة رضي الله عنها لم يُهاجمها، بل سألها:" أتحبين ذلك؟" أي أتميلين إليه وتريدينه؟ هذا استفهام تعجب من ميولها ومحبتها لما طلبته منه مع ما طبع عليه النساء من الغيرة، وهو ﷺ يقرّ بهذا الجانب في

---

(١) انظر، عون المعبود ، (٦ /٣١) .

(٢) تقدم تخريجه وبيان معناه في مبحث تعيين مراد المتكلم ، لوجود سؤال مرتبط بذلك المبحث، فافعل ماذا ؟ (٩٠).

النفس البشرية، ويتقبله بصدر رحب، ولكن لا يوافقها عليه، ويبين لها أن نتيجة هذه العاطفة غير شرعي، ويبيّن لها الأسباب في عدم ميله لما تميل إليه .

السؤال لتحديد الميول والرغبة:

٥- عن عِتْبَانَ بْنَ مَالك الأنْصاريَّ ﷺ قال: (كُنْتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي بِبَنِي سَالِمٍ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتْ الأمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَإِنَّ الْوَادِيَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتْ الأمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي مِنْ بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: سَأَفْعَلُ، فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟ فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرٍ[١] يُصْنَعُ لَهُ ..الحديث) .[٢]

معنى الحديث :

أصاب عتبان ﷺ ضر في بصره، فقارب العمى، فلم يستطع إمامة قومه بسبب سيلان الوادي بين مسكنه وبين مسجد قومه، فحال بينه وبين الصلاة معهم، فطلب من رسول الله ﷺ أن يصلي في بيته، رغبة منه في أن تكون تلك البقعة مصلى له .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لعتبان: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ إن السؤال هنا من رسول الله ﷺ لعتبان ليعرف أي بقعة هي أنسب في نظر صاحب البيت كي تتخذ مسجداً، ورغبات صاحب الملك مبنية على حاجاته، وعلى ما يراه مناسباً بالنسبة لوسائل انتفاعه من مرافق بيته.

---

(١) الخزيرة : لحم يقطع صغاراً، ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ، وقيل : هي حساء من دقيق ودسم ، وقيل : إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة . النهاية ، (٢ / ٢٨) .

(٢) تقدم تخريجه في مبحث تقرير المخاطب ، لوجود سؤال في الحديث مرتبط بذلك المبحث : أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ (١٣٢).

وأحسب أن السؤال عن البقعة التي يحب تخصيصها بذلك؛ ومجيئه ﷺ وهو سيد المرسلين إلى بيت عتبان وصلاته في المكان الذي اختاره لتحقيق رغبته تلك؛ احتراماً منه ﷺ لرغبته هذه وميله لذلك، طالما أن فيه الخير للرجل في أمر دينه ودنياه.

٦- عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: (انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلا إِذًا) .(١)

معنى الحديث :

إن بشيراً (٢)جاء إلى النبي ﷺ ليطلب منه أن يشهد على هبته لابنه النعمان (٣)(غلاماً له)(٤)، وقيل: (ببعض ماله) (٥)، وفي رواية : (حائطاً من نخل)(٦)- الحائط هو المخرف ذو النخل والشجر والزرع- فسأله ﷺ : أكل بنيك نحلت؟ أي أكل ولدك أعطيت؟ ، الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار، وفي رواية :(ألك ولد سواه؟) (٧)، ولا منافاة بين هذه الروايات؛ لأن لفظ الولد يشمل ما لو كانوا ذكوراً أو إناثاً، وأما لفظ البنين فالذكور فيهم ظاهر، وإن كان فيهم إناث فيكون على سبيل التغليب، ولم يذكر لبشير بن سعد والد النعمان ولداً غير النعمان، وذكر له بنتاً اسمها أُبيَّة مصغر أُبيّ، والله أعلم .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، (١٢٤١/٣ ، ح ١٦٢٣) .

(٢) بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن الخزرج الأنصاري، يكنى أبا النعمان بابنه النعمان شهد العقبة، ثم شهد بدراً هو وأخوه سماك بن سعد، وشهد بشير أحداً والمشاهد بعدها، ويقال إن أول من بايع أبو بكر الصديق يوم السقيفة . الاستيعاب، (١٧٢/١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، (١٢٤١/٣، ح ١٦٢٣).

(٤) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، وأمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثمان سنين، وقيل بست سنين، والأول : أصح إن شاء الله تعالى. الاستيعاب، (١٤٩٦/٤).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، (١٢٤١/٣، ح ١٦٢٣)

(٦) سنن الدارقطني ، (٤٢/٣،ح ١٧٣).

(٧) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٩٣٨/٢، ح٢٥٠٧).

وقوله ﷺ: (فأشهد على هذا غيري) ، وفي رواية : (فارجعه- فاردده)[١]، هذا وعيد ظاهره أمر وباطنه زجر، وفي بعضها قال:(لا أشهد إلا على حق)[٢]، وفي بعضها :(فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور)[٣].

وهذا يدل على أن قوله:(أشهد على هذا غيري) ليس على الإباحة بل هو تقريع.[٤]

وفي رواية: (إن والدي بشير بن سعد أتى النبي ﷺ فقال إن عمرة بنت رواحة[٥] نفست بغلام وإني سميته النعمان، وأنها أبت أن تربيه حتى جعلت له حديقة من أفضل مال هو لي، فإنها قالت أشهد على ذلك رسول الله ﷺ، وفيه قوله ﷺ : لا أشهد على جور).[٦]

والتوفيق بين الروايتين بالحمل على واقعتين إحداهما عند ولادة النعمان، وكانت العطية حديقة، والأخرى بعد أن كبر النعمان وكانت العطية عبداً، وقال بعضهم: يعكر عليه أنه يبعد أن ينسى بشير بن سعد مع جلالته الحكم في المسألة حتى يعود إلى رسول الله ﷺ يستشهد على العطية الثانية بعد أن قال له في الأولى: لا أشهد على جور، ويجاب عن ذلك: لا بعد في هذا أصلاً، فإن الإنسان مأخوذ من النسيان، وهموم أحوال الدنيا تنسي .

وفي رواية: (فالتوى بها سنة -أي مطلها - ثم بدا له بعد حولين)[٧]، والتوفيق بين الروايتين بأن يقال: إن المدة كانت سنة وشيئاً، فجبر الكسر تارة وألغى أخرى[٨].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، (١٢٤١/٣، ح ١٦٢٣)

(٢) صحيح مسلم، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، (١٢٤١/٣، ح ١٦٢٤)

(٣) صحيح البخاري، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، (٩٣٨/٢، ح ٢٥٠٧).

(٤) انظر، عمدة القاري، (١٤٦/١٣) ، معتصر المختصر، (٦٤/٢).

(٥) عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة زوجة بشير بن سعد الأنصاري، وأم النعمان بن بشير رضي الله عنهم، لما ولدت النعمان بن بشير حملته الى رسول الله ﷺ فدعا بتمرة فمضغها ثم ألقاها في فيه، فحنكه بها فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يكثر ماله وولده، فقال: أما ترضين أن يعيش كما عاش خاله حميداً، وقتل شهيداً ؟. الاستيعاب، (١٨٨٧/٤).

(٦) صحيح ابن حبان، (٥٠٦/١١، ح ٥١٠٧)، موارد الظمآن، باب الهبة للأولاد ، (٢٨٠/١ح ١١٤٧).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (١٢٤٣/٣، ح ١٦٢٣).

(٨) انظر، عمدة القاري، (١٤٦/١٣).

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ سؤال تقرير يوقف به ﷺ الرجل على واقعه النفسي وما يحمله من ميول ورغبات وتطلعات يأمل تحققها في أبنائه، ليستنتج أن فعله هذا قد يقضي على تحقق مثل هذا الميل وهذه الرغبة .

يتضح لنا من هذا الحديث أيضاً أمر في غاية الأهمية: قبول واهتمام ورعاية الرسول ﷺ لميول الناس ورغباتهم وتفضيلاتهم وأهوائهم، ولكنها لابد أن تكون مباحة لا تضر بالشخص، ولا تؤذي الآخرين؛ فهو لم يرضِ الوالد " بشير " ولم يسايره في رغبته التي يريدها؛ وذلك رحمة به من أن يظلم ابناً له فيضر نفسه، ويتسبب في كره أبنائه له، وأيضاً رحمة بأبنائه، وتحقيق المساواة بينهم، وهذا أمر في غاية الأهمية يجب أن يدركه المعلم والمربي؛ وهو أن هناك اختلافاً في الميول والمشاعر، ولكن هذا لا يجعله يحابي أحداً دون الآخر، وبمنتهى الحرص يجب تحقيق العدل في المعاملة بينهم .

الدلالة التربوية:

حسن الأدب بعدم تفضيل أحد بعض ولده على بعض، حتى لا يقع في قلب الولد شيء يمنعه من بر أبيه، لأن كثيراً من قلوب الناس جبلت على القصور في البر إذا أوثر عليه أحد.[1]

(١) انظر، نصب الراية، (٤/١٢٢).

المطلب الثاني:
السؤال عن القدرات الذاتية

القدرات الذاتية :

هي مجموعة من السمات النفسية الفردية للشخص، وتمثل المقدمات الضرورية من أجل أداء ناجح، لنشاط إنتاجي نوعي، ومن المفترض أن القدرات تتشكل على أساس الميول، وتعبِّـر الموهبة والعبقرية عن درجة تطور القدرات، وتنمو القدرات الخاصة على أساس استعدادات ملائمة. (١)

إن الدين الإسلامي دين اليسر والسماحة، يقرر أن لكل نفس طاقة وقدرة تختلف عن غيرها، ولذا فإن شريعته السمحاء تتناسب مع مختلف الطاقات والقدرات، وينبذ الغلو والتشـدد، قال تعالى: ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: من الآية٢٣٣] .

و بعد البحث في أسئلة الرسول ﷺ الواردة في أحاديث الصحيحين وجدت أربعة أحاديث، طرح فيها ﷺ أسئلة يقيم فيها الواقع النفسي للمسئول من خلال السؤال عن قدراته الذاتية:

١- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَ لَهُ صَوْمِي فَدَخَلَ عَلَيَّ فَأَلْقَيْتُ لَهُ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَجَلَسَ عَلَى الأَرْضِ، وَصَارَتْ الْوِسَادَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَقَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: خمساً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: سَبْعًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: تِسْعًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِحْدَى عَشْرَةَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا صَوْمَ فَوْقَ صَوْمِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام شَطْرَ الدَّهْرِ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا)(٢).

---

(١) انظر، معجم علم النفس المعاصر، أزف تبرو منسكي ، م. ج. يارو شفسكي، ترجمة حمدي عبد الجواد، عبد السلام رضوان، (٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم ، باب صيام داوود ، (٦٩٩/٢، ح ١٨٧٩) ، صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ، (٢ /٨١٢ ، ح ١١٥٩) .

معنى الحديث :

أن عبد الله بن عمرو كان شاباً متزوجاً من امرأة هي أم محمد بنت محمية بن جزء الزبيدي[1]، وأراد الاجتهاد في العبادة، ففي رواية أنه قال: (أني قد كنت أجمعت على أن اجتهد اجتهاداً شديداً، حتى قلت : لأصومنَّ الدهر، ولأقرأنَّ القرآن في كل ليلة) [2]. وقد أضر اجتهاده هذا بزوجه وبدنه، ففي رواية عنه:(أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته- امرأة ابنه- فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً، و لم يفتش لنا كنفاً مذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: القني به فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قلت: كل يوم، قال: وكيف تختم؟ قلت: كل ليلة، قال: صم في كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة، قلت: أطيق أكثر..) [3].

حاصل الكلام هنا أن هذه المرأة شكرت عبد الله أولاً بأنه قوام بالليل صوَّام بالنهار، ثم شكت من حيث إنه لم يضاجعها، و لم يطعم شيئاً عندها[4]، فعلم رسول الله ﷺ بذلك فأراد أن يعدِّل ذلك السلوك غير المناسب مع طبيعة الاعتدال والتوسط الذي جاء به الإسلام، ففي رواية: (فشددت فشدد علي ﷺ ، وقال لي: إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر، قال فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ)، [5] أي أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه على نفسه عند رسول الله ﷺ

---

(١) انظر، مقدمة فتح الباري، (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر، مقدمة فتح الباري، (٣٢٠/١)، عمدة القاري ، (٨٩/١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن (١٩٢٦/٤، ح ٤٧٦٥).

(٤) النسائي في السنن الكبير، كتاب الصيام، صوم يوم وإفطار يوم، (١٢٩/٢، ح ٢٧٠١)، مسند الإمام أحمد، (١٨٨/٢، ح ٦٧٦١)، والطبراني في المعجم الأوسط،(٣٤٧/٨، ح٨٨٣٢)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن عيسى بن المطلب إلا خالد بن نزار.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصيام، باب حق الجسم في الصوم ، (٦٩٧/٢، ح ١٨٧٤)، صحيح مسلم ، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، (٨١٣/٢، ح١١٥٩).

فشق عليه فعله؛ لعجزه، ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه له، فتمنى أن لو قبل الرخصة فأخذ بالأخف.[1]

ثم بيَّن له ﷺ أن لا فضل ولا كمال في صوم التطوع فوق صوم داود عليه الصلاة والسلام، وهو صوم يوم وإفطار يوم، وإنما كان هذا أفضل لزيادة المشقة فيه، إذ من سرد الصوم صار له الصوم طبيعة فلا يحصل له مقاساة كثيرة منه، والذين لا يكرهون السرد يقولون هذا مخصوص بعبد الله بن عمرو.[2]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ لعبد الله ﷺ : أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام ؟ يستفهم به عن عدد الأيام التي تسمح بها قدرته على تحمل الصيام بها، وقول عبد الله ﷺ: يا رسول الله،" فيه حذف تقديره؛ أطيق أكثر من ذلك يا رسول الله، أو لا يكفيني ذلك يا رسول الله "[3]، والتدرج في زيادة ذلك العدد، ليقف معه على واقع وحدود طاقته فلا يتجاوزها.

وفعلاً تمنى عبدالله ﷺ لو كان أخذ برخصة رسول الله ﷺ ولم يكلف نفسه ويلتزم بما قد تعجز عنه في بعض مراحل عمرها، ويكون فوق وسعه وطاقته.

الدلالات التربوية:

١- بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم، وإرشاده إياهم إلى ما يصلحهم، وحثه إياهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق في العبادة؛ لأنه يفضي إلى الملل؛ المفضي إلى الترك .

٢- بيان ما كان عليه ﷺ من التواضع وترك الاستئثار على جليسه، وفي كون الوسادة من أدم حشوها ليف بيان ما كان عليه الصحابة في غالب أحوالهم في عهده ﷺ من الضيق إذ لو كان عند عبد الله بن عمرو أشرف منها لأكرم بها نبيه ﷺ .

٣- جواز الإخبار عن الأعمال الصالحة والأوراد ومحاسن الأعمال، ولكن محل ذلك أن يخلو عن الرياء.

---

(١) انظر، عمدة القاري،(٨٩/١١)، (٥٨/٢٠).

(٢) انظر، عمدة القاري، (٩٤/١١) .

(٣) عمدة القاري، (٢٦٢/٢٢) .

٤- أن الناس ليسو سواء في قدراهم، وقوة تحملهم؛ فهناك فروق فردية بين النـــاس ينبغـــي مراعاها.

٥- أن قول عبد الله ﷺ : "أطيق أكثر من ذلك" ليس فيه مخالفة لأمر النبي ﷺ لأنه علم أن مراده تسهيل الأمر وتخفيفه عليه، وليس الأمر للإيجاب.[١] .

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِه: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ) .[٢]

معنى الحديث :

يبين النبي ﷺ فضل سورة " قل هو الله أحد"، من خلال بيان أن القرآن ثلاثة أجزاء، وهي أحدها.[٣]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أيعجز أحدكم ..؟ سؤال عن قدرهم على قراءة ثلث القرآن في ليلة، حـــتى إذا أدركوا أن ذلك فوق حدود قدرهم وطاقتهم، وأهم أعجز من ذلـــك وأضـــعف، فقـــال أحدهم: أينا يطيق ذلك؟ أي تقدر عليه نفسه وتتحمله، قدم لهم ﷺ ما يساوي ذلك العمل.

الدلالة التربوية:

" إلقاء العالم المسائل على أصحابه، واستعمال اللفظ في غير ما يتبادر للفهم لأن المتبادر من إطلاق ثلث القرآن أن المراد ثلث حجمه المكتوب مثلاً، وقد ظهر أن ذلك غير مراد"[٤]

---

(١) انظر، عمدة القاري ، (١١/٩٤) ، (٢٠/٥٩).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ، (٤ / ١٩١٦ ، ح ٤٧٢٧) .

(٣) انظر، فتح الباري ، (٢ / ٩٥٣) .

(٤) فتح الباري ، (٢ / ٩٥٣) .

٣- عن سَعْدِ بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيعْجزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِه: كيفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ) .[١]

معنى الحديث:

يبين النبي ﷺ لصحابته فضل نوع من أنواع الذكر، وهو التسبيح ببيان ثوابه العظيم في اكتساب ألف حسنة وتكفير ألف سيئة .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : أيعجز أحدكم ....؟ سؤال منه ﷺ عن قدرهم على اكتساب ألف حسنة كل يوم، "و الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الاستخبار"[٢] وهو يعلم أن ذلك فوق حدود قدراهم وطاقتهم، فإذا استعظموا الأمر، واستشعروا مشقته، حتى أن أحدهم استفهم: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ أي كيف يكون ذلك؟ قدّم لهم الحل اليسير: وهو أن قراءة سورة الإخلاص كما في الحديث السابق، والتسبيح بمائة تسبيحة تعدل ذلك .

إنه سؤال تنشيط وتحفيز الهمم لاكتساب أمر مادي عظيم، فالنفس البشرية تتطلع إلى أفضل النتائج مع بذل جهد أقل، ولعلمه ﷺ بهذه الخاصيّة رغّبهم لهذه الأعمال بهذا الأسلوب .

يبدو لي أن طرح السؤال الترغيبي بصيغة فردية من هديه ﷺ، فكل فرد سيخاطب به نفسه لأنه موجهٌ له شخصياً، وليس على سبيل العموم، فيوجد تحفيز أقوى في النفس، وتُترجم الإجابة إلى عمل وسلوك .

٤- عنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ :لا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لا ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، (٤/ ٢٠٧١ ، ح ٢٦٩٨) .

(٢) عمدة القاري (٢٠/ ٣٤) .

أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ- وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ – قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا-يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ،ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ).[1]

موضع الشاهد الحديث:

الأسئلة المتتابعة التي طرحها ﷺ على الرجل الذي اقترف ذلك، بقوله: هل تجد رقبة تعتقها؟ فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟، وبهذه الأسئلة يتبين لنا رحمته ﷺ وتقديره لحال وقدرة الرجل المادية والجسدية؛ فبالرغم من أن الرجل اقترف ذنباً عظيماً، إلا أن سعة صدر الرسول ﷺ جعلته يستوعب ذلك الرجل، فلم يغلظ عليه أو يرفضه؛ لأن الرجل لديه إحساس قوي بذلك الذنب؛ وحديث الرسول ﷺ معه بذلك التسلسل والتدرج المراعى فيه قدرة الرجل على ممارسة العبادة المكفّرة للذنب؛ جعله يستشعر عدم نفور الرسول ﷺ منه، فهدأت نفسه، بل إن سعيه ﷺ وتركيزه على حل المشكلة دون اللوم والتوبيخ الذي يتسبب في زيادة الألم النفسي لديه؛ وإعطاء الفرصة للرجل بأن يختار ما يناسبه من الكفّارات بناء على قدرته الواقعية الحقيقية المادية والجسدية حتى يتمكن من تنفيذها، دليل على تقبل الرسول ﷺ لخطأ الفرد وحكمته في معالجة ذلك الخطأ، وأن للمرء قدرات حقيقية وأخرى متوهمة؛ وكلما اكتشف المرء ما لديه من قدرات حقيقية ساعده ذلك على تطوير ما يمتلك والرقي به .

الدلالات التربوية:

١- مراعاة القدرات الحقيقية والفعلية لدى الفرد، وجعله يعمل في ضوء تلك القدرات .

٢- تقبّل أخطاء المتربين، وتركيز الانفعال على السلوك الخاطئ، ومحاولة تعديله وتغييره، لا على نفس الفرد المخطئ .

(١) سبق تخريجه وبيان معناه في مبحث التعرف على المشكلة ، (٤٢)، وذلك لوجود سؤال: مالك؟ المرتبط بذلك المبحث.

المبحث الثاني
أسئلة تحقيق الأمن النفسي

يتحسن نمو الفرد وتعلّمه، طالما تكونت لديه قاعدة من الأمن الداخلي، وتوفرت لـه بيئـة خارجية كالأسرة والمدرسة، يستطيع أن يثق بها وتساعده على اختبار مشاعره، وقياس نفسه قياساً ذا معنى، مع أناس يطمئن لهم، ويأنس إليهم، والفرد الذي ينمو وليس لديـه شـعور بالأمن عادة ما يصدر أنماطاً سلوكية أقل تقبلاً من الناحية الاجتماعية، فقد يظهر في سلوكه ما يدل على رغبة في الانتقام من أصحاب السلطة، وقد يصـبح أنانيـاً لديـه الرغبـة في الاستحواذ والامتلاك، أو قد يعمد إلى استخدام قوته لتحقيق الفوز على الآخرين، أو قـد ينسحب من المجتمع ويصبح سلبياً ومنطوياً، فالفرد إذا نشأ في جو عطـف وحـب، فـإن إحساسه بالأمن سيتيح له التفاعل مع الآخرين بثقة أكبر، ويستمر دافع الحاجة إلى الأمـن النفسي حتى مع الكبار والبالغين .[١]

والأمن النفسي هو :

الإحساس بالسكينة والطمأنينة، والراحة النفسية، والرضا والقناعة بما لدى الشخص مـن إمكانيات، ومشاعر السلامة والثقة والتحرر من الارتياب والتوجس والخوف، وهو شـعور يُعتقد أنه ينمو من عوامل الدفء وتقبل الآباء والأصدقاء، ونمو القدرات والمهارات المناسبة للسن .[٢]

وهذه جميعاً تكون محصّلة لتربية الوالدين أولاً ثم كل من يحيط بالفرد، ويتعامل معه؛ والـتي يجب أن تكون قائمة على الحب والاحترام والتقدير له ولذاته، والحماية المادية من التعـرض لأي حادث أو اعتداء ممكن والحماية لمشاعره ولتقديره لذاته واحترامه لنفسه من أن يُهدم .
وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، أحسب أن منها ما يحقق بـه ﷺ الأمن والاطمئنان النفسي، والذي تتمثّل مظاهره في :

---

(١) انظر، مهارات التدريس ، د . جابر عبد الحميد جابر ، وآخرون ، (٢٧٩) .

(٢) انظر ، معجم علم النفس والطب النفسي ، د. جابر عبد الحميد جابر ، د. علاء الدين كفافي ، (٢/ ٣٦٧).

1- الأسئلة التي تحقق القناعة بما لدى الشخص من إمكانيات .

2- الأسئلة التي تصف المشاعر.

3- الأسئلة التي تعزز الذات وترفع من مستوى الثقة بالنفس .

وكل هذه الأسئلة تحقق الرضى والاطمئنان، والسعادة والارتياح للفرد الذي هو مفهوم الأمن النفسي.

المطلب الأول
تحقيق القناعة بما لدى الشخص من إمكانيات

إن شعور الإنسان بالقناعة والرضا بما رزقه الله وآتاه، وتسليط الضوء على النواحي الإيجابية والجيدة من حياته، والنظر إلى ما عنده مقابل ما نقص من الآخرين لا العكس، فيحمد الله عليه ويسعد به، قال تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طـه:١٣١] .
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ.)[١] إن هذا الأمر كما أنه مطلب شرعي، فإن له أثراً قوياً على تمتع الإنسان بصحة نفسية جيدة، وشعوره الدائم بالاطمئنان والارتياح والاكتفاء الذاتي مما يجعله ينعم بالأمن النفسي، على نقيض من يركز النظر على السلبيات من حياته التي لا سبيل للسعي وراء تعديلها، ولا يرضى بها فهو دائم الشعور بالضيق والقلق .
وبعد البحث في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين وجدت أحد عشر حديثاً طرح فيها ﷺ أسئلة تحقق القناعة بما لدى المخاطب من إمكانيات، وتسلط الضوء على النواحي الإيجابية من المواقف والأحداث، فينبعث الشعور في النفس بالارتياح والسعادة، وتتحقق الطمأنينة النفسية:
١- عن عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : (.. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا لِي لا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ؟ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لا أَرَى فِيهَا إِلا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ

---
(١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق، (٤/٢٢٧٥، ح ٢٩٦٣).

خِزَانَتُكَ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمْ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: بَلَى ..الحديث) [١]

معنى الحديث :

ذرفت عينا الفاروق عمر ﷺ وحُقَّ لهما أن تذرفا؛ ألماً وحزناً وشفقة على حال المصطفى عليه الصلاة والسلام حبيب الله وخليله، حين دخل عليه فرأى جنبه الكريم متأثراً من الحصير، وقد كان فراشه ﷺ من أدم- وحشوه ليف[٢] أي من جلد محشو بأعواد النخل الخشنة، فجال ﷺ بنظره يمنة ويسرة، فوقعت عيناه على خزانة رسول الله ﷺ أفضل البشر وسيد المرسلين، فما كان فيها غير قليل من شعير، ومثله ورق شجر يدبغ به [٣]، وجلد معلق لم يتم دباغه [٤] في ناحية من نواحي الغرفة، فلما سأله النبي ﷺ عن سبب بكائه، تساءل عمر ﷺ كيف لا يبكي وهو يرى هذا البون الشاسع بين شظف عيشه ﷺ وقسوته، وبين النعيم الذي يعيشه الملوك ككسرى وقيصر .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لعمر ﷺ: ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ إنه سؤال يطرحه ﷺ ليسلط به الضوء على الجوانب الإيجابية والمزايا الممنوحة لرسول الله وأمته، فتستقر في نفسه مشاعر الرضا والقناعة والاطمئنان النفسي بذلك، والبعد كل البعد عن مشاعر النقص والغبن كما يبدو لي .

إنه سؤال قصير جامع لمعان كثيرة، معبر عن واقع، استغنى به عن كثير من الجمل والعبارات التي لن يكن أثرها في تغيير حال عمر ﷺ من حال الحزن والانكسار إلى حال الرضا والسعادة والاستبشار، كبلاغة هذا السؤال .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء ، (٢/ ١١٠٧ ، ح ١٤٧٩) .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الزهد، باب كيف كان عيش النبي ﷺ (٥/٢٣٧١، ح ٦٠٩١) .

(٣) هذا معنى كلمة قرظاً كما ورد في ، عمدة القاري ، (١٩/٢٥١) .

(٤) هذا معنى كلمة أفيق كما ورد في: (النهاية ، ١ / ٥٥) .

الدلالات التربوية :

١- اهتمامه ﷺ بالمشاعر، والسؤال عن الأحوال المتغيرة وسببها، فلا يتجاهل الموقف أو يهمله فحين رأى عمر ﷺ سأله ﷺ: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ وهذا يدل على هديه في التثبت من المشكلة بالسؤال عن سببها والدافع لها .

٢- استيعابه ﷺ لموقف عمر وتفهمه لوجهة نظره حتى لو كان يعتريها شيء من القصور .

٣- أن الزهد والقناعة من شيم النفوس الكبيرة، وأن ما عليه الملوك من أُبهة وجلالة، لا ينبغي أن تشغلنا عن ملاحظة حقائق الأشياء .

وقد كان ذلك هدي النبي ﷺ في حياته المعيشية،فعن عائشة رضي الله عنها قالت:(ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله)(١)،وفي رواية: (منذ قدم المدينة من طعام بر حتى قبض)(٢)،وأن رسول الله ﷺ قال:(اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً)(٣)، "فإن قيل فما وجه استعاذته ﷺ من الفقر، فالجواب: إن الذي استعاذ منه هو الذي لا يُدرَك معه القوت والكفاف، ولا يستقر معه في النفس غنى لأن الغنى عنده ﷺ غنى النفس، وقد قال تعالى ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى:٨]،ولم يكن غناه أكثر من ادخاره قوت سنة لنفسه وعياله،وكان الغنى محله في قلبه ثقة بربه وكان يستعيذ من فقر منسي وغنى مطغي."(٤)

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ(٥) ﷺ:(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ: أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلالاً، فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي؟ وَيَقُولُونَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب القديد، (٢٠٧٢/٥، ح ٥١٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة وقول الله تعالى:" كلوا من طيبات ما رزقناكم"، (٢٠٥٥/٥، ح ٥٠٥٨)، صحيح مسلم ،كتاب الزهد والرقاق ، (٢٢٨١/٤ ، ح٢٩٧٠) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب في الكفاف والقناعة ، (٢ /٧٣٠ ، ح ١٠٥٥) .

(٤) التلخيص الحبير ، (٣ / ١٢٣)

(٥) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن النجار الأنصاري المدني ، روى عن النبي ﷺ ، شهد أحداً وغيرها ، وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب، قتل بالحرة سنة ٦٣ هـ ، وهو ابن ٧٠ سنة . (الإصابة ، ٢ / ٣١٢) ، (التهذيب ، ٤ / ٣٠٦) .

ألا تُجيبُوني؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا وَكَانَ مِنْ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا لأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: أَلا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ [١]، وَلَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً[٢]، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ) . [٣]

معنى الحديث :

حزن الأنصار حين قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين، فأعطى المؤلفة قلوبهم من قريش، ولم يعطهم شيئاً، [٤] فاجتمع بهم ﷺ وطرح عليهم أسئلة متتابعة عامة، تحمل نوعاً من العتاب، حين علم بما وقع في نفوسهم من حزن وألم حيث خصّ ﷺ المؤلفة قلوبهم من قريش بالغنائم؛ ليجعل الجواب للجميع، وليواجه المشكلة من أساسها، يذكرهم فيه بالفضل الكبير الذي فازوا به إذ أسلموا فانتقلوا من الضلال إلى الهدى، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العداوة إلى التآلف، بقوله: ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ ألم أجدكم عالة فأغناكم الله بي؟ فيتأثرون مباشرة، وتهدأ نفوسهم حين يتذكرون بهذه الأسئلة فضل الله وفضل رسوله عليهم، فهاهم يعترفون بها .

موضع الشاهد ودلالته:

بعد أن عاتبهم ﷺ من ناحية وأرضى قلوبهم من ناحية، وبعد أن أصبحت النفوس مهيأة للإدراك، ختم كلامه معهم بأن أقر لهم أنهم أعلى كعباً في الإسلام لذلك، ثم بيَّن لهم المنة الكبرى التي فازوا بها بطريقة استفهامية، بقوله: أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله؟ أي ألا تطيب نفوسكم وتسعد إذ يذهب الناس بالشاة والبعير ، أما الأنصار فإنهم يعودون بخاتم الأنبياء وأفضل الخلق ، فنبههم على ما غفلوا عنه من عظيم ما

---

(١) دثار : هو الثوب الذي يكون فوق الشعار ، يعني أنتم الخاصة والناس عامة . (النهاية ، ٢ / ١٠٠) .

(٢) أثرة : بفتح الهمزة والثاء ؛ من آثر، يؤثر إيثاراً ، إذا أعطى أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء . (النهاية ، ١ / ٢٢) .

(٣) تقدم تخريجه في التمهيد ، (٢٥).

(٤) سبق بيان معنى الحديث برواية أخرى في مبحث التحقق من صدق الخبر ، (٨١).

اختصوا به منه بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية، إنه العطاء الفريد الذي يملأ قلوبهم فرحة ونشوة، ثم دعاء بالرحمة لهم ولأبنائهم ولأحفادهم، لذلك لا غرابة أن وجدنا الأنصار يبكون ويفرحون في غبطة وسعادة رضاً برسول الله قسماً وحظاً[1]،فقد نالوا ما لم ينله أحد .

الدلالات التربوية :

لنا في هذه المحاورة التربوية دروسٌ بليغة ومفيدة في تهدئة النفس، وتغيير مشاعرها من حال الألم والحزن إلى حال الرضا والسعادة :

١- سؤاله ﷺ : ألا تجيبوني ؟ بعد عتابه للأنصار يبدو لي أنه متابعة منه ﷺ في علاج المشاعر السلبية التي حدثت في نفوسهم؛ لإخراج كل ما يعتلج في قلوبهم من اعتراضات، لكن الأدب يمنعهم من مواجهة النبي ﷺ بما في النفس .

٢- أن الثناء على المخطيء، وذكر إيجابيته وحفظ حقوقه، وعدم تضييع حسناته مقابل موقف مرفوض مرحلة مهمة من مراحل العلاج، وجانب له أثر تربوي ونفسي كبير في تغيير مجرى الحدث، فلما كان من الطبيعي أن يجول في قلوب الأنصار أنهم أيضاً أعطوا رسول الله ﷺ ونصروه، وصدقوه، وهذه كلها مزايا وهي حق، عرضها المصطفى ﷺ نيابة عنهم بأسلوب أخّاذ مليء بالمدح والاعتراف ليقر لهم بالجميل، ففي رواية قوله ﷺ :(أما إنكم إن شئتم قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك؟ وخائفاً فأمناك[2] ؟ فقال النبي ﷺ: أما والله لو أجبتموني بغير هذا القول، لقلت: صدقتم، لو قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك؟ ومكذباً فصدقناك؟ ومخذولاً فنصرناك؟ وقبلنا ما رد الناس عليك؟ لو قلتم هذا لصدقتم، فقالت الأنصار: بل لله ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا، ثم بكوا فكثر بكاؤهم فبكى النبي ﷺ معهم ورضي عنهم، فكانوا بالذي قال لهم أشد اغتباطاً وأفضل عندهم من كل مال) [3]، ويمضي في

---

(١) انظر ، الحوار بين أهل الحق والباطل ، إدارة الأبحاث والنشر ، (٩٩) ، في أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب ، (١٨) .

(٢) المسند المستخرج على صحيح مسلم ، (٣/١٢٥).

(٣) المعجم الكبير ، (١٥١/٧)، قال الهيثمي : وفيه رشدين بن سعد، وحديثه في الرقاق ونحوه، حسن وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد، (٣١/١٠).

مدحهم وتأكيد حبه لهم، فهم الخاصة والناس عامة، ولو أن الناس جميعاً سلكوا طريقاً وسلك الأنصار طريقاً غيره لمشى رسول الله وراء الأنصار، فماذا يمكن أن يقول الأنصار أمام هذا الثناء والإقرار ..إن ألسنتهم تنطلق بالمن لله ولرسوله .

٣- أن ختم المحاورة مع المخطئ بالدعاء، هو جانب تربوي مهم له أثر نفسي عظيم، ففيه الإشعار بالحب، فبالدعاء تصل رسالة إلى المخطئ بأني أحبك وأتمنى لك الخير حتى ولو أخطأت، فياله من أثر تربوي عظيم على نفس المتربي يملأ جنباها سعادة واطمئناناً .
إنه ﷺ بهذه الأسئلة أبرز الجوانب الإيجابية في حياهم، والنعم التي امتن الله عليهم بها، والفضل الكبير الذي خصهم الله به دون غيرهم، فانتقل بنفوسهم من مشاعر الألم والحزن إلى مشاعر الغبطة والسرور .

إن تسليط الضوء على النواحي الإيجابية في نفس الإنسان، يبعث في النفس السعادة، والارتياح، والرضى الذاتي، فيعيش الفرد في أمن نفسي، إن النظرة الإيجابية للأمور، وتجنب النظرة السلبية، هو ما تنادي به التربية الحديثة الآن، وأنها سبب في السعادة والاستقرار النفسي .
وقد أكدت التربية الحديثة على تربية الأبناء على النظر إلى الأشياء بعين الرضى، لأن المرء إذا نظر بعين الرضى، امتد هذا الرضى إليه، فينعم بالرضى في نفسه، ويشعر بالراحة والطمأنينة، أما إذا نظر بعين الغضب إلى الدنيا فإن الغضب والتبرم يرتد إليه، ويعيش في تبرم، ويعم الضجر والسأم في نفسه، والعياذ بالله . [١]
كما أن ابتداء المربي حواره بمدح من يحاورهم، وتناول الجوانب الإيجابية لديهم قبل التوجيه والنصح والتقويم؛ أمر في غاية الأهمية؛ لأنه بتلك البداية يعطي النفس دفعة من الإحساس بالأمن، وهذا الأسلوب يقلل من مقاومة النفس البشرية للنقد والتوجيه، ويعدّها للتلقي والقبول .

---

(١) انظر ، العادات العقلية ، إبراهيم الحارثي ، (٧٠) .

٣- عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ : (قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟) .(١)

معنى الحديث :

اقتفى المشركون آثار النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر وهما في طريق الهجرة، وجعلوا يمرون على باب غار ثور الذي اختبئا فيه فتحاذي أرجلهم الباب فلا يروهما حفظاً من الله لهما .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لأبي بكر:ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ "أي بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد."(٢)، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]،﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية١٥٣] ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: من الآية٤٠] (٣) ، يظهر لي أن رسول الله ﷺ بهذا السؤال، يرتفع بنفس أبي بكر من حالة الخوف من بطش قريش، إلى أعلى درجات الأمن والراحة النفسية، حين يذكّره بالمدد والنصر والمعونة من الله .

٤- عن جَابِر بْنَ عَبْد اللَّه ﷺ قَالَ : (جِيءَ بِأَبِي يَوْمَ أُحُد قَدْ مُثِّلَ بِهِ حَتَّى وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سُجِّيَ ثَوْبًا فَذَهَبْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْهُ فَنَهَانِي قَوْمِي ثُمَّ ذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ فَنَهَانِي قَوْمِي فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرُفِعَ فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقَالَ:مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالُوا: ابْنَةُ

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل المهاجرين ، (١٣٣٧/٣، ح ٣٤٥٣) ،صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ، (١٨٥٤/٤، ح ٢٣٨١) .

(٢) تحفة الأحوذي (٣٩٢/٨) .

(٣) انظر، الفتاوى لابن تيمية، (٥/ ١٢٢) ، الوابل الصيب، (٩٣/١).

عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو قَالَ: فَلِمَ تَبْكِي؟ أَوْ لا تَبْكِي، فَمَا زَالَتْ الْمَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ) . [١]

معنى الحديث :

موقف عصيب عاشه المسلمون في نهاية معركة أحد، حيث استشهد منهم خمسة وستون رجلاً، ولم يقتل من المشركين سوى اثنان وعشرون رجلاً [٢]، وهاهو رسول الله ﷺ يتفقد الشهداء ، ويجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر ، ويجمع بين المتصاحبين في الدنيا ، وهاهم أسر الشهداء يبكون شهدائهم ويتألمون على فقداهم، وها هو عبد الله بن عمرو بن حرام مغطى بثوب، وقد مثّل به الكفار[٣] فلما كشف عنه الثوب لم تحتمل نفس عمة الشهيد فاطمة بنت عمرو بن حرام ذلك المنظر فصاحت، فلما سمعها ﷺ وسأل عنها فعرفها، كانت كلماته الحانية تواسيهم كالبلسم الشافي يداوي جراحهم .

قوله: أو أخت عمرو شك من الراوي فإن كانت بنت عمرو تكون أخت المقتول عمة جابر، وإن كانت أخت عمرو تكون عمة المقتول وهو عبد الله .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ: لم تبكي فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع؟ وذلك بعد أن تعرف على سبب هذا البكاء وصاحبته؛ أي سواء بكت عليه أم لا، فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره، ويحتمل أن ذلك لتزاحم الملائكة عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة عليه فازدحموا عليه إكراماً له وفرحاً به، أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه، فلا ينبغي البكاء لأجل حصوله على هذه المنزلة، بل ينبغي أن يفرح بذلك ، وفي هذا تسلية لها ،[٤] إنه ﷺ بسؤاله الحاني عن سبب البكاء على من نال أعلى درجات الكرامة، يثلج صدر المسئول، ويهدئ نفسه، ويكسبه شعوراً بالرضا والاطمئنان لحال الميت.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ،باب ما يكره من النياحة على الميت ، (٤٣٤/١ ، ح ١٢٣١) ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبدالله بن عمرو بن حرام ، (١٩١٧/٤ ، ح ٢٤٧١) .

(٢) انظر، السيرة النبوية لابن هشام، (٣/ ١٣٣ – ١٣٥).

(٣) مُثِّل بالقتيل إذا جدع أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيء من أطرافه ، عمدة القاري، (٨٦/٨).

(٤) انظر ، عمدة القاري (٨٧/٨) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢١/١٧٦) .

والآن في علم النفس هناك أنواع من العلاج النفسي الذي يهدف إلى غرس الطمأنينة والرضى في النفس، ومنها العلاج السلوكي المعرفي بشقيه؛ العقلاني والانفعالي، وفيه يتم توجيه الشخص للفكرة التي تضايقه ومحاولة مناقشتها بشكل عقلاني[١]، يبدو لي أن هذا شبيه بما فعله الرسول ﷺ حيث وجّه النظر إلى فكرة معينة؛ وهي :لماذا البكاء على هذا المجاهد في سبيل الله وهو الآن في ظل ملائكة الرحمة ؟ .

٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود ﷺ قَالَ : (قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّة ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّة، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ). [٢]

معنى الحديث:

خطب رسول الله ﷺ في الصحابة حيث كان معه نحواً من أربعين رجلاً، فأسند ظهره إلى قبة من أدم، فحدثهم بهذا الحديث، وفي رواية أنه ﷺ قال: (يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف-أُراه قال-: تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ : من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة، فكبّرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة فكبَّرنا).[٣]

---

(١) انظر ، العلاج المعرفي السلوكي ، أسس وتطبيقات ، أ.د. عادل محمد ، (٢٧ / ٣٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب كيف الحشر ، (٥ / ٢٣٩٢ ، ح ٦١٦٣) ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، (١/٢٠٠، ح ٢٢١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الحج ، (١٧٦٧/٤، ح ٤٤٦٤) .

وحاصله: أن الإشارة بقوله:" منكم" إلى المسلمين من جميع الأمم، فقصد ﷺ بهذا الحديث تبشير آحاد الأمة بدخولها، لأن ظن الواحد بدخولها مع كثرة داخليها من الأمة، أجدر من ظنه دخولها مع قلة داخليها منه [1].

وقد يقال: إذا كانوا كشعرة فكيف يكونون نصف أهل الجنة؟ فيجاب عن ذلك بأن الحديث دلالة على كثرة أهل النار كثرة لا نسبة لها إلى أهل الجنة.[2]

موضع الشاهد ودلالته:

أسئلته ﷺ للصحابة التي أسعدت نفوسهم، وأشعرتهم بالاطمئنان بفضل الله ورحمته الواسعة: ألا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ ألا ترضون أن تكونوا نصف أهل الجنة؟

فذكرها بهمزة الاستفهام لإرادة تقرير البشارة، ولم يخبرهم ﷺ أنهم النصف ابتداءً؛ لأن التدريج أوقع في النفس وأبلغ في الإكرام، وأعظم لسرورهم، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد أخرى؛ فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه أيضاً حملهم على تجديد شكر الله تعالى، وتكبيره وحمده على كثرة نعمه، ففرحوا، وفي ذلك كله دلالة على أنهم استبشروا بما بشرهم به فحمدوا الله على نعمته العظمى وكبَّروه استعظاماً لنعمته بعد استعظامهم لنقمته، ولسرورهم بهذه البشارة العظيمة.[3].

٦- عن سَعْدِ بن أبي وقاص ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ : أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ، قَالَ: أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إلا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي ؟) .[4]

---

(١) انظر ، فتح الباري ،(٣/٤٠٧ - ٤٧٠).

(٢) انظر ، فتح الباري ،(٣/٤٠٧ - ٤٧٠)

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم،(٣/٩٥) ، فتح الباري ، (٣ / ٤١١) ، الإكمال شرح صحيح مسلم، (١ / ٦٠٩)

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ، (٤/١٦٠٢ ، ح ٤١٥٤) ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي ﷺ ، (٤/١٨٧٠ ، ح ٢٤٠٤) .

معنى الحديث :

أن رسول الله ﷺ يطلب من علي ﷺ أن يكون خليفة عنه على صبيان ونساء المدينة في سفره إلى غزوة تبوك التي تسمى غزوة العسرة .

فإن فئة الصبيان والنساء هم من الفئات التي تحتاج إلى من يقوم بتلبية احتياجات أساسية لها منها الحماية والرعاية، وتوفير متطلبات العيش؛ وهذه الفئات متى شعرت بأنه لا يوجد من يقوم بطلباتها وحاجياتها تلك تفقد الإحساس بالأمن النفسي، لذلك وفّر الرسول ﷺ من يخلفه في ذلك؛ فعلى المربي والمعلم أن يهتم برعاية من يعول، ومن هم تحت مسؤوليته من تلك الفئات، ويقوم مقامه في حالة عدم وجوده .

فلما خلفه عليهم في المدينة، وأمره بالإقامة فيهم، أرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فلما سمع ذلك أخذ سلاحه وخرج حتى لقي رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله زعم المنافقون إنك إنما خلّفتني وتخففت مني، فقال: كذبوا، ولكن خلّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، فرجع إلى المدينة ومضى رسول الله في سفره. [١]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لعلي ﷺ:" ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟" أي بمنزلة استخلاف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على بني إسرائيل حين توجه إلى الطور " [٢]، فالذي فقده علي ﷺ من ذلك منزلة النبوة، وتحققت له منزلة الثقة وشد الأزر والشراكة، وذلك لعلمه ﷺ برغبة علي ﷺ في الخروج معه ﷺ للجهاد، وعلمه بحزنه على ما قاله المنافقون فيه، فطرح عليه هذا السؤال ليسلط الضوء على الجانب الإيجابي من قعوده عن القتال بكونه خليفة لرسول الله ﷺ كمنزلة هارون لموسى عليه السلام،وهي منزلة عظيمة، فيبعد عنه ألمه وحزنه في عدم مصاحبة رسول الله ﷺ في هذه الغزوة ، ويكسبه شعوراً بالرضى النفسي كما يبدو لي.

---

(١) انظر، السيرة النبوية لابن هشام ، (٢ / ٥١٩ – ٥٢٠) .

(٢) عمدة القاري (٤٦/١٨) .

٧- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ ﷺ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلا أُرَاهُ إِلا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ).[١]

معنى الحديث :

تصف لنا عائشة رضي الله عنها مشهدا حيًّا ينبض بالحركة والعواطف، حيث أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي ﷺ فقال النبي ﷺ مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارَّها ، وفي رواية عن عائشه رضي الله عنها قالت:(ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ بقيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه تقبله، ثم رفعت رأسها فبكت، ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها، فضحكت فقلت: إن كنت لأظن أن هذه من أعقل النساء فإذا هي من النساء، فلما توفي النبي ﷺ ، قلت: أرأيت حين أكبيت على النبي ﷺ فرفعت رأسك فبكيت، ثم أكبيت عليه فرفعت فضحكت، ما حملك على ذلك؟ قالت: أخبرني تعني أنه ميت من وجعه هذا، فبكيت، ثم أخبرني أني أسرع أهل بيتي لحوقاً به، فذلك حين ضحكت) .[٢]

فاتفقت الروايتان على أن الذي سارَّها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت من مرضه ذلك، واختلفا فيما سارها به ثانياً فضحكت؛ ففي رواية أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقاً به، وفي رواية أنه إخباره إياها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب كان النبي ينام قلبه ولا تنام عينه ، (١٣٢٦/٣ ، ح ٣٤٢٦) ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل فاطمة ﷺ ، (١٩٠٤/٤ ، ح ٢٤٥٠) .

(٢) النسائي في السنن الكبير، كتاب المناقب، باب مناقب فاطمة ﷺ ، (٩٦/٥، ح ٨٣٦٩)، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام ، (٣٥٥/٤، ح ٥٢١٧).

لحوقاً به، مضموماً إلى الأول وهو الراجح، وماتت فاطمة بعد أبيها بستة أشهر، وذلك في رمضان عن خمس وعشرين سنة، وقيل ماتت بعده بثلاثة أشهر.

ففاطمة سيدة نساء أهل الجنة فهي أفضل من خديجة وعائشة رضي الله تعالى عنهما، والمسألة مختلف فيها، ولكن اللازم من الحديث ذلك، إلا أن يقال إن الرواية بالشك، وفي حديث : (خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط فقال: أتدرون ما هذا ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)[١] وفي حديث: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران)[٢] وهذا يدل على أن فاطمة ومريم أفضل هذه الأربع، ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة، ويحتمل أن تكونا على السواء في الفضيلة، لكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول وهو قوله ﷺ: (سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون)[٣] فإن كان هذا اللفظ محفوظاً بثمَّ التي للترتيب؛ فهو مبين لأحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء، ويقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف التي لاتقتضي الترتيب ولا تنفيه.[٤]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها :" أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ؟" سؤالاً طيَّب به خاطرها، أعاد به الرضا والاطمئنان، بل والفرحة والابتهاج إلى نفسها حتى ضحكت بعد بكائها، وألمها حين سارّها بدنو أجله .

إنه بسؤاله هذا انتقل بفاطمة رضي الله عنها من النظرة إلى عظم المصاب إلى النظرة إلى عظم المنّ والفضل الذي اختصت به دون النساء، فغلبت مشاعر الفرحة والاستبشار بخير الآخرة مشاعر وأحاسيس الألم .

---

(١) تقدم تخريجه في الفصل الثاني ، المبحث الثالث: مخاطبة الحواس، (١٩٠) .

(٢) النسائي في الكبير، كتاب المناقب، باب ذكر الأخبار المأثورة بأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران، (١٤٥/٥، ح ٨٥١٤)، الطبراني في المعجم الكبير ، (٤١٩/٢٢، ح ١٠٣٤).

(٣) تاريخ مدينة دمشق ، (١٠٦/٧٠).

(٤) انظر، عمدة القاري ، (٣٠٩/١٥) ، (١٥٤/١٦).

وقد يرد إشكال هنا: بأن الرسول ﷺ يُخبر بأمر غيبي من الوحي، فكيف يقال أنه أراد تطييب خاطر ابنته، وإعادة الفرحة إلى نفسها ؟ ويجاب عن هذا الإشكال: إنه ﷺ لم يأت بهذه المنقبة والمكانة العالية لابنته من عند نفسه، بل هي وحي، وإنما ساقها عليه الصلاة والسلام في هذا المقام تذكيراً لابنته لشدة الحاجة إلى تطييب خاطرها بما هو حق.

الدلالات التربوية :

١- وضع الثقة في الأبناء من خلال الإفضاء إليهم بأسرار معينة.

٢- تحمل السر وعدم إفشائه أمانة يجب المحافظة عليها كما حفظت فاطمة رضي الله عنها سر رسول الله ﷺ، فلم تفشه لعائشة مع إلحاحها عليها بالسؤال عنه حتى قبض رسول الله ﷺ .

٣- أن السؤال عن الأمر المستغرب، أو الخارج عن المعهود، والإلحاح في معرفته إذا كان العائد منه معرفة خير؛ أمر مشروع، بدليل إلحاح عائشة في سؤال فاطمة رضي الله عنها عما أثار انتباهها ودهشتها من تحول حال فاطمة رضي الله عنها من حال البكاء إلى الضحك والاستبشار بعد إسراره ﷺ لها، وتكرار السؤال بعد وفاة الرسول ﷺ ، فهي حريصة لمعرفة قوله ﷺ إذ لا يقول إلا خيراً .

٤- مساررة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائز؛ لأن المعنى الذي يخاف من ترك الواحد لا يخاف من ترك الجماعة.

٥- جواز إفشاء السر إذا زال ما يترتب على إفشائه من المضرة، لأن الأصل في السر الكتمان .[1]

٦- أن محاولة استخراج جوانب إيجابية جيدة بقدر الإمكان من المواقف المريرة تمد الفرد بشعور الرضى والأمن النفسي حتى في أضيق المواقف.

---

(١) انظر، فتح الباري، (٣/٢٨٤).

٨- عن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا، فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ أَوْ قَالَ: ذَنْبَكَ) .[١]

معنى الحديث :

أن رجلاً يقال له أبو اليسر -هو أصح الأقوال الستة فيه-أصاب امرأة دون الفاحشة؛ أي استمتع بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع، كما في رواية: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا فاقض في ما شئت، فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، قال فلم يرد النبي ﷺ شيئاً، فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]، فأرشده ﷺ إلى أداء الصلاة)[٢]، وهذا الحد[٣] معناه: معصية من المعاصي الموجبة للتعزير وهي هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة، ولو كانت

(١) صحيح البخاري ، كتاب المحاربين ، باب إذا أقر بالحد و لم يبين هل للإمام أن يستر عليه ، (٢٥٠١/٦ ، ٦٤٣٧) ، صحيح مسلم ،كتاب التوبة ، باب إن الحسنات يذهبن السيئات ، (٢١١٧/٤ ، ح ٢٧٦٥) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)، (٢١١٥/٤، ح ٢٧٦٣).

(٣) عرَّف شيخ الإسلام الحد باعتبارين: باعتبار نوع الذنب إلى: عقوبات مقدرة: مثل جلد المفتري ثمانين، وقطع السارق، وقال: أما تسمية العقوبة المقدرة حداً، فهو عرف حادث ومنها عقوبات غير مقدرة قد تسمى" التعزير" وتختلف مقاديرها وصفاتها، بحسب كبر الذنب وصغرها، وبحسب حال الذنب في قلته وكثرته، وباعتبار المذنب نوعان: أحدها: عقوبة المقدور عليه الواحد والعدد، ثانيها: عقاب الطائفة الممتنعة ، كالتي لا يقدر عليها إلا بقتال. (الفتاوى، ١١ / ١٠٧- ٣٤٩).

كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة ، فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود لا تسقط حدودها بالصلاة.

وقد وقع في رواية: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني زنيت فأقم علي الحد الحديث)[1] فحمله بعض العلماء على أنه ظن ما ليس زنا زنا، فلذلك كفرت ذنبه الصلاة، وقد يتمسك به من قال إنه إذا جاء تائباً سقط عنه الحد، ويحتمل أن يكون الراوي عبر بالزنا من قوله: أصبت حداً، فرواه بالمعنى الذي ظنه، والأصل ما في الصحيح فهو الذي اتفق عليه الحفاظ. [2] ، ولعل الرجل ظن أن كل خطيئة فيها حد فأطلق على ما فعل حداً. [3]

موضع الشاهد ودلالته:

أن ارتكاب الذنوب والمخالفات الشرعية توقع الإنسان في الإحساس بالذنب، واستمرارية الإحساس بالذنب دون اتخاذ العلاج اللازم لذلك؛ يكون مدخلاً لوقوع الإنسان في العديد من الاضطرابات النفسية، لذلك عندما جاء الرجل إلى الرسول ﷺ يسأله لم يجبه الرسول ﷺ على سؤاله سريعاً، و لم يتركه على إلحاحه دون حل للمشكلة، بل إن الرسول ﷺ علم أن سياق أو إطار المشكلة هي وقوع الرجل في معصية الله فالحل يكون باللجوء إلى الوضوء والصلاة وطلب المغفرة من الله، وأحسب أن الرسول ﷺ عندما رأى درجة قلق الرجل جعله يمارس الحل الصحيح أولاً، فلم يجبه حتى أقيمت الصلاة، وأدّى الصلاة معهم، حتى عندما يقرره بعمله الصالح؛ بقوله:" أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء ؟ " يبعث في نفسه الراحة والطمأنينة بزوال ذنبه وغفرانه .

---

(١) ابن حزم في المحلى، (١٢٦/١١) .

(٢) انظر، فتح الباري، (٥٦٢/٣).

(٣) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٨٠/١٧) ، عمدة القاري ، (١١/٥) .

٩- عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ [١] ﷺ قَالَ: (قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْبِيَةً وَلَمْ يُعْطِ مَخْرَمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَقَالَ مَخْرَمَةُ: يَا بُنَيَّ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَقَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ لِي، قَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْهَا فَقَالَ: خَبَأْنَا هَذَا لَكَ، قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةُ ؟) . [٢]

معنى الحديث :

أهديت للنبي ﷺ أقبية – القباء الذي يلبس– من ديباج مرصعة بالذهب، فقسمها في ناس من أصحابه، و لم يعط مخرمة شيئاً[٣] في حال تلك القسمة، وإلا فقد عزل منها واحداً له ، لعل خروج النبي ﷺ عند سماع صوت مخرمة صادف دخول المسور إليه، فخرج إليه وعليه قباء منها، فقال ﷺ لمخرمة:" خبأنا هذا لك " للملاطفة لأنه كان في خلقه شدة . [٤]

موضع الشاهد ودلالته:

أنه لما نظر مخرمة إلى القباء ، سأله ﷺ : " رضي مخرمة ؟ " أي ؛ " هل رضيت ؟ على وجه الاستفهام[٥]،" يستفاد منه استئلاف أهل الألسن – أهل الفصاحة والبلاغة الذين يملكون باعاً قوياً في اللغة ويستغلونه في إثارة الشبه – ومن في معناهم بالعطية والكلام الطيب " [٦] ،وقد بوب عليه ابن حبان باب " ذكر ما يستحب للإمام استمالة قلوب رعيته عند القسمة بينهم غنائمهم " [٧]

---

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف ، أبو عبد الرحمن ، روى عن النبي ﷺ ، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين ، أصابه المنجنيق وهو يصلي في الحجر فمكث خمسة أيام وتوفي وهو ابن ٦٣ سنة . (الإصابة ، ٣ / ٤١٩) ، (التهذيب ، ٨ / ١٧٧) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب كيف يقبض العبد والمتاع ، (٢/٩١٨ ، ح٢٤٥٩) ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء من يتكلم بغلظة ، (٢/٧٣١، ح ١٠٥٨).

(٣) مخرمة هو والد المسور وهو بن نوفل الزهري ، كان من رؤساء قريش ،ومن العارفين بالنسب، وأنصاب الحرم وتأخر إسلامه إلى الفتح، وشهد حنيناً وأعطى من تلك الغنيمة مع المؤلفة، ومات سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وخمس عشرة سنة.(الإصابة ، ٣/ ٣٩٠).

(٤) انظر ، عمدة القاري ،(١٣/١٥٨) ، فتح الباري ، (١٠/٢٧٠).

(٥) عمدة القاري (١٣/ ١٥٨) .

(٦) فتح الباري ، (١٠/٢٧٠) .

(٧) صحيح ابن حبان ، (١١ /١٤٦) .

إنه ﷺ تعامل مع هذا الرجل من منطلق علمه بنفسيته، ومعرفته بالأمر الذي يرضيه ويسعده، فلبس ﷺ القباء حتى يعاينه ببصره أولاً، ثم يؤمله بأن له مثلـه، فيكـون الرضـى في أوج اكتماله، وبسؤاله ﷺ: رضي مخرمة؟ تأكيد وتقرير على تحقق هذا الجانب في نفسه .

إن البدء بالكلام الطيب، والملاطفة، وتقديم الهدايا، له دور كبير في التواصـل الجيـد مـع الآخرين، وبث روح الرضى في النفوس؛ وإن كانوا في حالة غضب أو نفور .

وظاهر الحديث استعمال الحرير، وقيل يجوز أن يكون قبل النهي، ويحتمل أن يكون المراد أنه نشره على يديه ليراه مخرمة كله و لم يقصد لبسه، فيكون قوله ﷺ من إطلاق الكـل علـى الجزء.[1]

١٠- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ ثُـمَّ عَبْـدِ الأَشْهَلِ ثُمَّ دَارُ بَنِي الْحَارِثِ ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ، فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْـنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: أَبَا أُسَيْدٍ[2]، أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيَّرَ الأَنْصَارَ فَجَعَلَنَا أَخِيرًا، فَأَدْرَكَ سَعْدٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خُيِّرَ دُورُ الأَنْصَارِ فَجُعِلْنَا آخِرًا، فَقَالَ: أَوَلَيْسَ بِحَسْـبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ الْخِيَارِ .؟)[3]

معنى الحديث :

فضَّل رسول الله ﷺ بين قبائل الأنصار بعضها على بعض وذكر بنو النجـار أولاً، فقـد تم اختيارهم ليكون مقامه بينهم، فهم أخوال جده عبد المطلب ولهم مآثرهم، وبيّن أن في كل دور الأنصار أي في قبائلهم خير وإن تفاوتت مراتبهم، ويكون خيريتها بحسب خيرية أهلها، وما يجري ويوجد فيها من الطاعات، فوجد سعد بن عبادة في نفسه، وقال: ما أظن إلا أن

---

(١) انظر ، عمدة القاري ،(١٥٨/١٣) ، فتح الباري ، (٢٧٠/١٠).

(٢) ورد في رواية الأصيلي : أبا أسيد ، والصواب : أبا حميد ، فتح الباري ، (٢ / ٤٤٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب خير دور الأنصار ، (٣/ ١٣٨٠ ، ح ٣٥٨٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب في خير دور الأنصار رضي الله عنهم ، (١٩٥٠/٤، ٢٥١١) .وقد تقدم تخريجه وبيان معناه برواية أخرى في الفصل الثاني، المبحث الأول: إثارة الانتباه، (١٦٠).

النبي ﷺ قد فضل علينا بعض القبائل، وإنما كان ذلك لأنه من بني ساعدة، ولم يذكر النبي ﷺ بني ساعدة إلا بعد ذكره القبائل الثلاثة، فذهب للنبي ﷺ يسأله عن سبب ذلك، وفي رواية مسلم:(أن سعد بن عبادة وجد في نفسه وقال: خُلِّفنا فكنا آخر الأربع، اسرجوا لي حماري آتي رسول الله ﷺ، وكلمه ابن أخيه سهل، فقال: أتذهب لترد على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أعلم، أو ليس حسبك أن تكون رابع أربع؟ فرجع، وقال: الله ورسوله أعلم، وأمر بحماره فحل عنه)[1] ويمكن الجمع بأنه رجع حينئذ عن قصد رسول الله ﷺ لذلك خاصة، ثم أنه لما لقي رسول الله ﷺ في وقت آخر ذكر له ذلك، أو الذي رجع عنه أنه أراد أن يورده

مورد الإنكار، والذي صدر منه ورد مورد المعاتبة المتلطفة، ولهذا قال له ابن أخيه في الأول: أترد على رسول الله أمره .[2]

موضع الشاهد ودلالته:

يعالج رسول الله ﷺ النفوس الحساسة حتى ترضى، فهذا الموقف الثاني الذي يتأثر فيه سعد رضي الله عنه من تفضيل غيرهم من الأنصار عليهم كما يظن، فقد مر بنا في حديث النبي ﷺ مع الأنصار كيف كان سعد من ضمن الذي حزنوا على إعطاء الرسول الغنائم لقريش دون الأنصار، فهاهو يرد على تساؤل سعد بن عبادة رضي الله عنه عن سبب تعداد هذه القبائل قبل قبيلته بني ساعدة، بسؤاله : أوليس بحسبكم أن تكونوا من الخيار؟ أي الأفاضل لأنهم بالنسبة إلى من دونهم أفضل، وكأن المفاضلة بينهم وقعت بحسب السبق إلى الإسلام، وبحسب مساعيهم في إعلاء كلمة الله ونحو ذلك، فهذه المقولة مع ما سبق من تعداد مآثر الأنصار كفيلة بأن تعيد لسعد رضي الله عنه حالة الرضا والاطمئنان بمكانة الأنصار عند الله وعند رسوله .

الدلالات التربوية :

١- إن الخط التربوي العام الذي نلحظه أن النبي ﷺ فضل أقواماً على أقوام، فإذا نحن قيمنا هذه الواقعة على أساس البحث في المنهج التربوي العام، نجد أن الرسول ﷺ وازن بين أقران فيما حوله، وفضل بعضهم على بعض، فنقيِّم كلام التربويين في ضوء هدي النبي ﷺ نجد

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب في خير دور الأنصار رضي الله عنهم ، (١٩٥٠/٤، ٢٥١١) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٤٤٨) ، عمدة القاري ،٢٦٠/١٦) ، فيض القدير، (٤٨٦/٣).

أنه لا يدعم توجههم في أن المقارنة بين المتربين ، أو مديح أصحابهم ، وذكر ما بهم من محاسن هو من أساليب التربية الخاطئة[(١)]، وأن المقارنة بين الأقران أمرٌ مزعجٌ لهم، وأنها قد تخلق عند الفرد اضطراباً في نفسيته وضعفاً في شخصيته لأنه قد يكون عاجزاً أو غير قادر على القيام بنفس ما يقوم به قرينه، ولكنه بالتأكيد يستطيع القيام بشيء لا يستطيع قرينه القيام به لأنه شخصية مستقلة عنه، فمن الخطأ التربوي مقارنته مع الآخرين. [(٢)]

ولكن الرسول ﷺ استخدم أسلوب الموازنة والتفضيل بين الأقران بضوابط :

- التفضيل مبني على أساس واقعي ومشهود .
- عقد الموازنة والتفضيل دون التجريح بالآخرين، فلم يذكر الخصال الموجودة فيهم فيكون عدم وجودها في الآخرين تجريحاً وتشهيراً .
- عقد المقارنة بين أقوام ؛ أفخاذ من القبائل، و لم يعقدها بين أفراد.
- إنهاء الموازنة بإرضاء الجميع والثناء عليهم .

٢- حلم الرسول ﷺ وتعامله التربوي تجاه المواقف والأحداث، فسعد بن عبادة يراجع النبي ﷺ للمرة الثانية ، ورسول الله ﷺ المربي الأعظم يستوعب مشاعره وأحاسيسه فيجيبه بما يرضيه ويشعره بالأمن والطمأنينة .

١١- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ[(٣)] سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ قَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ ، إِنْ تَقْتُلْنِي

---

(١) انظر، الصحة النفسية ، دراسة في سيكلوجية التكيف، د. مصطفى فهمي، (٩٤).

(٢) انظر، www.balagh.com /www.al-jazirah.com /www.alwatan.com.

(٣) ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن الدول ابن حنيفة بن صعب بن على بن بكر بن وائل اليمامي، سيد أهل اليمامة أسره رسول الله ﷺ، ثم أطلقه فأسلم وحسن إسلامه، و لم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج من الطاعة قط ﷺ . معجم الصحابة ، لابن قانع، (١/١٣١).

تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ، إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ،فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلا وَاللَّهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيّ ﷺ).[1]

معنى الحديث :

أن أصحاب الخيول الفرسان أسرت ثمامة بن أثال، والسرية التي أخذت ثمامة كان أميرها محمد بن مسلمة أرسله في ثلاثين راكباً إلى القرطاء من بني أبي بكر بن كلاب بناحية ضَرِيَّة بالبكرات -وهي ماء بناحية ضرية- لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست، وبين ضرية والمدينة سبع ليال، وهي أرض كثيرة العشب وإليها ينسب الحمى .[2].

فهذا أسير كان محارباً من قوم محاربين للنبي ﷺ ، لكن يبدو أنه زعيم في قومه له مال وجاه فيأمر النبي ﷺ بحجزه في المسجد ..فلم يوضع في سجن انفرادي بعيداً عن النور والرعاية، بل وضع في أكرم بيت من بيوت المدينة ..في بيت الله ..وفي ذلك إكرام وإعطاء فرصة للاحتكاك بالمسلمين، وشهود صلاهم وسماع قراءة القرآن، وهذا دليل على جواز إدخال المسجد الكافر، وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة:٢٨] فهو خاص بالحرم[3] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الخصومات، باب التوثق ممن تخشى معرته، (٢/ ٨٥٣ ، ح ٢٢٩٠)، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (١٣٨٦/٣، ح ١٧٦٤) .

(٢) انظر، عمدة القاري ، (٢٣٦/٤)

(٣) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ،(٨٧/١٢) .

موضع الشاهد ودلالته:

١- سؤاله ﷺ : " ما عندك يا ثمامة ؟ " أي: ما رأيك ؟ ماذا أفعل بك؟ أي شيء عندك ؟ أي ما الذي استقر في ظنك أن أفعله بك؟ وهذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه، من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير [١].

فيأتي جوابه؛ وفيه إقرار بأنه مستحق للقتل، لكن الأسير اللبيب يعرض الخيارات الأخرى : الإنعام عليه دون مقابل، أو أخذ الفدية وهو مستعد لدفع كل ما يطلب منه .

٢- تكرار نفس السؤال في اليوم الثاني، كان من شأنه أن ينقل شعوراً عند ثمامة بأن رسول الله ﷺ لا يريد قتله، ولو أراد ذلك لقتله من أول يوم، وماكرر عليه السؤال، ولذا كان جوابه بأنه ظنّ خيراً ؛ أي أنك لست ممن يظلم، بل ممن يعفو ويحسن، فقد رأى في وجهه ﷺ السماحة والرضا .

٣- تكرار السؤال لمدة ثلاثة أيام، يرى فيها صبر النبي ﷺ وسماحته، يتأمل عبادة المسلمين وتجمعهم متحابين متراحمين، ثلاثة أيام أُحيط فيها بكل أساليب العلاج النفسي والفكري المتاحة في ذلك العصر .

٤- ثم يأتي أمره ﷺ بإطلاق سراحه، فيكسر آخر حاجز في نفس الرجل، فتتحول مشاعر النفور والعداوة والبغض من الإسلام إلى حالة حب واطمئنان ورضاً به، فهاهي نفسه تتألق بعد أن اغتسلت وتطهرت من الأدران فتنطلق في دروب الخير، وفي مكة يقف كالطود شامخاً مباهياً بإسلامه وولائه لرسول الله ﷺ، وبدلاً من أن يزعجه المشركون بتهديداتهم، يرهبهم بحرب اقتصادية ضدهم ما لم يصالحوا النبي ﷺ ويهادنوه .

حقاً لقد أثمرت الأسئلة الثلاثة أحلى الثمار .. وأصبح ثمامة خلقاً آخر .. [٢]

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢/٨٩)، عمدة القاري ، (١٨/٢٢) .

(٢) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٦٥٦) .

إن حواره ﷺ الهادف أدّى إلى التغيير الجذري للمشاعر النفسية وتحويلها من قمة القسوة والعداوة والحقد إلى قمة الرضا والحب والسعادة .

الدلالات التربوية:

إن الخير العميم يأتي من وراء الحوار الذي كله رفق وملاطفة، كم من أناس حين يحاورون؛ يرمون الناس بالكفر والإلحاد، ويلهبون ظهورهم بالألفاظ الغليظة، والكلمات النابية، والأحكام المتعسفة الجائرة، و لم يكن هذا التحول العظيم من الكفر إلى الإيمان لثمامة بن آثال إلا بفضل الله ثم بتعامل النبي ﷺ المقرون باللين والعطف .[(١)]

وفي ختام هذه الأحاديث يظهر لنا كيف عالج ﷺ بأسئلته ومحاوراته النظرة السلبية للمواقف والأحداث، وحولها إلى نظرة إيجابية تملأ جنبات النفس رضا وسعادة، فتعيش في أمن وطمأنينة .

ومما يؤكده علم النفس المعاصر أن " التفكير الإيجابي المتفائل الذي يبرز العناصر التي يمكن تحقيقها في موضوع ما، ويسلط الأضواء على الجوانب الحسنة والقوية والخيّرة داخل الإنسان وفي غيره ممن حوله له تأثير دوائي فعّال في نفسية البشر، ولا تقتصر فائدة التفكير الإيجابي على رفع المعنويات العامة، بل ربما تكون لها تأثيرات كيميائية تعدل التفاعلات الحيوية العصبية في الجهاز العصبي النفسي للإنسان؛ مما يزيد في طاقاته ومقاومته للإحباط، والمشكلات اليومية المتعددة، ويشعره بالسعادة والارتياح، وببساطة يمكننا أن نجد كثيراً من الأفكار التلقائية التي تخطر في بالنا عندما نفكر في موضوع معين يتعلق بنا أو بالآخرين أو بالمستقبل تنقصها الدقة العلمية والمنطقية، وكثيراً ما تكون هذه الأفكار تعميمات خاطئة، أو استنباطاً مبنياً على مقدمات ناقصة وغير ذلك .

ويمكن لكثير ممن يُعاني من حالات التوتر والقلق والاكتئاب والخوف وغير ذلك من المشاعر المزعجة أن يكتشف في نفسه هذه العمليات العقلية السلبية، وأن يُحاول تبديلها، وأن يُعيد النظر في أفكاره التلقائية، ويبحث عن تفسيرات أخرى أكثر إيجابية، وهذا الدواء قديم

---

(١) انظر ، في أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب ، (١٨) .

حديث، وقد وُجد أن مفعوله يتجاوز الأدوية النفسية في تأثيرها، فهـو يسـاهم في حـل المشكلات النفسية الحاضرة والتخفيف منها، إضافة إلى تأثيره الوقائي في حـال التعـرض لمشكلات أخرى مستقبلية ." [1]

يبدو لي أن أسئلته ﷺ في هذه الأحاديث تعتمد على إثارة عواطف إنسـانية، وانفعـالات وجدانية؛ تجعل العبد ينقاد للسلوك الحسن .

(١) الطب النفسي والحياة ، د. حسان المالح ، (٢١).

المطلب الثاني : وصف المشاعر

إن الإحساس بمشاعر الآخرين والاستماع اليقظ لها، وفهم مرادهم ومبتغاهم من خلال القرائن المحيطة بهم، ووصف ما يريدونه أو ما يشعرون به؛ له أثر كبير في تحقيق الشعور بالرضا والطمأنينة والارتياح التي هي من أهم متطلبات الأمن النفسي، لأن الإنسان متى ما شعر أن هناك من يفهم مشاعره الداخلية، ويشعر بمشكلته حتى لو لم يفصح بها؛ كان ذلك سبباً في إحساسه بالارتياح والطمأنينة .

وبعد البحث في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، وجدت ستة أحاديث يبدو لي أن الرسول ﷺ طرح فيها أسئلة يصف فيها شعور الصحابي ويبين له إحساسه بمشكلته :

١- عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : (أَنَّ امْرَأَةَ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ [١] جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رِفَاعَةَ طَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلاقِي، وَإِنِّي نَكَحْتُ بَعْدَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ الْقُرَظِيَّ [٢]، وَإِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ الْهُدْبَةِ [٣]، فتبسّم و قَالَ ﷺ : لَعَلَّك تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ ؟ لا، حَتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ وَتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ [٤]) . [٥]

معنى الحديث :

---

(١) رفاعة ابن سموأل القرظي، زوج تميمة بنت وهب، قيل إنه كان من سبي قريظة. و لم أجد أكثر من ذلك في ترجمته، (الإصابة ، ١ / ٥١٨)، (٢/٤٩٤) .

(٢) عبد الرحمن بن الزبير القرظي من بني قريظة ، ولده الزبير بن عبد الرحمن، وهو من شيوخ مالك . (الإصابة ، ٣ / ٣٩٨) ، (التهذيب ، ٥ / ٨٣) .

(٣) هدبة : أرادت متاعه ، وأنه رخو مثل طرف الثوب ، لا يغني عنها شيئاً . (النهاية ، ٥ / ٢٤٩)

(٤) عسيلتك: كناية عن الجماع . (النهاية ، ٣ / ٢٣٧) .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، (٥/٢٠١٤ ، ٤٩٦٠) ، صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب لا تحل المطلقة ثلاثاً ، (٢ / ١٠٥٦ ، ح ١٤٣٣) .

أن امرأة رفاعة تميمة بنت وهب[١] بعد أن طلقها رفاعة طلاقاً بائناً[٢]، تزوجت بعده عبد الرحمن القرظي، ثم جاءت تشكو من عدم قدرته على الجماع عند رسول الله ﷺ، فتفطن ﷺ لمرادها حيث لم يثبت عند رسول الله ﷺ إصابة زوجها الثاني بالعنّة .

ففي رواية: (أَنَّهَا قَدْ أَتَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنَان لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، قَالَتْ: وَاللَّه مَا لِي إِلَيْه مِنْ ذَنْب إلا أَنَّ مَا مَعَهُ لَيْسَ بِأَغْنَى عَنِّي مِنْ هَذِه، وَأَخَذَتْ هُدْبَةً مِنْ ثَوْبِهَا فَقَالَ:كَذَبَتْ وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه إِنِّي لأَنْفُضُهَا نَفْضَ الأديم، وَلَكِنَّهَا نَاشِزٌ تُرِيدُ رِفَاعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَإِنْ كَانَ ذَلكِ لَمْ تَحِلِّي لَهُ، أَوْ لَمْ تَصْلُحِي لَهُ، حَتَّى يَذُوقَ مِنْ عُسَيْلَتِك، قَالَ: وَأَبْصَرَ مَعَهُ ابْنَيْنِ لَهُ، فَقَالَ: بَنُوكَ هَؤُلاء؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَذَا الَّذي تَزْعُمِينَ مَا تَزْعُمِينَ؟ فَوَاللَّه لَهُمْ أَشْبَهُ بِهِ مِنْ الْغُرَابِ بِالْغُرَابِ ")[٣] تزعمين ما تزعمين ؟ هو كناية عما ادعت عليه من العنّة.

وحاصل القصة:" أنه ﷺ رد عليها دعواها، أولاً: لصدق زوجها فيما زعم أنه ينفضها نفض الأديم ، و ثانياً: للاستدلال على صدقه بولديه اللذين كانا معه" [٤].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : "لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟" يدل على أنه لم ينهها عن سؤالها، وأفصح لها بمرادها، حيث كان لا بد لها من السؤال عن ذلك، ولما لم تجد النبي ﷺ وحده، لم يمنعها الحياء أن تسأل بحضرة أبي بكر .[٥]

إنه سؤال منه ﷺ يصف فيه مشاعر هذه المرأة وأحاسيسها؛ التي اختلطت عليها، فتحولت عندها مشاعر الرغبة في الزوج الأول، إلى نظرة سلبية ورفض تام للزوج الثاني، وهنا تتجلى

---

(١) تميمة بنت وهب لا أعلم لها غير قصتها مع رفاعة بن سموأل حديث العسيلة . الإصابة في تمييز الصحابة،(٥٤٥/٧) ، الاستيعاب، (١٧٩٨/٤)، وقيل: اسمها سهيمة بسين مهملة وكأنه تصحيف، وقيل: أميمة وسمي أباها الحارث. فتح الباري ، (٤٦٤/٩) .

(٢) هذا معنى كلمة فبتّ في طلاقي، (النهاية ، ١ / ٩٢)، و لم أجد شيئاً في وصف زوجها الأول ولا في سبب طلاقها من رفاعة.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب الثياب الخضر ، (٢١٩٢/٥ ، ح ٥٤٨٧) .

(٤) فتح الباري، (٢٨٢/١٠).

(٥) انظر ، بهجة النفوس ، (١ / ٧٢٦) .

فطنة المربي، وحسن إدراكه، حيث استمع استماعاً يقظاً لشكواها، وفسر مشاعرها، وفهم ما تكنه من رغبات وميول في نفسها، فحددها لها .

"إن مجرد طرح مثل هذا السؤال الذي يصف المشاعر حتى ولو كان سؤال غاضب، لهو دليل على الاستعداد على سماع تفسيرك ." (١)

الدلالات التربوية:

١- ما كان الصحابة عليه من سلوك الأدب بحضرة النبي ﷺ وإنكارهم على من خالف ذلك بفعله أو قوله .

٢- تبسم النبي ﷺ عند مقالتها كان تعجباً منها، إما لتصريحها بما يستحى النساء من التصريح به غالباً، وإما لضعف عقل النساء لكون الحامل لها على ذلك شدة بغضها في الزوج الثاني، ومحبتها في الرجوع إلى الزوج الأول، ويستفاد منه جواز وقوع ذلك .(٢)

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ فَجَاءَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أُعْجِلْتَ أَوْ قُحِطْتَ فَعَلَيْكَ الْوُضُوءُ) . (٣)

معنى الحديث :

أنه ﷺ حين دعا الرجل الأنصاري – ورد في بعض الروايات أنه "عتبان بن مالك – جاء مستعجلاً والماء يترل من رأسه قطرة قطرة من أثر الغسل " (٤).

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لعتبان سؤالاً يصف به مشاعره وهي العجلة والارتباك التي عرفها ﷺ من حاله، بقوله: لعلنا أعجلناك ؟ "كلمة لعل هنا لإفادة التحقيق، فمعناه: قد أعجلناك، وقوله: فقال:

---

(١) فنون الحوار ، محمد ديماس ، (١٠٨) .

(٢) انظر، فتح الباري، (٩/٤٦٦) ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٤/ ٦٠٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين (١/ ٧٧ ، ح ١٧٨) ، صحيح مسلم ، كتاب الحيض ، باب إنما الماء من الماء ، (١/٢٦٩ ، ح ٣٤٥) .

(٤) انظر، عمدة القاري ، (٣/٥٨) .

نعم ، مقرراً له." [١] والمعنى: أننا أعجلناك عن فراغ حاجتك من الجماع، وقد استدل النبي ﷺ على ذلك بالقرائن؛ لأن الصحابي لما أبطأ عن الإجابه مدة الاغتسال، خالف المعهود منه وهو سرعة الإجابه للنبي ﷺ، فلما رأى عليه أثر الغسل دل على أن شغله كان به، واحتمل أن يكون نزع قبل الإنزال ليسرع الإجابه وهذا هو القحط المقصود في الحديث . [٢]

ويبدو لي أنه ﷺ بهذا السؤال يبعث الارتياح في نفس الرجل والاطمئنان النفسي؛ لأنـه ﷺ بسؤاله وصف العناء الذي تعرض له الرجل، والعجلة التي أصابته ليستجيب لأمر الرسـول ﷺ، فأشعره بأن الرسول ﷺ يشاركه مشاعره، ويقدر جهده وحرصه على الاستجابة لأمره.

٣- عن عَائِشَة ﵂ قالت: خَرَجْنَا لا نَرَى إِلا الْحَجَّ فَلَمَّا كُنَّا بِسَرِفَ [٣] حِضْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، قَالَ: مَا لَكِ أَنُفِسْتِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ) . [٤]

وفي رواية: (مَا لَكِ لَعَلَّكِ نَفِسْتِ ؟، وفي رواية: لَعَلَّكِ نُفِسْتِ؟) [٥]

يبين النبي ﷺ حكم من جاءها الحيض في الحج، فيصح منها جميع النسك إلا الطواف بالبيت فإنه يكون بعد الطهر.

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ:" لعلك نفست؟"حيث حكم ﷺ بما يعلم من حالة عائشة رضي الله عنها لما رآها تبكي، ولأنه يعلم دينها وحرصها عليه، علم أنه من أجل الدين، ولا شيء في هذا الوقـت

---

(١) عمدة القاري ، (٣/٥٨) .

(٢) انظر فتح الباري ، (١ /٣٤٠) .

(٣) سرف : موضع على طريق الحج من المدينة إلى مكة ، بين وادي فاطمة وبين التنعيم ، قريب من مكة ، بينهما نحو عشرة أميال . (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل ، (٢٧٧) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحيض، باب كيف كان بدء الحيض ، (١/١١٣ ، ح ٢٩٠).

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الحيض، باب كيف تقضي الحائض، (١/١١٧، ح ٢٩٩)، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام (٢/٨٧٣، ح ١٢١١). صحيح البخاري ، كتاب الحيض، بـاب كيـف تقضـي الحائض، (١/١١٧، ح ٢٩٩).

يمكن أن يبكيها إلا النفاس، فاستفسرها على ما ظنه منها، وقوله: " هذا أمر كتبه الله على بنات آدم "، تعزية لها لما أصابها من الحزن على ما توقعت فواته من أمر حجها " [١].

فمن الأشياء التي تبث في النفس الإحساس بالرضى والأمن؛ وجود من يقف بجانب الشخص ويشاركه أفراحه وأحزانه، ويحاول تصبيره؛ لذلك راعى ﷺ مشاعر السيدة عائشة رضي الله عنها الحزينة وحاول تصبيرها على ما هي فيه، بهذا السؤال: لعلك نفست؟ الذي يصف به حالها، فيشعر المسئول بمشاركة السائل له وإحساسه بمشاعر الألم التي يعاني منها، وبسببها من غير أن يبوح بها صاحبها .

وقد يرد أن سؤاله ﷺ لعائشة: ما لك أنفست؟ أنه سؤال تعرف على المشكلة، ولكني أرى أن الأظهر فيه أنه سؤال وصفي لمشاعر الحزن وحالة البكاء التي كانت عليها عائشة، بدليل اللفظ الثاني للسؤال: لعلك نفست؟ سؤال وصفي غير حكمي للوضع الذي أحالها إلى ذلك الحزن، وتخفيفه عليها حزنها، وتسليته لها وتهوينه الأمر عليها، حين قال لها: كل بنات آدم..، ومعناه: " أنك لست مختصة به، بل كل بنات آدم يكون منهن هذا، فلا بد منه ولا لوم فيه". [٢]

٤- عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ قَالَتْ: فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمَا لِي أَنْ لا يَغَارَ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَقد جاءك شَيْطَانُكِ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَوَمَعِي شَيْطَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ) . [٣]

معنى الحديث:

يبين معنى الحديث هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من فراشه،فقلت: إنه قام إلى جاريته مارية، فقمت التمس الجدار، فوجدته قائماً يصلي، فأدخلت يدي في شعره لأنظر أغتسل أم لا، فلما انصرف قال: أخذك شيطانك يا

---

(١) بهجة النفوس ، (٢ / ١٢٣١) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٣٨٨) ، النووي شرح صحيح مسلم ، (٨ / ١١٩) .

(٣) صحيح مسلم ، صفات المنافقين ، باب تحريش الشيطان ، (٤/٢١٦٨ ، ح ٢٨١٥) .

عائشة؟ قلت: ولي شيطان؟ فقال: نعم ولجميع بني آدم قلت: ولك شيطان؟ قال: نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم).[1]

وفي رواية: حتى أسلم، أي انقاد وكف عن وسوستي، وقيل: دخل في الإسلام فسلمت من شره وقيل: إنما هو أسلم بضم الميم على أنه فعل مستقبل أي أسلم أنا منه ومن شره، ويشهد للأول الحديث الآخر: كان شيطان آدم كافراً، وشيطاني مسلماً[2].

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ فطن وفهم من تصرفات عائشة رضي الله عنها في تلك الليلة التي خرج فيها ؛ أنها تعاني من مشاعر الغيرة عليه، فلم يُهمل ﷺ هذا الأمر -مع أنها لم تبح له بتلك المشاعر — بل وصفها لها بسؤاله: أغرت؟، ويبدو لي أن الإنسان كثيراً ما يعاني من مشاعر مختلفة تتسبب في ألمه النفسي، وعدم ارتياحه واطمئنانه، ويظهر ذلك على تصرفاته وأفعاله فإذا وجدت تلك المشاعر من يفطن لها ويعبّر عنها؛ فإن ذلك يخفف من وطأتها، وقد يصحح مسارها، ويعّد ذلك تنفيساً من احتباسها داخل النفس فتلحق بها أضراراً جمّة .

كما ربط الرسول ﷺ بعض سلوكيات عائشة بمشاعر الغيرة بوساوس الشيطان بسؤاله لها: " أقد جاءك شيطانك ؟" فهو بمثابة معزز سلبي لذلك السلوك فتنفر منه ولا ترغبه، يبدو لي أنه ﷺ يربط مشاعرها السلبية من الغيرة بشيء سلبي غير مرغوب فيه (الاقتران الشرطي)[3] فيؤدي ذلك إلى إيقاف تلك المشاعر أو تخفيفها والإحساس بالاطمئنان النفسي من خلال التخلص منها.

---

(١) النسائي في المجتبى، باب الغيرة، (٧/٧٢، ح ٩٦٠)، الطبراني في المعجم الصغير، (١/٢٨٨)،وقال: لم يروه عن يحيى بن سعيد إلا فرج بن فضالة ، التمهيد لابن عبد البر ، (٢٣/٣٥١) .

(٢) انظر، كشف الخفاء ، (٢ /٢٥٢) ، النهاية ، (٢/٣٩٥).

(٣) الاقتران الشرطي : حالة وجدانية تكتسب نتيجة للإشراط ، أي أنها استجابة انفعالية(كالخوف)تصدر نتيجة للتعرض لمثير لم يكن من قبل فعالاً(جرس)، وأصبح كذلك بسبب اقترانه بمثير غير شرطي . انظر ، معجم علم النفس والطب النفسي ، (٢/ ٧٠٥)، سيكولجية التعلم ونظريات التعليم ، د. جابر عبد الحميد ، (٢٩٨) .

٥- عن عَمْرِو بْنَ عَوْف[١] ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ[٢]، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ). [٣]

معنى الحديث :

لقد كان الأنصار يصلون في مساجدهم ولا يجتمعون في كل الصلوات إلا لأمر يطرأ، فلذلك عرف النبي ﷺ أهم اجتمعوا لأمر، ودلت القرينة على تعيين ذلك الأمر، وهو احتياجهم إلى المال للتوسعة عليهم، فلما قدم المال رأوا أن لهم فيه حقاً، ويحتمل أن يكون وعدهم بأن يعطيهم منه إذا حضر، فجاءوا واجتمعوا عند صلاة الصبح ليقسم بينهم ما جاء به أبو عبيدة، فقد أرهقتهم الحاجة والفاقة التي كانوا عليها، لا الحرص على الدنيا ولا الرغبة فيها، ولذلك قال رسول الله ﷺ " أبشروا وأملوا ما يسركم"، وهذا تهوين منه عليهم ما هم فيه من الشدة، وبشارة لهم بتعجيل الفتح عليهم، وفيه ما يدل على أن الفقر أقرب للسلامة، والاتساع أقرب للفتنة، فنسأل الله الكفاف والعفاف . [٤]

---

(١) عمرو بن عوف الأنصاري ، حليف بني عامر بن لؤي ، له صحبة ، وكان ممن شهد بدراً ، سكن المدينة ، لا عقب له، مات في خلافة عمر ﷺ ، فصلى عليه . (الإصابة ، ٣ / ٩) ، (التهذيب ، ٦ / ١٩٣) .

(٢) العلاء بن الحضرمي : وكان اسمه عبد الله بن عماد بن أكبر بن عويف الحضرمي ، استعمله النبي ﷺ على البحرين ، وأقره أبو بكر وعمر ﷺ ، روى عن النبي ﷺ وكان يقال أنه مجاب الدعوة وخاض البحر بكلمات قالها ، مات سنة ١٤ هـ . (الإصابة ، ٢ / ٤٩٨) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، (٥/٢٣٦١ ، ح ٦٠٦١)، صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، (٤/ ٢٢٧٣ ، ح ٢٩٦١) .

(٤) انظر ، المفهم ، (٧ / ١١٢) ، فتح الباري ، (٢ / ٢٤٧) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ: أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة؟ يبدو لي أنه ﷺ بسؤاله وصف لهم ما يريدونه ويرغبون فيه، ومهّد لهم ما سيسألون عنه، فأشعرهم بالارتياح والاطمئنان لفهمه مسألتهم، وأراحهم من همّ السؤال والطلب .

٦- عن بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا إِلَى خَالِد لِيَقْبِضَ الْخُمُسَ، وَكُنْتُ أُبْغِضُ عَلِيًّا وَقَدْ اغْتَسَلَ فَقُلْتُ لِخَالِد : أَلا تَرَى إِلَى هَذَا؟ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: يَا بُرَيْدَةُ، أَتُبْغِضُ عَلِيًّا؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ، قَالَ: لا تُبْغِضْهُ فَإِنَّ لَهُ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ). (١)

معنى الحديث :

أن بريدة ﷺ حمل مشاعر البغض والكره لعلي ﷺ ؛ لأنه رأى علياً ﷺ أخذ من المغنم جارية؛ هي أفضل السبي، فأخذها من الخمس، ثم أصبح يقطر رأسه؛كناية عن وطء الجارية التي أخذها من الخمس واصطفاها لنفسه، فذكر بريدة ﷺ ما فعله علي ﷺ للنبي ﷺ.

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لبريدة ﷺ: أتبغض علياً؟ سؤالاً أفصح به عن مشاعر الكره والبغض التي يحملها في نفسه ويتحرج أن يبوح بها، وفي نفس الوقت هو يعاني من قلق وضيق، لأن المشاعر السلبية تجاه الآخرين مصدر قلق وضيق، فأظهرها ﷺ من نفسه وواجهه بها، ثم بيّن له خطأها بقوله:" فإن له في الخمس أكثر من ذلك"؛ أي فإن لعلي ﷺ من الحق في الخمس أكثر من الذي أخذه (٢) ، وعند أحمد في رواية : قَالَ ﷺ : (فَلا تَبْغَضْهُ وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ ، (٤ / ١٥٨١ ، ح ٤٠٩٣) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٦٤٣) .

حُبًّا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَنَصِيبُ آلِ عَلِيٍّ فِي الْخُمُسِ أَفْضَلُ مِنْ وَصِيفَةٍ، قَالَ: فَمَا كَانَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ). [1]

إنها فطنة المربي ﷺ، وفهمه لنفسيات أصحابه، فعرف مشاعر وأحاسيس الكره والبغض التي يعاني منها بريدة رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوصفها له دون توبيخ أوتعنيف، بل بيّن حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الغنيمة، وأن له أكثر من الخمس، وبهذا الأسلوب الهادئ الذي يخاطب به ﷺ النفسيات، حوّل مشاعر البغض إلى حب وارتياح نفسي .

في ختام هذه الأحاديث ندرك ما كان عليه رسول الله ﷺ في تحسس مشاعر الصحابة، والاستماع إليها، ووصفها عن طريق طرح سؤال لا يحمل صيغة الحكم :

لعلك تريدين أن ترجعي..؟ لعلنا أعجلناك؟ لعلك نفست؟ أظنكم سمعتم أن أباعبيدة قدم بشيء؟ أتبغض علياً؟.

وهذا ما تنادي به التربية الحديثة الآن، فمن أحدث أساليبها في التربية ما يسمى بالاستماع اليقظ للمشاعر عن طريق التعبير عنها بأسلوب غير حكمي.

فقد سبق الرسول ﷺ التربية المعاصرة الحديثة التي توصلت إليه بعد دراسات وأبحاث عديدة إلى ما كان رسولنا المربي العظيم يستخدمه مع من يربيهم ويعلمهم .

فالتربية الحديثة تؤكد على أن الاستماع اليقظ إلى المتربين يتطلب منا أن نعلمهم أننا ندرك مشاعرهم المختبئة خلف ما يقولون وخلف ما لا يتحدثون عنه، ونحن نعلن أن الشخص المتضايق يفتقد في بعض الأحيان الرؤية الصحيحة، وعندما نستمع بيقظة، فإننا نستطيع أن نساعد المتربي على التفكير عندما يواجه مشكلة تضايقه؛ أي بمعنى آخر أننا نعكس ونوضح له مشاعره لنساعده على وضع الأسس لحل مشكلته .

---

(١) أخرجه النسائي ، كتاب الخصائص ، باب الترغيب في حب علي ، (١٣٥/٥، ح ٨٤٨٢) ، وأحمد في مسنده ، (٣٥٠/٥ ، ح ٢٣٠١٧) من رواية عبد الجليل بن عطية ، قال ابن حجر : وهذه طرق يقوي بعضها بعضا . فتح الباري ، (٢ / ٦٤٣)، قال الهيثمي :في الصحيح بعضه، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبدالجليل بن عطية وهو ثقة وقد صرح بالسماع وفيه لين . مجمع الزوائد ، (١٢٧/٩) .

فالاستماع اليقظ يعني قدرة المربي على معرفة مشاعر المتربي، ثم بعدها التعبير عن هذه المعرفة، مما يجعل المتربي يشعر بأن هناك من يفهمه ويتقبله، فالاستماع اليقظ يعمل عمل المرآة التي تساعد المتربي على رؤية نفسه بوضوح أكثر، إنه يعطي التغذية الراجعة، أو ردّ الفعل تجاه مشاعره.

ويمكننا وصف التفاعل بين الناس من منطلق أنه عبارة عن استجابات مغلقة أو مفتوحة، والاستجابة المغلقة هي التي تشير إلى أن المستمع لم يسمع و لم يفهم ما قيل، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى قطع التفاعل والتواصل، أما الاستجابة المفتوحة فهي التي تظهر أن المستمع قد استمع إلى ما قيل، وهي تلك الاستجابة التي تعكس أن المستمع قد فهم المشاعر الكامنة وراء الكلمات .

إن الاستماع اليقظ يعني أننا ندلي باستجابات مفتوحة فيها مشاعر المتربي، وما يقصد أن يقول، وهذا النوع من الاستماع يتطلب الحساسية والإدراك لكم كبير من المشاعر، بالإضافة إلى القدرة عن التعبير عنها، وأن تكون العبارات المستخدمة غير حُكمية، مثل: تبدو حزيناً لفقدانك صديقك ، تبدو مترعجاً مما حدث، تبدو غاضباً مما سمعت .

وبذلك يتشجع المتربي لأن يتكلم، حيث يشعر أن هناك من يهتم ويستمع ، ويستطيع المربي التواصل مع المتربين بطرق بناءة، وبناء علاقة قوية قائمة على أساس الثقة بهم وحبهم غير المشروط، واحترام مشاعرهم وتبصيرهم بالعواقب الطبيعية والمنطقية للسلوك المشكل، وبالبدائل المقبولة لذلك السلوك. (١)

---

(١) انظر ، دليل الآباء ، التدريب المنتظم للتربية الفعالة ، دون دنكمير ، جاري د. ماكي ، ترجمة د. سهام الصويغ ، (٦٤) .

المطلب الثالث:

أسئلة تعزيز الثقة بالنفس ، وتقدير الذات

مفهوم التعزيز :

يعرف التربويون التعزيز بأنه " الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة المسبوقة بالتعزيز مباشرة فحين يظهر المعلم تفهماً لتعبيرات التلاميذ ومشاعرهم، تنمو العلاقات الصفية، ويتاح للتلاميذ التعبير بصورة أكثر تجريداً، وأكثر حرية " [1]، فالفرد الذي يعيش في جو من اللطف والحب، يشعر بقيمته، وبأنه مرغوب فيه، ومن ثم يكسب ثقته بنفسه، وبقيمته الذاتية، كما أن الجو العاطفي والانفعالي الذي يحيط به يؤثر تأثيراً إيجابياً على سلوكه .

إن مهارات التعزيز من أهم المهارات التربوية؛ لأنها تتيح للمربيّ أن ينمي إمكانيته كإنسان وكقائد للعملية التربوية، فكل مربيّ يستخدم التعزيز يجد لزاماً عليه أن يتعرف على خصائص المتربّين ويفهمها، وهذا يضعه على أفضل الطرق لكي يصبح شخصاً يستطيع التعامل مع الآخرين بكفاءة، يفهمهم ويشجعهم . [2]

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ الواردة في أحاديث الصحيحين وجدت أن منها ما ينمي ثقة الفرد بنفسه، ويشعره بقيمته الذاتية من خلال الأمور التالية :

١- طلب المشورة والرأي .

٢- الاستفسار عن السائل أو المتكلم للإجابة عن سؤاله.

٣- استئذان المعلم من المتعلم .

٤- إشعال روح التنافس، ومنح فرصة اختيار العمل.

٥- السؤال التعجبي من حسن التصرف.

---

(١) علم النفس التربوي ، د . عبد الحميد نشواتي ، (٢٨٠) .

(٢) انظر ، مهارات التدريس ، د. جابر عبد الحميد ، (٢٥٤) .

١- طلب المشورة والرأي

إن الشورى سنة من سنن الفلاح والنجاح في المجتمعات البشرية، وقاعدة هامة للحكم الراشد، ولا يزال المجتمع في تماسك وحماس ما دام يحس أن القرار هو قراره فهو ملتزم به وراضٍ عنه، ولهذا نجد التوجيه الإلهي يؤكد على هذا الأمر، قال تعالى : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: من الآية١٥٩].

كما أننا نجد أن التربية النبوية قد حققت دوافع نمو الشخصية، فقد كان الرسول ﷺ يشاور الصحابة في الأمر وهو الغني عن المشورة، فالوحي يترل إليه، ولكن ليعطينا درساً عظيماً في ذلك فنقتدي به .

والأحاديث التي شاور فيها ﷺ أصحابة في قضايا مصيرية وخطيرة كثيرة، منها خمسة أحاديث من أحاديث الصحيحين، ووجدت حديثاً واحداً شاورهم فيه ﷺ وهو أمر عادي.

١- عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ رضي الله عنهما قَالا : (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِه، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ؟ أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنْ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَإِلا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلا حَرْبَ أَحَدٍ فَتَوَجَّهْ لَهُ فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ ،قَالَ: امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ) . [١]

معنى الحديث:

حين وصل رسول الله ﷺ إلى غدير الأشطاط[٢]، تلقاء الحديبية، قريب من عسفان[١]، عند خروجه للحديبية أتاه الرجل الذي أرسله ليرصد له الأخبار[٢]، فأخبره بحشد

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، (٤/ ١٥٣١ ، ح ٣٩٤٤) .

(٢) الأشطاط : جمع شط ، وهو جانب الوادي ، وغدير الأشطاط مكان على الطريق بين مكة والمدينة يقع على بعد ميلين من عسفان على الطريق مما يلي مكة، (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل، (٣٤١)، (معجم البلدان ١/ ١٩٨) ، (معجم ما استعجم ١/ ١٥٣)، (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل، (٣٢٧).

قريش للأحابيش لمقاتلته، وهم قوم انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حُبيشاً فسمّوا بذلك جيوشها .[٣]

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ استشار أصحابه بسؤاله لهم: أشيروا أيها الناس علي ؟ هل يخالف الذين نصروا قريشاً إلى مواضعهم؟ فيسبي أهلهم، فإن جاؤوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم، وانفرد هو وأصحابه بقريش، فأشار عليه أبو بكر الصديق ﷺ بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة، حتى يكون بدء القتال منهم، فرجع إلى رأي أبي بكر ﷺ .[٤]

والذي يظهر إن استشارته ﷺ لأصحابه، بل والأخذ برأيهم في قضية خطيرة ومصيرية مثل هذه، لهو دليل على ثقته في حسن تفكيرهم، وسداد آرائهم، وهذا كفيل بأن يعزز ثقتهم بأنفسهم، وبقدراتهم، وإحساسهم بعظم مكانتهم عنده ﷺ وتقديره لوجهات نظرهم، إن هذا الشعور من شأنه أن يمنحهم الشعور بالرضى والارتياح وتقدير الذات الذي هو من أهم متطلبات الأمن النفسي.

٢- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ وَمَا عَلِمْتُ بِهِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَتَشَهَّدَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي ؟ وَايْمُ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَأَبَنُوهُمْ

---

(١) عَسْفان: بلدة على الطريق بين مكة والمدينة ، ما زالت باقية على اسمها معروفة به، عامرة بالسكان تابعة لإمارة مكة . (معجم الأمكنة ، سعد جنيدل، (٣٢٧)،

(٢) هذا معنى كلمة عيناً .(النهاية ، ٣ / ٣٣٠)

(٣) هذا معنى كلمة الأحابيش .(النهاية ، ٣ / ٣٣٠) .

(٤) انظر ، فتح الباري (٢ / ٥٨٨) .

بِمَنْ ؟ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلا غَابَ مَعِي .. الحديث).[1]

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ يستشير أصحابه بسؤاله : أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي ؟ فيمن اهّم زوجته عائشة رضي الله عنها ورماها بالسوء، مع صفوان بن المعطل السلمي ﷺ [2].

إن مشاورته لهم في قضية خطيرة، تختص بأهل بيته ، مع قدرته ﷺ على إلجام ألسنة المنافقين، يدل على أنه ﷺ لا يصدر أوامره ولا يفرض آرائه بنفسه، بل يجعل الصحابة هم صنّاع القرار معه، وهذا من شأنه أن يرفع من مستوى اعتزازهم بأنفسهم، وتقديرهم لذواهم، وإحساسهم بأهمية آرائهم حتى في الأمور الخاصة به ﷺ ، ومتى ما شعر الفرد بالثقة وتقدير الذات؛ تمتع بالاطمئنان والرضى والأمن النفسي.

٣- عَنْ أُمِّ خَالِد بِنْتِ خَالِد [3] رضي الله عنها أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ : مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِه ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ قَالَ : ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِد فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا ، وَقَالَ : أَبْلِي وَأَخْلِقِي وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ : يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَاهْ – وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ –) .[4]

---

(١) تقدم تخريجه وبيان معناه في مبحث التحقق من صدق الخبر ، (٨٤)، لو جود سؤال مرتبط بذلك المبحث، أي بريرة ما علمت فيما رأيت ؟ .

(٢) صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب ابن ذكوان بن ثعلبة بن السلمي ، يكنى أبا عمرو ،يقال إنه أسلم قبل المريسيع ، شهد الخندق والمشاهد كلها بعدها ، قتل في غزوة أرمينية شهيداً ، سنة ١٩ هـ في خلافة عمر ، وكان خيراً فاضلاً شجاعاً بطلاً وهو الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا مع عائشة فبرأهما الله مما قالوا . (الاستيعاب ٢/ ٧٢٥) .

(٣) أم خالد بن خالد بن يعيش بن قيس بن النجار ، تزوجها حارثة بن النعمان ، فولدت له عبد الله وسودة وعمرة وأم هشام . (الإصابة ، ٤ / ٤٤٧) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء ، (٥ / ٢١٩١ ، ٥٤٨٥) .

معنى الحديث:

أُهديت للنبي ﷺ خميصة وهي ثوب خز أو صوف معلّم ، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلّمة، وكانت من لباس الناس قديماً (١)، ثم أمر بأن يأتوا بأم خالد، فأُتي بها تحمل، حملت لصغر سنها؛ ولكن لا يمنع أن تكون مميزة، وقال لها : أبلي " من أبليت الثوب إذا جعلته عتيقا"، وأخلقي" من إخلاق الثوب تقطيعه" -وهما بمعنى -والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء، وإنما كان غرض رسول الله ﷺ من التكلم بهذه الكلمة الحبشية" سناه "؛ استمالة قلبها لأنها ولدت بأرض الحبشة . (٢)

موضع الشاهد ودلالته:

أن رسول الله ﷺ يستشير أصحابه حتى في الأمور العادية التي لا تحتاج إلى صناعة قرار، فيشاورهم ويطلب رأيهم فيمن يُلبِس هذه الخميصة، بسؤاله : من ترون أن نكسو هذه ؟ فلما سكت القوم، و لم يشيروا بأحد، أمر بإلباسها أم خالد.

في الأحاديث الثلاثة السابقة نجد الرسول ﷺ يطلب المشورة من الجماعة، مع أنه ﷺ قادر على اتخاذ القرار بنفسه، ولا يخفى ما لهذا السؤال والطلب من تعزيز وتنمية للدوافع الشخصية، وتقدير للذات، الذي له أكبر الأثر في الإحساس بالأمن النفسي.

ولا يكتفي ﷺ بطلب المشورة الجماعية، بل كثيراً ما يخص بعضهم في ذلك، فتكون مسألة التعزيز النفسي أقوى لدى الفرد منهم لشعوره بمكانته وأهمية رأيه حيث خُص بطلب المشورة منه، وهذا ما سنراه في الأحاديث التالية :

٤- عن أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ قال: (أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلانِ مِنْ الأَشْعَرِيِّينَ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكِلاهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْتَاكُ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ

---

(١) هذا معنى الخميصة ، (النهاية ، ٨١/٢) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٥/٢٢) ، عون المعبود ، (٤٦/١١) .

وَقَدْ قَلَصَتْ، فَقَالَ: لَنْ أَوْ لا نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ،فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ. . الحديث) [١]

معنى الحديث:

جاء أبو موسى ﷺ لرسول الله ومعه رجلان من الأشعريين أي من الجماعـــة الأشـــعريين والأشعري نسبة إلى الأشعر، وهو نبت بن أدد بن يشحب بن عريب بن يزيد بن كهـــلان وإنما قيل له الأشعري لأن أمه ولدته والشعر على بدنه ، فسمي الأشعر، وله شعر وحكمة [٢] وطلبا من الرسول ﷺ أن يستعملهما النبي ﷺ على الصدقة أو غيرها، ويكون لهما على ذلك أجرة معلومة، فلما أعرض عنهما و لم يولهما لحرصهما على العمل، ولَّى أبا موسى الذي لا يحرص عليها، والسائل الحريص يوكل إليها ولا يعان عليها.

فبيّن ﷺ أنه لا يولي الأمر أحداً سأله أو حرص عليه، لأن في الحرص على الشيء التعـــاطي للقيام به، وذلك مقرون في الغالب بالخذلان ، ولما يقع من تهمة الطالب للولاية في ذلك.[٣]

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ يستشير أبا موسى ﷺ في أمر الرجلين الذين يطلبان الولاية لأمر من أمور المسلمين، بقوله: ما تقول يا أبا موسى ؟ فأجابه بعدم قدرته على إبداء المشورة لعدم علمه بما في نفس هذين الرجلين .

يبدو لي أن طلب الرسول ﷺ لرأي أبي موسى، واستشارته له في هذا الأمر، كفيل بأن يشعر أبو موسى بأن رأيه ووجهة نظره محل تقدير الرسول ﷺ ، فتتعزز ثقته بنفسه، وتقديره لذاته التي هي من أهم متطلبات النفسي.

٥- عن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ، عَلَى قَطِيفَـــةٍ فَدَكِيَّةٍ [٤]، وَأَرْدَفَ أُسَـــامَةَ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَـــعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْـــعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ، (١٤٥٦/٣ ، ح ١٧٣٣) .

(٢) انظر ، الإكمال، ابن ماكولا ، (٨٧/١)، اللباب في تهذيب الأنساب،(٦٤/١).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (١٢ / ٧٨) ، الإكمال شرح صحيح مسلم، (٦ / ٢٢٢) .

(٤) الحاصل أن الإكاف يلي الحمار، والقطيفة فوق الإكاف، والراكب فوق القطيفة، والإكاف بكســـر الهمـــزة وتخفيف الكاف ما يوضع على الدابة كالبرذعة، والقطيفة كساء، وهي الدثار المخمل، وفدكية بفتح الفـــاء والـــدال

بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلاطٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ[1]، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ[2]؛ خَمَّرَ[3] عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، قَالَ: لا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ[4]؛ فَلَمْ يَزَلْ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَكَتُوا فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ[5] فَقَالَ لَهُ: أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟- يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ- قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ[6] عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ) .[7].

وكسر الكاف، نسبة إلى فدك القرية المشهورة بخيبر كأنها صنعت فيها . (عمدة القاري ٧٦/٢٢) ، (القاموس المحيط ، ١٠٢٤/١) .

(١) عبد الله ابن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الشاعر المشهور ، الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا محمد ، ليس له عقب من السابقين الأولين من الأنصار ، وكان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدرا إلى أن استشهد بمؤتة . (الإصابة ، ٢ / ٣٠٦) .

(٢) عجاجة الدابة : أي غبارها الذي تثيره حوافرها ، (مشارق الأنوار . ٦٧/٢) .

(٣) فخمّر أنفه : أي غطاه . (النهاية ، ٢ / ٧٧) .

(٤) يتثاورون : أي يتناهضون للقتال . (مشارق الأنوار ، ١٣٥/١)

(٥) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام الخزرجي الأنصاري ، سيد الخزرج ، يكنى أبا ثابت وأبا قيس ، أمه عمرة بنت مسعود لها صحبة ، شهد العقبة وكان أحد النقباء ، واختلف في شهوده بدراً . (الإصابة ، ٢ / ٣٠) ، (التهذيب ، ٣ / ٢٨٥) .

(٦) أهل البحرة : يريد أهل المدينة ، البحرة الأرض والبلدة ، يقال هذه بحرتنا أي بلدتنا . (غريب الحديث للخطابي ١/ ١٥٩) .

(٧) صحيح البخاري ،كتاب المرضى ،باب عيادة المريض راكبا وماشيا وردفا على الحمار، (٢١٤٣/٥، ح ٥٣٣٩) ، صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ، (١٤٢٢/٣، ح ١٧٩٨).

معنى الحديث :

في هذا الحديث يتجلى لنا ما كان يقاسيه النبي ﷺ من المنافقين في المدينة وحلمه وصبره في سبيل الدعوة، وتبليغ رسالة الإسلام دين العفو والتسامح .

فإن تسليم النبي ﷺ على مجموعة من اليهود والمشركين، ووقوفه ثم نزوله، ودعوهم إلى الله، وتلاوته القرآن عليهم؛ مع فظاظة ردّ عبد الله بن أبيّ وقبح قوله، كل ذلك استئلافٌ لهم وطمعٌ في إسلامهم، وتبليغٌ لما أمره الله تعالى به من ذلك .

موضع الشاهد ودلالته:

استشارة النبي ﷺ لسعد بن عبادة في الموقف المناسب تجاه عبد الله بن أبي، بقوله: أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبوحباب؟ فأشار عليه سعد بالعفو عنه، وأن الذي فعله هذا بسبب أن أهل المدينة اجتمعوا على أن يجعلوا التاج على رأسه؛ وهو كناية عن الملك؛ أي يجعلونه ملكاً ويشدون عصابة السيادة على رأسه، فلم يتحقق له ذلك بسبب مجيء الرسول ﷺ وهجرته إلى المدينة؛ شَرِق أي غص به .[1]

وهكذا نرى رسول الله ﷺ وهو الأسوة الحسنه أرق ما يكون أسلوباً في حواره وأفسح ما يكون صدراً لمخالفيه وضرب أروع الأمثلة في حسن الاستماع .

دلالة تربوية:

تكنية الرسول ﷺ لرجل معلوم النفاق (أبو الحباب) بسبب منصبه، ومكانته عند قومه.

٦- عن ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قال: (لَمَّا أَسَرُوا الأسَارَى يوم بدر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؛ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ

(١) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٧١٢) ، الإكمال شرح صحيح مسلم، (١٧٣/٦) ، عمدة القاري (٢٢٢/٢١) .

قَاعدَيْنِ يَبْكيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْنِي منْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لبُكَائكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ :أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ منْ أَخْذهِمْ الْفدَاءَ ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذه الشَّجَرَة شَجَرَة قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّه ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ إِلَى قَوْلِه :فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ) . (١)

معنى الحديث :

إنه ﷺ يستشير أبا بكر وعمر في أسارى بدر، فأشار عليه أبو بكر بالعفو عنهم خلاف ما أشار به عمرﷺ من قتلهم لأهم أئمة الكفر، فاستمع رسول الله ﷺ لهما جميعاً، ومال لما أشار إليه أبو بكر، فترلت الآية تعاتب الرسول ﷺ على أخذه الأسرى، وتؤيد رأي عمر ﷺ في الإثخان في الأرض أي الإكثار من قتل الكافرين ، فبكى رسول الله ﷺ وبكى أبو بكر ﷺ لأن بعض الصحابة أشار عليه ﷺ بأخذ الفداء المالي من المشركين لإطلاق سراح هؤلاء الأسارى .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ إن استشارته ﷺ لصاحبيه في قضية خطيرة ومصيرية، من شأنه أن يعزز ثقتهم بذواقم، ويشعرهم بمكانتهم، إضافة إلى ما يكتسبونه من إبداء الرأي والطلاقة اللفظية وحسن التفكير، فيتحقق لهم الاطمئنان والرضى النفسي.

إنه ﷺ بطلبه الاستماع للآراء ووجهات النظر، وتقديرها والأخذ بها، خرّج من مدرسته النبوية التربوية أجيالاً يتمتعون بقدرات شخصية فذّة، وصفات قيادية، مكنتهم من مواجهة صناديد الكفر، وقادوا جيوشاً ، وفتحوا أقطاراً.

إن من ضمن الوسائل التي يتم بها غرس الثقة بالنفس، أن نُعطي الآخرين المجال ليفصحوا عن آرائهم من خلال التحاور معهم، والرسول ﷺ كان يضع أصحابه في مواقف صعبة فيها مشكلات ويطلب رأيهم في حلها، ليدعم لديهم الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار.

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ،(٣/١٣٨٣، ح ١٧٦٣) .

وأحسب أنه ﷺ بهذه الأسئلة التي يطلب بها المشورة من أصحابه يكوّن مفهوماً ذاتياً إيجابياً، فينظر كل فرد إلى نفسه أنه إنسان له احترامه، وتقديره، وأهميته، من قبل المحيطين به .

٢- الاستفسار عن السائل أو المتكلم للإجابة عن سؤاله:

إن السؤال عن السائل حين ينشغل المسئول لسبب ما قبل الإجابة على سؤاله، ومن ثَم توجيه الإجابة له شخصياً، يعطي شعوراً نفسياً بالاهتمام به وبسؤاله، فمثلاً لو كانت هناك محاضرة فيها حضور كثير، وتمَّ توجيه سؤال للمحاضر، فانشغل المحاضر عن الإجابة لسبب ما، فلما عاود يريد الإجابة لم يجب إجابة عامة للجميع، بل سأل عن السائل لتصل إليه رسالة (أنا مهتم بسؤالك ولذا أسأل عنك لأتعرَّف عليك وأعطيك الإجابة)، فتتجه أنظار الحضور إليه، قبل تقديم الإجابة على سؤاله، يبدو لي أن هذا السؤال له أثر إيجابي على النفس، من حيث الشعور بأن سؤاله أو كلامه محط اهتمام وتقدير، ويُذهب عنه ما قد يجده في نفسه حين انشغل المسئول عن سؤاله .

وبعد البحث في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين وجدت خمسة أحاديث انشغل فيها ﷺ عن السائل، ثم طرح استفساراً عن شخص السائل قبل الإجابة عليه :

١- عن يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ ﷺ : (أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ [١]،وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخَلُوقِ، أَوْ قَالَ: صُفْرَةٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عُمْرَتِي؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسُتِرَ بِثَوْبٍ وَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَالَ عُمَرُ: تَعَالَ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِيِّ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ كَغَطِيطِ الْبَكْرِ- فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ الْعُمْرَةِ؟ اخْلَعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ وَاغْسِلْ أَثَرَ الْخَلُوقِ عَنْكَ وَأَنْقِ الصُّفْرَةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ) . [٢].

معنى الحديث :

---

(١) الجعرانة : تقدم بيانها في المبحث، (٢٦٧)

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج ، (٢/٦٣٤ ، ح ١٦٩٧) ، صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب ما يباح للمحرم ، (٢/٨٣٦ ، ح ١١٨٠) .

إن مجرى العمرة والحج واحد، فيصنع المعتمر في عمرته كصنعه في حجه من اجتناب المحرمات، ومن أعمال الحج إلا الوقوف فلا وقوف فيها ولا رمي، وأركانها أربعة الإحرام والطواف والسعي والحلق أو التقصير .[1]

موضع الشاهد ودلالته:

إن رسول الله ﷺ حين سأله رجل ؛ كيف يصنع في عمرته؟ أنزل الله عليه الوحي في موضع الحال، فكان له غطيط وهو صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى عليه، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي [2]- كصوت الفتى من الإبل[3]، فلما كشف وانسرى عنه الوحي، سأل عن السائل عن العمرة؟ فلما عرفه وجَّه الإجابة له فأمره بأن يخلع الجبة، ويغسل الطيب المصبوغ بالزعفران [4] .

يبدو لي أن الفترة التي انشغل فيها ﷺ بنزول الوحي، فلم يجب على السائل، قد تحدث في نفس السائل شيء، ففي سؤال الرسول عن شخص السائل قبل الإجابة إشعار له باهتمام الرسول ﷺ بشخصه وبسؤاله، فلقد كان بإمكانه ﷺ الإجابة على سؤال السائل بعد انقضاء انشغاله، حيث أن السائل موجود، دون السؤال عن شخصه وتوجيه الإجابة إليه، ولكنه ﷺ عدل عن ذلك حفظاً لمكانة السائل، وتعزيزاً لشخصه واهتماماً به، وأجد أن اهتمام المربي بمثل هذه الدقائق التي تشعر المتربي باهتمامه به، تبعث نوعاً من تعزيز النفس وتقدير الذات، الذي هو من أهم متطلبات الأمن النفسي.

٢- عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَو يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ ولا

---

(١) انظر، عمدة القاري ، (١٠/١٢٦) .

(٢) انظر، فتح الباري ، ١/ ٨٦٩) .

(٣) هذا معنى كغطيط البكر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٨/٧٧) .

(٤) هذا معنى الخلوق. (النهاية ، ٢ / ٧١) .

يُكَلِّمُكَ، فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ [١]، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لايَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ، وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حبطاً، أَوْ يُلِمُّ إِلا آكِلَةَ الْخَضْرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ، أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ؛ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . [٢]

معنى الحديث :

في هذا الحديث مثلان :

أحدهما: للمفرط في الجمع المانع من الحق ، وإليه الإشارة بقوله ﷺ :" وإن مما ينبت الربيع ما يقتل" وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول، فتستكثر منه الماشية؛ حتى تنتفخ بطونها لما جاوزت حد الاحتمال ، فتنشق أمعاؤها وتهلك[٣]، وكذلك الذي يجمع الدنيا بغير حقها .

والثاني: للمقتصد، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: " إلا آكلة الخَضِر " من المواشي، لأن الخَضِر ليس من أحرار البقول — وهو كل ما أكل غير مطبوخ - التي ينبتها الربيع أي الجدول الذي يُسقى به؛ بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها،حيث لا تجد سواها، وتسميها العرب الجنبة، فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرئها، فتأكل مما ترتع فيه المواشي وترعاه[٤]،وتسترجع رجيعاً رقيقاً[٥]، فضرب آكلة الخضر من المواشي مثلاً لمن يقتصد في أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها. [٦]

---

(١) الرحضاء : هو عرق يغسل الجلد لكثرته ، وكثيرا ما يستعمل في عرق الحمى والمرض . (النهاية ٢/ ٢٠٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى ،(٥٣٢/٢ ، ١٣٩٦) ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، (٢ / ٧٢٧ ، ح ١٠٥٢) .

(٣) هذا معنى كلمة حبطاً :حبطت الدابة حبطاً – بالتحريك – إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت .(النهاية ، ٣٣١/١) .

(٤) هذا معنى رتعت (النهاية ٢ / ٩٣) .

(٥) هذا معنى ثلطت ، وأكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة (النهاية ، ١ / ٢٢٠) .

(٦) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٣ / ٥٨٨) ، المفهم ، (٣ / ٩٧) ، النهاية ، (٤٠/٢) .

موضع الشاهد ودلالته:

أن رجلاً سأل النبي ﷺ، حين ذكر خوفه على الناس بعده من فتنة زينة الحياة الدنيا ؛ هل يستجلب الخير الشر؟ ": الهمزة للاستفهام ؛ والاستفهام فيه استرشاد منهم، فالسؤال ربما وقع كالمعارضة التي تطلب بها الفائدة، ويسرع إلى النفوس قبولها لمضادة الخير للشر، فيمكن أن يكون علِم ﷺ أنهم لم يفهموا قصده، فقال: لا يأتي الخير بالشر، ثم قال: أو خير هو ؟ بهمزة الاستفهام، منكراً على من توهم أنه لا يحصل منه شر أصلاً، بالذات ولا بالعرض، كأنه يقول: وإن سلمت قولكم فليس هذا الخير؛ لما يؤدي ويوقع فيه، ثم ضرب ﷺ لهم مثلاً يشير إلى حالة البطر والمقتصد والمكثر الذي يفرق ما جمع على صفة فسكت ﷺ انتظاراً للوحي، فلام القوم هذا السائل، وقالوا له: ما شأنك ؟ تكلم رسول الله ﷺ ولا يكلمك، ومن ثمة سأل النبي ﷺ عن السائل، وكأنه حمده؛ لأن الناس ظنوا أولا من سكوته ﷺ أنه أنكر مسألته، فلما رأوه يسأل عنه سؤال راضٍ، ورأوا فيه من البشرى لأنه ﷺ كان إذا سرّ استنار وجهه، علموا أنه حمده، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر ، لكن قد يكون سبباً له ومؤدياً إليه؛ أي إن ما قضى الله أن يكون خيراً يكون خيراً ، وما قضاه أن يكون شراً يكون شراً ". (١)

يبدو لي أن دلالة شاهد هذا الحديث كالذي قبله.

الدلالة التربوية:

١- ثناؤه ﷺ وحمده للسائل على سؤاله، بعد السؤال عن شخصه واتجاه الأنظار إليه، فجمع ﷺ بين معززين نفسيين في وقت واحد.

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ ﷺ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ ؟

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٩ / ٣٩) ، وإرشاد الساري (٣ / ٥٩٢) .

قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتْ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ) .[1]

معنى الحديث :

إن أعرابياً سأل النبي ﷺ: عن وقت قيام الساعة ؟ فكره رسول الله ﷺ ما قاله الأعرابي ولهذا لم يلتفت إلى الجواب، فلذلك حصل للصحابة رضي الله عنهم التردد؛ منهم من قال سمع فكره، ومنهم من قال لم يسمع، وذلك لأنه ﷺ كان يكره السؤال عن هذه المسألة بخصوصها، ثم قال: أين السائل عن الساعة؛ أي عن زمان الساعة ؟ فلما قال: ها أنا يا رسول الله ،أجابه أن من علامات قيام الساعة الصغرى: إذا وسد الأمر إلى غير أهله؛ المراد به جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والقضاء والإفتاء ونحو ذلك، وذلك بولاية غير أهل الدين والأمانات، ومن يعينهم على الظلم والفجور؛ وعند ذلك تكون الأئمة قد ضيعوا الأمانة التي فرضها الله عليهم ؛ حتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين ، وهذا إنما يكون إذا غلب الجهل ، وضعف أهل الحق عن القيام به .

فإن قيل تأخر الجواب عن السؤال هاهنا، وهل يجوز تأخيره فيما يتعلق بالدين ؟ يقال الجواب من وجهين :

الأول: بطريق المنع، فنقول لا نسلم استحقاق الجواب هاهنا ؛ لأن المسألة ليست مما يجب تعلمها ، بل هي مما لا يكون العلم بها إلا لله تعالى .

والثاني: بطريق التسليم، فنقول سلمنا ذلك، ولكنه يحتمل أن يكون ﷺ مشتغلاً في ذلك الوقت بما كان أهم من جواب هذا السائل، ويحتمل أنه أخّره انتظاراً للوحي، أو أراد أن يتم حديثه لئلا يختلط على السامعين، ويحتمل أن يكون في ذلك الوقت في جواب سؤال سائل آخر متقدم فكان أحق بتمام الجواب[2] .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أين السائل عن الساعة؟ يبدو لي أن انشغال الرسول ﷺ عن الإجابة على سؤال السائل عن الساعة، قد يحدث في نفس السائل حرجاً وشعوراً بعدم اهتمامه ﷺ به وبسؤاله،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ، (٣٣/١ ، ح ٥٩) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٧/٢) .

حتى أن الصحابة استغربوا من عدم إجابته عليه، وأخذوا يفكرون في سبب ذلك، فمنهم من ظن كرهه ﷺ للسؤال، ومنهم من اعتقد عدم سماعه، إن مشاعر السائل في هذه اللحظة قد يراودها القلق، والإحساس بالخجل، فكان السؤال منه ﷺ عن شخص السائل وتوجيه الإجابة إليه شخصياً كفيل بإيصال رسالة الاهتمام به وبسؤاله.

الدلالات التربوية :

١- وجوب تعليم السائل؛ لقوله ﷺ: أين السائل؟ ثم إخباره عن الذي سأل عنه.

٢- أن من آداب المتعلم أن لا يسأل العالم ما دام مشتغلاً بحديث أو غيره؛ لأن من حق القوم الذين بدأ بحديثهم أن لا يقطعه عنهم حتى يتمه .

٣- الرفق بالمتعلم وإن جفا في سؤاله أو جهل؛ لأنه ﷺ لم يوبخه على سؤاله قبل إكمال حديثه .

٤- مراجعة العالم عند عدم فهم السائل؛ لقول السائل لرسول الله ﷺ : كيف إضاعتها ؟ .

٥- جواز اتساع العالم في الجواب، وينبغي منه ذلك إذا كان ذلك لمعنى أو لمصلحة .

٦- التنبيه على تقديم الأسبق في السؤال؛ لأنا قلنا إنه يحتمل أن يكون تأخير الرسول ﷺ الجواب؛ لكونه مشغولاً بجواب سؤال سائل آخر ، فنبه بذلك أنه يجب على القاضي والمفتي والمدرس تقديم الأسبق لاستحقاقه بالسبق . (١)

وقد بوب عليه ابن حبان " باب إعفاء المسؤول عن العلم عن إجابة السائل على الفور " (٢)

في الأحاديث الثلاثة السابقة نجد أن السؤال عن صاحب المسألة لتوجيه الإجابة إليه شخصياً له أثر كبير في إحساس الفرد بقيمته الذاتية وأهميته الشخصية، والتقدير لسؤاله والاهتمام به، كما أن ثناءه ﷺ على سؤاله تعزيز يرفع المعنويات، إن سؤاله ﷺ عن صاحب السؤال يحول أبصار المتعلمين إليه فتحدث في نفسه نوع من النشوة والإحساس بالقيمة الذاتية .

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (٢/٧) .

(٢) صحيح ابن حبان (١ / ٣٠٧) .

٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا ، قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟ فَأُخْبِرَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) .(١)

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ دعا لابن عباس؛ وذلك لأنه وضع الوضوء له عند الخلاء؛ فكان أيسر له ﷺ ؛ لأنه لو وضعه في مكان بعيد عنه، لاحتاج إلى طلب الماء وفيه مشقة ما، ولو دخل به إليه كان تعرضاً للاطلاع على حاله وهو يقضي حاجته، فتفرس فيه ﷺ الذكاء والفطنة مع صغر سنه، فناسب أن يدعو له بالتفقه في الدين؛ ليطلع به على أسرار الفقه في الدين، فينتفع وينفع.(٢)

موضع الشاهد ودلالته:

إن سؤاله ﷺ : من وضع هذا؟ وطلب التعرف على شخصه؛ قبل امتداحه أو الدعاء له، تعزيز وثناء ضمني، ورفع للمعنويات، فكيف إذا أُتبع هذا السؤال بكلمات مدح ودعاء .

إن سؤال المربي عن صاحب العمل الجيد والتعرف عليه؛ يعد معززاً نفسياً يبعث في النفس السعادة والارتياح التي هي من متطلبات الأمن النفسي.

٥- عَنْ أَنَسٍ ﷺ : (أَنَّ رَجُلاً جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ - وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ - فَقَالَ: الْحَمْدُ للَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاتَهُ قَالَ: أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا، فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا).(٣)

---

(١) صحيح البخاري ، العلم ، باب وضع الماء عند الخلاء ، (١/٦٦ ، ح ١٤٣) ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن عباس ﷺ ، (٤/١٩٢٧، ح ٢٤٧٧) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢/٢٧٤) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ، (١/٤١٩ ، ح ٦٠٠) .

معنى الحديث:

أن رجلاً جاء فدخل في صف الصلاة - وهو رفاعة بن رافع - فضغط نفسه لسرعته واستعجاله [١]، فقال : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فسكت الصحابة[٢]، حين سأل رسول الله ﷺ عن القائل لهذه الكلمات بعد انقضاء صلاته؟ ثم كرر سؤاله مبيناً لهم أن لا منكراً في قوله هذا، فلما أخبره الرجل بنفسه، قال: لقد رأيت اثني عشر ملكاً ؛كل منهم يريد أن يسبق غيره في رفعها إلى محل العرض أو القبول . [٣]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : أيكم المتكلم بها ؟" والحكمه من سؤاله عمن قال: أن يتعلم السامعون كلامه فيقولوا مثله " [٤]، وليعلم السامعون بالجواب من المتكلم، وأخَّرَ رفاعة إجابة الرسول ﷺ حتى كرر سؤاله ثلاثاً مع وجوب إجابته عليه، بل وعلى غيره ممن سمع، فإنه ﷺ عمم السؤال، حيث قال: من المتكلم؟ لأنه لما لم يعين واحداً بعينه، لم تتعين المبادرة بالجواب من المتكلم، ولا من واحد بعينه، وكأنهم انتظروا بعضهم ليجيب، وحملهم على ذلك خشية أن يبدو في حقه شيئاً ظناً منهم أنه أخطأ فيما فعل، ورجوا أن يقع العفو عنه، وكأنه ﷺ لما رأى سكوتهم فهم ذلك فعرّفهم أنه لم يقل بأساً ." [٥]

وأحسب أنه ﷺ بسؤاله عن المتكلم يجعل الجميع في حالة ترقب وانتظار، والظاهر لي أنه ﷺ وجه سؤالاً؛ ليتعرف على صاحب هذه الكلمات، فيتناول الثناء شخص القائل وإصابته في القول، بدلاً من امتداح هذه الكلمات وبيان فضلها دون ربطها بقائلها، وفي هذا تعزيز نفسي وتقدير شخصي لصاحب العمل الجيد، فيبعث في نفسه الإحساس بالرضى والسعادة التي هي من أهم متطلبات الأمن النفسي.

من جميع ما تقدم من الأحاديث النبوية الشريفة يظهر لنا تعامل تربوي من الرسول ﷺ يدعم به الثقة بالنفس لدى أصحابه، ألا وهو تقبل ما يقوله الصحابة من القول وعدم الاستهزاء

---

(١) هذا معنى كلمة حفزه النفس (انظر النهاية ، ١ / ٤٠٧) .

(٢) هذا معنى فأرمَّ القوم، مأخوذ من المرمه وهي الشفه ، أي أطبقوها ، (النهاية ، ٢ / ٢٦٧) .

(٣) انظر ، الديباج على مسلم ، (٢/ ٢٥٧) ، حاشية السندي ، (٢/ ١٣٢) .

(٤) فتح الباري (١ / ٥٨٦) .

(٥) إرشاد الساري (٢ /٤٥٢) .

بأي سؤال يأتيه من قِبلهم، حيث كان ﷺ في المواقف التي كان يفهمها أصحابه على أنه كره سؤال فلان أو لا يرغب في الرد عليه، يقوم مباشرة بتغيير تلك الصورة في ذهن أصحابه، من خلال مدح السائل والرد على سؤاله، لعلمه أن لذلك أكبر التأثير السلبي في نفس السائل .

٣- استئذان المعلم من المتعلم :

إن استئذان المعلم من المتعلم هو استئذان الكبير من الصغير و الأعلى منزلة من الأقل، وبذلك ترتفع معنويات المتعلم الصغير، وتتعزز ثقته بنفسه، ويصل إلى تقدير ذاته، وإدراك حقه في القبول والرد، والدفاع عن حقوقه الشخصية .

فإعطاء المتعلم حقه، وقبول الحق منه، ومشاركته الرأي؛ يغرس في نفسه شعوراً إيجابياً نحو الحياة، ويتعلم أن الحياة أخذ وعطاء، ويتدرب على الخضوع للحق؛ لكونه يرى أمامه قدوة صالحة، فتتفتح طاقاته؛ لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها.

وبعد البحث في أحاديث الصحيحين وجدت سؤالين يستأذن بهما ﷺ من الصحابة صغاراً كانوا أو كباراً:

١- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: (أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: يَا غُلامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لا أُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ) .[١]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ كان جالساً وعن يمينه غلام الأصح أنه كان عبد الله بن عباس، وقيل أخوه الفضل، وعن يساره الأشياخ منهم خالد بن الوليد وغيره، فأُتي له بقدح فيه شراب؛ والشراب هو الماء أو اللبن المشوب بالماء ،[٢] فقدم ﷺ الغلام لاستحقاقه بكونه جالساً على اليمين، وفي حديث آخر يشهد لهذا المعنى: (أن رسول الله ﷺ أتي بلبن قد شيب- خلط- بماء وعن يمينه أعرابي وعن شماله أبو بكر، فشرب ثم أعطى الأعرابي، وقال: الأيمن الأيمن).[٣]

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب المزارعة، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة مقسوما ، (٢ / ٨٢٩ ، ح ٢٢٢٤) .

(٢) انظر، عمدة القاري، (١٢/١٩١) ،(٢١/١٩٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الأيمن فالأيمن في الشرب ، (٥/٢١٣٠، ح ٥٢٩٦)، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، (٣/١٦٠٣، ح٢٠٢٩).

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ للغلام: أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ فهذا رسول الله يستأذن غلاماً صغيراً على أيمنه لكي يتنازل عن حقه؛ ليعطيه للكبير الذي عن يساره، فإذا بالغلام لا يؤثر سؤر رسول الله ﷺ على نفسه أحداً أبداً، فيعطيه رسول الله ﷺ ليشرب ويهنأ في الاستمتاع بحقه [1].

فهل هناك شخص أعلى مكانه، وأسمى وأرفع منزلة منه ﷺ ، كلا، فهو قبِل من الصغير بدون تكبر واستعلاء، ويمكن أن نسأل صنفاً من الكبار؛ علام الحيل واللف والدوران مع الأطفال، والتهرب من الخضوع، والاستجابة لحقوقهم . [2]

إن الطفل في حاجة إلى التقدير وإثبات ذاته، وتتبين هذه الحاجة في محبته لمن يهتمون بأمره، ويقدرون رغباته، كما تتبين بوضوح في تنافسه على محبة الأبوين، وشعوره بالرضا عندما يولونه عناية خاصة، وفي شعوره بالضيق والغضب عندما يفضلون أحد أخوته عليه، وكذلك في علاقته بالناس عموماً، عندما يُقبِل على من يحترمونه ويقدرون ذاته، ويكبر الطفل، ويزداد ميله للتقدير ممن هم حوله، ونجده يبذل الكثير ليحظى بهذا التقدير. [3]

" إن الطفولة التي يجد فيها الطفل إشباعاً ورعاية لشؤونه، سوف تعطي الطفل إحساساً بالطمأنينة المريحة في العالم الذي يحيط به بحيث يراه مكاناً آمناً يعيش فيه " . [4]

الدلالات التربوية:

١- استحباب التيامن في كل ما كان من أنواع الإكرام .

٢- أن الأيمن في الشراب ونحوه يقدم وإن كان صغيراً أو مفضولاً؛ لأن رسول الله ﷺ قدم الغلام على خالد بن الوليد والأعرابي على أبي بكر ﷺ، وأما تقديم الأفاضل والكبار فهوعند التساوي في باقي الأوصاف، ولهذا يقدم الأعلم والأقرأ على الأسن فى الإمامة في الصلاة.

٢- أن من استحق شيئاً من الأشياء؛ لم يدفع عنه صغيراً كان أو كبيراً، إذا كان ممن يجوز إذنه. [5]

---

(١) انظر ، الانصات الانعكاسي ، محمد ديماس ، (٣١) .

(٢) انظر ، منهج التربية النبوية للطفل ، محمد نور سويد ، (٣٢٠) .

(٣) انظر ، التعلم نفسيا وتربويا ، د. محمد مصطفى زيدان ، (٦١) .

(٤) علم النفس الاجتماعي التربوي ، د. سيد عثمان ، (٣٥) .

(٥) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم،(٢٠٠/١٣)، عمدة القاري، (١٩١/١٢)

٢- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ[٢]: (أَنَّ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ[٣] كَانَ لَهُ غُلامٌ لَحَّامٌ، فَقَالَ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ: اصْنَعْ لِي طَعَامَ خَمْسَةٍ، لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ وَأَبْصَرَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْجُوعَ فَدَعَاهُ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ لَمْ يُدْعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ هَذَا قَدْ اتَّبَعَنَا، أَتَأْذَنُ لَهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ) .[٤]

معنى الحديث:

أن رجلاً من الأنصار دعا النبي ﷺ إلى طعام، فصنع طعاماً لخمسة لعلمه أن النبي ﷺ سيتبعه من أصحابه غيره، فجاء معهم رجل؛ أي سادسهم، فاستأذن ﷺ من صاحب الدعوة في انضمام هذا التابع لهم في هذه الدعوة إلى الطعام .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : إن هذا قد اتبعنا ، أتأذن له؟ والظاهر أن استئذان الرسول ﷺ وهو سيد المرسلين من صاحب الدعوة فيه منح لحق الحرية الشخصية، وهذه من الجوانب التي الاعتناء بها يرفع من مستوى تعزيز النفس وتقدير الذات التي هي من أهم متطلبات الأمن النفسي.

يبدو لي أن قوله ﷺ : إن هذا قد اتبعنا، يبين به لصاحب الدعوة أنه لم يدع هذا الشخص وإنما اتبعنا من تلقاء نفسه لحاجته للطعام، ثم طلب الإذن له؛ غاية في حفظ حق الداعي وحريته الكاملة في القبول والرد.

الدلالات التربوية:

١- ينبغي للمدعو أن يستأذن صاحب المترل فيمن تبعه إلى الدعوة لئلا ينكسر خاطره، ما لم يكن ثمة داع لعدم دخوله .

---

(١) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم،(٢٠٠/١٣)، عمدة القاري، (١٩١/١٢)

(٢) عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن الخزرج الأنصاري ، أبو مسعود البدري ، صاحب النبي ﷺ ، شهد العقبة ، روى عن النبي ﷺ ، مات سنة ٤٠ هـ ، مات بالمدينة . (الإصابة ، ٢ / ٤٩٠) ، (التهذيب ، ٥ / ٤٩٠) .

(٣) أبو شعيب ، غير منسوب ، له إدراك ، وشهد مع عمر ﷺ فتح بيت المقدس . (الإصابة ، ٤ / ١٠٥) .

(٤) صحيح البخاري ،كتاب الأطعمة ، باب الرجل يتكلف الطعام لإخوانه ، (٢٠٧١/٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ،باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع ، (١٦٠٨/٣ ، ح ٢٠٣٦) .

٢- ينبغي للمدعو إذا استأذن لمن تبعه أن يتلطف في الاستئذان ولا يتحكم على صـــاحب المترل بقوله: ائذن لهذا، ونحو ذلك، مع كونه ﷺ له أن يتصرف في مال كل من الأمة بغير حضوره وبغير رضاه، ولكنه لم يفعل ذلك إلا بالإذن تطييباً لقلوبهم .[١]

(١) انظر، عمدة القاري ، (١١/ ١٩٧) .

٤- إشعال روح التنافس ، ومنح حرية اختيار الأعمال :

إن التنافس يحرك في الإنسان عامة فضلاً عن الطفل مشاعر وطاقات مكنونة لا يعرفها الإنسان إلا عندما يضع في نفسه منافسة فلان للفوز عليه، فالمنافسة والمسابقة أسلوب بيد المربين يستخدمونه في الأوقات المناسبة، فتنشط النفوس، ويرتفع منسوب الهمة، وتنمو المواهب، فتتلبى الاحتياجات النفسية الضرورية للأمن النفسي من تقدير الذات والاعتزاز بها.

وبعد البحث في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين وجدت أربعة أسئلة قدح ﷺ بها زناد التنافس بين الصحابة رضي الله عنهم :

١- عَنْ أَنَسٍ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُد، فَقَالَ: مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَـذَا؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟ قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ[١]: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ)[٢].

معنى الحديث:

تهيب الصحابة حين عرض عليهم الرسول ﷺ أخذ سيفه بحقه للقتال في غزوة أحد، خوفاً من عدم قدرتهم على ذلك، وكفوا وتأخروا عن أخذه، فأخذ السيف أبو دجانة وفلق به هام المشركين أي شق رؤوسهم. [٣]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي دجانة ﷺ، (١٩١٧/٤، ح ٢٤٧٠).

(٢) أبو دجانة الأنصاري اسمه سماك بن خرشة، ، ويقال سما بن خرشة بن لوذان بن عبد ود ابن ثعلبة، بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر، أبو دجانة الأنصاري هو مشهور بكنيته، شهد بدراً، وكان أحد الشجعان له مقامات محمودة في مغازي رسول الله ﷺ ، وهو من كبار الأنصار استشهد يوم اليمامة، روي أنه رمى بنفسه في الحديقة يومئذ فانكسرت رجله، فقاتل حتى قتل. الاستيعاب، (٦٥٢/٢) ، الإصابة في تمييز الصحابة، (١١٩/٧).

(٣) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم،(٢٤/١٦).

موضع الشاهد ودلالته:

طرحه ﷺ سؤالين:

١- السؤال الأول العام: من يأخذ هذا مني؟ سؤال عمن يأخذ سيفه ﷺ فيقاتل به، فأشعل روح التنافس عند الجميع، فالكل يريد أن يحوز على شرف القتال بسيف رسول الله، ونلحظ ذلك من تنافسهم في أخذه وتسابقهم عليه، كل واحد منهم يقول: أنا، أنا.

٢- السؤال الثاني الخاص: من يأخذه بحقه؟ سؤال خاص عمن يأخذ سيف رسول الله فيبلي به أشد البلاء، فالعمل هنا مخصص بمن يجد لديه القدرة والإمكانية لأن يتحمل هذه المسؤولية العظيمة، فحمل سيف رسول الله ليس كحمل أي سيف آخر، وهنا بحث كل واحد منهم في استعداداته وإمكانياته، فلم يجد أحد منهم عنده القدرة على ذلك، ولهذا أحجموا عن أخذه، إلا أبا دجانه أخذه فأبلى به أشد البلاء.

وأحسب أن أبا دجانة رضي الله عنه بعد إنجازه لهذه المهمة، وشعوره أنه أخذ السيف بحقه كما قال رسول الله ﷺ تعززت ثقته بقدراته، وتقديره لذاته، وشعوره بالارتياح والرضى لما وصل إليه.

ويظهر لي أن انتقال الرسول ﷺ من السؤال العام إلى الخاص، حقق انتباهاً أكثر وإدراكاً أقوى بالعمل المطلوب حتى راجع كل واحد نفسه لأنهم أدركوا أن هناك فرق بين كيفية العمل في السؤالين، بخلاف ما لو طرح السؤال الخاص من البداية فقد يقبل الجميع عليه دون إدراك للمقصود منه.

٢- عن أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَدِيثِي هَذَا ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا) .[1]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ، (٤/ ١٩٤٠، ح ٢٤٩٢).

معنى الحديث:

بسط أبو هريرة ثوبه حين عرض الرسول ﷺ ذلك لمن لا يريد نسيان حديثه ﷺ، فغرف رسول الله ﷺ بيده، ولم يذكر المغروف ولا المغروف منه، لأنه لم يكن إلا إشارة محضة،[1] ففي رواية أخرى للحديث عن أبي هريرة قال قلت: (يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال: ابسط رداءك، فبسطته، قال: فغرف بيديه ثم ضمه فضممته، فما نسيت شيئاً بعده) .[2] وبوب عليه ابن حبان " باب ذكر العلة التي من أجلها كثرت رواية أبي هريرة عن رسول الله ﷺ"[3]

موضع الشاهد ودلالته:

أن النبي ﷺ سأل الصحابة؛ مشعلاً روح التنافس بينهم، بقوله: أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي هذا؟ فاختار أبو هريرة نفسه لهذه المهمة الجليلة، وهي حفظ حديث رسول الله ﷺ، ثم جمع الثوب إلى صدره، فلم ينس من حديث رسول الله ﷺ شيئاً.

يبدو لي أن عرض العمل على الجميع والسؤال عمن يستطيع القيام به، يشعل في النفس روح التنافس، وتتولد الدوافع الذاتية لتحقيقه والوصول للهدف منه، وبالتالي فإن إنجاز أحدهم للعمل المطروح للتنافس، سبب لإحساسه بالثقة وتقدير الذات الذي هو من أهم أسباب الأمن النفسي.

٣- عن حُذَيْفَة بن اليمان رضي الله عنه قَالَ : (قال رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفعَلُ ذَلكَ ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ لَيْلَةَ الأحْزَاب وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَديدَةٌ وَقُرٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : ألا رَجُلٌ يَأْتِيني بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَة ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجبْهُ منَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: ألا رَجُلٌ يَأْتينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعي يَوْمَ الْقيَامَة ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجبْهُ منَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: أَلا رَجُلٌ يَأْتينَا بخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعي يَوْمَ الْقيَامَة ؟ فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجبْهُ منَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: اذْهَبْ فَأْتِني بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِن

---

(١) انظر، عمدة القاري، (٢/١٨٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، (١/٥٦، ح ١١٩).

(٣) صحيح ابن حبان، (١٦ / ١٠٤) .

عِنْده جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ ،فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ : قُمْ يَا نَوْمَانُ) . (١)

معنى الحديث :

أن حذيفة ﷺ فهم من كلام الرجل أنه لو أدرك النبي ﷺ لبالغ في نصرته، ولزاد على الصحابة رضي الله عنهم، فأخبره بخبره في ليلة الأحزاب وقصد زجره عن ظنه؛ في أنه يستطيع أن يفعل أكثر من فعل الصحابة، فقال أنه في ذلك اليوم أخذتنا ريح شديدة وقُر – وهو البرد – فقال ﷺ محركاً روح التنافس بينهم: ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم؟ مكرراً ذلك ثلاث مرات، في حين لم يختر أحدهم القيام بهذا العمل، بعدها أوكَل ﷺ هذه المهمة لحذيفة ﷺ ، فقال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا تفزعهم علي ، والمراد لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك؛ كان ذلك ضرراً علي لأنك رسولي وصاحبي ، قوله:فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم؛ يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً، بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ وذهابه فيما وجهه له ودعائه ﷺ له، واستمر ذلك اللطف به ومعافاته من البرد حتى عاد إلى النبي ﷺ، فلما رجع ووصل عاد إليه البرد الذي يجده الناس، وهذه من معجزات رسول الله ﷺ، فرأيت أبا سفيان يَصْلى ظهره أي يدفئه ويدنيه من النار، فأراد أن يرميه، فوضع السهم في مقبض القوس ، فذكر وصيته ﷺ، فرجع لرسول الله ﷺ، وأخبره بخبر القوم فألبسه رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم يزل نائماً حتى أصبح، فلما أصبح قال له ﷺ : قم يا نومان ؛ أي يا كثير النوم . (٢)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المغازي، باب غزوة الأحزاب ، (٣/١٤١٤، ح ١٧٨٨) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٢/١٤٥) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ العام: من يأتيني بخبر القوم؟ يظهر لي أنه سؤال يعرض فيه العمل للجميع ، ويكرره ثلاث مرات محركاً روح التنافس فيه، ، فلم يختر أحد القيام بهذه المهمة لأنهم تعودوا أن لا يتحملوا من الأمر إلا الذي في حدود قدرتهم وطاقتهم عليه، فلما لم يجدوا عندهم القدرة لذلك ، سكتوا عن الاستعداد للقيام به .

فاختار ﷺ حذيفة ﷺ لهذه المهمة، وفي ذلك الاختيار تعزيز له ورفع معنوياته، حيث أنجز الهدف الذي أراده ﷺ، وكافأه بإلباسه فضل عباءته.

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ﷺ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُد فِي سَبْعَة مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ: مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا) .[١]

معنى الحديث :

إنه ﷺ ينادي أصحابه ويحمسهم للقتال في ذلك الوقت العصيب من معركة أحد حين غشاه الكفار وقربوا منه، وكان معه سبعة رجال من الأنصار، ورجلان من قريش، فانطلق السبعة رجال من الأنصار للقتال، فلما قتلوا جميعهم، قال ﷺ لصاحبيه: ما أنصفنا أصحابنا؛ ومعناه ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال بل خرجت الأنصار واحداً بعد واحد .[٢]

بوب عليه ابن حبان ، "ذكر الإباحة للإمام أن يحث أنصاره، ولا سيما من كان أقرب منهم إليه"[٣]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ، (١٤١٥/٣ ، ح ١٧٨٩) .

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٤٧/١٢) .

(٣) صحيح ابن حبان ،(١١/ ١٨) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ الذي يشعل به روح التنافس في النفوس، في مقاتلة الكفار: من يردهم عنا وله الجنة ؟ فيعرض العمل وثوابه، ولم يعيّن أحداً لذلك العمل ليتيح لكل فرد فرصة الاختيار من عدمه، حسب قدراته وإمكاناته للقيام بهذا العمل المطروح للتنافس فيه.

والذي أجده في هذه الأحاديث أن الأغلب من طريقته ﷺ أنه يتيح مجالاً للتنافس بين الصحابة ؛ بعرض العمل المطلوب دون تحديد من يقوم به ، فيطرح سؤالاً عمن يقوم بالعمل ، ليستجيب كل لما يميل إليه، ويقدر عليه ، فكل فرد سيختار من الأعمال ما يناسب ميوله وحاجاته ؛ حيث أتيحت له حرية الاختيار ، فنجد رسول الله ﷺ لا يغضب ولا يوبخ من عدم الاستجابة لما طرحه عليهم ، بل يحترم حرية اختيار أحدهم في القيام بالعمل المعروض للتنافس في تحصيله ، وبالتالي تكون إنتاجيته وإنجازه العمل المناسب له في أعلى مستوى ممكن، وتتعزز ثقته بنفسه حين يحقق النجاح في العمل، على النقيض مما لو فرض عليه العمل دون مراعاة لاستعداداته وقدراته النفسية .

وأحياناً يعين الصحابي، ويكلفه بالمهمة شخصياً بعد أن يعرضها على الجميع ولا يجد استجابة، أو أن يكلفه بالمهمة من أول الأمر، وفي هذا رفع لمستوى التعزيز النفسي، والتقدير الذاتي، لأن في اختياره وتحديده الشخصي له؛ دليلاً على ثقته بقدراته، وعلمه باستعداداته ، وإمكانياته العالية التي تمكّنه من القيام بهذا العمل .

وهذا ما تنادي به التربية الحديثة حيث تنص على أن: الدوافع تعد من أهم العوامل التي تسهم في التربية بوجه عام، والتعلم بوجه خاص، فالتربية الناجحة؛ هي التربية القائمة على تلبية دوافع المتربين وحاجاتهم، لذا ينبغي أن يوجه نشاطهم بحيث يشبع الحاجات الناشئة لديهم، ويتفق مع ميولهم ورغباتهم، طبيعي أن عمل المربي لا ينبغي أن ينصرف إلى إشباع ميول المتربين، ودوافعهم الراهنة فحسب، وإنما يجب أن يعمل على خلق ميول ودوافع جديدة، تعمل على إنماء شخصياتهم، وإكسابهم المهارات والمعارف والاتجاهات النافعة.[1] .

---

(١) انظر ، التعلم نفسيا وتربويا ، د. محمد مصطفى زيدان ، وآخرون ، (٦٣) .

فدفع حماسة التلاميذ، وتشجيعهم على إنجاز العمل الموزع، وتوجيه التلاميذ، ودفعهم للعمل التلقائي الإيجابي، ومراقبتهم، والإشراف عليهم حتى يحققوا الأهداف المتفق عليها، والهدف الأساسي من عملية القيادة والتوجيه هذه؛ دفع التلاميذ لتحمل مسؤولية قبولهم هذه الأعمال .(١)

إن ما يؤثر في دافعية المتربين، وإنجازهم لما يطلبه المربون منهم، يتحدد في تنمية العواطف الموجبة لديهم، مثل الثقة في قدرة التلاميذ على الإنجاز، واحترامهم، وتقدير إجاباتهم وأعمالهم.(٢)

والفرد يحتاج لأن يحقق ذاته بنجاح بعض الأعمال التي يقوم بها، فالنجاح دافع هام للفرد يقوده عادة إلى نجاح آخر، فدافع النجاح وإشباعه يعطي الثقة بالنفس، والاعتداد بها، ويشجع الشخص على أن يتابع سلسلة النجاح فيما يوكل إليه، من أعمال وتبعات ومسؤوليات، كما أنه يحتاج للحرية في تصرفاته، وأعماله، فالحرية حاجة أو دافع مرتبط بفرديته وإمكانية تصرفه، وتحمله مسؤولية هذا التصرف، وفهمنا لهذا الدافع يفيدنا كمعلمين في محاولة عدم حرمان التلاميذ من ممارسة هذه الحرية، وممارسة حرية اختيارهم لمواد الدراسة، والحركة، وحرية انتقائهم لأوجه النشاطات المختلفة والهوايات المتنوعة .(٣).

---

(١) انظر ، المعلمون والمتعلمون ، د. حسن شحاته ، (١٦).

(٢) انظر ، السابق ، (٧١) .

(٣) انظر ، النمو النفسي للطفل ، د . محمد مصطفى زيدان ، (٦٠)

٥- السؤال التعجبي من حسن التصرف :

إن التشجيع والثناء له أثر كبير في التعزيز النفسي ورفع المعنويات، وهي من الاحتياجات الأساسية التي يجب على المربي إشباعها ليحقق له الأمن النفسي، ولكن التزام المربي بعبارات متكررة في الثناء قد تفقدها معناها المراد وهدفها المنشود، لذا كان لزاماً على المربي انتقاء عبارات وأساليب متجددة والتنويع فيها .

وبعد البحث في أسئلته ﷺ في الصحيحين وجدت حديثاً واحداً استخدم ﷺ فيه السؤال للتعبير عن الثناء، وهو أسلوب جديد في ذلك :

١- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ: (أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا وَلا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنْ الشَّاءِ فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ، وَقَالَ: وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ).(١)

معنى الحديث :

بعث رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً في سرية فنزلوا بقوم ليلاً، فسألوهم القرى أي طلبوا منهم الضيافة فامتنعوا من أن يضيفوهم، فبينما هم كذلك إذ أصابت سيدهم لدغة عقرب، فسألوهم عن دواء له، فوافقوهم على ثلاثين شاة، فقرأ عليه أبو سعيد ﷺ فاتحة الكتاب لما ثبت أنه كان الراقي ثم تفل وهو نفخ معه قليل بصاق، وقيل: محل التفل في الرقية يكون بعد القراءة لتحصيل بركة القراءة في الجوارح التي يمر عليها الريق فتحصل البركة في الريق الذي يتفله، فقرأها عليه سبع مرات فشفي الرجل .(٢)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، (٢/ ٧٩٥ ، ٢١٥٦) ، صحيح مسلم ،كتاب الرقى والطب ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، (٤/١٧٢٧ ، ح ٢٢٠١) .

(٢) انظر ، عمدة القاري، (٢١ /٢٦٣).

موضع الشاهد ودلالته:

أن النبي ﷺ قد تعجب من صنيع الصحابي وحسن تصرفه حيث رقى اللديغ بفاتحة الكتاب، فقال له:" وما أدراك أنها رقية ؟، كأنه ﷺ يقول: من أعلمك بهذا حتى فعلته؟ ثم أخبرهم بقوله: " إنها رقية "، وهذه الكلمة: وما أدراك؟ وما يدريك؟ تستعمل عند التعجب من الشيء وفي تعظيمه، وقد يكون فيه معنى الفرح بما أصابوا من عين الحكم باجتهادهم .

الدلالة التربوية :

أن الرسول ﷺ قد استخدم أكثر من معزز لتشجيع هذا التصرف من الصحابي، وبالتالي تشجيعهم على الاجتهاد وإعمال الفكر في مواقف مماثلة ، والمعززات هي:

١- سؤاله ﷺ التعجبي عن حسن التصرف .

٢- تأكيده على ذلك بقوله" قد أصبتم" ؛ أي قد وفقتم فيما ألهمتم به، يحتمل أن يكون صوّب فعلهم في الرقية، ويحتمل أن ذلك في توقفهم عن التصرف في الجعل حتى استأذنوه، ويحتمل أعم من ذلك .

٣- المبالغة في تأنيسهم بطلبه مشاركتهم في الجعل الذي حصلوا عليه، بقوله :"واضربوا لي معكم سهماً " أي اجعلوا لي منه نصيباً، فقوله:" قد أصبتم" أي في الرقية، "واضربوا لي سهماً " كأنه أراد المبالغة في تصويبه إياهم .

٤- ضحكه ﷺ، زيادة في سرورهم وتأنيسهم، وقد يكون فرحاً لنصرة الله تعالى لهم، لأنه ﷺ يُسرُّ بكل ما كان فيه نصرة الله للمؤمنين .[1]

وتنادي التربية الحديثة بتنويع المعززات وعدم الاقتصار على نمط واحد بحيث يفقد التعزيز معناه، فهناك الكثير من العبارات والألفاظ التي يمكن أن تقوم بوظيفة التعزيز إذا استخدمت بعد إجابة التلميذ، وكذلك يمكن أن يكون التعزيز اللفظي في صورة عبارة أو جملة، مثل: كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج الرائع؟ على أنه ينبغي ملاحظة أن مجرد استخدام هذه الألفاظ والجمل لا يكفي في حد ذاته لإحداث التغيير المرغوب من التعزيز، فهي تتأثر بنغمة

---

(١) انظر ، فتح الباري (٤ /٤٥٧)، عمدة القاري ، (١٢ / ٩٨) ، بهجة النفوس (١ / ٦٦٥) ، منار القاري (١ / ٣٠٨) .

الصوت ، وبسرعة الإلقاء ، كما أن تعبيرات الوجه من أسهل المعززات غير اللفظية فهماً ، وأقواها تأثيراً ؛ مثل الابتسامة ، أو حركة الرأس ، أو تحريك اليد ، فيجب أن يكون سلوك المعلم مزيجاً من المعززات اللفظية وغير اللفظية . (١)

كما يشعر الإنسان بتقدير الآخرين واستحسانهم له؛ في تعبيرهم عـــن إعجـــابهم بأعمالـــه وإنتاجه، وتقديرهم لتفوقه ، وثنائهم على نجاحه ؛ مما يرفع تقديره لذاته، ويشعره بالكفاءة والثقة في نفسه ، وفي الآخرين ، ويزيد طموحه وإنتاجه ، فيشعر بالســـعادة والانتمـــاء ، ويتمتع بالصحة النفسية . (٢)

وقد أكدت التربية الحديثة على ضرورة الاهتمام بالجوانب النفسية وأنها متداخلة مع القدرة الفكرية، فلا يمكن فصلهما عن بعض، ولا يمكن تنمية أحدهما بمعزل عن الآخر، وأن تعهد العواطف والمشاعر النفسية لا يقل عن تعهد الفكر وتنميته، وذلك من خلال:

- وصف حالات القلق والإحباط، والغضب التي تعتري الشخص شفوياً .
- كبح جماح النفس في حالة التروات ، وحالات الغضب .
- التعرف إلى نقاط القوة في النفس ، وتحريك المشاعر الإيجابية نحوها (٣).

وفي ختام هذا الفصل أقول :

إن هذه الأحاديث تمثل غيضاً من فيض ويستدل بها على شمائل النبوة من رحمة ورأفة.. لقد كان النبي ﷺ يملك قلباً مرهفاً، قادراً على تلمس مشاعر الناس وعواطفهم، ولســـاناً بليغـــاً معبراً عن مشاركته لمن حوله في أحاسيسهم، وهذا ما جعله يأسر القلوب فتنبض له حباً .

فالرسول ﷺ بمواقفه وأسئلته البليغة التي راعى فيها الاهتمامات والميول والقدرات الذاتيـــة، والأسئلة التي حوَّل فيها النفوس من حال الرفض والحزن إلى حال الرضا والقناعة، والأسئلة التي وصف بها المشاعر فأحسَّت النفوس بالمشاركة الوجدانيـــة، والأســـئلة الـــتي عـــززت

---

(١) انظر ، مهارات التدريس ، د. جابر عبد الحميد ، (٢٦٣) .

(٢) انظر، الصحة النفسية ، محمد عودة محمد ، (١٠٠) ، فن طرح السؤال الصحيح ، د. سلمى واسرمان ، (٥١) .

(٣) انظر ، العادات العقلية ، (٣٥) .

وساعدت على نمو الشخصيات وتقدير الذوات، كل هذه الأسئلة قد نجحت كل النجاح في تخريج أجيالٍ يتمتعون بكفايات علمية وعملية ونفسية عالية جداً، جرأة في الحق، وقـــوة في الدين، وثقة بالنفس، طلاقة لفظية وفكرية، نفوس راضية مطمئنة من مدرســـة النبـــوة .. فصلوات ربي وسلامه عليك يارسول الله ، وجمعني وإياك على حوضك الكريم .

فالماهر من يتوجه لدراسة أساليب الرسول ﷺ كي يعلّم ويربي، ويحيي في القلوب التقـــوى، ويملأ النفوس رضا وسعادة ، ومحبة وقناعة ، فهو أعلم الناس بأسرار النفـــوس، ومفـــاتيح القلوب ..

الفصل الرابع

أسئلة الرسول ﷺ الإنكارية

المبحث الأول: إنكار التعريض

المبحث الثاني: إنكار التوبيخ

الفصل الرابع : الأسئلة الإنكارية

إن التربية هي أساس وقوام المجتمعات السليمة، بها تتصحح الأفكار و يستقيم السلوك، بيد أنه قد ينشأ الفرد تنشئة خاطئة تولد في نفسيته مفاهيم سلبية وقيم منحرفة، أو عادات سيئة. لا شك أن هذا نتيجة إهمال وانحراف تربوي سابق، ولكن هل يجوز أن تقف التربية موقفاً سلبياً تنحي باللائمة على من سبق ؟ أو أن ترضى بالواقع المنحرف كما هو ؟

إن التربية الإيجابية هي التي :

- تعمل أولاً على تربية وقائية بنائية إنشائية؛ تبني النفس، وتبصرها بمواطن الخطأ، وتحذرها من مداخله ونتائجه الوخيمة .
- وهي التي تسد الذرائع والوسائل التي قد توقع فيه .
- وتعمل على متابعة السلوك ومراقبته، ورفض السلوك الخاطئ وإنكاره .
- والتربية الإيجابية هي أيضاً تربية علاجية بعد صدور السلوك الخاطئ؛ حين تعمل على إعادة بناء النفس، وإعادة التعليم لمواجهة مواقف الحياة بطرق سليمة وصحيحة .

في مثل هذه المواقف العلاجية في إعادة بناء التربية النفسية، نجد الرسول ﷺ يقدم أروع الأمثلة في التوجيه العملي والعلمي السليم في الميدان التربوي؛ وذلك بملاحظته الأخطاء ، وإنكارها حسب ما يستدعيه الموقف، وتستلزمه التربية الحقة، ويكون أجدى في تصحيح السلوك وتعديله، بطريقتين هما :

١- إنكار التعريض .

٢- إنكار التوبيخ والعتاب .

المبحث الأول: إنكار التعريض

إن المربي أثناء تربيته يتعرض لمواقف نفسية ذات حساسية خاصة يجد نفسه إزاءها بين عاملين لا بد من مواجهتما معاً، عامل حياء محمود – حساسية يجب مراعاتها – وعامل التوجيه الذي لا يحتمل الإهمال .

في هذا الإطار النفسي البحت ممتزجاً مع واجب التربية النفسية والسلوكية، نستطيع أن نفهم كثيراً من أبعاد ذلك الشعار النبوي التربوي " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ؟ " إنه الأسلوب الحكيم الذي تغني فيه الإشارة عن صريح العبارة، إنه الذكاء المؤدب الذي يعتبر من أهم صفات المرشد النفسي، أو القائد المصلح . "[1]

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، وجدت تسعة أحاديث طرح فيها ﷺ أسئلة ينكر بها السلوكيات الخاطئة بطريقة غير مباشرة عن طريق التعريض بالأشخاص ووصف سلوكهم الخاطئ .

١- عن جَابِر رضي الله عنه قال: (غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ؛ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) .[2]

---

(١) الرسول العربي المربي ، د. عبد الحميد الهاشمي ، (١٦٠) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، (١٢٩٦/٣، ح ٣٣٣٠)، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، (١٩٩٨/٤، ح ٢٥٨٤) .

معنى الحديث :

أنه في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق ، اجتمع مع رسول الله ﷺ ناس من المهاجرين وكان من بينهم رجل لعاب؛كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة، وقيل مَـزَّاح واسمه "جَهْجَاه بن قيس الغِفَاري " فضرب رجلاً أنصارياً على دبره [١]، وهو " سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي" حتى استغاثوا بالقبائل يستنصرون بهم في ذلك، وكان أهل الجاهلية ينتمون حين الفزع والعراك والمفاخرة بالاستغاثة إلى الآباء، فأنكر الرسول ﷺ عليهم هذه الدعوى وبيّن أنها دعوة خبيثة، أي قبيحة منكرة كريهة مؤذية؛ لأنها تثير الغضب على غير الحق، والتقاتل على الباطل وتؤدي إلى النار، وتسميتها دعوى الجاهلية لأنها كانت من شعارهم قبل الإسلام. [٢]

موضع الشاهد ودلالته:

١- سؤاله ﷺ :" ما بال دعوى الجاهلية ؟" يعني لا تداعوا بالقبائل، بل تداعوا بدعوة واحدة بالإسلام، فرسول ﷺ أنكر ما سمعه دون أن يسأل عن أشخاصهم أو يعيّنها، بل استفهم عما سمع، بوصف هذا السلوك منهم؛ بأنه دعوى من دعاوي الجاهلية .

٢- سؤاله ﷺ : ما شأنهم ؟ "أي ما جرى لهم ؟ وما الموجب في ذلك؟" [٣] ليتعرف على سبب المشكلة التي دعتهم لهذا القول .

والذي يبدو لي أنه ﷺ سأل عن السلوك نفسه منكراً له بوصفه بهذا الوصف، قبل أن يسأل عن سبب المشكلة؛ وهذا خلاف هديه ﷺ في السؤال عن السبب والدافع قبل الإنكار وبيان الخطأ، وذلك لأن السلوك الخاطئ وهو التداعي بالقبائل كان صادراً من الطرفين في وقت

---

(١) هذا هو معنى الكسع الوارد في الحديث ، النهاية ، (١٧٣/٤) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٣٦٥) ، عمدة القاري ، (٨٨/١٦) .

(٣) عمدة القاري ، (٨٨/١٦) ، تحفة الأحوذي ، (١٥٤/٩).

واحد، وليست مشكلة صادرة من أحدهم تجاه الآخر، ولأن القول منكر في نفسه، وحدث أمام الجميع فقد تعالت به أصواتهما، فكان لا بد من إنكاره أولاً .

الدلالات التربوية :

١- حلم الرسول ﷺ تجاه المواقف التي تثير الغضب في حق نفسه.

٢- النظرة السديدة والبعيدة للسلبيات الناتجة من أي تصرف، والبعد عن اتخاذ قرارات أو تصرفات تجاه موقف حاضر، دون دراسة أبعاد وعواقب هذا التصرف ونتائجه، فرأس المنافقين عبدالله بن أُبيّ صدرت منه مقالة في هذا الحديث ثبت بها نفاقه وهي قوله:" ليخرجن الأعز منها الأذل"، فرفض ﷺ قتله كما أشار عليه أصحابه؛ تجنباً للمفسدة والسلبية الناتجة من ذلك، وهي تحدث الناس عن قتل النبي ﷺ لأصحابه،" وقول بعضهم لبعض ما يؤمنكم إذا دخلتم في دينه أن يدَّعي عليكم كفر الباطن فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم، فلا تسلموا أنفسكم إليه للهلاك فيكون ذلك سبيلاً لنفور الناس عن الدين." (١) ،وكل هذا يدل على حب الرسول ﷺ للإنسان وحرصه على حياته .

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (٢) ﷺ قَالَ : (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ؟ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ: مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ؟ قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ) . (٣)

معنى الحديث:

رأى النبي ﷺ أقواماً يعبثون بأيديهم في الصلاة ويرفعونها في غير مواضع الرفع، وكان في العرب القادمين والأعراب من لا يعرف حدود دينه في الصلاة، فنهاهم ﷺ عن ذلك ونهاهم

---

(١) عمدة القاري ، (٨٩/١٦) .

(٢) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب ، بن عامر بن صعصعة العامري السوائي ، حليف بني زهرة ، وأمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص ، له ولأبيه صحبة ، يكنى أبا عبد الله ويقال يكنى أبا خالد ، نزل الكوفة وابتنى بها دارا ، وتوفي في ولاية بشر على العراق ، سنة ٧٤ هـ . (الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤٣١/١)

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بالسكون في الصلاة ، (٣٢٢/١ ، ح ٤٣٠) .

عن الصلاة وهم متفرقون جماعة جماعة [١]، وأمرهم بالاجتماع وإتمام الصفوف الأُوَل، والتراصّ في الصفوف، ومعنى إتمام الصفوف الأُوَل؛ أن يتم الأول ولا يشرع في الثاني حتى يتم الأول، ولا في الثالث حتى يتم الثاني ولا في الرابع حتى يتم الثالث، وأمرهم بالسكون في الصلاة والخشوع فيها والإقبال عليها ، وأن الملائكة يصلون وصفوفهم على هذه الصفة ..والله أعلم. [٢]

موضع الشاهد ودلالته:

١- أنه ﷺ ينكر عليهم طريقتهم في السلام من الصلاة، بسؤاله عن هذا السلوك سؤالاً إنكارياً: ما لي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس؟ واصفاً سلوكهم بأنهم كالنفور من الدواب التي لا تستقر لشغبها وحدتها، بل تضطرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها[٣]، والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفعهم أيديهم عند السلام، مشيرين إلى السلام من الجانبين، ذلك أن صفة السلام والرد على من صلى معه في جماعته الإشارة إليه بوجهه لا بيده .

٢- سؤاله ﷺ الإنكاري لفرقتهم في الصفوف، بقوله: ما لي أراكم عزين؟ ،"فهذا إنكار منه على رؤية أصحابه متفرقين أشتاتاً، والمقصود الإنكار عليهم كائنين على تلك الحالة يعني لا ينبغي أن تتفرقوا ولا تكونوا مجتمعين بعد توصيتي إياكم بذلك، كيف وقد قال الله تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣]" [٤]

٢- سؤاله ﷺ التحضيضي على إقامة الصفوف وتسويتها، واعتدالها، بقوله ﷺ : ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ لئلا يتخللها الشيطان، وتشبهاً بالملائكة في صفوفها، ولما في ذلك من جمال هيئة الجماعة للصلاة وحسنها . [٥]

يبدو لي أنه ﷺ بأسئلته الإنكارية على ما لاحظه عليهم من سلوكيات خاطئة أثناء الصلاة ينكر عليهم أولاً رفعهم أيديهم عند السلام، وأدائهم للصلاة وصفوفهم متفرقة، ثم يطرح

---

(١) هذا معنى كلمة " عزين" ، كما ورد في ، (النهاية ، ٢٣٣/٣) .

(٢) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٥٣/٤) ، التمهيد لابن عبد البر ، (٢٢١/٩).

(٣) هذا معنى كلمة " خيل شمس " جمع شموس ، انظر ، (النهاية ، ٥٠١/٢)، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٥٣/٤).

(٤) فيض القدير ، (٤٦٤/٥) .

(٥) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٢ / ٣٤٤) .

السؤال الذي يأمرهم فيه بمعالجة ذلك السلوك وتعديله، وفي كل هذه الأسئلة الإنكارية لم يذكر ﷺ أسماءً أو يعيّن أشخاصاً .

الدلالة التربوية :

عدم إغفال المربي أي سلوك خاطئ دون إنكاره، حتى لو توالت الأسئلة الإنكارية في نفس الموقف، ما دامت مصلحة الإنكار أرجح من مفاسده .

٣- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ؟ فَوَاللَّهِ لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً).(١)

معنى الحديث :

صنع النبي ﷺ شيئاً لم يُعلم ما هو كما ذكر شرَّاح الحديث، فسهَّل فيه من غير منع، فاحترز عنه قوم و لم يقربوه، وقيل: أن الأمر الذي ترخص فيه رسول الله ﷺ هو التقبيل في الصيام خلافاً لما قد يتبادر إلى بعض الأذهان، والدليل: (أن رجلاً قبّل امرأته على عهد رسول الله ﷺ وهو صائم، فأمر امرأته فسألت النبي ﷺ عن ذلك، فقال النبي ﷺ: إن رسول الله يفعل ذلك، فأخبرته امرأته، فقال: إن النبي ﷺ يرخص له في أشياء، فارجعي فقولي له، فرجعت إلى النبي ﷺ ، فقالت له ذلك، فذكر الحديث..) (٢).

وتنـزُّه هؤلاء عما ترخص فيه النبي ﷺ غلط أوقعهم فيه ظن أن المغفور له يُسامح في بعض الأمور، ويسقط عنه بعض التكاليف، والأمر بالعكس، لأن المغفور له يتعين عليه وظيفة الشكر، وأن الأعلم بالله وأحكامه هو الأخشى،" (٣) فبلغ تنـزههم النبي ﷺ، فأعلمهم النبي ﷺ أنه وإن كان غفر الله له لكنه مع ذلك أخشى الناس له سبحانه وأتقاهم، فمهما فعل ﷺ

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ،(٥/ ٢٢٦٣ ، ح ٥٧٥٠) ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته ، (٤/ ١٨٢٩ ، ح ٢٣٥٦) .

(٢) مسند أحمد، (٥/٤٣٤، ح ٢٣٧٣٢)، قال الألباني: وهذا سند صحيح متصل . السلسلة الصحيحة ، (١ / ٥٨٣).

(٣) المفهم ، (٦ / ١٥٣) .

من عزيمة ورخصة فهو فيه غاية التقوى والخشية، فالعمل بالرخص الشرعية لا ينافي كمال التقوى والخشية، و لم يحمله علمه بالمغفرة على ترك الجد في العمل قياماً بالشكر، وأشار بقوله:" أعلمهم" إلى القوة العلمية ، وبقوله : " أشدهم خشية " إلى القوة العملية، أي أنا أعلمهم بالفضل، وأولاهم بالعمل به، ففيه حث على الإقتداء به، والنهي عن التعمق وذم التتره عن المباح. (١)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً يذكر فيه سلوكهم الخاطئ : ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتترهوا عنه..؟ أي يحترزون عن الشيء أصنعه؟ " وهذا من تعريضه ﷺ، وعدول منه عن مواجهة هؤلاء القوم بالعتاب، وكانوا معينين عنده، لكنه فعل ذلك لغلبة الحياء عليه، ولتلطفه في التأديب، ولستر المعاتب .

وإنما كان ﷺ لا يواجه الناس بالعتاب إذا كان في خاصة نفسه؛ كالصبر على جهل الجهّال وجفاء الأعراب، مثل تركه للذي جبذ البردة من عنقه حتى أثرت جبذته فيه، وأما إذا انتهكت من الدين حرمة فإنه لا يترك العتاب عليها والتقريع . (٢)

٤- عَنْ أَنَسٍ ﷺ : (أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) .(٣)

معنى الحديث :

أن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ سألوا عن عبادته ﷺ فلما أخبروا بها، عدّوها قليلة، فبيّن النبي ﷺ أن من ترك سنته فليس منه؛ وذلك إذا كان الترك إعراضاً عنها غير معتقد لها على ما هي

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (١٥٦/٢٢) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (١٥٦/٢٢) ، فتح الباري ، (٣ / ٦٠٨) ، المفهم ، (٦ / ١٥٣) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح ، (٢/ ١٠٢٠ ، ح ١٤٠١) .

عليه، أما من ترك النكاح على الصفة التي يستحب له تركه، أو ترك النوم على الفراش لعجزه عنه أو لاشتغاله بعبادة مأذون فيها أو نحو ذلك، فلا يتناوله هذا الذم والنهي. (١)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً لسلوكهم الخاطئ: ما بال أقوام ...؟" وهذا موافق للمعروف من خطبه ﷺ في مثل هذا؛ أنه إذا كره شيئاً فخطب له ذكر كراهيته ومنع منه عموماً جهراً مع إبهام الأمر بعدم تعيين الفاعلين، وتسميتهم بأسمائهم على رؤوس الجميع، وخصوصاً فيما بينه وبينهم، وهذا من عظيم خلقه ﷺ، ورفقه بهم وستره عليهم، فإن المقصود من ذلك الشخص وجميع الحاضرين وغيرهم ممن يبلغه ذلك، ولا يحصل توبيخ صاحبه في الملأ . (٢)

٥- عَنْ ابْنِ الْمُغَفَّلِ (٣)ﷺ قَالَ : (أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ الكلاب ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الْكلاب؟ ثُمَّ رَخَّصَ فِي كَلْبِ الصَّيْدِ وَكَلْبِ الْغَنَمِ، وَقَالَ: إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الإِنَاءِ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَعَفِّرُوهُ الثَّامِنَةَ فِي التُّرَابِ) .(٤)

معنى الحديث :

أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال: ما بالهم وبال الكلاب؟ ثم رخص في كلب الصيد وكلب الغنم وكلب الزرع، فهذا نهي عن اقتنائها، وقد اتفق العلماء على أنه يحرم اقتناء الكلب لغير حاجة مثل أن يقتنى كلباً إعجابا بصورته أو للمفاخرة به، فهذا حرام بلا خلاف، وأما الحاجة التي يجوز الاقتناء لها فالترخيص لأحد ثلاثة أشياء وهي الزرع والماشية

---

(١) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧٦/٩) ، عمدة القاري ، (٦٥/٢٠).

(٢) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٤ / ٥٢٩) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٧٦/٩) ، عمدة القاري ، (٦٥/٢٠) .

(٣) عبد الله بن مغفل بن عدي المزني ، أبو سعيد ، سكن المدينة ، ثم تحول إلى البصرة ، له صحبة ، وهو أحد البكائين في غزوة تبوك ، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة ،وهو من أصحاب الشجرة ، روى عن النبي ﷺ ، مات بالبصرة سنة ٦١ هـ . (الإصابة ، ٢/ ٣٧٢)، (التهذيب ، ٤ / ٥٠١) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب حكم ولوغ الكلب ، (١/ ٢٣٥ ، ح ٢٨٠) .

والصيد وهذا جائز بلا خلاف، ففي رواية أبي هريرة ﷺ: (من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم).[١]

وأما الأمر بقتل الكلاب فقد قيل إن كان الكلب عقوراً قُتل، وإن لم يكن عقوراً لم يجز قتله سواء كان فيه منفعة من المنافع المذكورة أو لم يكن، والأمر بقتل الكلاب منسوخ، وقد صح أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب مرة ثم صح أنه نهى عن قتلها، واستقر الشرع عليه على هذا التفصيل الذي ذكرناه، وأمر بقتل الأسود البهيم وكان هـذا في الابتـداء وهـو الآن منسوخ، والله أعلم [٢].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً عن استمرارهم في قتلهم للكلاب بعد أن نسخ الأمر به، بقوله: ما بال الناس وبال الكلاب؟ أي ليس بين الفريقين ما يقتضي القتل، أي ما شأنهم؛ ليتركوها. أو قد يكون السؤال إنكارياً عن اقتنائهم للكلاب بعد أن نسخ النهي عن قتلها، فالمعنى : لا تقتلوها، ولكن ما لكم ولها لتقتنوها ؟ [٣].

٦- عن أَنَس بْنَ مَالِك ﷺ قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِم؟ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ) . [٤]

معنى الحديث :

ينهى النبي ﷺ عن العبث في الصلاة برفع البصر إلى السماء لأنه أمر ينافي السكينة والخشوع، وفي رواية عند مسلم: (عند الدعاء)[٥]، فقال بعضهم: إن حمل المطلق على المقيد اقتضى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد ، باب من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد أو ماشـية (٢٠٨٨/٥ ، ح ٥١٦٣)، صحيح مسلم،كتاب المساقاة ، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخة وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد أو زرع أو ماشية ونحو ذلك ، (١٢٠٠/٣، ح١٥٧٥)

(٢) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم، (٢٣٥/١٠) ، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، أبـوبكر الحازمي ، (٤٢١) .

(٣) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١/ ٢٣٧) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، (٢٦١/١ ، ح ٧١٧)، صـحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، (٣٢١/١، ح٤٢٨).

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ، (٣٢١/١، ح٤٢٩).

اختصاص الكراهة بالدعاء الواقع في الصلاة، وليس الأمر كذلك بل المطلق يجري على إطلاقه والمقيد على تقييده والحكم عام في الكراهة سواء كان رفع البصر في الصلاة عند الدعاء أو بدون الدعاء، ورفع البصر في الصلاة مطلقاً ينافي الخشوع الذي أصله هو السكون .

وقد اشتد قول النبي ﷺ في رفع البصر إلى السماء في الصلاة، وذكر لهم عقوبة ذلك: ليكونن منكم الانتهاء عن رفع البصر، أو خطف الأبصار الذي هو العمى عند الرفع من الله تعالى.

ففيه النهي الأكيد والوعيد الشديد، وكان ذلك يقتضي أن يكون حراماً، ولكن الإجماع انعقد على كراهته في الصلاة، والخلاف في خارج الصلاة عند الدعاء، أما إذا غمض عينيه في الصلاة فالمختار أنه لا يكره إذا لم يخف ضرراً لأنه يجمع الخشوع، ويمنع من إرسال البصر وتفريق الذهن، فقد كان النبي إذا استفتح الصلاة لم ينظر إلا إلى موضع سجوده [١].

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً : ما بال أقوام..؟ أي ما حالهم وشأنهم يرفعون أبصارهم؟ كيف يجرؤن على العبث في الصلاة برفع أبصارهم؛ وإنما لم يبين الرافع من هو؛ لئلا ينكسر خاطره إذ النصيحة على رؤوس الأشهاد فضيحة . [٢]

"أي ما شأن أقوام ؟:كنى به عن الفاعل، إذ من خلقه العظيم ﷺ أن لا يواجه أحداً بما يكرهه . " [٣]

" فمن آداب النصيحة في المجالس العامة، عدم التعيين، أو توجيه الخطاب المباشر لما فيه من الاستفزاز المؤدي إلى عدم قبول النصيحة، وإنما يتكلم عن الموضوع بصفة عامة كما فعل النبي ﷺ فهو أنجح وأجدى " . [٤]

٧- عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: (أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لِي، وَقَالَ أَهْلُهَا :إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ أو إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا وَيَكُونُ الْوَلَاءُ

---

(١) انظر، عمدة القاري ، (٣٠٩/٥) .

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٣٠٩/٥) ، منار القاري ، (٢ / ١٦٠) .

(٣) إرشاد الساري ، (٢ / ١١٦) .

(٤) منار القاري ، (٢ / ١٦٠) .

لَنَا، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَّرَتْهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الْوَلاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ) . (١)

معنى الحديث :

أن بريرة بنت صفوان، قيل: إنها كانت مولاة لقوم من الأنصار، وقيل: مولاة لعتبة ابن أبي لهب (٢)، وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قبل أن تعتق، فكاتبها أهلها، "والكتابة هي إعتاق السيد عبده على مالٍ في ذمته يُؤدَّى مؤجلاً؛ سميت كتابة؛ لأن السيد يكتب بينه وبينه كتاباً بما اتفقا عليه، وقيل: سميت كتابة من الكتب، وهو الضم لأن المكاتب يضم بعض النجوم – وهي الأوقات المختلفة – إلى بعض "(٣)؛ على أن تجمع ثمنها، وتدفعه إليهم على أقساط مؤجلة، تنتهي كلها في زمن محدد، فإذا أدّت ما عليها كانت حرّة، فأتت عائشة تسألها معونة مالية تساعدها على هذه المكاتبة، فطلبت عائشة رضي الله عنها أن ترجع إلى أهلها وتعرض عليهم موافقة عائشة رضي الله عنها أن تدفع لهم جميع المال الذي كاتبوها عليه على أن يكون الولاء لها– وهو وراثة العبد والأمة بعد وفاتهما – فرفضوا ذلك، وقالوا: إن أرادت أن تعينك تفضلاً وتكرماً، وتحتسب أجرها ومثوبتها عند الله، ويكون ميراثك لنا، فلتفعل، وإلا فلا. (٤)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً بقوله : " ما بال أقوام ..؟ أي يشترطون شروطاً ليست موافقة لأحكام الله، لأن الولاء لمن أعتق، وبهذا يتجه الإنكار على موالي بريرة إذ وافقوا عائشة رضي الله عنها على بيعها، ثم أرادوا أن يشترطوا بأن يكون الولاء لهم .

وفي إنكاره ﷺ وتوبيخه يراعى مع ذلك قلوب أصحابه؛ فلم يعيِّن أصحاب بريرة ولم يواجههم وهم أصحاب الشرط، بل قال: ما بال رجال ..؟ لأن المقصود يحصل لهم ولغيرهم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد ، (١٧٤/١ ، ح ٤٤٤) .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، (٥٣٥/٧)، تهذيب الاسماء ، (٦٠٠/٢).

(٣) المغني ، ابن قدامة ، (١٤ / ٤٤١) ، وانظر ، لسان العرب ، (٧٠٠/١)، مختار الصحاح، (٢٣٤/١).

(٤) انظر ، (فتح الباري ، ١ / ٥٠) .

بدون فضيحة وشناعة عليهم، فالنبي ﷺ كان لا يواجه أحدا بمكروه، بل إن رأى أو سمع ما يكره عمم.

كما أنه ﷺ يريد تقرير شرع عام للمذكورين وغيرهم في الصورة المذكورة وغيرها، وهـذا بخلاف قصة علي في خطبته بنت أبي جهل فإنها كانت خاصة بفاطمة فلذلك عيّنها .(١)

الدلالات التربوية:

١- يستحب للإمام عند وقوع مخالفة صريحة للكتاب أو السنة أن يخطب الناس، ويبين لهم حكم ذلك وينكرها عليهم.

٢- أن البدء بالتوبيخ لا يكون إلا على أمر قد سبق النهي عنه والتحذير منه، فالرسول ﷺ وبخهم بهذا القول مشيراً إلى أنه تقدم منه بيان حكم الله بإبطاله، فقال:" يشترطون شـروطاً ليست في كتاب الله" " إذ لو لم يتقدم بيان ذلك لبدأ ببيان الحكـم في الخطبـة لا بتـوبيخ الفاعل، لأنه يكون باقياً على البراءة الأصلية" .(٢)

٨- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَوْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، فَلا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا، بِمَ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ ؟.) (٣)

معنى الحديث :

في الحديث دليل على أن الثمار التي على رؤوس الشجر إذا باعها المالك وأصابتها جائحـة مثل أن يشتري زيد من عمر تفاحاً قبل قطفه من شجرته، ودفع ثمنه على أن يستلمه بعـد استوائه وقطفه، فأصاب هذا الثمر سربٌ من الجراد الذي أتلفه، فيكون تلفها من مال البائع وأنه لا يستحق على المشتري في ذلك شيئاً، وظاهر الحديث فيما باعه بيعاً غير منهي عنـه وأنه وقع البيع بعد بدو الصلاح لأنه منهي عن بيعه قبل بدوه.

وقد اختلف العلماء في الثمرة إذا بيعت بعد بدو الصلاح وسلمها البائع إلى المشترى بالتخلية بينه وبينها، ثم تلفت قبل أوان الجذاذ بآفة سماوية، هل تكون من ضمان البائع أو المشتـرى؟

---

(١) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٥٠) ، عمدة القاري ، (٢٢٧/٤) ، نيل الأوطار (٢/ ٢٠٥) ، منار القاري ، (٤ / ٤) .

(٢) فتح الباري ، (٢ / ٥١) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب وضع الجوائح ، (١١٩٠/٣ ، ح ١٥٥٤) .

١- فذهب الجمهور إلى أنه في ضمان البائع ويجب وضع الجائحة، واحتجوا بهذا الحديث وفى رواية :(أن النبى ﷺ نهى عن بيع النخل حتى تزهو فقلنا لأنس: مازهوها قال: تحمر وتصفر، أرأيتك إن منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك؟) وفي رواية : (أن النبى ﷺ قال: إن لم يثمرها الله، فبم يستحل أحدكم مال أخيه؟)، ولقوله ﷺ في رواية : (أن النبي :ﷺ أمر بوضع الجوائح)[١] ، فإذا بيع الثمر قبل زهوه، فتلف بالآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها[٢]، فلا يحل للبائع أخذ المال، لأنها في معنى الباقية في يد البائع من حيث أنه يلزمه سقيها، فكأنها تلفت قبل القبض فكانت من ضمان البائع.

٢- وذهب الشافعي في القديم وطائفة : هي في ضمان المشترى ولا يجب وضع الجائحة لكن يستحب ، واحتجوا بقوله ﷺ في رواية :(أصيب رجل في عهد رسول الله ﷺ في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال رسول الله ﷺ تصدقوا عليه فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: خذوا ما وجدتم، وليس لكم إلا ذلك). [٣]

فلو كانت توضع لم يفتقر إلى ذلك، وحملوا الأمر بوضع الجوائح على الاستحباب، أو فيما بيع قبل بدو الصلاح .

وأجاب الجمهور عن قوله ﷺ :"فكثر دينه.. إلى آخره" بأنه يحتمل أنها تلفت بعد أوان الجذاذ، وتفريط المشترى في تركها بعد ذلك على الشجر، فإنها حينئذ تكون من ضمان المشترى، قالوا ولهذا قال ﷺ في آخر الحديث "ليس لكم إلا ذلك" ولو كانت الجوائح لا توضع لكان لهم طلب بقية الدين. [٤]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ الإنكاري : بم تأخذ مال أخيك بغير حق ؟

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب وضع الجوائح ، (٣/، ح ١١٩١،ح ١٥٥٤) .

(٢) هذا معنى الجائحة كما ورد في (النهاية ، ٣١٢/١) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساقاة ، باب استحباب الوضع من الدين، (٣/ ١١٩١ ، ح ١٥٥٤).

(٤) انظر ،الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٥ / ١٥٥٤) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢١٧/١٠) ، سبل السلام، (٤٨/٣).

بحذف ألف ما الاستفهامية عند دخول حرف الجر، مثل قولهم: فيم وعلام، والهمزة للإنكار، فالمعنى لا ينبغي أن يأخذ أحدكم مال أخيه باطلاً؛ لأنه إذا تلفت الثمرة لا يبقى للمشتري في مقابلة ما دفعه شيء.(١)

يبدو لي أنه سؤال يوبخ به صاحب هذا السلوك، عن طريق تذكيره بالمبدأ الذي خالفه؛ وهو عدم أحقيته في هذا المال .

٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ (٢)ﷺ قَالَ : (..خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ فَوَعَظَ فِيهِنَّ، ثُمَّ قَالَ: إِلامَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ؟ وَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنْ الضَّرْطَةِ، فَقَالَ: إِلامَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ؟) .(٣)

معنى الحديث :

في هذا الحديث ينهى النبي ﷺ عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب، ويبين ﷺ وجه التناقض في مثل هذا السلوك من الرجل، وذلك بأن يقصد الرجل زوجته فيجلدها أي يضربها، يقال: جلدته بالسيف والسوط ونحوهما إذا ضربته، كجلد العبد أو الأمة، فلعله يجلدها في أول اليوم ثم يطؤها في آخر يومه.

إنه ﷺ لا يألو جهداً في الوصية بالنساء والإحجام عن ضربهن، وقد أكد على قضية حسن معاشرة المرأة والرفق بها في أحاديث كثيرة ومناسبات متعددة، فهاهو صلوات ربي وسلامه عليه في آخر خطبة له في حجة الوداع يجعل وصيته للرجال في النساء من الأولويات، فيعظهم بقوله ﷺ: (ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن

---

(١) شرح الزرقاني ، (٣/٣٣٦).

(٢) عبد الله بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، وهو زوج زينب بنت أم سلمة ، وهو الذي خرج فأمر عمر ﷺ بالصلاة حين غاب أبوبكر ﷺ في مرض النبي ﷺ ، قتل يوم الدار سنة ٣٥ هـ . (الإصابة ، ٢ / ٣١١) ، (التهذيب ، ٤ / ٣٠٢) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة والشمس وضحاها ، (٤/١٨٨٨، ح ٤٦٥٨)، وصحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، (٤/٢١٩١ ، ح ٢٨٥٥) .

ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً ...) [1]

عوان: أي أسيرات جمع عانية، فشبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير، والضرب المبرح هو الشاق الشديد، وقوله: ﷺ فلا تبغوا عليهن سبيلاً، أي لا تطلبوا طريقاً تحتجون به عليهن وتؤذونهن . [2]

إنها والله لجناية عظمى أن يصب الرجل جام غضبه على امرأته بيده، وهي رفيقة دربه وشريكة حياته وأم فلذات كبده، مستبيحاً لنفسه هذه الفعلة الشنيعة، مستغلاً ذكرها في القرآن الكريم، دون فقه للحدود الدقيقة والضوابط الشرعية لها، وبجهل عميق لأسبابها ودوافعها.

فيا ليت شعري لو علم الرجل كم معنى جميل تقتله هذه الضربة في نفسها، وأبصر ما في عيون أطفاله من الاستنكار، وفي نفوسهم من الانكسار، حين امتدت يده الطاغية إليها .

ثم وعظ ﷺ الرجال في ضحكهم من الضرطة وهي الصوت الذي يخرج مع الريح، يَسمعها من غيره، بل ينبغي أن يتغافل ويتجاهل ويعرض السامع عنها، ويستمر على حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره، ويظهر أنه لم يسمع، وكانوا في الجاهلية إذا وقع من أحدهم ضرطه في المجلس يضحكون، فنهى الشارع عن ذلك إذا وقع، وأمر بالتغافل عن ذلك والاشتغال بما كان فيه، وكان هذا من جملة أفعال قوم لوط عليه السلام فإنهم كانوا يتضارطون في المجلس ويتضاحكون [3].

بوب عليه ابن حبان : " ذكر الزجر عن ضحك المرء عند خروج الصوت من أخيه المسلم". [4]

---

(١) السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب كيف الضرب ،(٣٧٢/٥ ، ح ٩١٦٩) ، سنن الترمذي، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على زوجته،(٤٦٧/٣، ح ١١٣٦)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على زوجته ،(٥٩٤/١ ، ح ١٨٥١).حديث صحيح سنده متصل ورجاله ثقات.

(٢) انظر، رياض الصالحين، (٩٠/١)، عمدة القاري ، (٢٩٤/١٩).

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٨٨/١٧).

(٤) صحيح ابن حبان، (١١٠/١٣).

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالين إنكاريين لسلوكين خاطئين :

١- " إلام يجلد أحدكم امرأته ؟"وفي رواية: (جلد الأمة)، وفي رواية: (جلد العبد)[١]،إنه ﷺ ينكر على من يجلد زوجته، ويُكثر من ذلك حتى يعاملها معاملة الأمة ، ثم إنه بعد ذلك باليسير، يرجع إلى مضاجعتها، وإلى قضاء شهوته منها، فلا تطاوعه ولا تتحسن له وقد تبغضه، وقد يكون هو يحبها، فيفسد حاله، ويتفاقم أمرهما، وتزول الرحمة والمودّة التي جعلها الله بين الأزواج، ويحصل نقيضها، فنبه ﷺ بهذا اللفظ الوجيز على ما يطرأ من ذلك من المفاسد ."[٢]

٢- " إلام يضحك أحدكم مما يفعل ؟ " ينهاهم ويزجرهم عن الضحك من سماع صوت الريح؛ لأنه فعل عادي يستوي فيه الناس كلهم، وإن كان مما يستقبح، فحق الإنسان أن يستتر به، فإن غلبه بحيث يسمعه أحد فلا يضحك منه، فإنه يتأذى الفاعل بذلك ويخجل ، وأذى المسلم حرام ."[٣]

إن استخدام التعريض بالأشخاص، والإبهام بهم عند إنكار السلوكيات الخاطئة، " فيه دليل على أن الأمر المهم هو السلوك نفسه، دون فاعله، ولهذا كان من هديه ﷺ أنه إذا أراد أن ينهى عن شيء فإنه لا يذكر الأشخاص، وإنما يقول " مابال أقوام يفعلون كذا ؟ " وما أشبه ذلك .

وترك اسم الشخص له فائدتان عظيمتان :

الفائدة الأولى : الستر على هذا الشخص، وفي هذا تشجيع له على أن يتغير لأنه لن تلحقه مذمة أو عار بسبب سلوكه الخاطئ.

الفائدة الثانية : أن هذا الشخص ربما تتغير حاله فلا يستحق الحكم الذي يحكم عليه في الوقت الحاضر؛ لأن القلوب بيد الله، فلهذا كان الإبهام في هذه الأمور أولى وأحسن، لما فيه من الستر؛ ولما فيه من الاحتياط إذا تغيرت حال الشخص ."[٤]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، (٤/٢١٩١ ، ح ٢٨٥٥) .

(٢) المفهم ، (٣ / ٦٥٠) .

(٣) المفهم ، (٣ / ٦٥٠) .

(٤) رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (١ / ٤٠٤) .

كما أن استخدام هذا الأسلوب له عدة فوائد أخرى :

١- تجنب رد الفعل السلبي للمخطئ، وإبعاده عن تزيين الشيطان له بالانتقام الشخصي، والانتصار للنفس .
٢- أنه أكثر قبولاً، وتأثيراً في النفس .
٣- ازدياد منزلة المربي، وزيادة المحبة للناصح .

وينبغي الانتباه إلى أن أسلوب التعريض هذا حيث يصل الحكم إلى المخطئ دون فضحه وإحراجه؛ إنما يكون إذا كان أمر المخطئ مستوراً لا يعرفه أكثر الناس، أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك، فإن الأسلوب حينئذ قد يكون أسلوب تقريع وتوبيخ وفضح بالغ السوء والمضايقة للمخطئ، ومن الأمور المؤثرة فرقاً :

من هو الذي يوجه الكلام ؟ وبحضرة من يكون الكلام ؟

وهل كان بأسلوب الإثارة والاستفزاز، أم بأسلوب النصح والإشفاق ؟

فالأسلوب غير المباشر أسلوب تربوي نافع للمخطئ ولغيره إذا استعمل بحكمة،كما أنه من الحكمة تأخير السؤال الإنكاري على الحادثة أو السلوك الخاطئ إلى حين جمع الناس أو اجتماعهم ، لعدم وجود العدد الكافي الذي يتعظ وينقل، ولا مانع من إنكارين خاص مباشر، وعام مؤخر، ولكن ليس التأخير الذي يبرد معه ويزول أثر الإنكار .

كما أن انفعال المربي المتوازن مع الخطأ أثناء حدوثه، أو رؤيته أو سماعه بحيث يُرى ذلك في وجهه، ويُعرف في صوته وأسلوبه؛ يوقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ، وتكون عملية التأثير في النفوس أقوى وأجدى .[١]

---

(١) انظر، الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ، (٥٨ – ٧٨) . بتصرف .

المبحث الثاني : إنكار التوبيخ والعتاب

إن تصويب الأخطاء وتقويمها ضرورة عملية، وممارسة ملحَّة لاستقامة البناء ونضوجه، وما لم نصارح أنفسنا بأخطائنا ثم نجِّد في درئها وعلاجها، فإننا سوف نتحرك في أماكننا ولا نتجاوزها إلى غيرها، هذا إذا لم نتراجع إلى الوراء شيئاً فشيئاً .

إن أسلوب الإنكار بالعتاب وهو: "مخاطبة الإدلال، وطلبك المسيء الرجوع عن إساءته، إشفاقاً عليه ونصيحة له " [١] قد يكفي بعض النفوس لكي تدرك خطأها وترجع عنه، ولكن البعض الآخر قد يحتاج إلى أسلوب أقوى من العتاب، فيحتاج إلى شيء من التوبيخ الذي يحمل معنى" التهديد والتأنيب واللوم "[٢]، فتهتز النفس وترتعد، وتشعر بخطورة ما صدر منها .

وبعد البحث والدراسة في أسئلته ﷺ في أحاديث الصحيحين، تبين لي أنه ﷺ يطرح أسئلة لا يريد منها إجابة، بل لينكر السلوك الخاطئ إنكاراً يوبخ به صاحبه ويعاتبه ويعلّمه، بأساليب متعددة :

١- السؤال التحضيضي على مراجعة السلوك الخاطئ وتصحيحه.

٢- السؤال عن الدليل الذي يثبت الخطأ، والتذكير بالمبدأ الذي خالفه المخطئ.

٣- السؤال عن صاحب السلوك الخاطئ .

٤- السؤال عن السلوك الخاطئ نفسه.

٥- السؤال الوصفي للسلوك الخاطئ.

٦- الاستفهام النافي والمستبعد لصحة السلوك.

---

(١) لسان العرب، (١/٥٧٧) ،مختار الصحاح ، (١/١٧٣).

(٢) لسان العرب (٣، /٦٦) .

١- السؤال التحضيضي على مراجعة السلوك الخاطئ وتصحيحه :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (صَلَّى بنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: يَا فُلانُ أَلا تُحَسِّنُ صَلاتَكَ؟ أَلا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إذا صلّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فإنّما يصلّي لِنَفْسِهِ إِنِّي والله لأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ بَيْنَ يَدَيَّ) . [١]

وفي رواية: (هَلْ تَرونَ قِبْلَتِي هَا هُنا؟ فواللهِ ما يَخْفَى عَليّ خُشُوعُكم ولا رُكُــوعُكُم؛ إني لأراكم من وَرَاءِ ظَهْرِي .) [٢]

معنى الحديث :

يعظ النبي ﷺ في هذا الحديث المصلِّين، وينبههم على التلبس بالخشوع في الصلاة، لأنه ﷺ لم يقل ذلك إلا وقد رأى أن فيهم الالتفات وعدم السكون اللذين ينافيان الخشوع . [٣]

فأمرهم بإحسان الصلاة وإتمام الركوع والسجود، ويحتمل أن إنكاره ﷺ على الرجل كان لترك اعتدال الظهر في الركوع وعدم تجافيه في السجود، ونحو هذا من سنن ذلك وهيئاته، وفضائله، لا في فرائضه .[٤]

وله في رواية أخرى:(أتموا الركوع والسجود) وفي أخرى:(أقيموا الصــفوف)[٥]، وفي رواية:(صلى بنا الظهر وفي مؤخر الصفوف رجل فأساء الصلاة فلما سلَّم، ناداه رسول الله ﷺ يا فلان ألا تتقي الله؟ ألا ترى كيف تصلي؟ إنكم ترون أنه يخفي علــي شــيء ممــا تصنعون، والله إني لأرى من خلفي كما أرى من بين يدي).[٦]

---

(١) صحيح مسلم،كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، (٣١٩/١ ، ح ٤٢٣).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكــر القبلــة ، (١٦١/١ ، ح ٤٠٨) ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشــوع فيهــا ، (٣١٩/١ ، ح ٤٢٤) .

(٣) انظر ، عمدة القاري، (٥ / ٢٨٠).

(٤) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ،(١٥٠/٤) ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٢ / ٣٣٧) .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ، (٢٤٤٩/٦، ح ٦٢٦٨).

(٦) مسند أحمد ، (٤٤٩/٢، ح ٩٧٩٥) .

موضع الشاهد ودلالته :

أنه ﷺ بعد ملاحظته لصلاة هذا الرجل، وما فيها من خطأ، أنكر عليه خطأه في أمر بالغ الأهمية :

١- بسؤاله ﷺ التحضيضي الذي يحثه فيه على تعديل هذا السلوك الخاطئ في صلاته، بقوله : " ألا تحسن صلاتك .؟ والذي نلحظه أنه في سؤاله هذا الذي يحمل معنى التوبيخ راعى ﷺ كونه سراً بينه وبين الرجل، كما يتضح من الروايات أن الصحابة لم يسمعوا ما دار بينه وبين رسول الله بعد أن ناداه وكلمه في ذلك حتى سألوا الرجل نفسه فأخبرهم، وهنا تتجلى حماية الرسول ﷺ وحفظه لمكانة المخطئ ، وعدم إحراجه أو التشهير به.

٢- اتباعه ذلك السؤال بسؤال آخر، فيه التحضيض على الاهتمام بالصلاة والحرص على اتقان ركوعها وسجودها: ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف صلى ؟.

إنه في السؤال الأول أمر بالتربية العلاجية التصحيحية وذلك بتعديل السلوك الخاطئ، وفي السؤال الثاني أمر بالتربية الوقائية حتى لا يتم الوقوع في مثل هذا الخطأ .

وأحسب أن هذين السؤالين الذين يحثه ﷺ فيهما على الاهتمام بالصلاة، وتحسين ركوعه وسجوده فيها، يحمل بين طياته إنكاراً توبيخياً له ولمن لا يهتم بأمر صلاته – مع علمه بعظم أهميتها – وإتمام ركوعها وسجودها، وأدائها بالصفة الصحيحة .

٣- سؤاله ﷺ في الرواية الثانية: هل ترون قبلتي ههنا ؟ استفهام على سبيل إنكار ما يلزمه منه؛ "المعنى أنتم تحسبون قبلتي ههنا، وإنني لا أرى إلا ما في هذه الجهة ؟ فوالله إن رؤيتي لا تختص بجهة قبلتي هذه، فإني أرى من خلفي، كما أرى من جهة قبلتي، وهذا من خصائصه ﷺ، وأن إبصاره إدراك حقيقي انخرقت له فيه العادة، ولهذا أخرج البخاري هذا الحديث في باب علامات النبوة . "[1]

ويبدو لي أن سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً يستبعد به وينفي ظنهم من أنه لا يرى الصفوف التي خلفه في الصلاة لكونه مستدبراً لهم، وليس الأمر كذلك؛ لأنه يرى من خلفه مثل ما يرى من بين يديه، فيعلم مدى صحة ركوعهم وسجودهم .

---

(١) عمدة القاري ، (٤/ ١٥٧) .

" وقد سئل عن الحكمة في تحذيرهم من النقص في الصلاة برؤيته إياهم دون تحذيرهم برؤية الله تعالى لهم وهو مقام الإحسان المبين في سؤال جبريل ﷺ، فأجيب: بأن في التعليل برؤيته ﷺ لهم تنبيهاً على رؤية الله تعالى لهم، فإنهم إذا أحسنوا الصلاة لكون النبي ﷺ يراهم أيقظهم ذلك إلى مراقبة الله تعالى، مع ما تضمنه الحديث من المعجزة له ﷺ بذلك، ولكونه يبعث شهيداً عليهم يوم القيامة ، فإذا علموا أنه يراهم تحفظوا في عبادتهم، ليشهد لهم بحسن عبادتهم . " (١)

الدلالات التربوية :

نلحظ أن الرسول ﷺ لم يسأل سؤالاً عاماً تعريضياً يوجهه للجميع ، بل حدد سؤاله في قوله :يا فلان ألا تحسن صلاتك ؟ و لم يقل: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ؟.

وذلك له عدة احتمالات كما ظهر لي:

١- أن كل حديث ورد منه ﷺ فيه السؤال بـ" ما بال أقوام..؟ كان عن أمور رويت له، وبُلِّغ بها، و لم يباشرها بنفسه أو بأحد حواسه ﷺ ، فمن حسن التربية في مثل هذه الحالة الأسلوب الذي استخدمه الرسول ﷺ وهو أسلوب التعميم والتعريض، وهذا فيه ستر للمبلِّغ والمبلَّغ عنه، فلا يحدث شقاق بينهما، أما الأمور المنكرة التي يباشرها ﷺ بنفسه فإنه ينكرها بأسلوب خاص، ثم ينكرها بأسلوب عام على الجميع إذا كان من الأمور التي يخشى انتشارها بين الناس ووقوعهم فيه، فيكون للتعميم فائدة كبيرة.

٢- أن استخدام النبي ﷺ لأسلوب الإنكار الخاص لا يكون إلا بعد تكراره للتوجيه والإنكار العام، فقد تكون الرواية التي فيها إنكارٌ عامٌ لذلك السلوك: هل ترون قبلتي هاهنا ؟ سابقة للرواية التي فيها الإنكار الخاص بالرجل المخطئ في صلاته: ألا تحسن صلاتك؟، والذي يشهد لهذا أن الرسول ﷺ هديه في الإنكار: ما بال أقوام؟ فلما رأى ذلك المنكر أنكره بصيغة عمومية، وبأسلوب مبهم، ثم لما تكرر المنكر منه لجأ إلى الإنكار الخاص.

---

(١) فتح الباري ، (١ / ٥٦١) .

٣- أن السلوك الخاطئ وقع في أمر بالغ الأهمية؛ الصلاة التي يتكرر أداؤها في اليوم خمس مرات، فتحديد المسيء في صلاته وتوجيه السؤال الإنكاري له تنبيه فوري لـــه ليتـــدارك خطأه في الصلاة المقبلة .

٤- أن السلوك الخاطئ وهو الإساءة في الصلاة وعدم إتمام ركوعها وسجودها، قد يكون في البداية صدر من شخص واحد من بين مجموعة صلّت صلاة خاشعة حسنة مع الـــنبي ﷺ، فيكون التعريض وتوجيه الكلام للجميع بذلك تشهيراً بالخاطئ، مع عدم الفائدة من ذلك لأنه يوجهه لأناس محسنين لصلاتهم، ثم أنه ﷺ لما لاحظ على بعضهم الالتفات وعدم السكون في الصلاة وجَّه السؤال الإنكاري للجميع، كما في الرواية الثانية هل ترون قبلتي هاهنا؟، فأدَّت معنى قوله: ما بال أقوام ؟، هذا على احتمال كون الرواية التي فيها الإنكار الخاص: ألا تحسن صلاتك؟ سابقة للرواية التي فيها الإنكار العام: هل ترون قبلتي هاهنا؟.
وعليه فإن ذكر الأخطاء وإنكارها عند المتربين البعيدين عن سلوكها أمر غـــير تربـــوي، لعدم فائدته لهم، ولسلبيته على نفس المخطئ، فالخطاب الإنكاري العـــام يكـــون عنـــد ملاحظة شيوع مثل هذا السلوك المنكر، أو توقع احتمالية الوقوع فيه، فيكون الخطـــاب للجميع ذو فائدة تحذيرية وتنبيهية .

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَة طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ : أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ منِّي) .[1]

معنى الحديث :

إنه ﷺ في هذا الحديث يجسد وظيفته التربوية عملياً، ليكون المحتســـب الأول في مراقبـــة السلوك العام، فها هو ذا يتجول في الأسواق فيمر على طعام مجتمع كالكومة[1]، فيدخل يده ﷺ فيها فتنال أصابعه بللاً، إنها مراقبة توجيهية لمواقف منحرفة .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ:"من غشنا فليس منا "، (١/ ٩٩ ، ح ١٠٢) .

موضع الشاهد ودلالته:

١- سؤاله ﷺ لمن لاحظ على سلوكه الخطأ : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ "إنـه لـيس سؤالا استفهامياً استعلامياً .. بل هو سؤال إنكاري تعجبي فيه إنذار، فقال الرجل ملتمساً لما قد يظنه عذراً: أصابته السماء ؛ أي نزل عليه المطر فابتل" [١] .

٢- سؤاله ﷺ له سؤالاً تحضيضياً يحثه فيه على انتهاج السلوك الصحيح في مثل هذه الحالة بقوله: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ ليشتروه على بينة، ويبدو لي أنـه سـؤال يحمل بين طياته إنكاراً وتوبيخاً عن العدول عن هذا السـلوك السـوي إلى غـيره مـن السلوكيات التي تؤدي إلى الغش في العرض أو الوزن .

الدلالة التربوية :

التوجيه والبيان لخطورة الأمر وعقوبته يكون بعد الإنكار، لقوله ﷺ" من غشنا فليس منّا".

٣- عن عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ : (إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام[٢] بِنْتَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: أَلا تُصَلُّونَ ؟ فقَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّه فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) [٣].

معنى الحديث :

في الحديث فضل الصلاة بالليل والحث عليها، وإيقاظ النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضـي الله عنهما من نومهما في وقت جعله الله سكوناً ودَعَة، لما علم من ثواب الله تعالى في ذلك .

---

(١) الرسول العربي المربي ، د. عبد الحميد الهاشمي ، (١٨٢) .

(٢) سبق بيان حكم تخصيص فاطمة وعلي ﷺ بالسلام ، في (١٣١) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى :﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: من الآية٥٤] ،(٢٦٧٤/٦، ح ٦٩١٥)، صحيح مسلم، كتاب في صلاة المسافرين ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ،(٥٣٧/١، ح٧٧٥) .

وضرب الرسول ﷺ لفخذه بعد أن سمع إجابة علي ﷺ؛ تعجباً من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بما اعتذر، حيث كره احتجاجه بالآية المذكورة، وأراد منه أن ينسب التقصير إلى نفسه، وقيل: قاله تسليماً لعذرهما وأنه لا عتب عليهما [1].

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما :" ألا تصلون ؟" هكذا هو في الأصول، أي لعلي وفاطمة ومن عندهما، أو إن أقل الجمع اثنان، وجمع الاثنين صحيح، لكن هل هو حقيقة أو مجاز فيه الخلاف المشهور؛ الأكثرون على أنه مجاز، وفي رواية : "ألا تصليان ؟ " بالتثنية على الأصل. [2]

يبدو لي أن سؤاله ﷺ : ألا تصلون؟ يحمل توبيخاً وعتاباً لهما على غفلتهما عن صلاة الليل، وتفويتهما هذا الفضل العظيم بالنوم .

الدلالات التربوية :

١- تذكير الغافل خصوصاً القريب والصاحب، لأن الغفلة من طبع البشر، فينبغي للمرء أن يتفقد نفسه، ومن يحبه بتذكير الخير والعون عليه .

٢- أنه ينبغي للناصح إذا لم تُقبل نصيحته أو اعتُذر إليه بما لا يرتضيه أن ينكف ولا يعنف إلا لمصلحة .

٣- أن السكوت يكون جواباً، والإعراض عن القول الذي لا يطابق المراد وإن كان حقاً في نفسه [3].

---

(١) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٣/ ١٤٠) ، شرح النووي على صحيح مسلم، (٦٥/٦).

(٢) انظر، عمدة القاري، (١٤٦/٢٥) .

(٣) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٨٢٢) .

٢- السؤال عن الدليل الذي يثبت الخطأ، والتذكير بالمبدأ الذي خالفه المخطئ:

وفيه خمسة أحاديث:

١- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ: (عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ أَتَى بِامْرَأَةٍ مُجِحٍّ عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنًا يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ، كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لا يَحِلُّ لَهُ ؟كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لا يَحِلُّ لَهُ؟) [١].

معنى الحديث:

غضب الرسول ﷺ حين مرّ بمسبية حامل قربت ولادتها [٢] على باب بيت شعر[٣]، وعلم نية صاحبها في وطئها،"لأنه قد تتأخر ولادتها ستة أشهر؛ حيث يحتمل كون الولد من هذا السابي، ويحتمل أنه كان ممن قبله، فعلى تقدير كونه من السابي يكون ولداً له ويتوارثان، وعلى تقدير كونه من غير السابي لا يتوارثان هو ولا السابي لعدم القرابة، بل له استخدامه لأنه مملوكه، وقد قال ﷺ: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره -يعني إتيان الحبالى- ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها) [٤]، فلا يسق ماءه ولد غيره؛ يعني لا يطأ أمة حاملاً سباها أو اشتراها، فيحرم ذلك إجماعاً لأن الجنين ينمو بمائه، ويزيد في سمعه وبصره منه، فيصير كأنه ابن لهما، فإذا صار مشتركاً اقتضت المشاركة توريثه وهو ابن غيره، وتملكه وهو ابنه[٥]، فتقدير الحديث: أنه قد يستلحقه ويجعله ابناً له ويورّثه، مع أنه لا يحل له توريثه لكونه ليس منه، ولا يحل توارثه ومزاحمته لباقي الورثة، وقد يستخدمه استخدام العبيد، ويجعله عبداً يتملكه مع أنه لا يحل له ذلك؛ لكونه منه إذا وضعته لمدة محتملة كونه من كل واحد منهما، فيجب عليه الامتناع من وطئها؛ خوفاً من هذا المحظور، فالحديث يدل على أنه يحرم على الرجل أن يطأ الأمة المسبية إذا كانت حاملاً حتى تضع حملها. [٦]

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم وطء الحامل المسبية ، (٢/١٠٦٥، ح ١٤٤١) .

(٢) هذا معنى كلمة " المجح " النهاية ، (١ /٢٤٠) .

(٣) هذا معنى كلمة فسطاط كما ورد في : (النهاية ، ٣/٤٤٥) .

(٤) مسند أحمد ، (٤/١٠٨)، سنن أبي داود ،(٢/ ٢٤٨).

(٥) عند حدوث الحمل يتعرض جسم الأم الحامل إلى العديد من التغيرات الفسيولوجية الطبيعية، ومنها إقفال عنق الرحم بمواد لزجة لا يمكن اختراقها، فلا يمكن أن يحدث حمل على حمل ، ولا أن يتغذى الجنين بنطفة أخرى، وبالنسبة لفترة الحمل فقد تزيد على الفترة المعروفة علمياً (٤٢) أسبوع بكثير، ولكن ذلك يعد من النوادر التي تم تسجيلها طبياً. د. محمد عبد اللطيف الخطيب، استشاري طب أسرة ومجتمع.

(٦) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٠/ ١٥) ، نيل الأوطار، (٧/١٠٩)، فيض القدير، (٦/٢١١).

موضع الشاهد ودلالته:

أن رسول الله ﷺ أنكر على من أراد أن يطأ المسبية الحامل التي قربت ولادها [1]، بطرح سؤال إنكاري توبيخي يذكر فيه الدليل على خطأ هذا السلوك ، بقوله: كيف يورثه وهو لا يحل له ؟ [2]، وبهذا السؤال يذكّر المخطئ بالدليل الذي يثبت خطأ سلوكه .

ولعظم الذنب وخطورته على النسب والإرث وما إلى ذلك، هدد النبي ﷺ بعد السؤال الإنكاري الذي اتضح به سبب الإنكار، والدليل الأكيد على خطأ السلوك، باللعن والطرد من رحمة الله طرداً يلحق صاحبه طوال حياته وحتى مماته .

٢- عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْد [3] رضي الله عنه قَالَ : (رَأَى سَعْدٌ رضي الله عنه أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ ؟) .[4]

معنى الحديث :

أن سعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنه ظنَّ أن له فضلاً على من دونه من أصحاب رسول الله ﷺ بسبب شجاعته ونحو ذلك من جهة الغنى وكثرة المال، فأراد ﷺ حضّ سعد على التواضع ونفي الكبر والزهو على قلوب المؤمنين وترك احتقار المسلم، فأخبره أن الله إنما نصر هذه الأمة ورزقها بضعفتهم؛ بدعواتهم وصلاتهم، لأن عبادتهم ودعاءهم أشد إخلاصاً وأكثر خشوعاً لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الدنيا، وزينتها وصفاء ضمائرهم عما يقطعهم عن الله تعالى، جعلوا همهم واحداً فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم .[5]

---

(١) هذا معنى كلمة المجح ، كما ورد في (النهاية ، ١ / ٢٤٠) .

(٢) انظر ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (٤ / ٦٢١) .

(٣) مصعب بن سعد بن وقاص الزهري ، أبو زرارة المدني، في الطبقة الثانية من أهل المدينة، كان ثقة كثير الحديث ، مات سنة ١٠٣ هـ . (التهذيب ، ٨ / ١٩٠) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب ، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ، (١٠٦١/٣ ح ٢٧٣٩) .

(٥) انظر ، عمدة القاري ، (١٧٩/١٤) .

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : وهل تنصرون إلا بضعفائكم؟ سؤالاً إنكارياً يحمل معنى التوبيخ، فالرسول ﷺ بهذا السؤال الذي ينكر فيه على سعد اعتداده بنفسه على من هو دونه، يقـــرره بالـــدليل الذي يثبت عدم صحة سلوكه، حيث أن منـــزلة الضعفاء عالية عند الله، بل ولهم الفضل علينا؛ فالنصر والرزق الذي نتنعم به هو بفضل استجابة الله لدعائهم .

٣- عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ [١] قَالَ : (اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ [٢]، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ ؟ فَقَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَـادِقًا؟ ثُـمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ؟ وَاللَّهِ لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ؟) .[٣]

معنى الحديث :

في الحديث إنكار النبي ﷺ أخذ هذا المال باسم الهدية، وأن عقاب آخذها عقاب الغـــالّ، وإن ذلك كأنه خيانة لله تعالى وللمسلمين، إما لأنه يأخذه لنفسه منـــهم باســـم الهديـــة ليسامحهم في بقية ما يأخذ منهم، فهي خيانة للطائفتين، أو لأجل مجرد ولايته والتصنع إليه بما يهدى إليه، فهي خيانة لأمانة الله، وكله غلول، ثم بيَّن عقوبته بحمله ما أهدي إليه يوم

---

(١) أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني ،قيل: اسمه عبد الرحمن، وقيل: المنذر بن سعد بن المنـــذر، الصـــحابي المشهور ، وقيل: اسم جده مالك ، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث ، توفي في آخر خلافة معاوية . (الإصابة ، ٤ / ٤٦) (تهذيب التهذيب ، ٨٥/١٢).

(٢) اسمه عبد الله ، وكان من بني لتب حي من الأزد ، وقيل إن اللتبية كانت أمه فعرف بها ، (عمدة القـــاري ١٢٤/٢٤) ، (غوامض الأسماء المبهمة ، ٦٦٥/٢).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب احتيال العامل ليهدي له ، (٢٥٥٩/٦ ، ح ٦٥٧٨)، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، (١٤٦٣/٣، ح ١٨٣٢) .

القيامة إن كان الذي غلّه بعيرا له خوار أو شاة تصيح[١]، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ : أي قد بلغت، أو هو استفهام تقريري، والتكرير للتأكيد ليسمع من لا يسمع وليبلغ الشاهد الغائب .[٢]

موضع الشاهد ودلالته:

١- السؤال الإنكاري التوبيخي الخاص بصاحب السلوك الخاطئ: فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ؟ "فبيَّن له ﷺ به علة المنع من ذلك، والدليل الذي يثبت خطأ سلوكه هذا،" بأن تملكه ما أهدي له يستبد به دون أصحاب الحقوق التي عمل فيها، فبيّن له النبي ﷺ أن الحقوق التي عمل لأجلها هي السبب في الإهداء له، وأنه لو أقام في منزله لم يهد له شيء، فلا ينبغي له أن يستحلها بمجرد كونها وصلت إليه عن طريق الهدية فإن ذلك إنما يكون حيث يتمخض الحق له . "[٣]

وهذا الحديث يشهد لما ذكرته من أن الرسول ﷺ يستخدم الأسلوب الإنكاري الخاص للأمور التي يباشرها بنفسه، ولم تصل إليه عن طريق التبليغ، ثم يعمم الإنكار على الجميع إذا كانت من الأمور التي يُخشى الوقوع فيها ، وتحتاج إلى تحذير الناس منها.

٢- السؤال الإنكاري التوبيخي العام لجميع الناس : أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟ وعلى هذا فمن رأى متأولاً أخطأ في تأويل يضر من أخذ به، أن يُشهر القول للناس، ويبين خطأه ليحذر من الاغترار به.[٤].

الدلالات التربوية:

١- إن بيان عقوبة السلوك الخاطئ بعد طرح الأسئلة الإنكارية التوبيخية، يجعل الإنكار أوقع في النفس، وأدعى للامتثال والالتزام بالتعديل والتصحيح .

---

(١) هذا معنى كلمة تيعر، كما ورد في (النهاية ٢٩٦/٥) ، وقد صحفت هذه الكلمة فرويت " تنعر" بالنون والصواب بالياء . انظر ، تصحيفات المحدثين ، (٢٢١/١) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٧٩٦). ، عمدة القاري ،(١٥٦/١٣) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢١٩/١٢).

(٣) فتح الباري ، (٣ / ٦٥٢) .

(٤) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٧٦٢) .

٢- ابتعاد الرسول ﷺ عن أسلوب التهديد الشخصي للمخطئ، فلم يذكر العقوبة للرجل المخطئ بعد طرح السؤال الإنكاري عليه، حتى لا تكون العقوبة وكأنها منصبّة على شخصه، بل ذكر العقوبة بعد أن تحول من السؤال الإنكاري الخاص إلى السؤال الإنكاري العام، فتصبح العقوبة موجهه لكل من يصدر منه هذا السلوك .

٤- عن مَالِك ابْنُ بُحَيْنَةَ [١] ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلاً وَقَدْ أُقِيمَتْ الصَّلاةُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاثَ بِهِ النَّاسُ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : آلصُّبْحَ أَرْبَعًا ، آلصُّبْحَ أَرْبَعًا ؟) .[٢]

معنى الحديث:

مر النبي ﷺ برجل يصلي ركعتين، وقد نودي للصلاة بالألفاظ المخصوصة، فلما انصرف من الصلاة، أحاط به الناس واجتمعوا حوله [٣]، والضمير في "به" يرجع إلى النبي ﷺ ولكن في بعض الروايات تقتضي أنه يرجع إلى الرجل.

وفي رواية عن ابن عباس ﷺ قال: (أقيمت الصلاة فقمت أصلي الركعتين فجذبني رسول الله ﷺ فقال أتصلي الصبح أربعاً) [٤]، وفي رواية قال ﷺ (فأخذ بيدي النبي ﷺ وقال: أتصلي الصبح أربعا؟). [٥]، وفي رواية :(أن رسول الله ﷺ مر برجل يصلي، وقد أقيمت صلاة الصبح، فكلمه بشيء لا ندري ما هو، فلما انصرفنا أحطنا نقول: ماذا قال لك رسول الله ﷺ ،قال : قال لي: يوشك أن يصلي أحدكم الصبح أربعاً). [٦]

---

(١) مالك ابن بحينة ، هو مالك بن القشب الأزدى من الأزد، والد عبد الله بن مالك ابن بحينة، وأن أمه بحينة قرشية مطلبية من بني المطلب ابن عبد مناف، إلا أن منهم من يقول: إن بحينة أم ابنه؛ عبد الله بن مالك ابن بحينة له ولابنه صحبه ، وتوفى ابن بحينة فى آخر خلافة معاوية. الاستيعاب، (١٣٤٨/٣) ، (التهذيب ، ٨ / ١١) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ، (٢٣٥/١ ، ح ٦٣٢) ، صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن ، (٤٩٣/١، ح ٧١٠).

(٣) هذا معنى قوله :لاث به الناس ، (النهاية ، ٢٧٥/٤) .

(٤) المستدرك على الصحيحين، (٤٥١/١).

(٥) صحيح ابن حبان ، (٢٢١/٦).

(٦) صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن،(٤٩٣/١، ح ٧١٠).

ويمكن الجمع بينهما أنه كلمه أولاً سراً ولهذا احتاجوا أن يسألوه، ثم كلمه ثانياً جهراً فسمعوه، وفائدة التكرار تقرير الإنكار. (٢)

فالحديث يدل على النهي الصريح عن افتتاح نافلة بعد إقامة الصلاة سواء كانت راتبة كسنة الصبح والظهر والعصر أو غيرها، والحكمة في هذا النهي أن يتفرغ للفريضة من أولها فيشرع فيها عقب شروع الإمام، وإذا اشتغل بنافلة فاته الإحرام مع الإمام ،وفاته بعض مكملات الفريضة فالفريضة أولى بالمحافظة على إكمالها . (٣)

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ سأل الرجل الذي صلى ركعتين بعد قيام صلاة الجماعة لصلاة الصبح : الصبح أربعا؟ ،" قوله: آلصبح أربعا؟" بهمزة ممدودة في أوله ويجوز قصرها، هو استفهام للإنكار التوبيخي، وأعاده تأكيداً وتقريراً للإنكار، ومعناه :" كيف تصلي ركعتين بعد قيام الجماعة لصلاة الصبح ؟ فتكون كأنما صليت الصبح أربع ركعات " (٤).

فرسول الله ﷺ بسؤاله الإنكاري هذا، يقرره بالدليل الذي يؤكد له خطأ سلوكه في أداء ركعتين بعد قيام صلاة الجماعة .

وهذا الحديث مثل الحديث السابق : يا فلان ألا تحسن صلاتك ؟ في كون الرسول ﷺ حدد سؤاله، ووجهه لمن صدر منه السلوك الخاطئ، و لم يعمم بقوله : ما بال أقوام ..؟، بل كلمه سراً كما يتضح من الروايات، ثم لما تكرر منه المنكر كلمه جهراً، وهذ الحديث يشهد للاحتمال الذي ذكرت في حديث: ألا تحسن صلاتك؟ أن الرسول ﷺ يستخدم الأسلوب الإنكاري الخاص، ولكن حين يتكرر المنكر يلجأ إلى التعميم أو الخطاب الجهري.

---

(١) صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن،(٤٩٣/١، ح ٧١٠).

(٢) انظر، عمدة القاري ، (١٨٣/٥).

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (٢٢٢/٥) .

(٤) منار القاري ، (٢ / ١٣٢) .

٥- عن خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِت [١] ﷺ : (أَنَّ أُمَّ الْعَلاءِ [٢] امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ بَايَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُون [٣] فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟ فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ فَقَالَ: أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي، قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا) .[٤]

معنى الحديث :

اقتسم الأنصار المهاجرين بالقرعة في نزولهم عليهم وسكناهم في منازلهم، لأن المهاجرين لمّا دخلوا المدينة لم يكن معهم شيء من أموالهم فدخلوها فقراء، فوقع عثمان بن مظعون في القرعة في سهم الأنصار الذين أم العلاء منهم، فلما توفي عثمان قالت أم العلاء : شهادتي عليك يا أبا السائب لقد أكرمك الله ..ومثل هذا التركيب يستعمل عرفاً ويراد به معنى القسم،كأنها قالت: أقسم بالله لقد أكرمك الله، فأنكر رسول الله ﷺ قسمها ذلك وبيّن لها أنه يرجو له الخير بعد الموت، وأنه وهو رسول الله لا يدري ما يفعل به، لأنه لا يعلم من ذلك إلا ما يوحى إليه، وقوله ﷺ : "ما يفعل بي" يحتمل أن يكون قبل إعلامه بالغفران له، أو يكون المعنى ما يفعل بي في أمر الدنيا مما يصيبهم فيها، فإن قيل :عثمان

---

(١) خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرا ،وهو صهر أبي بكر الصديق ، تزوج أبو بكر ابنته ومات عنها وهي حامل ، ويقال إن النبي ﷺ آخى بينه وبين أبي بكر، وهو والد زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت ، وقتل يوم أحد ، قيل : أخذته الرماة يوم أحد فجرح بضعة عشر جرحاً فمر به صفوان بن أمية فعرفه فأجهز عليه ومثّل به . (الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢/٢٢٣) ، (الاستيعاب ، (٢/ ٤١٧) .

(٢) أم العلاء بنت الحارث بن ثابت بن خارجة بن ثعلبة الأنصارية ، يقال إنها زوجة زيد بن ثابت وأم ابنة خارجة ، بايعت رسول الله ﷺ ،وهي جارة عثمان بن مظعون. (الإصابة في تمييز الصحابة ، ٨/٢٦٣)، (التهذيب ، ١٠ / ٥٢٦) ، (تهذيب الكمال، ٣٥/٣٧٥).

(٣) عثمان بن مظعون ابن حبيب ابن وهب بن حذافة الجمحي ، هاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب ، ثم لما بلغه أن قريش أسلمت رجع ودخل في جوار الوليد بن المغيرة ، توفي بعد شهوده بدراً في السنة ٢هـ وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وأول من دفن بالبقيع . (الإصابة ، ٢ / ٤٦٤) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب القرعة في المشكلات ، (٢/٩٥٤ ، ح ٢٥٤١)

هذا أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة، وقد أخبر النبي ﷺ بأن أهل بدر غفر الله لهم، يجاب بأن ذلك قبل أن يخبر أن أهل بدر من أهل الجنة، فإن قيل: هذا أيضاً يعارض قوله ﷺ في حديث جابر ﷺ (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه) (١) يجاب عنه أن لا تعارض في ذلك لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، فأنكر على أم العلاء قطعها على عثمان إذ لم تعلم هي من أمره شيئاً، فما قاله النبي ﷺ إخبار من لا ينطق عن الهوى، وذلك كلام أم العلاء، وليسا سواء، فهذا الحديث دليل على أنه لا يجزم لأحد بالجنة إلا ما نص عليه الشارع كالعشرة المبشرة وأمثالهم، سيما والإخلاص أمر قلبي لا اطّلاع لنا عليه . (٢)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لأم العلاء بعد أن أقسمت بإكرام الله لعثمان ﷺ ؛ سؤالاً إنكارياً توبيخياً عن هذا العلم الذي حكمت به على هذا الرجل بالجنة: وما يدريك أن الله أكرمه ؟ أي من أين علمت أن الله أكرمه؟ وفي هذا دليل على خطئها في الحكم على قضايا غيبية لا علم للبشر بها .

---

(١) تقدم تخريجه في مبحث الأمن النفسي ، (٣١٣).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٢ / ٥١٣) ، عمدة القاري ، (١٦/٨) .

٣- السؤال عن صاحب السلوك الخاطئ :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ[١] وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْقُبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ، فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْ لَعَنَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ هَذَا اللاعِنُ بَعِيرَهُ ؟ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : انْزِلْ عَنْهُ فَلا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ ... الحديث) .[٢]

معنى الحديث :

النهي عن لعن الدواب، حيث حدث عندما سار الصحابة مع رسول الله ﷺ إلى غزوة بطن بواط [٣] ، وكان الصحابة يتعاقبون ركوب البعير واحداً بعد الآخر، أن تلكأ بعير أحدهم وتوقف، فزجره بقوله: شأ، وهي صيحة من صيحات الرعاة يطلقونها على مواشيهم، ثم لعنه، فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك وأمره بمفارقة بعيره،[٤] وإنما كان اللعن أمراً منهياً عنه لأنه من اختصاص الله ﷻ، فقد قال ﷺ: (لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله

---

(١) حين خرج حمزة ﷺ في سريته التي بعثه فيها ﷺ يعترض لعير قريش قد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل فبلغوا سيف البحر يعني ساحله من ناحية العيص، فالتقوا حتى اصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني ، وكان حليفا للفريقين جميعا إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة ، حتى حجز بينهم، فانصرف القوم عن بعض و لم يكن بينهم قتال . (السيرة النبوية ، ابن هشام ، (٢ / ٥٩٨) ، الطبقات الكبرى، (٦/٢). و لم أجد للمجدي ترجمة في كتب التراجم.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق ، باب حديث جابر الطويل ، (٢٣٠٤/٤، ح ٣٠٠٩) .

(٣) غزوة رسول الله ﷺ بواط في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، وكان لواء أبيض واستخلف على المدينة سعد بن معاذ وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحي، ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى وهي قريب من ذي خشب، مما يلي طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو أربعة برد فلم يلق رسول الله ﷺكيداً فرجع إلى المدينة، السيرة النبوية لابن هشام ، (٢/ ٥٩٨)، الطبقات الكبرى، (٨/٢) ، معجم البلدان ، (٥٠٣/١) .

(٤) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٣٨/١٨) .

ولا بالنار)[1]، فهذا زجر عن اللعن، ، لأنه ليس من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد، يحب المؤمن فيه لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة؛ وهي الإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى، فهو من نهاية المقاطعة والتدابر، وهذا غاية ما يودُّه المسلم للكافر، ويدعو عليه به، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: (لعن المؤمن كقتله) [2]، وإنما قال ﷺ :(لا ينبغي لصديق أن يكون لعَّاناً ولا يكون اللعَّانون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة) [3] بصيغة التكثير ولم يقل لاعِناً واللاعِنون، لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها، ولأنه يخرج منه أيضاً اللعن المباح الذي ورد الشرع به؛ وهو لعن الله للظالمين، ولليهود والنصارى، وللواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وغيرهم ممن ورد فيه القرآن ومما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة، فهو لعن للصفات وهذا لا شك في جوازه، أما لعن الأشخاص فلا يجوز. [4]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ عن صاحب السلوك الخاطئ، بقوله : أين اللاعن بعيره ؟ .

ويبدو لي أن مجرد السؤال عن صاحب السلوك الخاطئ ومناداته، أمرٌ كافٍ في إنكار السلوك نفسه، وتوبيخٌ لصاحبه، وتمهيدٌ للعقوبة التي تأتي بعده، فقد منع ﷺ اصطحاب جمله معهم، إن مثل هذا العقاب المباشر الذي قرنه ﷺ بالسلوك الخاطئ فور حدوثه، يعد معززاً سلبياً مرتبطاً بمثل ذلك السلوك، فيكون الإنكار أوقع في النفس، وأجدى في حصول الترك والإقلاع .

(١) المستدرك على الصحيحين، (١/ ١١١ ، ح ١٥٠).

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (٤/٣٣، ح ١٦٤٣٢).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (٤/٢٠٠٥، ح ٢٥٩٧).

(٤) انظر، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٦/١٤٨).

الدلالات التربوية :

١- سبق النبي ﷺ إلى أسلوب إيقاع العقوبة على ما وقع عليه الخطأ، فقد منع الأعرابي من اصطحاب البعير الذي لعنه، وهذا أبلغ في التأثير، وخاصة أن النوق من أنفس أموال الأعراب، ففقدانها وعدم اصطحابها يؤلم النفس ويشعر بعظم الذنب وخطورته، وهذا يدل على بعد الرسول ﷺ عن أسلوب التهديد والعقاب البدني.

٢- كثيراً ما تُطلق ألسنة المُربين بالدعاء السيئ على المُربَين في حالة الغضب منهم، وخاصة النساء في مجتمعنا تساهلن في صب وابل من الدعاء الذي تقشعر له الأبدان، وتأباه النفس لعدوها، فضلاً أن يوجَّه إلى فلذات الأكباد، وقرة العيون، أطفال اليوم، وشباب المستقبل، وأمل أمة تؤملهم قادة وأبطالاً يعيدوا لها أمجادها.

والأدهى والأمر أن هذا الدعاء يصب عليهم على أمور تافهة، وأخطاء بسيطة لا تتنافى مع مراحلهم العمرية.

أين نحن من رسول الله ﷺ الذي لم يرض أن يدعو على قوم كفروا بالله، وعذبوه وأخرجوه، لأنهم قومه يرجو لهم العافية والمغفرة، ويأمل أن يكونوا مكسباً للإسلام والمسلمين، فدعا لهم حين أدموا وجهه في غزوة أحد بقوله:" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون [١]" ، وأين نحن منه ﷺ حين استأذنه الشاب في ارتكاب كبيرة الزنا، فوضع يده على صدره يدعو له بالهداية.

يتهاون الكثير في هذا مع أنه أمر منهي عنه ومحرم، وقد يوافق وقت استجابة فيستجاب ويتحقق الدعاء دون وجه حق فيه، ناهيك عن الآثار الخطيرة والسلبية على نفسياتهم من الدعاء عليهم.

٢-عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: (سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لا أَفْعَلُ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث الغار ، (٣/١٢٨٢).

فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ) . (١)

معنى الحديث :

أنه ﷺ سمع صوت خصوم عند الباب، أحدهما يستعطف الآخر أن يضع عنه من دينه، ويحط منه ويرفق به، وهذا جائز وهو فعل معروف وسؤاله معروف، والثاني يحلف بالله ويبالغ في يمينه بأنه لن يحط من دينه .(٢)

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ عن صاحب هذا السلوك الخاطئ، بقوله : أين المتألي على الله أن لا يفعل المعروف ؟ أي أين الحالف المبالغ في اليمين أن لا يفعل المعروف؟ وهذه صفة لا تليق بالمؤمنين أن يتجنبوا فعل الصالحات بإصرار وإلحاح، فكان سؤال رسول الله ﷺ كافياً أبلغ من أي وعظ أو توجيه، حيث استوعب الرجل أنه ﷺ ينكر عليه فعله ذلك، فتراجع عنه وعدّله في الحال بقوله : وله أي ذلك أحب ؟ " أي فلخصمي أي شيء من الحط أو الرفق أحب." (٣)

الدلالات التربوية :

أن تدخل الإنسان في النزاع بين اثنين لا حرج فيه إذا لم يكن ذلك سراً بينهما، لأن هذين الرجلين قد أعلنا ذلك فقد علت أصواتهما وسمع رسول الله ﷺ نزاعهما، أما إذا كان ذلك الأمر بين اثنين على وجه السر والإخفاء، فلا يجوز أن يتدخل بينهما، لأن في ذلك إحراجاً لهما فإن إخفاءهما للشيء يدل على أنهما لا يحبان أن يطلع عليه أحد من الناس، وربما تأخذهما العزة بالإثم فلا يصطلحان، المهم أنه ينبغي على الإنسان أن يكون أداة خير، وأن يحرص على الإصلاح بين الناس (٤).

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب هل يشير الإمام بالصلح ، (٢ / ٩٦٣ ، ح ٢٥٥٨) ، صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب استحباب الوضع من الدين ، (٣/ ١١٩١ ، ح ١٥٥٨) .

(٢) انظر ، الإكمال شرح مسلم ، (٥ / ٢٢٣) .

(٣) عمدة القاري ، (٢٨٥/١٣) .

(٤) انظر ، رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (١/ ٦١٦) .

٣- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ قَرَأَ خَلْفِي بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا وَلَمْ أُرِدْ بِهَا إِلا الْخَيْرَ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ بَعْضَكُمْ خَالَجَنِيهَا). [١]

معنى الحديث :

الإنكار على الرجل الذي قرأ السورة في جهره، أو رفع صوته بحيث أسمع غيره، فكأنه نازع[٢] الرسول ﷺ في قراءتها، لا عن أصل القراءة، بل فيه أنهم كانوا يقرؤون بالسورة في الصلاة السرية . [٣]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ عن صاحب السلوك الخاطئ، بقوله: أيكم قرأ خلفي بسبح اسم ربك الأعلى؟ كان كافياً لأن يفهم الرجل أنه أتى بأمر خاطئ، فأبدى عذره في الحال، وأنه لم يرد بقراءته إلا خيراً .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة خلف إمامه ، (٢٩٨/١، ح ٣٩٨) .

(٢) هذا معنى كلمة خالجنيها ، كما ورد في (النهاية ، ٢ / ٥٩) .

(٣) انظر ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٠٩/٤) .

٤- السؤال عن السلوك الخاطئ نفسه :

وفيه خمسة أحاديث :

١- عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّه ﷺ قال: (خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَجِئْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ أَمْرِي، فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، وَعَلَيَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَاشْتَمَلْتُ بِهِ وَصَلَّيْتُ إِلَى جَانِبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: مَا السُّرَى يَا جَابِرُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي فَلَمَّا فَرَغْتُ، قَالَ: مَا هَذَا الاشْتِمَالُ الَّذِي رَأَيْتُ ؟ قُلْتُ: كَانَ ثَوْبٌ يَعْنِي ضَاقَ قَالَ فَإِنْ كَانَ وَاسِعًا، فَالْتَحِفْ بِهِ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ) .[١]

معنى الحديث :

أنه في غزوة بواط[٢] وهي من أوائل مغازيه ﷺ أرسل ﷺ جابراً هو وجبار بن صخر لتهيئة الماء في المنزل، فجاء جابر ﷺ لبعض حوائجه بالليل وصلّى إلى جانب الرسول ﷺ مشتملاً بثوبه الواحد، [٣]"فسأله النبي ﷺ عن سبب سيره بالليل، فلما أخبره بحاجته، أنكر عليه اشتماله أي التحافه بالثوب؛ وهو أن يدير الثوب على بدنه كله لا يخرج منه يده" [٤] .

موضع الشاهد ودلالته:

أن رسول الله ﷺ سأل جابراً ﷺ عن لبسه الثوب بهذه الطريقة الخاطئة، فقال: ما هذا الاشتمال؟ كأنه استفهام إنكار، وسبب الإنكار أن الثوب كان ضيقاً وأنه خالف بين طرفيه وتواقص؛ أي انحنى عليه حتى لا يسقط، فأعلمه ﷺ بأن محل ذلك فيما إذا كان الثوب واسعاً، وأما إذا كان ضيقاً فإنه يجزيه أن يتزر به؛ أي يستر به ما بين السرَّة إلى الركبة، لأن المقصود هو ستر العورة، وهو يحصل بالاتزار ولا يحتاج إلى الانحناء المغاير للاعتدال المأمور به . [٥]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إذا كان الثوب ضيقا ، (١٤٢/١، ح ٣٥٤) .

(٢) تقدم تعريفها في هذا المبحث، (٤٠٧) .

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (٦٨/٤) .

(٤) فتح الباري ، (١ / ٤٦٨).

(٥) انظر، عمدة القاري ، (٦٨/٤).

الدلالات التربوية:

١- أن من منهجه ﷺ مراعاة حال وواقع المخطئ، فلم ينبه ﷺ جابراً ﷺ على خطئه إلا بعد السؤال عن سيره وقدومه ليلاً، وحتى انتهى من حديثه وبيان حاجته.

٢- أن التوجيه وإنكار الخطأ ينبغي أن يكون بعيداً عن أنظار الناس، فلم ينكر النبي ﷺ على جابرا اشتماله بالثوب إلا بعد انصرافه من الصلاة.

٢- عَنْ أُمِّ قَيْسٍ[١] رضي الله عنها قَالَتْ: (دَخَلْتُ بِابْنٍ لِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَعْلَقْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْعُذْرَةِ فَقَال: عَلَى مَا تَدْغَرْنَ أَوْلادَكُنَّ بِهَذَا الْعلاق؟ عَلَيْكُنَّ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ؛ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ يُسْعَطُ مِنْ الْعُذْرَةِ، وَيُلَدُّ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ)[٢].

معنى الحديث:

أن أم قيس رضي الله عنها دخلت على النبي ﷺ بابن لها، خافت أن يكون به مرض العذرة، وهو وجع في الحلق يهيج من الدم، وقيل: هي قرحة تخرج في الخرم الذى بين الحلق والأنف، تعرض للصبيان غالباً، وعادة النساء في معالجة العذرة أن تأخذ المرأة خرقة، فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في أنف الصبى، وتطعن ذلك الموضع فينفجر منه دم أسود وربما أقرحته، وذلك الطعن يسمى دغراً وغدراً [٣]، فعالجت أم قيس وجعه بمثل هذا العمل فرفعت لهاته بأصبعها .[٤]

فنهى النبي ﷺ النساء عن ذلك، وأحالهن إلى التداوي بالعود الحار اليابس الهندي الطيب الرائحة، الذي يتبخر به وهو القسط ويقال الكست لغتان مشهورتان، وهو صنفان بحري

(١) أم قيس بنت محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير الأسدية ، أخت عكاشة ، أسلمت بمكة قديماً ، وبايعت وهاجرت إلى المدينة، يقال: إن اسمها أمية . الإصابة في تمييز الصحابة، (٨/٢٨٠)، (التهذيب ، ١٠ / ٥٢٨) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب العذرة ، (٥/٢١٦٠ ، ح ٥٣٨٥)، صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب التداوي بالعود الهندي ، (٤/١٧٣٤ ، ح ٢٢١٤) .

(٣) هذا معنى كلمة العذرة كما ورد في (النهاية ، ٣ / ١٩٣) .

(٤) هذا معنى كلمة العلاق كما ورد في (النهاية ، ٣ / ٢٨٨) .

وهندى، والبحرى: هو القسط الأبيض وهو أكثر من صنفين، وأجوده ما كان من بـــلاد المغرب وكان أبيض خفيفاً ، وبعده الذي من بلاد الهند وهو غليظ أسود خفيـــف مثـــل الغشاء، وبعده الذي من بلاد سوريا وهو ثقيل ورائحته ساطعة، وأجودها ما كان حديثاً أبيض ممتلئاً غير متـــآكل، (١) وفيه سبعة أشفية منها:

١- يسعط به من مرض الحلق المسمى بالعذرة.

٢- ويلد به من ذات الجنب :

"ويلدُّ": على صيغة المجهول وتشديد الدال المهملة، بالقسط من مرض ذات الجنب، يقال: لدا الرجل فهو ملدود، واللدود بفتح اللام ما يصب في أحد جانبي الفم.

"من ذات الجنب": هو ورم في الغشاء المستبطن للأضلاع، وقيل: قرحة تثقـــب الـــبطن، وقيل: هي الشوصة، والشوصة: أصلها أبخره تصعد من المعدة إلى الدماغ فإن اندفعت إلى الخياشيم أحدثت الزكام، أو إلى العين أحدثت الرمد، أو إلى الصدر أحدثت النـــزلة، أو إلى القلب أحدثت الشوصة، فهي ريح تنعقد في الضلوع يجد صاحبها كـــالوخز، تأخـــذ الإنسان في لحمه تجول مرة ههنا ومرة ههنا ومرة في الجنب ومرة في الظهر، وترفع القلب عن موضعه. (٢)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ للمرأة سؤالاً إنكارياً توبيخياً بقوله: علامه تدغرن أولادكن بهذا العلاق؟ أي لم تغمزين حلق الولد بأصبعك، فترفعين ذلك الموضع وتكبسينه ؟

وذلك لما فيه من تعذيب الصبي، ولعل ذلك يزيد في وجع اللهاة، ومقصود هذا الاستفهام الإنكار على النساء في فعل ذلك بأولادهن . (٣)

ثم يبين لهن ﷺ السلوك الصحيح في مثل هذه الحالة بقوله: " عليكن بهذا العود الهندي."

---

(١) انظر ، الديباج على مسلم، (٥/٢٢٤)، مشارق الأنوار، (١/٣١).

(٢) انظر ، فتح الباري ، (١/٣٥٦)، عمدة القاري ، (٢١/٢٤٦)، لسان العرب،(٧/٥٠).

(٣) هذا معنى كلمة تدغرن كما ورد في (النهاية ، ٢ / ١٢٣) .

٣- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ اللُّقَطَةِ فَقَالَ: اعْرِفْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَإِلا فَشَأْنَكَ بِهَا قَالَ: فَضَالَّةُ الْغَنَمِ قَالَ: هِيَ لَكَ أَوْ لأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ، قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ، قَالَ: مَا لَكَ وَلَهَا ؟ مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا).(١)

معنى الحديث :

أنه ﷺ أرشد حين سأله " سويد الجهني " عن ما يلتقط من الأشياء المفقودة إلى معرفة : العفاص وهو : الوعاء الذي تكون فيه النفقة من جلد أو خرقة، أو غير ذلك من العفص وهو الثني والعطف(٢)، والوكاء وهو: الخيط الذي تشد به الصرة والكيس وغيرهما (٣)، وهي علامات يستدل بها على صاحب الشيء الملتقط، إلا أنه ﷺ غضب حين سأله عن أخذ ضالة الإبل، فقال: معها سقاؤها: يعني بطنها تملؤه ماء، وحذاؤها : يعني خفها تمشي عليه، فلا يخاف عليها من العطش والجوع فترد الماء وتشرب لا يمنعها أحد ، لأن الله خلقه للناس وللبهائم وليس له مالك غير الله تعالى. (٤)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالاً إنكارياً توبيخياً لسؤال الرجل الخاطئ بقوله:" مالك ومالها ؟"

كلمة ما: استفهامية، ومعناه: ما تصنع بها ؟ أي لم تأخذها ولم تتناولها وهي مستقلة بأسباب تعيشها، وإنما كان غضبه؛ لاحتمال نهيه قبل ذلك عن التقاطها، وهذا أرجح من السبب الثاني الذي أضافه ابن حجر على هذا ، وهو أن غضبه كان استقصاراً لعلم السائل وسوء فهمه، إذلم يُراعِ المعنى المشار إليه ولم ينتبه له، فقاس الشيء على غير نظيره، لأن هذا كما يبدو لي بعيد عن منهج النبي ﷺ في مراعاته لقدرات المتربين وأحوال المخاطبين. (٥)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، (٤٦/١ ، ح ٢٢٤٣) ، صحيح مسلم، كتاب اللقطة ، (٣/ ١٣٤٦ ، ح١٧٢٢) .

(٢) النهاية ، (٢٦٣/٣) .

(٣) النهاية ، (٢٢١/٥) .

(٤) انظر ، عمدة القاري ، (٢١٧/١٢).

(٥) انظر ، فتح الباري ، (١ / ٢٩٨) ، عمدة القاري ، (٢/ ١٠٩) .

٤- عن أَبِي طَلْحَةَ ﷺ : (كُنَّا قُعُودًا بِالأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ: مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ، فَقُلْنَا: إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ، قَالَ: إِمَّا لا، فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ وَرَدُّ السَّلامِ وَحُسْنُ الْكَلامِ) . [١]

٥

معنى الحديث :

لقد كان الصحابة يجلسون في الساحات على أبواب الدور[٢] كما يفعل كثير من الناس اليوم يجلس في فناء بيته ويجتمع إلى جيرانه، يتحدثون فيما جرى بينهم وفي مصالحهم في دين أو دنيا، فأنكر عليهم ذلك، فلما بيَّنوا له حاجتهم لذلك، قال : إن كان لابد من الجلوس فأعطوا الطريق حقه . [٣]

وعلى هذا فإنه يكره الجلوس على الطرقات[٤] إلا لمن أدَّى حقها، يؤخذ ذلك من إنكاره ﷺ هذا السلوك .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ سؤالا إنكارياً توبيخياً لسلوكهم الخاطئ، بقوله : مالكم ولمجالس الصعدات ؟

" وقد أشار النبي ﷺ إلى علة النهى من التعرض للفتن والإثم بمرور النساء وغيره، ومن أذى الناس باحتقار من يمر أو غيبة أو غيرها، أو إهمال رد السلام في بعض الأوقات، أو إهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونحو ذلك من الأسباب التي لو خلا في بيته سلم منها، ويدخل في الأذى أن يضيق الطريق على المارين . " [٥]

٥- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام ، (١٧٠٣/٤ ، ح ٢١٦١)

(٢) هذا معنى الأفنية ، (لسان العرب ، مادة : فني ، ١٦٥/١٥) .

(٣) انظر ، رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (٢ / ١٧٢٢) .

(٤) هذا معنى الصُعُدات ، كما ورد في النهاية ، (٣ / ٢٩) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٤١/١٤)

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا).[١]

معنى الحديث :

أن امرأة شريفة من بني مخزوم سرقت في غزوة الفتح، وهي فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهي بنت أخي أبي سلمة بن عبد الأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، قتل أبوها كافراً يوم بدر قتله حمزة بن عبد المطلب ، ووهم من زعم أن له صحبة ، وأن المسروق القطيفة من بيت رسول الله ﷺ، وقيل: أنها سرقت حلياً، ويمكن الجمع بأن الحلي كان في القطيفة، وقيل كانت تستعير المتاع وتجحده، فأجلبت لقومها همّاً بسبب ما وقع منها خشية أن تُقطع يدها ؛ لعلمهم أن النبي ﷺ لا يرخص في الحدود [٢] ففزعوا إلى أسامة بن زيد أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ يستشفعونه ليكون وسيطاً لهم عنده، فغضب رسول الله ﷺ من الاجتراء على حدود الله، وخطب في الناس خطبة فيها تهديد ووعيد شديد على ترك القيام بالحدود ، وعلى ترك التسوية فيما بين الدنيء والشريف، والقوي والضعيف، ووجوب إقامة الحد على البعيد والقريب، والبغيض والحبيب، لا تنفع في ذرية شفاعة، ولا تحول دونه قرابة ولا جماعة، [٣] ثم أمر ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة رضي الله عنها: (كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ).[٤]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، (٦/٢٤٩١، ح ٦٤٠٦) ، صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ، (٣/ ١٣١٥ ، ح ١٦٨٨).

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٢٣/٢٧٧).

(٣) انظر ، فتح الباري ، (٣ / ٥٤٣) ، انظر ، المفهم ، (٢ / ٧٩) ، تحفة الأحوذي ، (٤/٥٨١).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف (٣ /١٣١٥ ، ح ١٦٨٨) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لأسامة ﵁ - حين جاءه يشفع في فاطمة بنت زيد التي سرقت؛ سؤالاً ينكر عليه سلوكه هذا ويبين خطأه فيه، بقوله: " أتشفع في حد من حدود الله ؟ بهمزة الاستفهام الإنكاري للتوبيخ، لأنه ﷺ سبق أن منع الشفاعة في الحد قبل ذلك، فهو إنكار على أسامة ﵁، يُفهم منه تحريم الشفاعة في الحدود إذا بلغت الإمام .

ولما كان الأمر خطيراً، وضرره لا يقتصر على صاحب هذا السلوك، لم يكتف ﷺ بعتاب أسامة ولومه على ذلك، بل ينتقل ﷺ من السؤال الإنكاري الخاص إلى الخطاب العام حيث يقوم خطيباً ﷺ في الجميع لينبههم إلى خطورة ذلك، ويلقنهم درساً في (علم الاجتماع)، وسنن هلاك الأمم .

الدلالات التربوية :

١- إن تأكيد المربيّ بعد إنكار السلوك الخاطئ على استعداده تنفيذ العقوبة حتى على أقرب الناس إليه يجعل عملية الإنكار أوقع في النفس وأكثر حسماً وجزماً وقطعاً، وأدعى لقبول العقوبة والرضى بها، فها نحن نرى كيف تابت المرأة بعد ذلك وحسنت توبتها .

٢- العدل في تقويم الأخطاء وتصحيحها، وعدم الانسياق وراء العواطف، فقد كان ﷺ إنساناً في منتهى الدفء العاطفي لكنه مع فكر نيِّر موضوعي لا تحرفه العواطف .

٣- قبول المخطئ بعد تنفيذ العقوبة عليه، فها هي المرأة المخزومية لم تنبذ من المجتمع بل وجدت زوجاً يقبلها أن تكون شريكةً لحياته، ثم كيف كانت عائشة ﵂ تهتم بأمرها وترفع حاجتها للنبي ﷺ، لقد كان المجتمع المسلم يُعين المخطئ على العودة إلى الخير، ويساعده على التوبة والاستقامة، ويمنح فرصة للمذنب لطي صفحة الماضي والبدء بالصلاح من جديد .. لقد كان يقوم بإعادة تأهيل المجرم التائب [١].

---

(١) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٥٤٢) .

٥- السؤال الوصفي للسلوك الخاطئ :

وفيه ثمانية أحاديث :

١- عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ : (ضَرَبَتْ امْرَأَةٌ ضَرَّتَهَا بِعَمُودِ فُسْطَاطٍ وَهِيَ حُبْلَى فَقَتَلَتْهَا، قَالَ: وَإِحْدَاهُمَا لِحْيَانِيَّةٌ، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِيَةَ الْمَقْتُولَةِ عَلَى عَصَبَةِ الْقَاتِلَةِ وَغُرَّةً لِمَا فِي بَطْنِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَصَبَةِ الْقَاتِلَةِ : أَنَغْرَمُ دِيَةَ مَنْ لا أَكَلَ وَلا شَرِبَ وَلا اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ[١]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الأَعْرَابِ؟ قَالَ: وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ الدِّيَةَ) .[٢]

معنى الحديث:

أن امرأتين- إحداهما من بني لحيان [٣]- ، زوجتان لحَمْل بن مالك بن النابغة، وجاء تسمية الضرتين بأنهما مليكة ، وأم عفيف بنت مسروح، فضربت أم عفيف مليكة بعمود خيمة فقتلتها وجنينها، وهذا محمول على حجر صغير وعمود صغير لا يقصد به القتل غالباً ، فيكون شبه عمد تجب فيه الدية على العاقلة ولا يجب فيه قصاص ولا دية على الجاني ، فلما حكم رسول الله ﷺ بدية المقتولة؛ عبد أو أمة[٤]، ودية عن جنينها على قوم القاتلة، اعترض كلاً من زوج المرأة وهو حمل، وأخيها وهو العلاء بن مسروح: كيف نعطي دية الجنين الذي لم يظهر منه شيء مما يلزم الأحياء من الصياح والأكل وغيرهما ؟ لما تقرر عندهما أن الذي يؤدى عنه هو الذي يخرج حياً، وأما السقط فلا يؤدى عنه، فأبطل الشرع ذلك وجعل فيه غرة . [٥]

---

(١) "فمثل ذلك يطل" روي في الصحيحين وغيرهما بوجهين، أحدهما: يطل بضم الياء المثناة وتشديد اللام، ومعناه يهدر ويلغي، ولا يضمن والثاني: بطل بفتح الباء الموحدة وتخفيف اللام على أنه فعل ماض من البطلان وهو بمعنى الملغى أيضاً، وأكثر نسخ بلادنا بالمثناة ونقل القاضي أن جمهور الرواة في صحيح مسلم ضبطوه بالموحدة، قال أهل اللغة يقال: طل دمه بضم الطاء ، وأطل أي أهدر ، وجوز بعضهم طل دمه بفتح الطاء في اللازم وأباها الأكثرون. شرح النووي على صحيح مسلم، (١١/١٧٨).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الديات ، باب دية الجنين ، (٣/١٣١٠، ح ١٦٨٢) .

(٣) أن أصل بني لحيان من بقايا جرهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم. (عمدة القاري، ١٧/١٦٨).

(٤) هذا معنى كلمة غرة ، كما ورد في (النهاية ، ٣/٣٥٣) .

(٥) انظر ، فتح الباري ، (١٠/٢١٨)، (٧/٤٠٧)، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١١/١٧٧) .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ الإنكاري التوبيخي: أسجع كسجع الأعراب ؟ وفي رواية : (أسجع كسجع الجاهلية)[١] إنما كرهه لمشاكلته كلام الكهان، سؤالاً يصف به سلوك قوم القاتلة وقولهم وصفاً مذموماً، أي أكلام ككلام أهل البوادي المقفّى؟ .

وإنما أنكره وذمه ﷺ لأنه " عارض به حكم الشرع ورام إبطاله، ولأنه تكلف في مخاطبته"، [٢] وليس كل سجع منهي عنه، فرسول الله ﷺ (كان يقول: لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده)[٣]، وقال: (يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)،[٤] فهو من السجع المحمود.

والفرق بينه وبين المذموم؛ أن المذموم: ما يأتي بتكلف واستكراه وبالتزام ما لا يلزم، والمحمود: ما جاء بانسجام واتفاق على مقتضى السجية، ولهذا قال في مثل الأول: أسجع مثل سجع الكهان؟ .

وكذا كان ﷺ يكره السجع في الدعاء؛ لأن الدعاء ينبغي أن يكون عن حرقة القلب لا عن تصنع، ووقع في كثير من الأدعية والمخاطبات ما وقع مسجوعاً، لقوله ﷺ :(أعوذ بك من قلب لا يخشع وعين لا تدمع) ،لكنه في غاية الانسجام المشعر بأنه وقع بغير قصد لذلك، ولا اعتماد إلى وقوعه موزوناً ، قاصداً فيه القافية. [٥]

---

(١) صحيح ابن حبان ،(٣٧١/١٣).

(٢) عون المعبود ، (٢٠٣/١٢) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق ، (١٥٠٩/٤ ،ح ٣٨٨٨) ، صحيح مسلم ، كتاب الذكر ، باب التعوذ من شر ما عمل ، (٢٠٨٩/٤ ، ح ٢٧٢٤) .

(٤) المستدرك على الصحيحين، (١٤/٣، ح ٤٢٨٣)، سنن الترمذي، صفة القيامة والزهد والورع، باب منه، إطعام الطعام، (٦٥٢/٤، ح ٢٤٨٥)، وقال: هذا حديث صحيح ، سنن ابن ماجه، كتب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، ، (٥/ ٤٥١ ، ح ٢٣٨٣٥)، مسند أحمد (١/، ٤٢٣، ح ١٣٣٤).

(٥) انظر، عمدة القاري، (١٨٧/١٧)، فيض القدير، (٢٣/٢) ، غريب الحديث لابن الجوزي ، (٤٦٣/١).

٢- عن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ ﷺ قَالَ :(أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ [١] فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النِّسَاءِ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ أَوْ أَفَاتِنٌ ؟ ثَلاثَ مِرَارٍ، فَلَوْلا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ) . [٢]

معنى الحديث :

كان معاذ بن جبل إذا صلّى مع النبي ﷺ صلاة العشاء، ذهب إلى قومه فصلّى بهم تلك الصلاة، فدخل يوماً من الأيام في الصلاة فشرع في سورة طويلة، فدخل المسجد رجل يقال اسمه حرام [٣] ، فصلّى مع القوم وهو يريد أن يسقي نخله، فلما رأى معاذاً طوَّل تجوَّز في صلاته، ولحق بنخله يسقيه، فلما قضى معاذ الصلاة قيل له ذلك ،فقال: إنه لمنافق، أيعجل عن الصلاة من أجل سقي نخلة! قال: فجاء حرام إلى النبي ﷺ ومعاذ عنده، فقال: يا نبي الله إني أردت أن أسقي نخلاً فدخلت المسجد لأصلي مع القوم فلما طوَّل تجوزت في صلاتي ولحقت بنخلي أسقيه، فزعم أني منافق، فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال: أفتان أنت؟ لا تطوِّل بهم، اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها ونحوهما [٤].

موضع الشاهد ودلالته:

١- أن رسول الله ﷺ يسأل معاذاً حين أطال في الصلاة على الناس، سؤالاً يصف به سلوكه، بقوله " أفتان أنت ؟ بهمزة الاستفهام على سبيل الإنكار التوبيخي.

---

(١) جنح الليل : أي أقبل بظلمته . عمدة القاري ، (٥/٢٤٣) .

(٢) صحيح البخاري ،كتاب صلاة الجماعة ، باب من شكا إمامه إذا طول ، (١/٢٤٩، ح ٦٧٣) ، مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في العشاء ، (١/٣٣٩ ، ح ٤٦٤)

(٣) الرجل الشاكي لمعاذ اختلف فيه فقيل: إنه حزم بن أبي بن كعب ، وقيل: حرام ، غوامض الأسماء المبهمة ،(١/٣١٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ، (٣/١٢٤ ،ح ١٢٢٦٩).

٢- تكرار السؤال التوبيخي لتأكيد معنى الإنكار، ومعناه :" أنت منفر عن الدين وصاد عنه، لأن التطويل سبب لخروجهم من الصلاة، وللتكره لصلاة الجماعة، ويحتمل أن يريد بقوله فتان أي معذب ؛ لأنه عذبهم بالتطويل ." [١]

" ففيه إنكار على من ارتكب ما ينهى عنه؛ وإن كان مكروهاً غير محرم، وفيه جواز الاكتفاء في التعزير بالكلام ." [٢]

الدلالات التربوية :

يبدو لي أن سؤال الرسول ﷺ الذي وصف به سلوك معاذ بأنه يريد الفتنة بين الناس، كان وصفاً معبراً لغاية الإنكار، كافياً في إدراك معاذ ﷺ وكل من يتولى أمر المسلمين أو يعولهم من ولاة ودعاة وأئمة ومربين؛ خطورة تكليفهم ما لا يطيقون، أو التشديد والتعسير عليهم، وأن ذلك سبب للنفور من الدين، وقد روي أنه قد:(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال : يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة) [٣]، وروي عن ابن مسعود أنه قال:(كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا).[٤]

إن إدراك المربي في جميع مستوياته أن الدين دين يسر ووسطية واعتدال، دين يراعي حاجات الأفراد وقدراتهم وطاقاتهم ، والعمل في ضوء هذا الإدراك أمر بالغ الأهمية .

فالدعوة والتربية في أحضان اللين والرفق تؤتي ثمارها كل حين ،"فلا تدع إلى الله دعوة منفر، فإذا رأيت إنساناً على خطأ: لا تقل له: أنت خالفت أنت عصيت أنت أخطأت، ادعه بهون ولين حتى يألفك، ويعرف ما تدعو إليه، وخذ حديث رسول الله ﷺ : (يسروا

---

(١) عمدة القاري ، (٥/ ٢٣٨) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، (٤ / ١٥٣).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة ، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود (٢٤٨/١، ح ٦٧٠)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ،(٣٤٠/١، ح٤٦٦).

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ، (٣٨/١، ٦٨) .

ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[١]رأس مالك، وعلى هذا الطريق مع عباد الله نجد الخير كله". [٢]

٢- يبدو لي أن وصف النبي ﷺ لسلوك معاذ بأنه فتنة ، منطبق على قوله وفعله، فعله: هو التطويل في الصلاة، وقوله للرجل: هذا منافق؟ إن الفتنة هي نتيجة حتمية للحكم على سرائر الناس، واتهامهم بالكفر أو النفاق، وما تئن منه مجتمعاتنا اليوم من مآسٍ دموية انتهكت فيها حرمة الأرواح المسلمة، ليس إلا بسبب الحملة التكفيرية التي شنَّها الجاهلون بدين الله لكل من يخالف منهجهم .

٣- الأهمية الكبرى والضرورة القصوى لمراعاة أحوال المتربين ، ومستوياتهم الاجتماعية، وتقدير ظروفهم وحاجاتهم، ومراحلهم العمرية في طريقة التعامل معهم، وانتقاء الأساليب النافعة لكل مرحلة عمرية ومستوى اجتماعي، وفيما يتم توجيهه لهم من علوم ومعارف .

٣- عن أَنَس ﷺ قال: (أُصِيبَ حَارِثَةُ[٣] يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلامٌ فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي؛ فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّة أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُ الأخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ : وَيْحَكِ أَوَهَبِلْتِ أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ ؟ هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ) . [٤]

معنى الحديث:

أصيب حارثة بن سُراقة الأنصاري، حيث خرج نظَّارا، أي" أنه كان في النظَّارة وهم القوم ينظرون إلى شيء، وكان حارثة ينظر إلى ماء بدر، فما خرج لقتال" [٥]،وهو غلام فرماه "حِبان بن العَرِقة أبو أسامة الجشمي" [٦]بسهم وهو يشرب من الحوض فقتله، فكان

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم ، (٣٨/١، ٦٩) .

(٢) رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (١ / ٩٢٤) .

(٣) حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري، وأمه الربيع بنت النضر، عمة أنس بن مالك، استشهد يوم بدر. الإصابة ، (٦١٤/١).

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدراً، (١٤٦٢/٤، ح ٣٧٦١) .

(٥) عمدة القاري ، (١٢٢/١٧).

(٦) غوامض الأسماء المبهمة، (٥٣٦/٢).

أول قتيل قتل من الأنصار ببدر، وأمه هي الرُبَيّع بنت النضر، تألمت على فقده ألماً شديداً، فشكت حزنها للرسول ﷺ، وسألته عن منزلة حارثة إن كان في الجنة فستصبر وتحتسب، وإن لم يكن في الجنة صنعت شيئاً من صنع أهل الحزن مشهوراً يشاهده كل أحد. (١)

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ حين سألته أم حارثة عن منزلة ابنها في الجنة، سألها سؤالاً يصف به تفكيرها هذا في كون ابنها في الجنة أولاً، بقوله:" ويحك، أو هبلت ؟ كلمة توبيخ ،ويحك: كلمة ترحم وشفقة، والهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار (٢)، ومفهومه: " أفقدت تمييزك وعقلك؛ مما أصابك من الثكل بابنك، حتى جهلت صفة الجنة وثكلت ذلك مع من ثكلته". (٣)

كما أنني ألمح في هذا السؤال تعزيز لجانب الأمن النفسي حيث يخفف عنها الحزن والألم بفقد ابنها، ويحقق لها الطمأنينة والرضا الكامل بمنزلة ابنها في جنة الفردوس وهو أوسط الجنة وأعلاها ومنه يتفجر أنهار الجنة .

وهكذا نجد أن السؤال الواحد منه ﷺ يحقق به أكثر من غرض .

٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : (رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ ، فَقَالَ : أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا ؟ قُلْتُ : أَغْسِلُهُمَا ، قَالَ : بَلْ أَحْرِقْهُمَا) . (٤)

معنى الحديث :

نهى النبي ﷺ الرجل أن يلبس الثوب المصبوغ بالعصفر، وهو صبغ منه ريفي ومنه بري وكلاهما نبت بأرض العرب (٥)، يشبه الزعفران، وأنكر على عبد الله ﷺ حين رأى عليه ثوبين معصفرين ، فدل على أنه يكره أو يحرم على الرجل أن يلبس مثل هذه الثياب

---

(١) انظر ، عمدة القاري ،(٩٤/١٧).

(٢) انظر ، عمدة القاري ، (٩٥/١٧) ، فتح الباري ، (٢ / ٢٢٧) .

(٣) مشارق الأنوار ،(٢٦٤/٢) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ، (٣/ ١٦٤٧، ح ٢٠٧٧).

(٥) انظر، لسان العرب،(٥٨١/٤)، مختار الصحاح،(١٨٣/١).

الصفراء التي تميل إلى الحمرة قليلا [١]، وفي رواية (أن النبي ﷺ أحدَّ إلى عبد الله بن عمرو النظر حين رآهما عليه، وقال: إن الحمرة من زينة الشيطان، وإن الشيطان يحب الحمرة) [٢]، وفى رواية علىﷺ :(نهاني النبي ﷺ عن القراءة وأنا راكع وعن لبس الذهب والمعصفر) [٣].

وقد استدل بهذا الحديث من قال بتحريم لبس الثوب المصبوغ بعصفر، وذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك إلى الإباحة، وقال جماعة من العلماء بالكراهة للتنزيه، وحملوا النهي على هذا، لما في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: (رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بالصفرة) [٤] ويمكن الجمع بأن الصفرة التي كان يصبغ بها رسول الله ﷺ غير صفرة العصفر المنهي عنها، والعصفر وإن كان يصبغ صبغاً أحمراً فلا معارضة بينه وبين ما ثبت في الصحيحين من أنه كان يلبس حلة حمراء، لأن النهي يتوجه إلى نوع خاص من الحمرة، وهي الحمرة الحاصلة عن صباغ العصفر [٥] .

" والحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط، وأما الأحمر البحت فمنهي عنه أشد النهي [٦]" فقد ثبت أنه ﷺ : (نهى عن المياثر [٧] الحمر) .[٨]

---

(١) انظر ، رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (٢ / ١٨٤٣) .

(٢) مصنف عبد الرزاق، (٧٧/١١). قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما يعقوب بن خالد بن نجيح البكري العبدي، و لم أعرفه، وفي الآخر بكر بن محمد يروي عن سعيد عن شعبة، وبقية رجالهما ثقات. مجمع الزوائد ، (١٣٠/٥).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ، (٣/ ١٦٤٧، ح ٢٠٧٨).

(٤) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، (٢١٩٩/٥ ، ح ٥٥١٣) .

(٥) انظر ، نيل الأوطار ، (٨٨/٢) .

(٦) سبل السلام ، (٨٧/٢).

(٧) المياثر: كانت من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير . عمدة القاري ، (٢٠٣/٢١).

(٨) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب النهي عن لبس القسي ، (٢١٩٦/٥ ، ح ٥٥٠٠).

والإحراق هنا تعزير، ولعل صبغهما كان لا يزول بالغسل كما ينبغي، ولعل هذه المرة التي أمره فيها بالإحراق كانت بعد تلك المرة التي أخبره فيها بأن ذلك غير واجب، وهذا وإن كان بعيداً من جهة أن صاحب القصة يبعد أن يقع منه اللبس للمعصفر مرة أخرى بعد أن سمع فيه ما سمع المرة الأولى، لكن احتمال النسيان كائن وكذا احتمال عروض شبهة توجب الظن بعدم التحريم ولا سيما وقد وقعت منه المعاتبة على الإحراق.(١)

موضع الشاهد ودلالته :

أنه ﷺ أنكر لبس عبد الله رضي الله عنه الثوب المعصفر، بسؤاله الذي يصف به هذا السلوك" أأمك أمرتك بهذا ؟" : وهو سؤال " يُشعر بأنه إنما كرهها لأنها من لباس النساء وزيّهن وأخلاقهن ، وأما الأمر بإحراقهما فقيل : هو عقوبة وتغليظ لزجره .

وهو نظير أمره لذلك الرجل الذي لعن الناقة بإرسالها، وأمر أصحاب بريرة ببيعها، وأنكر عليهم اشتراط الولاء، ونحو ذلك والله أعلم " (٢)

الدلالة التربوية :

أن رسول الله ﷺ لا يبدأ بفرض العقوبة على السلوك الخاطئ، إلا بعد التمهيد لذلك بالإنكار والتوبيخ، فالعقوبة دائماً تكون شديدة على النفس وغير مقبولة، والإنكار الذي يسبقها يخفف من شدة وطأتها على النفس .

فأين المربون من هذا الجانب ؟ فكم من معلم ومربٍ أصدر العقوبة فور وقوع عينه على الخطأ دون أي إنكار يسبقه .

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤] ، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنْ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلاَةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا

---

(١) انظر ، نيل الأوطار ، (٨٨/٢) .

(٢) انظر ،شرح النووي على صحيح مسلم ، (٥٥/١٤) ، المفهم ، (٥ / ٣٩٩) .

نُطيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ... الحديث) .(١)

معنى الحديث:

أنه لما أنزل الله على نبيه هذه الآية، كبر وشق عليهم ذلك، لأن ما في النفس من الحديث أمر لا ساحل له، فالشيطان يأتي الإنسان ويحدثه في نفسه بأشياء منكرة عظيمة، منها ما يتعلق بالأمور الدينية، ومنها ما يتعلق بالأمور الدنيوية، ومنها ما يتعلق بالنفس، ومنها ما يتعلق بالمال، أشياء كثيرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان، فإن كانت المحاسبة على ذلك هلك الناس، فجاء الصحابة فجثوا على ركبهم؛ فعلوا ذلك من شدة الأمر، وأخبروا رسول الله ﷺ أنهم لا يستطيعون السيطرة على خواطر النفس، فهذه شديدة عليهم فلا أحد يطيق أن يمنع نفسه عما تحدثه به من أمور، التي لو حوسب عليها لهلك .(٢)

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ لصحابته سؤالاً إنكارياً يصف به سلوكهم هذا بأنه كسلوك أهل الكتاب ، بقوله : " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم .. ؟ فاليهود والنصارى عصوا أنبيائهم فهل تريدون أن تكونوا مثلهم؟ وفي هذا إنكارٌ توبيخي لهم منه ﷺ، وأمرٌ لهم بالإيمان والسمع والطاعة لما أعلمهم الله من مؤاخذته لهم، فلما فعلوا ذلك ، وألقى الله الإيمان في قلوبهم، وذلّت بالاستسلام لذلك ألسنتهم ، رفع الله الحرج عنهم، ونسخ هذه الكلفة بالآية الأخرى : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] .(٣)

إن السؤال الإنكاري ببيان نتيجة السلوك الخاطئ أو عاقبته الوخيمة أو تمثيله بما يشبهه من مواقف وسلوكيات ينبذها المخاطب ولا يرضاها لنفسه أسلوب تربوي له أثر كبير في تعديل السلوك وتقويمه .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا مايطاق،(١/١١٥ ، ح ١٢٥) .

(٢) انظر، رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (١ / ٤٤٢) .

(٣) انظر ، الإكمال شرح مسلم ، (١ / ٤٢٠) .

٦- عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ فِيهِمْ ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُعْطِه وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَكَ عَنْ فُلان ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : أَوْ مُسْلِمًا ، قَالَ: فَسَكَتُّ قَلِيلاً ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَكَ عَنْ فُلان فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : أَوْ مُسْلِمًا، قَالَ فَسَكَتُّ قَلِيلاً ثُمَّ غَلَبَنِي مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه مَا لَكَ عَنْ فُلانٍ فَوَاللَّه إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا: فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : أَوْ مُسْلِمًا، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِيَدِه بَيْنَ عُنُقِي وَكَتِفِي، ثُمَّ قَالَ: أَقِتَالاً ؟ أَيْ سَعْدُ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِه) . (١)

معنى الحديث :

محصّل القصه: أن النبي ﷺ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفاً، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفة قلوبهم، وترك جعيلاً بن سراقة الضمري وهو من المهاجرين، مع أن الجميع سألوه، خاطبه سعد ﷺ في أمره ، لأنه كان يرى أن جعيلاً أحق منهم ، ولهذا راجع فيه أكثر من مرة، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين أحدهما: إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك وحرمان جعيل مع كونه أحب إليه ممن أعطى، لأنه لو ترك إعطاء المؤلّف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار، ثانيهما : إرشاده إلى التوقف عن الثناء بالأمر الباطن دون الثناء بالأمر الظاهر . (٢)

موضع الشاهد ودلالته:

بعد أن كرر سعد ﷺ السؤال على رسول الله ﷺ عن سبب عدم إعطائه ذلك الرجل، مع أنه مؤمن، سأله ﷺ سؤالاً يصف به سلوكه هذا ، بقوله : أقتالاً ؟ أي مدافعة ومكابرة، أي أتقاتل قتالاً ؟ أي أتعارضني فيما أقول مرة بعد مرة كأنك تقاتل ؟ وهذا يشعر أنه ﷺ كره منه إلحاحه عليه في المسألة، وإنما أعطى ﷺ الرجل ليتألفه فيستقر الإيمان في قلبه، وعلم أنه إن لم يعطه قال قولاً أو فعل فعلاً دخل به النار، فأعطاه شفقة عليه ومنع الآخر علما منه رسوخ الإيمان في صدره ووثوقا على صبره. " (٣)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه ، (١٣٣/١ ، ح ١٥٠) .

(٢) انظر ، فتح الباري ، (٨٠/١) .

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (٦٣/٩) ، الإكمال شرح صحيح مسلم ، (١ / ٤٦٣) .

الدلالة التربوية:

١- أن مما يجب على المربين الاهتمام به ؛ الدقة في استعمال المصطلحات ليستطيع المتربون التمييز بين الحقائق، ومما دلّنا على ذلك عناية المصطفى ﷺ في استعمال المصطلحات الشرعية المهمة " المؤمن"، " المسلم" لما لها من أثر في الحكم على الأشياء ، والتفريق بينهما .

٧- عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : (..فجَلَسْتُ عند رسول الله ﷺ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِه، فَوَاللَّه مَا رَأَيْتُ فيه شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَة ثَلاثَة فَقُلْتُ : ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي .... الحديث) .[١]

معنى الحديث :

أن عمر ﷺ حزن حين لم ير في بيت رسول الله ﷺ غير ثلاثة جلود لم تدبغ[٢]، فطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله بأن يعطي أمة محمد ﷺ مثل ما أعطى فارس والروم.

موضع الشاهد ودلالته:

أن رسول الله ﷺ أنكر على عمر سؤاله دعاء الله للتوسعة عليه ﷺ في خيرات الدنيا؛ كما وسع على ملوك فارس والروم، بسؤال يصف به سلوكه هذا أنه شك، والمشكوك فيه أنهم قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، أي : أأنت في شك في أن التوسع في الآخرة خير من التوسع في الدنيا ؟، ففهم عمر ﷺ من هذا السؤال إنكار الرسول ﷺ لطلبه هذا، فطلب الاستغفار عن جراءته على مثل هذا الكلام في حضرة رسول الله ﷺ وعن استعظامه التجملات الدنيوية، أو عن اعتقاده أن التجملات الدنيوية مرغوب فيها، أو عن إرادته ما فيه مشابهة الكفار في ملابسهم ومعايشهم .[٣]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها (٨٧٣/٢، ح ٢٣٣٥) ، صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، (١١١١/٢، ح ١٤٧٩) .

(٢) هذا المراد بكلمة " الأهبة " كما ورد في النهاية في غريب الأثر، (٨٣/١).

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (١٩/١٣) ، شرح النووي على صحيح مسلم ، (١٠ ، ٩٢) .

٨- عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ : (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ ؟) .[١]

معنى الحديث:

جاء أعرابي قيل يحتمل أن يكون الأقرع بن حابس[٢]، وقيل: عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري[٣]، وكلاهما من الأعراب الذين تتسم طباعهم بالغلظة والشدة، ومشاعرهم بالجفاف، وافتقادهم الرقة والحنو في التعامل؛ منتقداً ومستنكراً تقبيل الصحابة لصبيانهم .

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ للرجل سؤالاً إنكارياً توبيخياً، بقوله : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟" يستبعد فيه وينفي صحة سلوكه، أي ماذا أصنع إذا كان الله قد نزع من قلبك عاطفة الرحمة ؟ فهل أملك أن أعيدها لك، لا أملك لك شيئاً إذا نزع الله الرحمة من قلبك"[٤]، "ومعنى الكلام : نفي قدرته ﷺ عن الإتيان بما نزع الله من قلبه من الرحمة ، والرحمة في حقنا: هي رقة وحنو يجده الإنسان في نفسه عند مشاهدة مبتلى، أو ضعيف أو صغير ، يحمله على الإحسان إليه واللطف والرفق به، والسعي في كشف ما به " [٥].

يبدو لي أنه ﷺ بسؤاله هذا الذي يصف به ذلك السلوك من عدم تقبيل الصبيان بنزع الرحمة من القلب؛ كان وصفاً معبراً ينفي به صحته ويثبت خطورته وبشاعته .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الرحمة بالولد وتقبيله ،(٥/٢٢٣٥ ، ح ٥٦٥٢) .

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن مجاشع التميمي المجاشعي الدرامي، أحد المؤلفة قلوبهم ، قدم على رسول الله في أشراف بني تميم بعد فتح مكة، وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله فتح مكة وحنيناً والطائف، فلما قدم وفد بني تميم كانا معه، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا النبي من وراء حجرته أن اخرج إلينا يا محمد فآذى ذلك من صياحهم النبي ﷺ فخرج إليهم، فقالوا :يا محمد جئنا نفاخرك ونزل فيهم القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات:٤] ،والأقرع بن حابس هو القائل لرسول الله : "إن مدحي زين وذمي شين ". الاستيعاب ، (١٠٣/١).

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن عدي بن فزارة الفزاري ، أبو مالك ، يقال كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لأنه أصابته شجة فجحظت عيناه ، له صحبة وكان من المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ، أمر بقتله على الردة ، فبادر إلى الإسلام فعاش إلى خلافة عثمان ،وكان من الأعراب الجفاة. (الإصابة ، ٣ / ٥٥)، الاستيعاب،(١٢٤٩/٣).

(٤) رياض الصالحين ، شرح ابن عثيمين ، (١ / ٥٦٤) .

(٥) المفهم ، (٦ / ١٠٩) .

الدلالة التربوية :

يعلمنا الرسول ﷺ أن الرحمة ليست كلمات وعبارات، بل هي حب وعطـاء، وسـلوك ودود مع الناس، وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في مؤانسة الصبيان وملاعبتهم، وتقبيلهم والمسح على رؤوسهم .

إن تقبيل المربي أو المربية في المدرسة لبعض الأطفال قد يُفسر تفسيراً غير بريء.. لذا نحن لا ندعو الناس لأن يفعلوا أشياء قد تجلب عليهم الضرر، والحديث وارد في الأبناء والحفدة وليس على عمومه في كل صبي أو صبية من أبناء المسلمين.

٦- الاستفهام النافي والمستبعد لصحة السلوك :

وفيه ثلاثة أحاديث :

١- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ : (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ – وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ – فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ فَقَالَ : وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ: دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ؛ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ ... الحديث) .[١]

معنى الحديث :

حين كان ﷺ يقسم الغنائم في غزوة حنين إذ خرج صوت معارض خارج عـن حـدود الأدب مع رسول الله ﷺ ، وأخذ طابع الاحتجاج الأرعن المتطاول على النبي ﷺ .

(١) تقدم تخريجه ، وبيان معناه في مبحث التثبت من صدق الخبر، (٨٢).

موضع الشاهد ودلالته:

أنه ﷺ ينكر على الرجل الذي أمره ﷺ بالعدل في القسمة ويوبخه بسؤال يستبعد فيه وينفي صحة سلوكه هذا، بقوله: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ أي: خبت أيها التابع إذا كنت لا أعدل لكونك تابعاً ومقتدياً بمن لا يعدل ." [1]

وفي رواية أخرى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : (بَعَثَ عَلِيٌّ عليه السلام إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا فَقَسَّمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ؛ بَيْنَ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ الْمُجَاشِعِيِّ وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ [2] ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلاثَةَ الْعَامِرِيِّ [3] ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلابٍ، قَالَ : فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَالأَنْصَارُ، وَقَالَتْ: يُعْطِي صَنَادِيدَ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدَعُنَا، فَقَالَ ﷺ: إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ نَاتِئُ الْجَبِينِ،كَثُّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقٌ قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ ؟ أَيَأْمَنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلا تَأْمَنُونِي ؟ قَالَ: فَسَأَلَ رَجُلٌ قَتْلَهُ – أَحْسِبُهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ – قَالَ: فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ ﷺ: إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ) . [4]

معنى الحديث :

إن رسول الله ﷺ لا يخص نفسه ولا أقرباءه بشيء من العطايا، بل يدفعها لمصلحة الدعوة وتثبيت أركان الأمة، وذلك في علاج بعض النفوس التي لها سلطان في قومها، فأعطاها

---

(١) النووي شرح صحيح مسلم ، (٧ / ١٤١)

(٢) زيد بن حصن الطائي ثم الشيبي ، وزيد الخيل هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيء سنة تسع فأسلم، وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وكان يقال له زيد الخيل لكرائم الخيل التي كانت عنده ومات في حياة النبي ﷺ وكان شاعراً محسناً خطيباً شجاعاً كريماً ،كان عامل عمر بن الخطاب ﷺ على حدود الكوفة . (الإصابة ، ١ / ٥٦٥) .

(٣) علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص العامري ، من المؤلفة قلوبهم، وكان سيداً في قومه حليماً عاقلاً و لم يكن فيه ذلك الكرم ،ولاّه عمر بن الخطاب على هوازن ، فنزلها حتى مات ، وخرج إليه الحطيئة ، فوجده قد مات ، وأوصى له بجائزه فرثاه بقصيده . (الإصابة ، ٢ / ٥٠٤) .

(٤) صحيح البخاري،كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله ﷻ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾. [الحاقة:٦] ،(١٢١٩/٣ ، ح ٣١٦٦)، صحيح مسلم ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (٢ / ٧٤٠ ، ح ١٠٦٤).

حتى رضيت وأحبت وتركت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فخصّ النبي ﷺ في توزيع هذه الذهبية التي لم تنقّ هؤلاء الأربعة، وهنا تنطلق صورة بغيضة لرجل ضيق الأفق ، محروم من الفقه، تنعكس دمامة نفسه على وجهه وهيئته العامة، عينيه داخلتين في محاجرهما لاصقتين بقعر الحدقة ، بارز العظمين المشرفين على الخدين ، محلوق الرأس خلافاً للمعتاد فكانوا لا يحلقون رؤوسهم و يفرقون شعورهم ، يقال له ذو الخويصرة التميمي ، رجل يظن أنه يُعلِّم رسول الله ﷺ التقوى، فينكر النبي ﷺ سلوكه ها ثم يبين خطورته على الأمة كافة ، فقد بيَّن ﷺ أنه يخرج من نسله أناس سماهم:

- لا يتجاوز أثر قراءهم القرآن مخارج الحروف والأصوات ولا يتعدى إلى القلوب أو المعنى إن قراءهم لا يرفعها الله ولا يقبلها فكأنها لم تتجاوز حلوقهم .

- يمرقون من الدين. . يريد أن دخولهم في الدين وخروجهم منه و لم يتمسكوا منه بشيء؛ كالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه من شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد بشيء .[1]

موضع الشاهد ودلالته :

إنكاره على ذي الخويصرة بسؤالين :

١- من يطع الله إذا عصيته؟ أي مع عصمتي وثبوت نبوتي .

٢- أيأمنني الله ..؟ أي أيجعلني أميناً على وحيه وكلامه ،ولا تأمنوني ؟

وفي هذين السؤالين إنكارٌ توبيخيٌ يستبعد هما ﷺ وينفي صحة ماقاله، ويبين مجانبته للصواب.

الدلالات التربوية :

١- ضرورة توضيح خطورة السلوك المنكر بعد التنبيه عليه وإنكاره، فهاهو رسول الله ﷺ بعد إنكاره ينبه إلى خطورة ظهور هذا الاتجاه الفكري بين المسلمين ، ويبين سماته .

---

(١) انظر ، عمدة القاري ، (١٦/١٤٣)، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٧٠١).

٢- بُعد النبي ﷺ عن التهديد وفرض العقوبات حتى في حالة صدور ما يغضبه وينكره، فهاهو ﷺ يتمالك غضبه ويرفض اقتراح عمر ﷺ بقتل الرجل .

٣- يذكر ﷺ العقوبة الجماعية، ولا يوجهها بشكل شخصي، يؤخذ ذلك من قوله : لأقتلنهم قتل عاد؛ أراد بقتل عاد استئصالهم بالهلاك، فإن عاداً لم تقتل وإنما أهلكت بالريح واستؤصلت بالإهلاك . (١)

فصلوات ربي وسلامه عليه .. فقد صدق وهو الصادق وخرج من نسل هذا الرجل نسخ كثيرة يقرأون القرآن لكنه لا يتعدى أمواجاً صوتية تهتز بها حناجرهم، فقد خرجوا من الدين لأنهم أخذوا حروفه وتركوا لبّه ومقاصده (٢) .

وها نحن نكتوي بنارهم، وتئن مجتمعاتنا من مآسٍ دامية سببها فرط جهلهم وضلالهم، يدَّعون أنهم حملة راية الدين، وهم يحملون راية الإرهاب، وترويع الآمنين، وتقتيل الأبرياء من المسلمين، والعيث في أرض الله فساداً . قاتلهم الله وأهلكهم .

٢- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ، ثُمَّ يَدْخُلُهُ فَاسْتَأْذَنَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَضْرِبَ خِبَاءً فَأَذِنَتْ لَهَا، فَضَرَبَتْ خِبَاءً، فَلَمَّا رَأَتْهُ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ ضَرَبَتْ خِبَاءً آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ رَأَى الأَخْبِيَةَ فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ فَأُخْبِرَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلْبِرَّ تُرَوْنَ بِهِنَّ ؟ فَتَرَكَ الاعْتِكَافَ ذَلِكَ الشَّهْرَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّالٍ) . (٣)

معنى الحديث :

إنكار الرسول ﷺ على زوجاته ضرب الأخبية للاعتكاف معه؛ وهي بيوت الأعراب التي تكون من وبر أو صوف ولا تكون من شعر، وهي على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت، وكأنه ﷺ خشي أن يكون الحامل لهن على ذلك المباهاة والتنافس الناشئ عن الغيرة حرصاً على القرب منه خاصة ؛ فيخرج الاعتكاف عن موضوعه، أوأنه لمّا أذن لعائشة وحفصة أولاً كان ذلك خفيفاً بالنسبة إلى ما يفضي إليه الأمر من توارد بقية

---

(١) انظر ، عون المعبود ، (١٣/٧٧) .

(٢) انظر ، هدي السيرة النبوية ، حنان اللحام ، (٧٠١).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الاعتكاف ، باب اعتكاف النساء ، (٢/٧١٥ ، ح ١٩٢٨)

النسوة على ذلك فيضيق المسجد على المصلين، أو بالنسبة إلى أن اجتماع النسوة عنده يصيره كالجالس في بيته، وربما شغلنه عن التخلي لما قصد من العبادة فيفوت مقصود الاعتكاف .[1]

موضع الشاهد ودلالته:

سؤاله ﷺ : آلبر ترون بهن؟ الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار، كأنه تقرير وتوبيخ بلفظ الاستفهام أي ما أظنهن يردن البر أو ليس يردن البر ، والله أعلم .

والبر هو الطاعة والخير، إنما قال ﷺ هذا الكلام إنكاراً لفعلهن؛ لأنه خاف أن يكنَّ غير مخلصات في الاعتكاف، بل أردن القرب منه المباهاة به، أو لأن المسجد يجمع الناس فيحضره الأعراب والمنافقون .[2]

٣- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْوِصَالِ فَقَالَ لَهُ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأيكم مِثْلِي؟ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنْ الْوِصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوْا الْهِلالَ، فَقَالَ : لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ - كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ - حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا) .[3]

معنى الحديث :

أن النبي ﷺ "واصل بين الصومين من غير إفطار بالليل، وواصل الناس أيضاً تبعاً له ﷺ فشق الوصال على الناس لمشقة الجوع والعطش، فنهاهم ﷺ عن الوصال لما رأى مشقتهم"[4] ، فلما أبوا عن ترك الوصال حيث فهموا من النبي ﷺ أن نهيه للتنزيه لا للتحريم، واصل بهم يومين ثم رأوا الهلال، فجوّز رسول الله ﷺ لهم الوصال تأكيداً لزجرهم وبياناً للمفسدة المترتبة على الوصال، وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في سائر الوظائف، ثم قال : لو تأخر الهلال وهو الشهر، لزدتكم في الوصال إلى أن تعجزوا

---

(١) انظر ، فتح الباري ،(١ / ١٠٧٩) ، عمدة القاري ، (١١/ ١٤٧).

(٢) انظر ، التمهيد لابن عبد البر (١١/١٩٣) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصيام ، باب التنكيل لمن أكثر الوصال ، (٢/٦٩٤ ، ح ١٨٦٤) ، صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب النهي عن الوصال في الصوم ، (٢/٧٧٤ ، ح ١١٠٣) .

(٤) عمدة القاري ، (١٠ / ٣٠٠).

عنه، فتسألوا التخفيف عنه بالترك، كالتنكيل -من الإنكاء - حين امتنعوا عن الانتهاء عن الوصال .[1]

موضع الشاهد ودلالته :

سؤاله ﷺ : " وأيكم مثلي ؟ " : "وهو استفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد ، أي أيكم في مترلتي، أو على صفتي ،"[2] " وهو استفهام بمعنى النفي ، أي ليس الأمر كما تظنون، فإن الوصال لم يشرع لكم ، فلا تقيسوا أنفسكم علي، فأنتم لستم مثلي ولا تقدرون على ما أقدر عليه، فالله يخلق فيَّ من الشبع والري ما يغنيني عن الطعام والشراب، أو يشغلني بالتفكير في عظمته والتغذي بمعارفه، وقرة العين بمحبته، والاستغراق في مناجاته، والإقبال عليه عن الطعام والشراب، وبهذا السؤال يتبين أن الوصال من خواص النبي ﷺ ، فهو دال على التخصيص وأما غيره من الأمة فحرام عليه .[3]

وفي ختام هذه الأحاديث نخلص إلى الآتي :

١- إن إنكار الرسول ﷺ للسلوك الخاطئ وصاحبه مهما عظمت شناعته، في غاية الأدب فلم يحمل في أسئلته الإنكارية تعنيفاً أو تقريعاً شديداً، أو السؤال بصيغة لماذا ؟ بل كانت أسئلته تتراوح بين العتاب والتعليم ، والتوبيخ المعتدل .

٢- طرح سؤالين للإنكار، غالباً ما يكون الأول منهما توبيخاً لعدم اتخاذ الأسباب الوقائية من الوقوع في السلوك، أو استنكاراً وتعجباً من السلوك نفسه، والثاني تحضيضاً وحثاً على التصحيح والتعديل .

٣- اتباع السؤال الإنكاري بتوضيح خطورة السلوك الخاطئ، وبيان كيفية تصحيح الخطأ.

٤- ابتعاد الرسول ﷺ في إنكاره حتى في أكثر المواقف شناعة وخطورة عن أسلوب التهديد والتوعد بالعقاب، وفي حالة ضرورة ذكر العقاب يحوّل الخطاب من الفرد المخطئ إلى الجماعة، فلا يوجهه شخصياً للمخطئ.

---

(١) انظر ، منار القاري ، (٣ / ٣٤) .

(٢) إرشاد الساري ، (٤ / ٥٣٠) .

(٣) انظر ، عمدة القاري ، (٧٢/١١)، فتح الباري ،(١ / ١٠٥١) ، الإكمال شرح مسلم ، (٤ / ٣٩) .

٥- التنويع الغني في أسئلته ﷺ الإنكارية بين إنكار السلوك نفسه، أو وصف السلوك بوصف مشين، أو السؤال عن صاحب ذلك السلوك الخاطئ، أو الاستفهام النافي والمستبعد لصحة السلوك، أو السؤال الحاثّ على تعديل السلوك، كلها أساليب بليغة كان لها أكبر الأثر في إدراك المخطئ لخطئه ورجوعه عنه .

٧- الانتقال بالإنكار من حيّز السؤال الإنكاري للفرد المخطيء إلى السؤال الإنكاري للجماعة من باب النصح والتبصير والتحذير من ذلك الخطأ، إذا كان الأمر من الأهمية بمكان .

٨- ندرة تكرار السؤال الإنكاري ، فلم يكرره ﷺ إلا في حديثين .

٩- إن أكثر أسئلته الإنكارية منصبّة على انتقاد وإنكار وتوبيخ السلوك الخاطئ نفسه، لا نفس المخطئ، وهذا جانب تربوي في غاية الأهمية، ويجب أخذه بعين الاعتبار، فعلى المربي أن يصل إلى نفس المتربي برسالة : أنا أحبك ، ولكن أكره ذلك السلوك .

إن التركيز في الإنكار على رفض وانتقاد السلوك الخاطيء نفسه لا شخص المخطئ جانب تربوي في غاية الأهمية، لاحظنا تطبيق الرسول ﷺ له في تربيته، كما أن التربية الحديثة تنادي بأنه من المهم جداً أن يؤكد على المربي على أن التوبيخ أو الاستنكار يجب أن ينصرف إلى السلوك الخاطئ وليس شخصه، فهناك فارق بين العبارتين: "أنا أكرهك "أو " أنا أكره هذا السلوك فيك "، ونلاحظ ذلك في كلمات الأنبياء إلى أقوامهم قَالَ تعالى : ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء:١٦٨] فالكراهية موجهه للعمل الفاحش [١]،

ولذلك (لما جيء بشارب الخمر ونال العقوبة على ذنبه فقال بعض القوم: أخزاك الله فقال ﷺ : لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان) [٢]، ومن مثل هذا الموقف تعلم أصحاب الرسول ﷺ كيف يتصرفون في المواقف المشابهة ،ومن ذلك ما سلكه أبو الدرداء ﷺ : (لما مرَّ على رجل قد أصاب ذنباً ،فكان بعض القوم يسبه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا : بلى قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم ، قالوا: أفلا نبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي)[١].

---

(١) خمس خطوات لتعديل سلوك طفلك ، د. عادل رشاد غنيم ، (٢٩) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب الضرب بالجريد والنعال ، (٦/٢٤٨٨ ، ح ٦٣٩٣) .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي بذلت فيه قصارى جهدي، و لم أدخر فيه وسعاً، فإن كنت قد أصبت فلله الحمد والمنة على حسن التوفيق والسداد ، وإن كانت الأخرى فما إليها سعيت و لا لها قصدت، وهي من نفسي، وعمل الإنسان سمته النقصان، والكمال لله وحده ، وأستغفر الله من كل تقصير .

فإنني أوجز أهم ما توصلت إليه من خلال هذا البحث من نتائج وتوصيات هامة :

١- أن السؤال قد احتل مركز الصدارة في العملية التعليمية ، فكان وسيلة أساسية لاكتساب العلم وإكسابه على مر العصور المختلفة .

٢- أن السؤال له مكانة كبيرة في المنهج النبوي التعليمي، فقد أكثر ﷺ من سؤال أصحابه عن أشياء من الدين بغرض تعليمهم، وتحريك فطنتهم، ليثبت أن السؤال من الدين، وأن براعم الأسئلة المتولدة في قلوب المتعلمين يجب ألا تقمع ، بل يجب استقبالها والبحث عن إجاباتها .

٣- أن النهي عن السؤال وذمه في المنهج القرآني والنبوي، إنما كان خاصاً بأمور التشريع فقط، وخاصاً بها في حياة الرسول ﷺ حين كان الشرع ينزل، والتكاليف تحدد، فالنهي جاء عن الإكثار من الأسئلة مقروناً بالاختلاف على الأنبياء، وماكان على سبيل التعنت والمشقة، فجاء النهي لإبقاء مساحة الإباحة أوسع من مساحة التكليف، وبهذا يرشد النبي ﷺ أمته إلى سلوك المنهج السديد في طرح الأسئلة ، وذلك بالسؤال عما ينفع، وترك السؤال عما لا ينفع ، أو ما قد يجلب الإساءة للسائل .

٤- أن في أسئلته ﷺ صورةً رائعة لمعالجة المشكلات، من تقويم الأخطاء ، وعرضٍ للبدائل الممكنة للتصحيح، وتركٍ للاستفصال في حالة الندم والتوبة.

٥- أن أغلب أسئلته ﷺ من صنف الأسئلة المفتوحة أو المفوّضة، الــتي تمــنح الفرصــة للمسئول بالتعبير عن نفسه وإبداء رأيه ودوافعه، وتفتح قناة اتصال بينه وبين السائل .

٦- أن منهجيته ﷺ في معالجة المشكلات والقضايا تعلمنا دروساً في عودة النفوس صافية راضية مسرورة، وبهذا يظهر لنا خطأ بعض المربين الذين يستبد بهم الغضب أو التجشم من صاحب السلوك الخاطئ لفترة ما بعد معالجة المشكلة ، أو حتى بعد معاقبته .

٧- أن من منهجه ﷺ طرح السؤال حول الأسباب والدوافع التي أدت للوقوع في الخطأ، عند معالجته للمشكلة، بصيغة: ما منعك؟ أو ما حملك على؟، ولم يســتخدم ﷺ الســؤال بصيغة: " لماذا ؟ " حيث يشعر المتعلم بثقة المعلم فيه، وأن صدور السلوك الخاطئ منه ليس عن تهاون واستهتار، بل لا بد أن هناك دافعاً قوياً حدا به لهذا السلوك، وهكذا يشعر المتعلم بنظرة المعلم الإيجابية نحو تصرفاته وسلوكياته على عكس السؤال بصيغة: لماذا ؟ أحسب أنه يحمل الكثير من التوبيخ، ولا يُشعر المسئول باستعداد السائل للاستماع، وقد توصــلت إلى هذه النتيجة الدراسات التربوية الحديثة مؤخراً .

٨- أن من منهجه ﷺ طرح السؤال المثير للحماسة ، والرافع للهمة ، والحــرص علــى العمل " ألا أدلكم؟ " " ألا أخبركم ؟" قبل أن يذكر للصحابة الأمر الجليل، والهدف السامي الذي يريد منهم السعي إليه، فإذا كان الجواب " بلى " الدالة علــى التلــهف والحمــاس للسماع، جاءت الإجابة مركزة ، موجزة، مشرقة تبهج القلوب والأسماع ، فالرســول ﷺ بهذا السؤال القصير، يحصر الفكر والحواس نحو ما سيأتي بعده ، فيكتسب فكــر المســتمع مشكلة تجعله متحمساً للمعرفة، وتكتسب المعلومة قوة الــبروز والظهــور، واســتعدادها للاستقرار في الذهن، ويخلق عند المتعلمين التسابق والتنافس للسعي والعمل والالتزام بها .

٩- أن أسئلته ﷺ تشجع عمليات التفكير، وليس سرد المعلومات؛ فقد ظهر بعد البحث أن أكثر أسئلته ﷺ كانت في المجال الفكري والذهني ، من إثارة ، وإقناع ، وتنمية قدرات عقلية متنوعة .

١٠- لقد استخدم ﷺ الاستراتيجية الفعّالة في توجيه الأسئلة التي تؤدي إلى انتقال الطلاب إلى مستويات أعلى من مجرد تذكر الحقائق، حيث إن الهدف الأساسي للسؤال هو استثارة تفكير التلاميذ ، والمقياس الحقيقي لفاعلية السؤال هو ما يثيره من استجابات وهذه الاستراتيجية هي :
أسئلة أقل، وفترات صمت وانتظار أطول؛ تجعل الإجابات أكثر طولاً وعمقاً، واكتمالاً؛ تتيح لهم وقتاً لمزيد من التفكير، وتساعد المعلم على تقويم أداء تلاميذه، وتزيد من تحمس اشتراك التلاميذ في المناقشات.

١١- من أساليب الإثارة التي استخدمها ﷺ أثناء طرح السؤال ، طرح السؤال وتأجيل الإجابة عليه ، مع تحديد وقت معيّن للإدلاء بالإجابة ، ليس هو بالوقت القصير بحيث لا يستكمل ذهن المسئول فترة الانشغال في التفكير به ، ولا الطويل بحيث تفقد الإثارة معناها ، بل قبل التفرق بين العالم والمتعلم .

١٢- أن من منهجه ﷺ طرح الأسئلة التي يختبر بها أذهان الصحابة، وتسمح لهم فيها بالتفكير التباعدي حيث إن " أفضل الأسئلة هي ما يسمح بالتفكير التباعدي ، وهو التفكير الذي يؤدي إلى أفكار متشعبة ، وليس كلمات محددة وضيقة ، وعادة ماتبدأ الأسئلة التي تسمح بالتفكير التباعدي، بلماذا ؟ وكيف ؟ أما الأسئلة التي تبدأ بمتى ؟ وأين ؟ تؤدي إلى التفكير التقاربي الذي يفرز ضيق التفكير والمعلومات، أو

الاستجابات المحددة والضيقة "[1] والذي ظهر لي من خلال البحث، أن أكثر أسئلته ﷺ من هذا النوع المرتبط بأسلوب التفكير التباعدي؛ وهي تلك الأسئلة التي تتطلب الإجابة عنـها استخدام قدرات تفكير متعددة؛ كالتفسير ، والتطبيق ، والتحليل ، والتركيب ، والتقويم ، والاستقراء، والاستنباط، والاستدلال، والابتكار، وغيرها ، ويمكن أن يكون للسؤال الواحد عدة إجابات صحيحة، أما الأسئلة المرتبطة بأسلوب التفكير التقاربي؛ وهي الأسـئلة الـتي تتطلب استدعاء المعلومات التي سبق للتلميذ تعلمها واختزالها في ذاكرته؛ وهي لا تتطلـب استخدام التلميذ لقدرات التفكير العليا عند الإجابة عنها فقد تبين لي ندرة اسـتخدامه ﷺ بالسؤال بها ، فلم يستخدم صيغة السؤال: " بأين ؟ ومتى ؟ " .

١٣- عرضه ﷺ لنتيجة الإجابة الخاطئة أو الناقصة حتى يتبين المسئول وجه خطئه ، قبـل تقديم الإجابة الصحيحة، وأعتقد أن هذا الأسلوب من الأساليب المهمة التي ينبغي الالتـزام باستخدامها على صعيد التربية والتعليم ، وفي جميع المستويات .

١٤- أن منهج النبي ﷺ في طرح الأسئلة على صحابته، عدم إرهاق أذهـانهم بصـعاب المسائل وشدادها؛ فلا يبدد الطاقة العقلية بالسؤال عن أمور لا يسـتطيع العقـل إدراكهـا وفهمها، بل يختار ﷺ المسائل الميسرة، القريبة من أذهانهم؛ بقربها مـن واقعهـم وبيئتـهم، ويراعي بأسئلته مجريات الأحداث والمشاهد التي تشجعهم على التفكير والتأمل، وتُسـعدهم حين الوصول إلى النتيجة، فليس المقصود هو التعجيز والمشقة فإن هـذا مـدعاة للسـآمة والنفور.

١٥- أن مما تميزت به الأسئلة النبوية أنه ﷺ قد يُعدِّل بها ما يقتضيه سؤال السائل، تنبيهـاً على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، وهو المسمى بأسلوب الحكيم.

---

[1] انظر ، مهارات التدريس ، د. إمام حميده ، وآخرون ، (٢١٣) .

١٦- أن في أسئلته ﷺ براعة مدهشة، حيث يتلاحم فيه الفكر النيّر الموضوعي، مع الدفء العاطفي الجياش، فجميع أسئلته ﷺ سواء ما كان منها لعلاج مشكلة، أو تنمية فكرية، أو إنكار خطأ؛ كلها تحمل بين جوانبها الاحترام لمشاعر الصحابة رضي الله عنهم، ومراعاة نفسيا تهم، وحفظ حقوقهم الشخصية، وإبراز حسناتهم، لقد كان ﷺ يعرف كيف يملك القلوب، لأنه يعرف كيف يحب، وكيف يعبر عن حبه للآخرين، يهتم لهمومهم ، ويتودد إليهم بالكلمة الطيبة .

١٧- أن من بين الجوانب النفسية المهمة التي يهدف إليها ﷺ في أسئلته تسليط الضوء على النواحي الإيجابية، ليبعث في النفس السعادة والارتياح و الرضى الذاتي، فيعيش الفرد في أمن نفسي، فالنظرة الإيجابية للأمور، وتجنب النظرة السلبية هو ما تنادي به التربية الحديثة الآن، وأنها سبب في السعادة والاستقرار النفسي .

١٨- تكرار السؤال بألفاظه كان نادراً جدا في أسئلته ﷺ ، فلم يرد ذلك إلا في حديث " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ " ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة ؟ وذلك ليمنح فرصة التفكير لدى المتعلم ، ولا يحدث عنده أي نوع من الارتباك الذهني ، بينما يُتبع السؤال بسؤال آخر حول نفس القضية فيحقق بكل سؤال هدفاً ، ويصل به إلى نتيجة .

١٩- أن سؤال الرسول ﷺ يحمل فكرة واحدة، فلا يجمع بين فكرتين في سؤال واحد، فأسئلته قصيرة غير مركبة، فاستقبال الإجابة على الشق الأول من السؤال قبل طرح الشق الثاني منه؛ يجدد عملية الإثارة والانتباه، واستقرار المعلومة الأولى وعدم تزاحمها مع الأخرى في الذهن .

٢٠- أن الرسول ﷺ قد نوّع في استخدامه للّفظ بعد أداة الاستفهام التنبيهية بين " أدلكم " وبين " أخبركم أو أنبئكم "فاستخدم ﷺ لفظ الدلالة للأمر الذي يتضمن عمل ، ولفظ الإخبار للأمر الذي مضمونه خبر في الغالب .

٢١- أن لفظ سؤال الرسول ﷺ يرد في أكثر من رواية بأدوات استفهامية مختلفة، و لم أجد تفسيرا لاستخدامه ﷺ أداة استفهامية دون أخرى .

٢٢- تميز السؤال في ضوء المنهج النبوي بالعديد من المزايا والخصائص التربوية؛ أولها : الشمول والتنوع، والتوجيه إلى القضايا والموضوعات الهامة ، كما تميز باهتمامه بالجانب الإيماني الذي هو من أهم جوانب الشخصية الإنسانية ، وتوجيه المتعلم إلى أحسن الطرق وأصدقها في تحصيل العلوم واكتساب المعارف ، والتعامل الفذ مع السائلين على اختلاف معتقداتهم ودوافعهم وأغراضهم .

٢٣- يظهر لي أن استخدام الرسول ﷺ السؤال في حديثه ، وتنويعه بطرحه في بداية الحديث وأثنائه أو ختمه به كان من عوامل قوة حفظ الصحابة ومن بعدهم للحديث ينضم للعوامل الأخرى ليدعمها ويؤازرها في تحقيق تحمل الصحابة ومن بعدهم للحديث النبوي تحملاً حافظاً أميناً كفيلاً بأن يؤدوه بعد ذلك كما سمعوه من رسول الله ﷺ ، لأن:

- انقطاع سرد الحديث بالسؤال يمكّنه في الذهن ويجعله أكثر رسوخاً .

- ولفت الانتباه بطرح السؤال يستقطب الاهتمام و تعظم العناية بالمسألة، فإذا عرف حلها ثبتت في الحافظة فلا تنسى .

٢٤- استخدم الرسول ﷺ صيغة المحبة أو الرغبة أو الإرادة ، أيحب أحدكم ..؟ أتريدين ..؟ دون الخوف أو الخشية أو الرهبة في طرح السؤال التمثيلي للتنفير من الأمر، حيث لم ترد هذه الصيغة إلا في حديثٍ واحد من هذه الأحاديث ، أما يخشى أحدكم ..؟ إن في هذا دليل على أن منهج الرسول ﷺ هو استخدام الأسلوب الودّي والابتعاد عن الأسلوب التهديدي التخويفي في التعليم .

٢٥- يبدو لي أن طرح السؤال التنفيري أو الترغيبي بلفظ خاص: أيكم يحب ؟ بدلا من أتحبون؟ من منهجيته ﷺ، فكل فرد سيخاطب به نفسه لأنه موجهٌ له شخصياً ، وليس على سبيل العموم، فيوجد تحفيز أقوى في النفس، وتُترجم الإجابة إلى عمل وسلوك ، بينما يُطلق وصف المسئول عنه بلفظ عام : ألا أخبركم بأحب الكلام ..؟ لأن النفس تتطلع للأفضل والأكمل .

٢٦- أن السؤال ليس هو المثير الوحيد أو المهم بل هو جزء من عملية أهم وأشمل ، محصلتها : كيف نثير اهتمام المتلقي حتى يُحسن الفهم ويُحسن تحمل العلم، فالرسول ﷺ استعمل قبل السؤال تهيئة اتخذت عدة نماذج للتحفيز :
التبسم، اعتلاء المنبر مع الضحك ، الأمر بلزوم الأماكن ، الصمت ، تكرار النداء ، المدح والإطراء ، فيأتي السؤال ليكمل عناصر عملية الإثارة .

٢٧- بالرغم من أن استخدام الرسول ﷺ طرح الأسئلة على الجماعة أكثر من استخدامه على الأفراد لتعم الفائدة، إلا أنني أراه منهجاً قوياً عنده ﷺ فقد تكرر كثيراً ، وأظن أن في اتِّباع المعلمين والمربين لهدي النبي ﷺ في هذه المنهجية خير كثير يثري العملية التعليمية والتربوية .

٢٨- أن إنكار الرسول ﷺ للسلوك الخاطئ وصاحبه مهما عظمت شناعته، في غاية الأدب فلم يحمل في أسئلته الإنكارية تعنيفاً أو تقريعاً شديداً بل كانت أسئلته تتراوح بين العتاب والتعليم ، والتوبيخ المعتدل .

٢٩- طرحه ﷺ سؤالين للإنكار، غالباً ما يكون الأول منهما توبيخاً لعدم اتخاذ الأسباب الوقائية من الوقوع في السلوك، أو استنكاراً وتعجباً من السلوك نفسه، والثاني تحضيضاً وحثاً على التصحيح والتعديل .

٣٠- اتباعه ﷺ السؤال الإنكاري بتوضيح لخطورة السلوك الخـاطئ، وبيـان لكيفيـة تصحيح الخطأ .

٣١- ابتعاد الرسول ﷺ في إنكاره حتى في أكثر المواقف شناعة وخطورة عـن أسـلوب التهديد والتوعد بالعقاب، وفي حالة ضرورة ذكر العقاب يحوّل الخطاب من الفرد المخطـئ إلى الجماعة، فلا يوجهه شخصياً للمخطئ.

٣٢- التنويع الغني في أسئلته ﷺ الإنكارية بين إنكار السلوك نفسه، أو وصف السـلوك بوصف مشين ، أو السؤال عن صاحب ذلك السلوك الخاطئ، أو الاستفهام النافي والمستبعد لصحة السلوك ، أو السؤال الحاثّ على تعديل السلوك ، كلها أساليب بليغة كان لها أكـبر الأثر في إدراك المخطئ لخطئه ورجوعه عنه .

٣٣- أن أكثر أسئلته ﷺ الإنكارية منصبّة على انتقاد وإنكار وتوبيخ السـلوك الخـاطئ نفسه، لا نفس المخطئ، وهذا جانب تربوي في غاية الأهمية، ويجب أخذه بعين الاعتبـار، فعلى المربي أن يصل إلى نفس المتربي برسالة : أنا أحبك ، ولكن أكره ذلك السلوك .

٣٤- انتقاله ﷺ بالإنكار من حيّز السؤال الإنكاري للفرد المخطئ إلى السؤال الإنكـاري للجماعة من باب النصح والتبصير والتحذير من ذلك الخطأ، إذا كان الأمر مـن الأهميـة بمكان.

٣٥- أن كل حديث ورد منه ﷺ فيه السؤال الإنكاري بـصيغة التعـريض" مـا بـال أقوام..؟ كان عن أمور رويت له، وبلغ بها، ولم يباشرها بنفسه أو بأحد حواسه ﷺ ، فمن حسن التربية في مثل هذه الحالة الأسلوب الذي استخدمه الرسول ﷺ وهو أسلوب التعميم والتعريض، وهذا فيه ستر للمبلِّغ والمبلَّغ عنه، فلا يحدث شقاق بينهما، أما الأمور المنكرة التي يباشرها ﷺ بنفسه فإنه ينكرها بأسلوب خاص، ثم ينكرها بأسلوب عام علـى الجميـع إذا

كانت من الأمور التي يخشى انتشارها بين الناس ووقوعهم فيه، فيكون للتعميم فائدة كبيرة، كما بدا لي.

٣٦- أن استخدام النبي ﷺ لأسلوب الإنكار الخاص لا يكون إلا بعد تكراره للتوجيه والإنكار العام فيما ظهر لي .

٣٧- أسبقية المنهج النبوي على النظريات التربوية المعاصرة لكل ما فيه خدمة واستثمار للعملية التعليمية والتربوية، لأنه ﷺ مؤيد من ربه في أفعاله وأقواله .

وفي ضوء هذه النتائج ، فإن توصياتي هي :

١- اتخاذ الطرق والأساليب الكفيلة بإعداد المعلمين والمعلمات على الصياغة الجيدة والسليمة للأسئلة، على ضوء منهج النبي ﷺ في استخدام الأسئلة بحيث تحمل هذه الأسئلة أهدافاً ، وتنشد نتائجاً من شأنها أن تسهم في تربية الشخصية المسلمة ، وتضيف شيئا مهما في البناء التربوي المعاصر .

٢- أن يدرك المعلمون أن فن توجيه الأسئلة يستوجب دراسة الغرض من أسئلتهم، فإذا كان الغرض منها معرفة ما يتذكره الطلاب، وجب عليهم تحسين مستوى أغراض الأسئلة، لتحقق غايات تربوية أفضل.

٣- إجراء المزيد من الدراسات التربوية والإسلامية فيما يتعلق بالسؤال في المنهج النبوي، واستقصائه من جميع الكتب الحديثية، للانتفاع بنتائج هذه الدراسات في إرساء المنهج التربوي الإسلامي داخل المؤسسات التعليمية والتربوية.

٤- الرجوع الدائم والمستمر إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وتدبر ما فيهما، واستنباط منهجنا التربوي والتعليمي منهما، والبحث من خلالهما عن علاج جميع

مشكلاتنا ، حتى تكون منطلقا للتأصيل في مجال العلوم التربوية ، وتصحيح مفاهيمها وأهدافها وفق منظور إسلامي ، فنحن بحاجة ماسة إلى فكر تربوي شمولي يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، ينطلق من مشكاة النبوة بفهم سلف الأمة ، وبخاصة في هذا العصر الذي سيطرت فيه النظم التربوية الوافدة في كثير من البلاد الإسلامية .

وأخيراً :

بعد هذا البحث نخلص إلى الحقيقة القاطعة الكبرى، ألا وهي أن النبي ﷺ هو المعلم الأول، وهو المربي الأعظم، وكل ما عداه ممن أُطلق عليه اسم المربي أو المعلم مهما عظم حاله، واشتهر شأنه إنما يأتي في قاع سفح الجبل الشامخ؛ الذي يقف رسول الله ﷺ في أعلى هاماته.

لقد كتبت في هذا الموضوع رغم قصوري، أتتبع فيه هذا الرصيد الثمين من أسئلته ﷺ ؛ والتي بهرني فيها التفكير والتخطيط، والمهارة في التعامل الودي والتأثير الإيجابي ،و في العلاج التربوي والنفسي للأخطاء .

إنه الإبحار في محيط لا نكاد نبصر نهاياته؛ فمعذرة منك يا رسول الله على الضحالة والقصور، فأنت أعظم من كل بحث يكتب فيك.

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
- حرف الألف -			
١- ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ.. ﴾ .	٤٢	مريم	٤
٢- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾.	٥٩	الواقعة	٧
٣- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	٦٤	الواقعة	٧
٤- ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ .	٢٤	محمد	٢٢٨
٥- ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ .	١٨	السجدة	٢٥٩
٦- ﴿ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ .	٥٩	يوسف	٥
٧- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً ﴾.	١٥	نوح	٤
٨- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.	٣٥	الطور	٧
٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ﴾ .	٧٧	آل عمران	١٢٣
١٠- ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .	١٣	لقمان	١٩٣
١١- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .	١٥٣	البقرة	٣١٣
١٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ .	١٢٨	النحل	٣١٣
١٣- ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾.	٢٨	التوبة	٣٢٧
١٤- ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ . .	١٦٨	الشعراء	٤٣٧
- حرف التاء-			
١٥- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	٢٥٣	البقرة	١١٥

			- حرف الذال -
١٩٣	الأنعام	٨٢	١٦- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ..﴾
١٥٨	الحجر	٩١	١٧- ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ .
			- حرف السين-
١٣٠	الفتح	٢٩	١٨- ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾.
			-حرف الفاء -
د	النحل	٤٣	١٩- ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .
٣٤٢	آل عمران	١٥٩	٢٠- ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾.
٥	طه	٨٦	٢١- ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ﴾ .
٢٣٥	السجدة	١٧	٢٢- ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾
١١٤	الأعراف	١٤٣	٢٣- ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾
١٠٨	غافر	٨٥	٢٤- ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾
٦	الأعراف	٦	٢٥- ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ..﴾
			- حرف القاف -
٤	الصافات	٩٥	٢٦- ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾
٥	الكهف	٦٦	٢٧- ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ﴾.
٥	يوسف	٨٩	٢٨- ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ .
٧	يس	٥٢	٢٩- ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا.. ﴾ .
٥	هود	٩٢	٣٠- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾.
٥	هود	٢٨	٣١- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ.. ﴾ .
٦	الأنعام	١٤	٣٢- ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ.. ﴾
٦	الأنعام	١٩	٣٣- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ.. ﴾
٦	الإسراء	٩٣	٣٤- ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَراً رَسُولاً﴾
٢٢٤	النساء	٧٧	٣٥- ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ .
١٢٨	البقرة	٩٧	٣٦- ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ﴾ .

٣٧-	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴾.	١٠٣	الكهف	١٣٩
٣٨-	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ ﴾.	٢٣	الملك	-١٣٦ ٢٤٣
	– حرف اللام –			
٣٩-	﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .	٤٠	التوبة	٣١٣
٤٠-	﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا﴾ .	٢٣٣	البقرة	٢٩٩
٤١-	﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا ﴾ .	٢٨٦	البقرة	٤٢٧
٤٢-	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ .	٢٨٤	البقرة	٤٢٦
٤٣-	﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .	١٦	غافر	١٤٧
	– حرف الهاء–			
٤٤-	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً﴾ .	٢	الجمعة	ب
	–حرف الواو –			
٤٥-	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ .	١٨٦	البقرة	٦
٤٦-	﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾.	٩	التكوير	٧
٤٧-	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي.. ﴾	٢٦٠	البقرة	١٨١
٤٨-	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي.. ﴾	٣٠	البقرة	٧
٤٩-	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ.. ﴾.	١١٦	المائدة	٨
٥٠-	﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ﴾.	١١٤	هود	٣٢١
٥١-	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾ .	١٠٣	آل عمران	٣٧٩
٥٢-	﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ.. ﴾ .	٢١	الحشر	٢٠٢
٥٣-	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ ﴾.	٨٠	الأنعام	٥
٥٤-	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ.. ﴾.	٣١	البقرة	٨
٥٥-	﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ .	٧١	الزمر	٧
٥٦-	﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ .	٢٤	الصافات	٦
٥٧-	﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ .	٣٦	الإسراء	-٤٠ ١٨١

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	مكان وروده
ـ حرف الألف ـ		
١- (..أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا ؟..) .	عبد الله بن عمرو	٤٢٣
٢- (..ابْتَاعِيهَا فَأَعْتِقِيهَا فَإِنَّ الْوَلاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ ..).	عائشة رضي الله عنها	٣٨٥
٣- (..أَبِكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَهَلْ أَحْصَنْتَ؟ ..)	أبو هريرة رضي الله عنه	١٢٠
٤- (..أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟..) .	سعد بن أبي قاص	٣١٦
٥- (..أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟..)	أبو بكرة رضي الله عنه	١٥٣
٦- (.. أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟...) .	سهل بن سعد رضي الله عنه	٢٥٠
٧- (..أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟..) .	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٩
٨- (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟...) .	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٨
٩- (..أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ ...).	عمر بن الخطاب	١٨٧
١٠- (..أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ ..؟)	أبو هريرة رضي الله عنه	٤٢٦
١١- (..أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا ..؟) .	أم سلمة رضي الله عنها	٢٢٢
١٢- (..أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؟..) .	عائشة رضي الله عنها	٤١٦
١٣- (..أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ ؟..)	البراء رضي الله عنه	٢٣٤
١٤- (..اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ..).	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٦
١٥- (..أَحَقٌّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ؟..)	ابن عباس رضي الله عنه	٨٣
١٦- (..أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنْ الصَّلاةِ ..) .	أبو قتادة رضي الله عنه	١١٨
١٧- (.. أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا..) .	عبد الله بن سلام	١٢٨
١٨- (..ادْعُوهُ فَدَعَوْهُ ،قَالَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ ؟....).	أبو سعيد الخدري	١١٣
١٩- (...ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، فَقَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟...).	أبو أمامة رضي الله عنه	٢٠٨

١٤٢- (..لَوْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ ...).	جابر بن عبد الله	٣٨٦
١٤٣- (..لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاهُ..) .	فاطمة بنت قيس	١٤٥
– حرف الميم –		
١٤٤- (مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا يَمْكُثُ عِنْدِي..)	أبو ذر ﷺ	٨٥
١٤٥- (مَا أَدْرِي أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَسْكُتُ ؟ ....) .	عثمان بن عفان	١٥٧
١٤٦- (..مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟..) .	جابر بن عبد الله	٣٧٦
١٤٧- (مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ.. ؟)	عائشة رضي الله عنها	٣٨٠
١٤٨- (.. مَا بَالُهُمْ وَبَالُ الْكِلابِ ؟ ..) .	ابن المغفل ﷺ	٣٨٢
١٤٩- (..مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا ؟..) .	أنس بن مالك ﷺ	٣٨١
١٥٠- (..مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ.. ؟)	أنس بن مالك ﷺ	٣٨٣
١٥١- (.. مَا بَالُ هَذَا ؟ قَالُوا : نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ..)	أنس بن مالك ﷺ	٧٤
١٥٢- (..مَا بَالُ هَذِهِ الْوِسَادَةِ ؟..).	عائشة رضي الله عنها	١٠٢
١٥٣- (..مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ.. ؟..) .	أبو هريرة ﷺ	٢١٩
١٥٤- (..مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ ؟....) .	عبد الله بن عمر	١٢٧
١٥٥- (..مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ ؟..) .	عبد الله بن مسعود	٢٤٧
١٥٦- (..مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ ؟..) .	أبو هريرة ﷺ	٢٤٦
١٥٧- (..مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأَسَارَى ؟ ..).	ابن عباس ﷺ	٣٤٨
١٥٨- (..مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا ؟...) .	سهل بن سعد ﷺ	٣٠- ٢٥٦
١٥٩- (..مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ ؟).	أبو موسى ﷺ	٣٤٥
١٦٠- (..مَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَجِّكَ ؟..) .	يعلى بن أمية ﷺ	٢٦٧
١٦١- (..مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.. ؟ ..) .	ابن عباس ﷺ	٢٥٥
١٦٢- (..مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ .).	أنس بن مالك ﷺ	٨١
١٦٣- (..مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ ..).	كعب بن مالك	٥١
١٦٤- (..مَا السُّرَى يَا جَابِرُ ؟..) .	جابر بن عبد الله	٤١٢

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لها

فهرس المواضع والبلدان

فهرس القبائل

فهرس المصطلحات

المصادر والمـــراجـــع

- حرف الألف -

١- الإكمال، علي بن هبة الله بن ماكولا، ٧أجزاء، (ط١، بـــيروت: دار الكتـــب العلمية، ١٤١١).

٢- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي، ١٣ جزء ، تحقيق عبد الجبـــار زكـــار، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ م) .

٣- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد فـــؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـــ - ١٩٨٩م).

٤- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق محمد شريف سكر، (ط١، الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٧هـــ) .

٥- الإحكام ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ، ٨أجزاء (ط١، القـــاهرة: دار الحديث، ١٤٠٤هـــ) .

٦- إحياء علوم الدين ، أبي حامد ، محمد بن محمد الغزالي ، ٥ أجزاء ، (بـــيروت : دار المعرفة) .

٧- الاختبارات التحصيلية والقياس النفسي التربوي، محمد رمضان محمد، (الإمارات- دبي : دار القلم ، ١٤٠٨- ١٩٨٨م)

٨- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حنبكة الميداني ، (ط٣ ، دمشق: دار القلم ، ١٣٩٩ هـــ) .

٩- أداء المعلم الذي يمكّن من التفكير ، آرثر كوستا ، تعريـــب أ.د صـــفاء يـــونس الأعسر، (القاهرة، دار قباء للطباعة، ١٩٩٨) .

١٠- آداب السؤال ، د . أحمد بن عبد الله الباتلي ، " مجلة المعرفة ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة المعرفة "، (عدد : ٢٣ ، ٢ / ١٤١٨ هـــ) .

١١- آداب المتعلمين ، د. أحمد بن عبد الله الباتلي ، (ط١ ، الريـــاض: دار القاســـم للنشر، ١٤١٨هـــ) .

١٢- أدب الحوار في الإسلام ، سيف الدين شاهين ، (ط١ ، هـ ١٤٢٣- ١٩٩٢م).

١٣- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد القسطلاني، ٥أجزاء، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

١٤- الأسئلة الذكية للمديرين الناجحين ، دوروثي ليدز ، ترجمة ريم السالم ، (ط: ١ – ١٤١٤هـ) .

١٥- الأسئلة التقويمية في علوم الشريعة ، مبارك بن مسلم بن الربيع الصلصي ، من كتاب " المرجع في تدريس علوم الشريعة ، القسم الثاني ، تحرير ، د . عبد الرحمن صالح عبد الله ، (ط١ ، الأردن : مؤسسة الوراق ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .

١٦- الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ، محمد بن صالح المنجد ، (الإسكندرية : دار الإيمان) .

١٧- " الأساليب التعليمية المستقاة من خلال تراجم البخاري على أحاديث كتاب العلم في جامعه الصحيح "(بحث)، د. علي بن إبراهيم الزهراني ، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج١٥ ، عدد٢٧ ، جمادى الثانية ١٤٢٤ هـ) .

١٨- الاستذكار ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ، ٩ أجزاء، تحقيق سالم محمد عطا- محمد علي معوض (بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م).

١٩- استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية ، حسن بن علي البشاري ، (كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، العدد ٧٧ ، قطر، ١٤٢١ هـ).

٢٠- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، عبد الحميد الزناتي ، (تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م).

٢١- الإسلام وقضايا علم النفس الحديث ، د.نبيل محمد السمالوطي (ط٢، جدة : دار الشروق ، ١٤٠٤هـ - ١٩٩٨م) .

٢٢- الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ٨ أجزاء ، تحقيق علي محمد البجاوي (ط١ ، بيروت : دار الجيل ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

٢٣- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، عبد الرحمن النحلاوي، (ط٢ ، بيروت- دمشق : دار الفكر، ١٩٨٣م).

٢٤- أصول التربية الإسلامية للأولاد والبنات في ظل القرآن الكريم والسنة النبوية ، بدرية ناصر المسيحي ، (ط١ ، الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) .

٢٥- أصول الفقه ، الإمام محمد أبو زهرة ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م) .

٢٦- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحازمي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، (مصر : مكتبة عاطف).

٢٧- إعداد الأسئلة في الورقة الامتحانية ، رشدي أحمد طعيمة ، (مسقط : جامعة السلطان قابوس ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٢٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط١ ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٢٣هـ - ١٩٩٢م).

٢٩- الإقناع في التربية الإسلامية ، سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، (ط١ ، جدة : دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٣٠- إكمال المعلم بفوائد مسلم " شرح صحيح مسلم " ، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، تحقيق د. يحيى إسماعيل، (ط١، المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

٣١- الإلقاء الناجح ، ٥٠ فكرة حقيقية للتأثير على الجمهور، جونز إرنبورج ، جون ماتوك ، ترجمة : جمالات هاشم ، (ط١، الرياض : مكتبة الملك فهد ، ١٤١٨هـ) .

٣٢- الأمثال في القرآن، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تحقيق سيد الخطيب، (ط٢، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٣هـ) .

٣٣- الإنصات الانعكاسي " خمس وعشرون طريقة للتأثير في نفس الطفل وعقله "، (ط١، بيروت- لبنان : دار ابن حزم ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

٣٤- أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائـري ، ٥ أجـزاء ، (ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

٣٥- إيضاح الإشكال، محمد بن طاهر المقدسي أبو الفضل، تحقيق: باسم الجـوابرة، (ط١، الكويت: دار المعلا، ١٤٠٨هـ).

- حرف الباء -

٣٦- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليه (شرح مختصر صحيح البخـاري) ، الإمام عبد الله ابن أبي جمرة الأندلسي ، تحقيق: د.بكري شيخ أمين، (ط١، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٧م) .

- حرف التاء -

٣٧- التاريخ الكبير ، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخـاري الجعفـي ، تحقيق: السيد هاشم الندوي ، ٨ أجزاء ، (دار الفكر) .

٣٨- تاريخ التشريع الإسلامي ، الشيخ محمد الخضري بك ، (ط٧ ، مصر : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٠ م) .

٣٩- تاريخ مدينة دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشـافعي ، تحقيق محب الدين العمري ، ٧٠ جزء ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٥) .

٤٠- التثبت والتبين في المنهج الإسلامي ، د.أحمد محمد العليمي " إصدار مركز الفكر الإبداعي (٣) ، السلسلة التربوية (٨) ، (ط١، بيروت- لبنـان ، دار ابـن حـزم ، ١٤٢١- ٢٠٠٠ م).

٤١- تحفة الأحوذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، أبـو العـلا ، ١٣٥٣هـ ، ١٠أجزاء ، (بيروت : دار الكتب العلمية).

٤٢- التحقيق في أحاديث الخلاف، عبد الرحمن بن علي بن محمـد ابـن الجـوزي، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٣١٥هـ-١٩٩٤م).

٤٣- التدريس في مدرسة النبوة ، مفهومه ، أهدافه ، أسسه ، د. سراج محمـد وزان ، (دعوة الحق ، العدد ١٣٢- السنة الحادية عشر)،(مكة : رابطـة العـالم الإسـلامي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٤٤- التدريس من أجل تنمية التفكير ، آرثر كوستا " أداء المعلم الـذي يمكّـن مـن التفكير"[فصل] ، تحقيق: أ.د. صفاء يوسف الأعسر ، (القاهرة : دار قباء للطباعـة ، ١٩٩٨م)

٤٥- تذكرة السامع والمتكلم ، ابن جماعة الكناني، تحقيق : محمـد السـندي، (ط٣، الأردن : دار المعالي ، ١٩١٤م).

٤٦- التربية بالحوار من أساليب التربية الإسلامية ، عبد الـرحمن الـنحلاوي، (ط١، بيروت- لبنان : دار الفكر المعاصر ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م) .

٤٧- التربية عبر التاريخ ، عبد الله عبد الدائم، (ط٥ ، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م).

٤٨- تربية الطفل في السنة النبوية ، محمد صالح عبد الله المنيف ، (ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

٤٩- التربية النبوية ، عثمان قدري مكانسي ، (ط١، بيروت- لبنان : دار ابن الحزم ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)

٥٠- التربية الإسلامية للأولاد ، عبد المجيد طعمة حلبي ، دار المعرفة ، بيروت ، (ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .

٥١- التربية الإسلامية وفن التدريس ، عبد الوهاب عبد السـلام طويلـة ، (ط٣ ، القاهرة ، دار السلام ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) .

٥٢- التربية بضرب الأمثال ، عبد الرحمن النحلاوي ، (ط١، دمشق - سـورية : دار الفكر ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) .

٥٣- تربية الأطفال في رحاب الإسلام ، محمد حمد الناصر، خوله درويش ، (جـدة : مكتبة السوادي ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م) .

٥٤- تربية المراهق في رحاب الإسلام ، محمد الناصر ، خولة درويش ، رمادي للنشر ، (ط : ١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

٥٥- التربية وطرق التدريس ، أ. صالح عبد العزيز ، د. عبد العزيز عبد المجيد ، (ط١٧، دار المعارف) .

٥٦- الترغيب والترهيب ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد ت ٦٥٦هـ ، ٤ أجزاء ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، (ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ).

٥٧- التشويق في الحديث النبوي ، طرقه وأغراضه ، د. بسيوني عبد الفتاح ، (ط١، القاهرة : الحسين الإسلامية ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

٥٨- تصحيفات المحدثين ، الحسن بن عبد الله العسكري أبو أحمد ، جزآن ، تحقيق د.محمود أحمد ميرة ، (ط١،القاهرة : المطبعة العربية ، ١٤٠٢ هـ) .

٥٩- تصنيف لأسئلة الأنماط التنظيمية المعرفية وكيفية تدريب التلاميذ على اتخاذ قرارات أو حل الأسئلة ، نادية أحمد بكار ، مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، المجلد الخامس (١) ٢٠٧-٢٤٣، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م) .

٦٠- التصوير الفني في الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، (بيروت : المكتب الإسلامي،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م) .

٦١- تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ماجد الكيلاني، (ط٢، المدينة : مكتبة دار التراث ، ١٤٠٧ هـ) .

٦٢- التطوير الذاتي عبر فرضيات البرمجة اللغوية والعصبية، د. أسامة صالح الحريري ، (ط١ ، جدة : دار المجتمع ، ١٤٢٤هـ) .

٦٣- التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق : د.عبد المنعم الحفني ، (ط٥، القاهرة : دار الرشاد) .

٦٤- التعلم نفسياً وتربوياً، د.محمد خير عرقسوس، د.محمد مصطفى زيدان، د.يوسف القاضي، (ط٢، دار اللواء ، ١٤٠٣- ١٩٨٣)

٦٥- التعلم والتعليم ، مدخل في التربية وعلم النفس ، آرثر جورج هيوز ، إي إج هيوز، ترجمة: حسن الدجيلي، (ط٣ ، الرياض : عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٩٨٢ م – ١٤٠٢ هـ) .

٦٦- تعليم التفكير، د.إبراهيم أحمد الحارثي، (الرياض: مدارس الرواد،١٩٩٩م-١٤٢٠هـ) .

٦٧- تفسير الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ٣٠ جزء ، (بيروت : دار الفكر) .

٦٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ٥ أجزاء، (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م).

٦٩- تفسير القرآن العظيم، الشيخ محمد بن صالح العثيمين،(ط١، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).

٧٠- التفكير الإبداعي بين النظرية والتطبيق، د.عبد الله بن طه الصافي، (ط١، جده ، دار البلاد ، ١٤١٨-١٩٩٧) .

٧١- التقويم التربوي للمتعلمين لدى العلماء المسلمين (أهدافه، أساليبه، تطبيقاته) دراسة تاريخية تحليلية ، د. عبد الله بن أحمد بن عبد الله ، (الرياض : الرشد ، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م).

٧٢- التقويم في علوم الشريعة ، يحيى إسماعيل عيد، (المرجع في تدريس علوم الشريعة ، تحرير: عبد الله صالح عبد الله) .

٧٣- تكنولوجيا التعليم كفلسفة ونظام ، د . زاهر أحمد ، (ط١ ، القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٦م) .

٧٤- التلخيص الحبير ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، جزآن ، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني ، (المدينة ، ١٣٨٤ — ١٩٦٤).

٧٥- تلخيص كتاب العلل المتناهية ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق ، أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد ، (ط ١ ، الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .

٧٦- التمهيد، أبو عمر يوسف ابن عبد الله ابن عبد البر النمري ، ٢٢ جزء ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد بن عبد الكبير كباري ، (المغرب : وزارة عموم الأوقاف ، ١٣٧٣)

٧٧- تنمية مهارات التفكير من خلال المناهج التعليمية (رؤية مستقبلية) ، د. محمود محمد علي ، (ط١، الرياض ، دار المجتمع ، ٢٠٠٢م) .

٧٨- تنمية مهارة الطالب والمعلم في صياغة الأسئلة وإلقائها ، د. محمد أمين المفـتي ، "دراسات في المناهج وطرق التدريس " ، (العدد الخامس ، مصر : الجمعيـة المصـرية ، ١٩٨٩ م) .

٧٩- تنوير الحوالك ، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، جزآن ، (مصر : المكتبة التجارية ، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م).

٨٠- تهذيب الأسماء ، محيي الدين بن شرف النووي ، ٣أجـزاء ، ، تحقيـق مكتـب البحوث والدراسات ، ط١ ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٦) .

٨١- تهذيب الكمال ،يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيـق : بشار عواد معروف ، ٣٥ جزء ، (ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .

٨٢- توجيه المعلم في ضوء التفكير الإسلامي ، مقداد يالجن (الرياض ، دار المـريخ ، ١٤٠٢هـ) .

- حرف الثاء -

٨٣- ٣٣٣ تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر ، وفن استخدام الأساليب والوسائل التدريبية الحديثة ، (ط١ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م) .

-حرف الجيم -

٨٤- جامع بيان العلم وفضله ، الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبـد الله القـرطبي المالكي ، تحقيق : سعد عبد الحميد السعدني ، (ط١ ، بيروت : دار الكتب العلميـة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) .

٨٥- جامع الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، ٥أجزاء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، (بيروت : دار إحياء التراث).

- حرف الحاء -

٨٦- حاشية السندي ، نور الدين عبد الهادي ، أبو الحسن السندي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ٨ أجزاء ، (ط٢ ، حلب : مكتب المطبوعات ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .

٨٧- حسن السؤال نصف العلم ، سعود بن عيد الجربوعي ، البيان ، مجلة إسلامية شهرية ، جامعة ، العدد (٦٢)، (لندن : المنتدى الاسلامي ، شوال ١٤١٣هـ ، ابريل ١٩٩٣م).

٨٨- الحطة في ذكر الصحاح الستة ، أبو الطيب السيد صديق القنوجي ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ ت ١٩٨٥ م) .

٨٩- حلية الأولياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ١٠ أجزاء ، (ط ٤ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ) .

٩٠- الحوار بين أهل الحق والباطل ، إدارة الأبحاث والنشر ، (ط١ ، الرياض : دار الرشاد ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م) .

- حرف الخاء -

٩١- الخصائص الفنية في الأدب النبوي ، د. محمد بن سعد الدبل ، (ط٢، الرياض : مكتبة العبيكان) .

٩٢- خمس خطوات لتعديل سلوك طفلك ، د. عادل رشاد غنيم ، (ط ٢،جدة : دار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣).

- حرف الدال -

٩٣- دافعية الإنجاز المدرسي ، أ.د. محمد بن معجب الحامد، (ط١ ، الرياض : مكتبة الملك فهد ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .

٩٤- " دراسة تجريبية في تأثير استخدام الأسئلة التي تتطلب قدرات عقلية عليا " ، د.شادية أحمد التل ، د. محمد فخري مقدادي ، (المجلة التربوية ، مجلة فصلية تخصصية محكمة ، عدد ٢٠ ، المجلد السادس ، ربيع ، ١٩٨٩ م) .

٩٥- دافعية الآباء ، التدريب المنتظم للتربية الفعَّالة ، تأليف: دون دنكمير ، جاري د. ماكي ، ترجمة : د. سهام الصويغ ، ط١ ، (المملكة العربة السعودية : دار الكتاب التربوي للنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م) .

٩٦- الديباج على مسلم، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: أبواسحاق الحويني الأثري، ٥أجزاء، (الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٦ – ١٩٩٦).

-حرف الراء -

٩٧- الرسول العربي المربي ، د . عبد الحميد الهاشمي ، (ط١ ، دمشق : دار الثقافة للجميع ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

٩٨- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، عبد الفتاح أبو غدة ، (ط١ ، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .

٩٩- الرسول ﷺ يسأل والصحابي يجيب ، سلمان نصيف الدحدوح ، (ط١ ، بيروت: دار البشائر الإسلامية ، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م) .

١٠٠- رياض الصالحين ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : علي أبو الخير ، (ط ٢ ، عمان : دار أسامة ، ١٤١٨ هـ) .

- حرف السين -

١٠١- سبل السلام ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، د.مصطفى مسلم محمد، جزآن، (مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ).

١٠٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، جزآن ، (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) .

١٠٣- سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، جزآن (بيروت : دار الفكر) .

١٠٤- سنن أبو داوود ، سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني الأزدي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، (دار الفكر) .

١٠٥- سنن البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (مكة : مكتبة الباز ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .

١٠٦- سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، تحقيق : فواز زمرلي ، خالد العلمي ، جزآن ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧ هـ) .

١٠٧- سنن الدارقطني ، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) .

١٠٨- "السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم" ، د. أحمد عبد الفتاح صبحي، (مجلة الجامعة الإسلامية، مجلة علمية محكمة ،عدد ١١١، المدينة : الجامعة الإسلامية ، السنة ٣٣ ، ١٤٢١ هـ) .

١٠٩- السؤال والجواب في آيات كتاب الله، الشيخ عطية محمد سالم، (ط١ ، المدينة : مكتبة التراث ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م) .

١١٠- سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق : شعيب الأرنأوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ) .

١١١- سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم، د. جابر عبد الحميد جابر، (ط: ٦ ، القاهرة : دار النخبة العربية ، ١٤٠٢ هـ) .

١١٢- السيرة النبوية ، محمد عبد الملك بن هشام الحميري ، تحقيق: مصطفى السقا وزملاؤه ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٧٥ هـ - ١٩٥٥) .

- حرف الشين-

١١٣- شرح رياض الصالحين للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، تحقيق : أحمد البكري وآخرون ، جزآن ، (ط١، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م) .

١١٤- شرح الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، ٤ أجزاء ، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ) .

١١٥- شرح سنن ابن ماجه ، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو عبد الرحمن السيوطي ، ٨ أجزاء ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، (حلب: مكتبة المطبوعات ، ١٤٠٦- ١٩٨٦).

١١٦- شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية، صدر الدين علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر ، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية، ١٤١٨هـ).

١١٧- شرح معاني الآثار ، احمد بن محمد بن سلامه بن عبد الملك بن سلمة ، أبو جعفر الطحاوي ، ٧ أجزاء ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)

١١٨- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، ٩ أجزاء ، (ط٢ ، بيروت : دار إحياء التراث ، ١٣٩٢).

١١٩- شروح التخليص، سعد الدين التفتازاني، وابن يعقوب المغـربي، وبهـاء الـدين السبكي، تحقيق : فرج الله زكي الكردي ، (مصر : عيسى البابي الحلبي).

١٢٠- شعب الإيمان ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ٧ أجزاء ، تحقيق :محمد السعيد بسيوني زغلول ، (ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ) .

- حرف الصاد -

١٢١- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، (ط٢ ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢ هـ) .

١٢٢- الصحة النفسية، دراسات في سيكلوجية التكيف، د. مصـطفى فهمـي، (ط٢، القاهرة: الخانجي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

١٢٣- صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبوحاتم التميمي البستي ، تحقيـق : شعيب الأرنأوط ، ١٨ جزء ، (ط٢ ، بيروت : مؤسسة الرسـالة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) .

١٢٤- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق ابن خزيمة أبوبكر السـلمي النيسـابوري ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، ٤ أجزاء ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م) .

١٢٥- صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفـي ، تحقيـق : د.مصطفى ديب البُغا، (بيروت : دار ابن كثير ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

١٢٦- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الألبـاني، (ط٢، بـيروت: المكتـب الإسلامي، ١٤٠٦هـ- ١٩٩٦م).

١٢٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، محمد ناصر الدين الألباني ، جزآن ، ط٣ ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م).

١٢٨- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (ط٥ ، بيروت : دار إحياء التراث) .

- حرف الطاء -

١٢٩- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، ٨ أجزاء، (بيروت : دار صادر).

١٣٠- الطب النفسي والحياة، مقالات مشكلات، فوائد، د. حسان عدنان المالح، (ط ١، دمشق : دار الإشراقات ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .

١٣١- طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه ، د . أحمد محمد العليمي ، (ط١ ، بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م) .

١٣٢- طرق التربية والتعليم وتطورها عبر العصور الإسلامية وحتى العصر الحديث ، محمود محمد غانم ، (ط١ ، الأردن : دار الأندلس ، ١٤١٨ هـ) .

١٣٣- طرق التعليم التربوية في السنة النبوية ، د. أحمد فؤاد عليان ، (ط١ ، الرياض : دار المسلم ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م) .

١٣٤- طرق سائلة للتدريس الحديث ، الحوار والأسئلة الصفيّة ، د. محمد زياد حمدان ، (الأردن : دار التربية الحديثة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .

- حرف الظاد -

١٣٥- ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة ، مصطفى عيد الصياصة ، (ط١ ، الرياض : دار المعراج الدولية ، ١٤١٢) .

- حرف العين -

١٣٦- العادات العقلية وتنميتها لدى التلاميذ ، د. إبراهيم بن أحمد مسلم الحارثي ، (ط١، الرياض : مكتبة الشقري ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م) .

١٣٧- العلاج المعرفي السلوكي ، أسس وتطبيقات ، أ . د. عادل عبد الله محمد ، (ط١، القاهرة : دار الرشاد ، ١٤٢٠ هـ) .

١٣٨- العلم فضله وشرفه، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن الأثري، (ط١، ١٩٩٦م).

١٣٩- علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ م) .

١٤٠- علم النفس الاجتماعي التربوي ، التطبيع الاجتماعي ، د. سيد أحمد عثمان ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٤١١ هـ ت ١٩٩٠ م) .

١٤١- علم النفس الاجتماعي ، حامد زهران ، (ط: ٥ ، عالم الكتب) .

١٤٢- علم النفس التربوي ، د. أحمد زكي صالح ، (مكتبة النهضة المصرية) .

١٤٣- علم النفس التربوي ، د. فاخر عاقل ، (ط ٩ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ م) .

١٤٤- علم النفس التربوي ، د. عبد المجيد نشواتي ، (ط ٢ ، بيروت : دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .

١٤٥- علم النفس التعليمي ، د. محمد خليفة بركات ، (الكويت : دار القلم) .

١٤٦- علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ، د. هشام محمد مخيمر ، (ط١ ، الرياض : أشبيليا ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م) .

١٤٧- عمدة القاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، ١٢ جزء ، (بيروت : دار إحياء التراث) .

١٤٨- عون المعبود ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ٤ أجزاء ، (ط٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ م) .

- حرف الغين -

١٤٩- غريب الحديث ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، تحقيق : د. عبد المعطي أمين قلعجي ، جزآن (ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) .

١٥٠- غريب الحديث ، القاسم بن سلام الهروي ، أبو عبيد ، تحقيق : د. محمد عبد المعيد خان ، ٤ أجزاء ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٣٩٦ م) .

١٥١- غوامض الأسماء المبهمة ، خلف بن عبد الملك بن بشكوال أبو القاسم ، تحقيق د. عز الدين السيد ، جزآن ، (ط١ ،بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ) .

- حرف الفاء -

١٥٢- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٣ أجزاء، (ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .

١٥٣- الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي ، سالك أحمد معلوم ، (ط١ ، جدة : مطبعة المحمودية ، ١٤١٣ هـ) .

١٥٤- فلسفة التربية الإسلامية، ماجد الكيلاني، (مكة المكرمة: مكتبة المنارة ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

١٥٥- فن التعليم عند بدر الدين ابن جماعة كما يبدو في كتابه تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، د. حسن إبراهيم عبد العال ، (الرياض : مكتبة التربية لدول الخليج، ١٩٨٥ م) .

١٥٦- فن التفاوض ، أوري وليام ، ترجمة : نيفين عزاب ، (القاهرة : الدار العربية للنشر ، ١٩٩٤ م) .

١٥٧- " فن توجيه الأسئلة للتلاميذ " ، فرانسيس . م. أوستن ، تلخيص الأستاذ : ميشيل وهبة ، (مجلة التربية الحديثة ، عدد ٤ ، القاهرة : الجامعة الأمريكية ، السنة ٢٤ ، إبريل ١٩٥١ م) .

١٥٨- فن صياغة الأسئلة ، د. زيد عبد المحسن آل حسين وآخرون ، (سلسلة الدراسات والبحوث التربوية ، ط١ ، مكة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .

١٥٩- فن طرح السؤال الصحيح جوهر العملية التعليمية ، د. سلمى واسرمان ، ترجمة: أ. محمد طه علي ، (ط١ ، الرياض : دار المعرفة للتنمية البشرية ، ١٤٢٠ هـ) .

١٦٠- فنون الحوار والإقناع ، د. محمد ديماس ، (ط١ ، بيروت : دار ابن حزم ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) .

١٦١- فيض القدير ، عبد الرءوف المناوي ، (ط١، مصر ، المكتبة التجارية ، ١٣٥٦).

١٦٢- في ظلال القرآن، سيد قطب ، ٦ أجزاء ، (ط ١٢ ، بيروت - القاهرة : دار العلم - دار الشروق ، ١٤٠٦ هـ) .

- حرف القاف -

١٦٣- " القدرة على فن الحوار "، نورة خالد سعد ، (مجلة المعرفة ، عدد ٢٧ ، الرياض، جمادى الآخرة ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .

- حرف الكاف -

١٦٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، فيما يدور من الأحاديث على ألسنة الناس،، اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق أحمد القلاش، جزآن، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).

١٦٥- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنبلي ، ٦ أجزاء ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) .

١٦٦- كيف تحاور؟ دليل عملي للحوار ، د. طارق بن علي الحبيب ، (الرياض : مؤسسة الجريسي ١٤٢١هـ) .

١٦٧- " كيف تحاورين الآخرين " ، ابتسام الكثيري ، (مجلة منار الإسلام ، عدد ٥ ، جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ - يوليو – أغسطس ٢٠٠٢ م) .

١٦٨- كيف تسأل السؤال الصحيح ، روبرت اليس وايت ، نقله إلى العربية : فريق بيت الأفكار الدولية .

- حرف اللام -

١٦٩- اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ، الجزري، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ).

١٧٠- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ١٥ جزء ، (ط١، بيروت : دار صادر) .

- حرف الميم -

١٧١- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، ١٠ أجزاء (القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ) .

١٧٢- المجموع، شرح المهذب للشيرازي ، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق : محمد نجيب المطيعي ، ٥ أجزاء ، (دار أحياء التراث العربي ، ١٤١٥- ١٩٩٥).

١٧٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ٣٧ جزء ، (المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

١٧٤- المحلى، أحمد بن علي ابن حزم الظاهري، ٨أجزاء، لجنة إحياء التراث العربي ، (بيروت: دار الآفاق الجديدة).

١٧٥- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق محمود خاطر ، (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) .

١٧٦- مدى استخدام معلمات اللغة العربية أسلوبي السبر والتوقف أثناء إلقاء الأسئلة الصفية الشفهية في المرحلة الثانوية ، رسالة ماجستير :شيخة فهد السنبل (١٤٢١- ٢٠٠١) .

١٧٧- مدخل الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، د.عبدالله بن عبد العزيز العجلان، نبيل بن كمال الدين طاحون، (ط١، الرياض: وزارة الإعلام ، ١٤١٢-١٩٩١) .

١٧٨- مذكرة في مادة مناهج المحدثين ، د إبراهيم الريس .

١٧٩- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ٤ أجزاء ، (ط١، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م) .

١٨٠- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، (بيروت : دار الفكر) .

١٨١- مسند الشافعي ، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي ، (ط١، بيروت : دار الكتب العلمية) .

١٨٢- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ٤ أجزاء، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥- ١٩٨٤) .

١٨٣- مسند الطيالسي، سليمان أبن داوود أبو داوود الطيالسي، (دار المعرفة: بيروت).

١٨٤- المسند المستخرج على صحيح مسلم، أبو نعيم أحمد بـن عبـد الله بـن أحمـد الأصبهاني، ٤أجزاء، تحقيق محمد حسن اسماعيل الشافعي،(ط١، بـيروت: دار الكتـب العلمية، ١٤١٧هـ).

١٨٥- مشارق الأنوار، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (المكتبـة العتيقة) .

١٨٦- مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، ٧ أجزاء ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩ هـ) .

١٨٧- معتصر المختصر، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، (بيروت: عالم الكتب).

١٨٨- معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانه (ط٣ ، جـدة : دار المنـارة ، ١٤٠٨-١٩٨٨م).

١٨٩- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي ، ٥أجزاء (بيروت : دار الفكر) .

١٩٠- معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، تحقيق : صـلاح المصـراتي، ٣ أجزاء، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية ، ١٤١٨هـ).

١٩١- معجم علم النفس والطب النفسي ، إعداد د. جابر عبد الحميد جابر ، ود. علاء الدين كفافي ، (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٩٠ م) .

١٩٢- معجم علم النفس المعاصر، أزف تبرو منسكي ، م. ج. يارو شفسكي، ترجمـة حمدي عبد الجواد، عبد السلام رضوان، مراجعة: عاطف أحمد، (ط١، القاهرة: دار العلم الجديد، ١٩٩٦م).

١٩٣- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني الدقر، (ط١، دمشق: دار القلم ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

١٩٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ٢٥جزء ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، (ط٢، الموصل : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٤-١٩٨٣).

١٩٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، (ط٢ ، بـيروت: دار الفكر ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

١٩٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام هارون ، (بيروت: دار الفكر) .

١٩٧- المعلم الأول ، فؤاد شلهوب ، دار القاسم ، الرياض (ط : ١ - ١٤١٧هـ) .

١٩٨- المعلمون والمتعلمون أنماطهم وسلوكهم وأدوارهم ، د.حسن شحاته، د.محبات أبو عميره (ط١، القاهرة : الدار العربية للكتاب ،١٤١٤-١٩٩٤) .

١٩٩- معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري ، سعد بن جنيدل ، (الرياض : مكتبة الدار المئوية ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م) .

٢٠٠- مع المعلمين، محمد بن إبراهيم الحمد (ط١، الرياض : دار ابن خزيمة ، ١٤١٨).

٢٠١- المغني ، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي ، تحقيق ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، د. عبدالفتاح محمد الحلو ، ١٥ جزء ، (ط١، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م) .

٢٠٢- مفتاح باب السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ، جزءان ، (دار الفكر).

٢٠٣- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الأمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق : محيي الدين مستور وآخرون ، (ط١، دمشق: دار أبن كثير ، ١٤١٧-١٩٩٦).

٢٠٤- " مفهوم التهكم عند كيركجور "، إمام عبد الفتاح إمام ، حوليات كليات الآداب ، عدد ٩، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .

٢٠٥- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٢٥-٢٠٠٤م)

٢٠٦- مقدمة التربية، مدخل في التربية ، د.إبراهيم ناصر ، (ط ٥ ، عمان : المطابع التعاونية ، ١٩٨٣ م) .

٢٠٧- من أساليب الرسول ﷺ في التربية ، نجيب خالد العامر ، (ط١، الكويت ، البشرى الإسلامية ، ١٤٠١- ١٩٩٠).

٢٠٨- منار القاري في شرح مختصر صحيح البخاري ، حمزة محمد قاسم ، ٥ أجزاء ، (بيروت : مكتبة المؤيد ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .

٢٠٩- مناقب الإمام الشافعي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (القاهرة : المكتبة العلامية ، ١٢٧٩ هـ) .

٢١٠- منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام ابن عباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (بيروت : دار الكتب العلمية).

٢١١- المنهج التربوي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ،(ط٢، الأردن : مكتبة المنار ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م) .

٢١٢- منهج التربية الإسلامية ، علي مدكور ، (الكويت : دار الفلاح ، ١٤٠٧).

٢١٣- منهج التربية النبوية للطفل ، محمد نور سويد ، (ط٥، الكويت : مؤسسة الريان، ١٤١٤-١٩٩٤).

٢١٤- المنهج الحركي للسيرة النبوية ،منير محمد الغضبان ، (ط١، الأردن : مكتبة المنار، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م) .

٢١٥- منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة ، سلمان خلف الله،(عمان: بيت الأفكار الدولية) .

٢١٦- منهج النقد في علوم الحديث ، نور الدين عتر (ط٣، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨-١٩٩٧) .

٢١٧- مهارت إلقاء الأسئلة ، فاطمة إبراهيم حميدة ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٦م) .

٢١٨- مهارات التدريس، د. جابر عبد الحميد جابر وآخرون، (ط١، القاهرة: دار النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٢١٩- مهارات التدريس ، أ.د. إمام مختار حميدة وآخرون ، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق) .

٢٢٠- موارد الظمآن، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق : محمد حمزة، (ط١، بيروت:عالم الكتب).

- حرف النون -

٢٢١- النبي الكريم ﷺ معلما ، أ .د . فضل إلهي ، (ط١ ، باكستان : إدارة ترجمان الإسلام ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م) .
٢٢٢- نحو علم نفس إسلامي ، د. حسن محمد الشرقاوي ، (الاسكندرية ١٩٨٤م).
٢٢٣- نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار وروايتها ، أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، (ط٣، الرياض : مكتبة الملك فهد ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) .
٢٢٤- نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، د . عبد المجيد محمود عبد المجيد، (ط ٢، الطائف: مكتبة البيان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) .
٢٢٥- نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول ، د. أمينة أحمد حسن ، (ط١، دار المعارف-١٩٨٥م) .
٢٢٦- نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية ، د. محمد مصطفى زيدان ، (ط ١ ، جدة : دار الشروق ، ١٤٠٢ ه - ١٩٨٢) .
٢٢٧- النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية ، د. محمد مصطفى زيدان ، (ط ٤ ، جدة : دار الشروق ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .
٢٢٨- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام مجد الدين أبي السعدات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي / محمود محمد الطناحي ، (المكتبة الإسلامية) .
٢٢٩- نيل الأوطار ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ٤ أجزاء ، (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٣ م) .

- حرف الهاء -

٢٣٠- هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي ، حنان اللحام ، (ط ١ ، بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) .

فهرس الموضوعات